تهذيب الطبقات الكبرى

تأليف

أبي المواهب عبدالوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري

الشافعي المصري المعروف بالشعراني

من أعيان علماء القرن العاشر الهجري

هذبه

محيي الدين الطعمى

ومعه

البرق الساطع الأرقى

في شرح ما أشكل من الطبقات الكبرى

لمحيي الدين الطعمى

الجزء الثاني

دار الروضة

obeikandl.com

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ ـــ ٢٠٠٩ م

رقم الإيداع بدار الكتب

١٠٣٨٩ / ٢٠٠٩

حقوق الطبع محفوظة

دار الروضة ـــ للنشر والتوزيع

٢ درب الأتراك خلف جامع الأزهر

٢٥٩١٣٤٢٤ ـ ٢٥٠٦٦٨٨٤ فاكس : ٢٥٩٢٧٣٦٤

obeikandl.com

ومنهم الشيخ عبد الله المنوفي المالكي رضي الله عنه

الصالح العابد الزاهد الأوحد ذو الكرامات الكثيرة، والتلامذة الأئمة .مات سابع رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، ودفن تجاه قبر السلطان قايتباي الآن بالصحراء، وكان الناس في ذلك النهار بالصحراء للدعاء برفع الوباء عنهم فحضر جنازته نحو من ثلاثين ألف رجل، وقد أفرده بالترجمة تلميذه الشيخ خليل رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ حسين الجاكي رضي الله عنه

إمام جامع الجاكي، وخطيبه، وكان واعظا صالحا يذكر الناس، وينتفع الناس بكلامه وعقدوا له مجلسا عند السلطان ليمنعوه من الوعظ وقالوا :إنه يلحن فرسم السلطان بمنعه فشكا ذلك لشيخه الشيخ أيوب الكناس فبينما السلطان في بيت الخلاء إذ خرج له الشيخ أيوب من الحائط، والمكنسة على كتفه في صورة أسد[1]عظيم، وفتح فمه يريد أن يبلع السلطان فارتعد السلطان، ووقع مغشيا عليه فلما أفاق قال له :أرسل للشيخ حسين يعظ، وإلا أهلكتك ثم دخل من الحائط فنزل السلطان إلى الشيخ حسين، وأراد الاجتماع بالشيخ أيوب فلم يأذن له .مات الشيخ حسين سنة ثلاثين وسبعمائة، ودفن خارج باب النصر في زاوية شيخه أيوب، وقبره ظاهر يزار بها كل ليلة أربعاء وصبيحتها رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ خضر الكردي رضي الله عنه

شيخ الملك الظاهر بيبرس أبي الفتوحات رحمه الله، كان به الإلمام الكثير، والتصوف، والكشف، والهمة، والمدد وكان السلطان ينزل كثيرًا لزيارته، ويحادثه بأسراره، ويستصحبه في أسفاره فرمى أولاد الحلال بينه وبينه فنقم عليه، وحبسه فطلع للسلطان جمرة رعت ظهره فأرسل يتعطف بالشيخ، وأطلقه فقال: أجلي قريب من أجل السلطان فماتا قريبا من بعضهما، والشيخ خضر قبله بأيام

(١) كثيراً ما يظهر بعض المتصرفين فى صورة أسد أعظم أو صورة سبع كاسر، وهذه الصورة فى الحقيقة تمثل مرتبته الباطنية فافهم

في سنة خمس وسبعين وستمائة، وكان حبس الشيخ أربع سنين، ومع ذلك كان يرسل له الأطعمة الفاخرة إلى الحبس وكان يقول: إذا عزم أحدكم على مخاصمة أحد فلا يهيء له كلاما فإن كل كلام مهيأ مفسود، دفن رضي الله عنه بزاويته تجاه جامع الملك الظاهر علي الخليج الحاكمي بمصر، وقبره ظاهر يزار رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ شرف الدين الكردي رضي الله عنه

المدفون بظاهر القاهرة بالحسينية وله مقام عظيم، وكرامات كثيرة، وله وقت كل ليل أربعاء، وهو أخو لشيخ خضر في الطريق، وكان من أصحاب سيدي الشيخ أبي السعود بن أبي العشائر السابق ترجمته، ومناقبهما مشهورة، ماتا سنة سبع وستين وستمائة رضي الله عنهما .

ومنهم الشيخ محمد بن هارون رضي الله عنه

من أهل مدينة سنهور بالبحر الغربي، وهو الذي كان يقوم لوالد سيدي إبراهيم الدسوقي إذا مر عليه، ويقول: في ظهره ولي يبلغ صيته المشرق، والمغرب، وكان سبب خراب بلده سنهور المدينة أنه كشف له عن صاعقة تنزل عليها من السماء تحرقها بأهلها فأمر بذبح ثلاثين بقرة، وطبخها، ومدها في زاويته، وقال للنقباء لا تمنعوا أحدا يأكل أو يحمل فأكل الناس، وحملوا جهدهم فجاء فقير مكشوف[1] العورة أشعث أغبر فقال: أطعموني فأطعموه حتى عجزوا فلم يقدروا عليه بشبع فدفعوه، وأخرجوه فنزلت الصاعقة على البلد فخرج الشيخ بأهله، ومن تبعه، وهلك الناس في أسواقهم، وبيوتهم أجمعين .فقال الشيخ للنقيب يا ولدي ما هذا الذي فعلته شخص يريد أن يتحمل البلاء عن بلدنا بأكلة تمنعه فهي إلى الآن خراب، وعمروا خلافها، وكانت مدينة عظيمة رأوا سقوفها مرصصة فوق الظهور

---

(١) تفشى ظهور عورات الأولياء لم يكن موجوداً أيام النبى ﷺ وأيام الصحابة والتابعين، وانتشرت هذه الصورة فى أهل الولاية وشاعت منذ بداية القرن الثامن الهجرى، وبدأت تتناقلها الكتب وتسرد أحاديثها منذ ذلك الوقت، وحقيقة هذه الصور انعكاس حقائق الخلق فى مرآة الولى، لكون الولى هو مرآة لأهل عصره.

خراب، وعمروا خلافها، وكانت مدينة عظيمة رأوا سقوفها مرصصة فوق الظهور بالحرير بدل الحصر والأنخاخ .وحكى لي شيخنا سيدي على الخواص رضي الله تعالى عنه أن سيدي محمد بن هارون سلبه حاله مرة صبي القراد، وذلك أنه كان إذا خرج من صلاة الجمعة تبعه أهل المدينة يشيعونه إلى داره فمر بصبي القراد، وهو جالس تحت حائطه يفلي خلقته من القمل، وهو ماد رجليه فخطر في سر الشيخ أن هذا قليل الأدب يمد رجليه، ومثلي مار عليه فسلب لوقته وفرت الناس عنه فرجع فلم يجد الصبي فدار عليه في البلاد إلى أن وجده في رميلة مصر فلما نظر القراد الكبير إليه، وهو واقف وقد فرغوا قال له تعال يا سيدي الشيخ مثلك يخطر في خاطره أن لهً مقاما أو قدرًا هذا الصبي سلبك حالك فله أن يمد رجله بحضرتك لكونه أقرب إلى الله منك فقال التوبة فأرسله إلى سنهور المدينة إلى الحائط التي كان يفلي ثوبه عندها، وقال له ناد السحلية التي هناك في الشق وقل لها إن قزمان طاب خاطره علي فردى علي حالي فخرجت ونفخت في وجهه فرد الله عليه حاله رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ يحيى الصنافيري رضي الله عنه

صاحب المكاشفات الجمة كان عالماً صالحا تقصده الناس بالزيارات من سائر الأقطار. مات سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة ودفن بتربة الشيخ أبي العباس البصير بالقرافة، وكانت جنازته مشهورة، ولما جاء سيدي يوسف العجمي رضي الله عنه من بلاد العجم إلى مصر استأذن الشيخ يحيى في الدخول فأذن له وكان لا يدخل أحد من الأولياء مصر إلا بإذنه[1]، وأنشده سيدي يحيى رضي الله عنه :

ألم تعلم بأني صيرفي ... أحك الأولياء على محكى

فمنهم بهرج لا خير فيه ... ومنهم من أجوزه بسبكى

وأنت الخالص الذهب المصفى ... بتزكيتي، ومثلي من يزكى

(١) لكونه كان قطب هذا البلد أو قطب عصره الجامع، وأيما ولى خالف ودخل بغير إذن عوقب.

ومنهم الشيخ أبو العباس البصير رضي الله عنه

كان من أصحاب الكشف التام والقبول العام، وكان من معاصري الشيخ أبي السعود بن أبي العشائر، وكان سيدي أبو السعود في زويته بباب القنطرة يراسله بالأوراق في أيام خليج النيل الحاكمي إلى باب الخرق بزاوية الشيخ أبي العباس فكانت ورقة أبي السعود تقلع، وورق أبي العباس تحدر إلى أن ترسي على سلم البحر، ولا تبتل رضي الله عنه ما قال سيدي حاتم خدمت سيدي الشيخ أبا السعود عشرين سنة وأنا أسأله أن يأخذ علي العهد فيقول: لست من أولادي أنت من أولاد أخي أبي العباس البصير سيأتي من أرض المغرب فلما قدم إلى مصر أرسل سيدي أبو السعود إلى سيدي حاتم، وقال له شيخك قدم الليلة فاذهب لملاقاته في بولاق فأول من اجتمع به من أهل مصر سيدي حاتم فلما وضع يده في يده قال أهلا بولدي حاتم جزى الله أخي أبا السعود خيرًا في حفظك إلى إن قدمنا، وحكى أن امرأة سيدي أبي السعود دعيت إلى الحضور في عرس ببيت أمير كبير، وكان لها مرقعة فشاورت الشيخ فأذن لها فقالت بمرقعتي.

فقال: نعم فذهبت فقلب الله تعالى عينها حريرًا مزركشاً مفصصاً فصوصا من المعادن لا توجد في ذخائر الملوك فكانت الخوندات[1] يتعجبن منها، ويقلن كيف يكون مثل هذا لامرأة فقير فطلبت واحدة منهن فصا بألف دينار فأبت امرأة الشيخ، وقالت ما معي إذن فلما رجعت إلى الشيخ، وأخبرته تبسم وقال إن الله يستر من يشاء من عباده، وقدم شخص من مريدي الشيخ أبي العباس على سيدي عبد الرحيم القناوي بعد وفاة الشيخ أبي العباس وكان الشيخ يأخذ العهد على جماعة من الحاضرين فمد يده ليد فقير سيدي أبي العباس وهو في المحراب فخرجت يد أبي العباس من الحائط فمنعت يد الشيخ عبد الرحيم فقال رحم الله أخي أبا العباس يغير على أولاده حيا وميتا رضي الله عنه.

---

(١) لفظ يطلق على الأميرات فى ذلك الوقت.

ومنهم الشيخ حسن شيخ المسلمية رضي الله عنه

كان سيدًا كبيرًا مات رضي الله عنه سنة أربع وستين وسبعمائة بجامع القبلة بالرصد، ودفن بالقرافة الكبرى بمصر قريبا من قبر الشيخ أبي الخير الأقطع بالقرب من الديلمية رضي الله تعالى عنه .

ومنهم الشيخ علي السدار رضي الله عنه

المدفون بزاويته بحارة الروم بالقرب من باب زويلة كان يبيع السدر ثم انقطع في بيته يزار إلى أن مات رضي الله عنه سنة ثمان وسبعين وسبعمائة، وجاءه شخص مرة يطلب حناء فأعطاه سدرًا فرده إليه وقال :هذا سدر ونحن ما حاجتنا إلا بالحناء للعريس فقال آخر النهار تحتاجون إلى السدر، ولا حاجة لكم بالحناء فمات العريس آخر الليل فغسلوه به رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه

هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي بالشين والذال المعجمتين وشاذلة قرية من أفريقية، الضرير الزاهد نزيل الإسكندرية وشيخ الطائفة الشاذلية، وكان كبير المقدار عالي المنار له عبارات فيها رموز، فوق ابن تيمية سهمه إليه فرده عليه، وصحب الشيخ نجم الدين الأصفهاني، وابن مشيش، وغيرهما، وحج مرات، ومات بصحراء عيذاب قاصدًا الحج فدفن هناك في ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة، وقد أفرده سيدي الشيخ تاج الدين بن عطاء الله هو وتلميذه أبو العباس بالترجمة وها أن أذكر لك ملخص ما ذكره فيها فأقول وبالله التوفيق :قد ترجم رضي الله عنه في كتاب لطائف المنن سيدي الشيخ أبا الحسن رضي الله عنه بأنه قطب الزمان، والحامل في وقته لواء أهل العيان حجة الصوفية علم المهتدين زين العارفين أستاذ الأكابر زمزم الأسرار، ومعدن الأنوار القطب الغوث الجامع أبو الحسن علي الشاذلي رضي الله عنه لم يدخل طريق القوم حتى كان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة، وشهد له الشيخ أبو عبد الله بن النعمان بالقطبانية جاء رضي الله عنه في هذه الطريق بالعجب العجاب، وكان الشيخ تقي الدين بن دقيق

العيد رضي الله عنه يقول: ما رأيت أعرف بالله من الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه.

من كلامه رضي الله عنه :عليك بالاستغفار وإن لم يكن هناك ذنب، واعتبر باستغفار النبي ﷺ بعد البشارة واليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبه، وما تأخر هذا في معصوم لم يقترف ذنبا قط وتقدس عن ذلك فما ظنك بمن لا يخلو عن العيب، والذنب في وقت من الأوقات، وكان رضي الله عنه يقول: إذا عارض كشفك الكتاب، والسنة فتمسك بالكتاب، والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب، والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف ولا الإلهام، ولا المشاهدة مع أنهم أجمعوا على أنه لا ينبغي العمل بالكشف، ولا الإلهام، ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة، وكان رضي الله عنه يقول: لقيت الخضر عليه السلام في صحراء عيذاب فقال لي :يا أبا الحسن أصحبك الله اللطف الجميل، وكان لك صاحبا في المقام والرحيل، وكان رضي الله عنه يقول: إذا جاذبتك هواتف الحق فإياك أن تستشهد بالمحسوسات على الحقائق الغيبيات [1] وتردها فتكون من الجاهلين، واحذر أن تدخل في شيء من ذلك بالعقل، وكان رضي الله عنه يقول: إذا عرض عارض يصدك عن الله فاثبت قال الله تعالى : ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأنفال: ٤٥) وكان يقول: كل علم يسبق إليك فيه الخواطر، وتميل إليه النفس، وتلذ به الطبيعة فارم به وإن كانَ حقا وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسوله، واقتد به، وبالخلفاء، والصحابة، والتابعين من بعده وبالأئمة الهداة المبرئين عن الهوى، ومتابعته تسلم من الشكوك، والظنون، والأوهام، وادعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه، وماذا عليك أن تكون عبد الله، ولا علم، ولا عمل، وحسبك من العلم العلم بالوحدانية ومن العمل محبة الله، ومحبة رسوله ﷺ، ومحبة الصحابة، واعتقاد الحق للجماعة قال رجل : " متى الساعة يا رسول الله؟ قال :ما أعددت لها قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله فقال :المرء مع من أحب "، وكان يقول: إذا كثر

---

(١) وذلك لأن الغيب سلطانه يحكم على سلطان عالم الحس والشهادة، وعالم الحس والشهادة لا حكم لهما على عالم الغيب، وليس أدل دليل على ذلك أن الله عز وجل غيب محض، ولم يكن لنا محسوساً.

عليك الخواطر، والوساوس فقل سبحان الملك الخلاق ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ "وكان يقول: لا تجد الروح والمدد ويصح لك مقام الرجال حتى لا يبقى في قلبك تعلق بعلمك، ولا جدك، ولا اجتهادك، وتيأس من الكل دون الله تعالى[1] وكان رضي الله عنه يقول: من أحصن الحصون من وقوع البلاء على المعاصي والاستغفار قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وما كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣) ، وكان يقول: إذا ثقل الذكر على لسانك، وكثر اللغو في مقالك، وانبسطت الجوارح في شهواتك، وانسد باب الفكرة في مصالحك فاعلم أن ذلك من عظيم أوزارك أو لكمون إرادة النفاق في قلبك، وليس لك طريق إلا الطريق، والإصلاح، والاعتصام بالله والإخلاص في دين الله تعالى ألم تسمع إلى قوله تعالى :" إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم الله فأولئك مع المؤمنين "ولم يقل من المؤمنين، فتأمل هذا الأمر إن كنت فقيهاً ، وكان رضي الله عنه يقول: ارجع عن منازعة ربك تكن موحدًا، واعمل بأركان الشرع تكن سنياً ، واجمع بينهما تكن محققاً ، وكان يقول: قيل لي يا علي ما على وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وما على وجه الأرض مجلس في علم الحديث أبهى من مجلس الشيخ عبد العظيم المنذري وما على وجه الأرض مجلس في علم الحديث أبهى من مجلس الشيخ عبد العظيم المنذري وما على وجه الأرض مجلس في علم الحقائق أبهى من مجلسك وكان يقول: من أحب أن لا يعصي الله تعالى في مملكته فقد أحب أن لا تظهر مغفرته ورحمته وأن لا يكون لنبيه ﷺ شفاعة، وكان يقول: لا تشم رائحة الولاية، وأنت غير زاهد في الدنيا وأهلها وكان رضي الله عنه يقول: أسباب القبض ثلاثة ذنب أحدثته أو دنيا ذهبت عنك أو شخص يؤذيك في نفسك أو عرضك فإن كنت أذنبت فاستغفر، وإن كنت ذهبت عنك الدنيا فارجع إلى ربك، وإن كنت ظلمت فاصبر، واحتمل هذا دواؤك،

(١) قلت: وكان الشيخ صلاح الدين التجانى رضي الله عنه يقول لى: لن تصل إلى الله تعالى إلا إذا يئست من جميع شيوخ عصرك وتعلقت بالواحد الأحد، وإلا فما دام أنت متعلق بالخلق فلا مطمع لك فى الوصول إلى الله عز وجل.

وإن لم يطلعك الله تعالى على سبب القبض فاسكن تحت جريان الأقدار فإنها سحابة سائرة، وكان ﷺ يقول: رأيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ما حقيقة المتابعة؟ فقال رؤية المتبوع عند كل شيء، ومع كل شيء وفي كل شيء، وكان يقول: الشيخ من دلك على الراحة لا من دلك على التعب، وكان يقول: من دعا إلى الله تعالى بغير ما دعا به رسول الله ﷺ فهو بدعي، وكان يقول: من آداب المجالس للأكابر التخلي عن الأضداد، والميل، والمحبة، والتخصيص لهم، وترك التجسس على عقائدهم .وكان يقول: إذا جالست العلماء فلا تحدثهم إلا بالعلوم المنقولة، والروايات الصحيحة إما أن تفيدهم، وإما أن تستفيد منهم، وذلك غاية الربح منهم . وإذا جالست العباد، والزهاد فاجلس معهم على بساط الزهد، والعبادة، وحل لهم ما استمرءوه، وسهل عليهم ما استوعروه، وذوقهم من المعرفة ما لم يذوقوه، وإذا جالست الصديقين فغارق ما تعلم تظفر بالعلم المسكون، وكان يقول: إذا انتصر الفقير لنفسه، وأجاب عنها فهو والتراب سواء، وكان يقول: إذا لم يواظب الفقير على حضور الصلوات الخمس في الجماعة فلا تعبأن به، وكان يقول: من غلب عليه شهود الإرادة تفسخت عزائمه لسرعة المراد، وكثرته، واختلاف أنواعه، وأي وقفة تسعه حتى يحل أو يعقد أو يعزم أو ينوي شيئا من أموره مع تعداد إرادته، واضمحلال صفاته أين أنت من نور من نظر، واتسع نظره بنور ربه، ولم يشغله المنظور إليه عمن نظر به فقال :ما من شيء كان ويكون، إلا وقد رأيته الحديث، وكان ﷺ يقول: إذا استحسنت شيئا من أحوالك الباطنة أو الظاهرة، وخفت زواله فقل ما شاء الله لا قوة[1] إلا بالله، وكان يقول: ورد المحققين إسقاط الهوى ومحبة المولى أبت المحبة أن تستعمل محبا لغير محبوبه.

وفي رواية أخرى، ورد المحققين رد النفس بالحق عن الباطل في عموم

---

(١) لأنه ربما حسد المريد نفسه أو أصابه العجب والغرور، فيجب إرجاع كماله إلى المشيئة الإلهية والقدرة الربانية.

الأوقات، وكان يقول: لا يتم للعالم سلوك طريق القوم إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح، وكان يقول: لا تؤخر طاعات وقت لوقت آخر فتعاقب بفواتها أو بفوات غيرها أو مثلها جزاء لما ضيع من ذلك الوقت فإن لكلّ وقت سهما فحق العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية، وأما تأخير عمر رضي الله عنه الوتر إلى آخر الليل فتلك عادة جارية، وسنة ثابتة ألزمه الله تعالى إياها مع المحافظة عليها، وأنى لك بها مع الميل إلى الراحات، والركون مع الشهوات، والغفلة عن المشاهدات هيهات هيهات، وكان رضي الله عنه يقول: من أراد عز الدارين فليدخل في مذهبنا يومين فقال: له القائل كيف لي بذلك؟ قال :فرق الأصنام عن قلبك، وأرح من الدنيا بدنك ثم كن كيف شئت فإن الله تعالى لا يعذب العبد على مد رجليه مع استصحاب التواضع للاستراحة من التعب، وإنما يعذبه على تعب يصحبه التكبر، وكان يقول: ليس هذا الطريق بالرهبانية، ولا بأكل الشعير، والنخالة، وإنما هو بالصبر على الأوامر واليقين في الهداية قال تعالى: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ (السجدة: ٢٤) وكان يقول: من لم يزدد بعلمه وعمله افتقارًا لربه، وتواضعا لخلقه فهو هالك، وكان يقول: سبحان من قطع كثيرًا من أهل الصلاح عن مصلحتهم كما قطع المفسدين عن موجدهم، وكان يقول: الزم جماعة المؤمنين، وإن كانوا عصاة فاسقين، وأقم عليهم الحدود، واهجرهم لهم رحمة بها لا تعززا عليهم، وتقريعا لهم، وكان يقول: كل من طعام فسقة المسلمين، ولا تأكل من طعام رهبان المشركين، وانظر إلى الحجر الأسود فإنه ما اسود إلا من مس أيدي المشركين دون المسلمين وكان رضي الله عنه يقول: سمعت هاتفا يقول: كم تدندن مع من يدندن، وأنا السميع القريب، وتعريفي يغنيك عن علم الأولين، والآخرين ما عدا علم الرسول ﷺ، وعلم النبيين عليهم الصلاة والسلام، وقيل له مرة من شيخك فقال كنت أنتسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش، وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد بل أعوم في عشرة أبحر محمد وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وجبريل، وميكائيل، وعزرائيل،

وإسرافيل، والروح الأكبر[1]. قال الشيخ أبو العباس المرسي: ومات الشيخ عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه مقتولا، قتله ابن أبي الطواجن ببلاد المغرب. وكان يقول: من علم اليقين بالله تعالى، وبما لك عند الله تعالى أن تتعاطى من الخلق ما لا تصغر به عند الحق تعالى مما تكرهه النفوس الغوية كحمل متاعك من السوق، وجمع الحطب للطعام، وجعله على رأسك، والمشي مع زوجتك إلى السوق في حاجة من حوائجها، وركوبك خلفها على الحمار، وغيره، وأمّا ما تصغر به في أعين الخلق مما للشرع عليه اعتراض فليس من علم اليقين فلا ينبغي لك ارتكابه، وكان يقول: إن كنت مؤمناً موقنا فاتخذ الكل عدوًا[2] كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام :" فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ".

وكان يقول: الصادق الموقن لو كذبه أهل الأرض لم يزدد بذلك إلا تمكيناً، وكان يقول: لا تعطى الكرامات من طلبها، وحدث بها نفسه، ولا من استعمل نفسه في طلبها، وإنما يعطاها من لا يرى نفسه، ولا عمله، وهو مشغول بمحاب الله تعالى ناظر لفضل الله آيس من نفسه، وعمله، وقد تظهر الكرامة على من استقام في ظاهره، وإن كانت هنات النفس في باطنه كما وقع للعابد الذي عبد الله في الجزيرة خمسمائة عام فقيل له أدخل الجنة برحمتي فقال بل بعملي، وكان يقول: مائم كرامة أعظم من كرامة الإيمان، ومتابعة السنة فمن أعطيهما،

---

(١) اعلم أن مقام الشاذلى أعلى من مقام الأقطاب الأربعة، وقد نص سيدى محمد الحنفى رضي الله عنه على أن مقامه - أى الشاذلى - أعلى من مقام سيدى عبد القادر الجيلانى، كما نقل عنه ذلك صاحب كتاب السر المصفى فى مناقب السلطان الحنفى، وكان سيدى أحمد التجانى رضي الله عنه يقول: إن الطريقة الشاذلية هى أقرب الطرق إلى التجانية.

(٢) يطالب الصوفية دوماً المريد بمعاداة الحدث واتخاذه عدواً لكونه حجاباً يحجب المريد عن الوصول إلى الله تعالى وفى ذلك أنشدوا:

الله قل وذر الوجود وما حوى

إن كنت مرتاداً بلوغ كمال

والكل دون الله إن حققته

عدم على التفصيل والإجمال

وجعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب أو ذو خطأ في العلم بالصواب كمن أكرم بشهود الملك فاشتاق إلى سياسة الدواب، وكان يقول: كل كرامة لا يصحبها الرضا من الله، وعن الله، والمحبة لله، ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور أو ناقص هالك مثبور .وكان رضي الله عنه يقول: للقطب خمس عشرة كرامة فمن ادعاها أو شيئا منها فليبرز أن يمد بمدد الرحمة والعصمة، والخلافة، والنيابة، ومدد حملة العرش العظيم ويكشف له عن حقيقة الذات، وإحاطة الصفات، ويكرم بكرامة الحكم، والفصل بين الوجودين، وانفصال الأول عن الأول، وما اتصل عنه إلى منتهاه، وما ثبت فيه، وحكم ما قبل، وحكم ما بعد وحكم من لا قبل له، ولا بعد، وعلم البدء، وهو العلم المحيط بكل علم، وبكل معلوم بدا من السر الأول إلى منتهاه ثم يعود إليه، وكان يقول: سمعت هاتفا يقول: إن أردت كرامتي فعليك بطاعتي، وبالإعراض عن معصيتي وكان يقول: كأني واقف بين يدي الله عز وجل فقال لا تأمن مكري في شيء، وإن أمنتك فإن علمي لا يحيط به محيط، وهكذا درجوا .

وكان يقول: لا تركن إلى علم، ولا مدد، وكن بالله، واحذر أن تنشر علمك ليصدقك الناس، وانشر علمك ليصدقك الله تعالى، وكان يقول: العلوم على القلوب كالدراهم والدنانير في الأيدي إن شاء الله تعالى نفعك بها وإن شاء ضرك وكان يقول: قرأت ليلة قوله تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية: ١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا "فنمت فرأيت رسول الله ﷺ وهو يقول: أنا ممن يعلم، ولا أغنى عنك من الله شيئاً ، وكان رضي الله عنه يقول: من أقبل على الخلق الإقبال الكلي قبل بلوغ درجات الكمال سقط من عين الله تعالى فاحذروا هذا الداء العظيم فقد تعلق به خلق كثير، وقنعوا بالشهرة، وتقبيل اليد فاعتصموا بالله يهدكم الله إلى الطريق المستقيم، وكان يقول: من الشهوة الخفية للولي إرادته النصرة على من ظلمه، وقال تعالى للمعصوم الأكبر : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الأحقاف: ٣٥) أي فإن الله تعالى قد لا يشاء إهلاكهم، وكان يقول: إذا أردت الوصول إلى الطريق التي لا لوم فيها فليكن الفرق في

لسانك موجودًا، والجمع في سرك مشهودًا، وكان يقول: كل اسم تستدعى به نعمة أو تستكفي به نقمة فهو حجاب عن الذات، وعن التوحيد بالصفات، وهذا لأهل المراتب، والمقامات، وأما عوام المؤمنين فهم عن ذلك معزولون، وإلى حدودهم يرجعون ومن أجورهم من الله لا يبخسون وكان رضي الله عنه يقول: لو علم نوح عليه الصلاة والسلام أن في أصلاب قومه من يأتي يوحد الله عز وجل ما دعا عليهم، ولكان قال اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون كما قال رسول الله ﷺ، فكل منهما على علم وبينة من الله تعالى، وكان يقول: لا أجر لمن أخذ الأجر، والرشا على الصلاة والصيام وتعم بمطامح تلك الأبصار عند إطراق الرءوس، والاشتغال بالأذكار، وجناية هؤلاء بالإضافات، ورؤية الطاعات أكثر من جناياتهم بالمعاصي، وكثرة المخالفات وحسبهم ما يظهر من الطاعات، وإجابة الدعوات، والمسارعة إلى الخيرات، ومن أبغض الخلق إلى الله تعالى من تملق إليه في الأسحار بالطاعات ليطلب مسرته بذلك قال تعالى: " فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص "وكان يقول: العارف بالله تعالى لا تنغصه حظوظ النفس لأنه بالله تعالى فيما يأخذ وفيما يترك إلا إن كانت الحظوظ معاصي، وكان يقول: إذا أهان الله عبدًا كشف له حظوظ نفسه وستر عنه عيوب دينه فهو يتقلب في شهواته حتى يهلك، ولا يشعر، وكان يقول: إذا ترك العارف الذكر على وجه الغفلة نفسا أو نفسين قيض الله تعالى له شيطانا فهو له قرين[1]، وأما غير العارف فيسامح بمثل ذلك، ولا يؤاخذ إلا في مثل درجة أو درجتين أو زمان أو زمنين أو ساعة أو ساعتين على حسب المراتب، وكان يقول: من الأولياء من يسكر من شهود الكأس، ولم يذق بعد شيئا فما ظنك بعد ذوق الشراب وبعد الري؟ واعلم أن الري قل من يفهم المراد به فإنه مزج الأوصاف بالأوصاف والأخلاق بالأخلاق والأنوار بالأنوار والأسماء بالأسماء، والنعوت بالنعوت،

(١) اعلم أنه لا تصح جمعية متصلة بلا انقطاع لمخلوق بالحق عز وجل سوى للغوث، فإن جمعيته بالحق عز وجل تكون كاملة بلا انقطاع، فلا يصح له أن ينسى الحق عز وجل ولو فى نفس واحد. ولذلك قال أحدهم: لى أربعون سنة وأنا أذكر الحق عز وجل وما صح لى منه نفس واحد، وهو يشير بقوله هذا أنه لم يبلغ بذكره جمعية القطب بربه فافهم.

والأفعال بالأفعال، وأما الشرب فهو سقيا القلب والأوصال، والعروق من هذا الشراب حتى يسكر، وأما الكأس فهو معرفة الحق التي يغرف بها من ذلك الشراب الطهور المخلص الصافي لمن شاء من عباده المخصوصين فتارة يشهد الشارب تلك الكأس صورة، وتارة يشهدها معنوية، وتارة يشهدها علمية، فالصورة حظ الأبدان والأنفس، والمعنوية حظ القلوب والعقول، والعلمية حظ الأرواح والأسرار فيا له من شراب ما أعذبه فطوبى لمن شرب منه ودام وأطال في معنى ذلك، وكان يقول: إياك والوقوع في المعصية المرة بعد المرة فإن من تعدى حدود الله فهم الظالم، والظالم لا يكون إماماً، ومن ترك المعاصي، وصبر على ما ابتلاه الله وأيقن بوعد الله، ووعيده فهو الإمام، وإن قلت أتباعه، وكان رضي الله عنه يقول: مريد واحد يصلح أن يكون محلا لوضع أسرارك خير من ألف مريد لا يكونون محلا لوضع أسرارك[1].

وكان يقول: إننا لننظر إلى الله تعالى ببصائر الإيمان، والإيقان فأغنانا بذلك عن الدليل، والبرهان، وصرنا نستدل به تعالى على الخلق هل في الوجود شيء سوى الملك المعبود الحق فلا نراه، وإن كان ولا بد من رؤيتهم فتراهم كالهباء في الهواء إن مسستهم لم تجد شيئاً، وكان يقول: إذ امتلأ القلب بأنوار الله تعالى عميت بصيرته عن المناقص والمذام المقيدة في عباده المؤمنين، وكان يقول: ذهب العمى، وجاء البصر بمعنى فانظر إلى لله تعالى فهو لك مأوى فإن تنظر فيه أو تسمع فمنه، وإن تنطق فعنه وإن تكن فعنده، وإن لم تكن فلا شيء غيره وكان يقول: البصيرة كالبصر أدنى شيء يقع فيها يعطل النظر، وإن لم ينته الأمر إلى العمى فالخطرة من صفات الشرتشوش نظر البصيرة، وتكدر الفكر، والإرادة، وتذهب بالخير رأساً، والعمل به يذهب بصاحبه عن سهم من الإسلام فإن استمر على الشر تفلت منه الإسلام سهماً سهما فإذا انتهى إلى الوقيعة في العلماء والصالحين، وموالاة الظالمين حبا للجاه والمنزلة عندهم فقد تفلت منه الإسلام كله، ولا يغرنك ما توسم به ظاهرًا فإنه لا روح له فإن روح الإسلام

(١) إذا أن الإرائة ليست بالكثرة.

حب الله ورسوله، وحب الآخرة، والصالحين من عباده، وكان يقول: نظر الله عز وجل لا يمتد منه شيء إلاخلقه، ولا يقف في نظره، ولا ينعطف عن منظوره جل نظر ربنا عن القصور، والنفوذ والتجاوز والحدود، وكان رضي الله عنه يقول: أركز الأشياء في الصفات ركزها قبل وجودها ثم انظر هل ترى للعين أينا أو ترى للكون كانا أو ترى للأمر شأنا، وكذلك بعد وجودها .

وكان يقول: من ادعى فتح عين قلبه وهو يتصنع بطاعة الله تعالى أو يطمع فيما في أيدي خلق الله تعالى فهو كاذب، وكان يقول: التصوف تدريب النفس على العبودية، وردها لأحكام الربوبية، وكان يقول: الصوفي يرى وجوده كالهباء في الهواء غير موجود ولا معدوم حسب ما هو عليه في علم الله وسئل رضي الله عنه عن الحقائق فقال الحقائق هي المعاني القائمة في القلوب، وما اتضح لها، وانكشف من الغيوب وهي منح من الله تعالى، وكرامات، وبها وصلوا إلى البر، والطاعات ودليلها قوله لحارثة كيف أصبحت؟ قال أصبحتُ مؤمناً حقا الحديث، وكان رضي الله عنه يقول: من تحقق الوجود فني عن كل موجود، ومن كان بالوجود ثبت له كل موجود، وكان يقول: أثبت أفعال العباد بإثبات الله تعالى، ولا يضرك ذلك، وإنما يضرك الإثبات بهم ومنهم، وكان يقول: أبى المحققون أن يشهدوا غير الله تعالى لما حققهم به من شهود القيومية، وإحاطة الديمومية، وكان يقول: حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقاء الله تعالى في كل نفس من غير اختيار حالة يكون المرء عليها وكان يقول: حقيقة القرب الغيبة بالقرب عن القرب لعظم القربة، وكان يقول: لن يصل العبد إلى الله وبقي معه شهوة من شهواته، ولا مشيئة من مشيئاته، وكان يقول: الأولياء يغنون عن كل شيء بالله[1] تعالى وليس لهم معه تدبير ولا اختيار والعلماء يدبرون، ويختارون، وينظرون، ويقتبسون، وهم مع عقولهم وأوصالهم دائمون، والصالحون وإن كانت أجسادهم معرسة ففي أسرارهم الكزازة، والمنازعة ولا يصلح شرح أحوالهم .لا الولي في نهايته فحسبك

(١) وذلك لأنهم واقفون على باب الله عز وجل، فهم المطلعون، وغيرهم كالأعمى الذى لا يبصر قدره، ولا يعرف ماذا يضره وما الذى ينفعه.

ما ظهر من صلاحهم، واكتف به عن شرح ما بطن من أحوالهم، وكان ﷺ يقول: لا تختر من الأمر شيئا، واختر أن لا تختار، وفر من ذلك المختار فرارك من كل شيء إلى الله تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ (القصص: ٦٨) وكل مختارات الشرع وترتيباته فهي مختار الله ليس لك منه شيء، ولابد لك منه،واسمع، وأطع، وهذا موضع الفقه الرباني والعلم الإلهي وهي أرض لعلم الحقيقة المأخوذة عن الله تعالى لمن استوى فافهم، وكان يقول: كل ورع لا يثمر لك العلم، والنور فلا تعد له أجرًا وكل سيئة يعقبها الخوف، والهرب إلى الله تعالى فلا تعد لها وزرًا، وكان يقول: لا ترقى قبل أن يرقى بك فتزل قدمك، وكان يقول: أشقى الناس من يعترض على مولاه وأركس في تدبير دنياه، ونسي المبدأ، والمنتهى والعمل لأخراه، وكان يقول: مراكز النفس أربعة مركز للشهوة في المخالفات، ومركز للشهوة في الطاعات، ومركز في الميل إلى الراحات، ومركز في العجز عن أداء المفروضات ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ (التوبة: ٥) الآية، وكان يقول: إن من أعظم القربات عند الله تعالى مفارقة النفس بقطع إراداتها، وطلب الخلاص منها بترك ما تهوي لما يرجى من حياتها، وكان ﷺ يقول: إن من أشقى الناس من يحب أن يعامله الناس بكل ما يريد، وهو لا يجد من نفسه بعض ما يريد، وطالب نفسك بإكرامك لهم، ولا تطالبهم بإكرامهم لك لا تكلف إلا نفسك، وكان يقول: قد يئست من منفعة نفسي لنفسي فكيف لا أيأس من منفعة غيري لنفسي، ورجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفسي، وكان يقول: إن أردت أن لا يصدأ لك قلب، ولا يلحقك هم، ولا كرب، ولا يبقي عليك ذنب فأكثر من قول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا إله إلا هو اللهم ثبت علمها في قلبي واغفر لي ذنبي، وكان يقول: لا كبيرة عندنا أكبر من اثنتين حب الدنيا بالإيثار، والمقام على الجهل بالرضا لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة، والمقام على الجهل أصل كل معصية، وكان يقول: إن أردت أن تصح على يديك الكيمياء[1] فأسقط الخلق من

(١) اعلم أن إشارتهم إلى الكيمياء إنما هى إشارة فى حقيقة معناها إلى علم التصرف فى الكون، فمن صحت له واحدة صح له الباقى فافهم.

قلبك، واقطع الطمع من ربك أن يعطيك غير ما سبق لك ثم أمسك ما شئت يكون كما تريد، وكان يقول: إن أردت أن تكون مرتبطا بالحق فتبرأ من نفسك، واخرج عن حولك وقوتك وكان يقول: إن أردت الصدق في القول فأكثر من قراءة "إنا أنزلناه في ليلة القدر "وإن أردت الإخلاص في جميع أحوالك فأكثر من قراءة "قل هو الله أحد "وإن أردت تيسير الرزق فأكثر من قراءة "قل أعوذ برب الفلق "وإن أردت السلامة من الشر فأكثر من قراءة "قل أعوذ برب الناس". **قلت:** قال بعضهم وأقل الإكثار سبعون مرة كل يوم إلى سبعمائة، وكان يقول: أربع لا ينفع معهم علم حب الدنيا، ونسيان الآخرة، وخوف الفقر، وخوف الناس، وكان يقول: أصدق الأقوال عند الله تعالى قول لا إله إلا الله على النظافة، وأدل الأعمال على محبته تعالى لك بغض الدنيا، واليأس من أهلها على الموافقة وكان يقول: لا تسرف بترك الدنيا فيغشاك ظلمتها، وتنحل أعضاؤك لها فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها بالهمة أو بالفكرة أو بالإرادة أو بالحركة، وكان رضي الله عنه يقول: لا تقوى لمحب الدنيا إنما التقوى لمن أعرض عنها وكان يقول: إذا توجهت لشيء من عمل الدنيا، والآخرة فقل :يا قوي يا عزيز يا عليم يا قدير يا سميع يا بصير، وكان يقول: إذا ورد عليك مزيد من الدنيا والآخرة فقل ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾، وكان يقول: خصلة واحدة إذا فعلها العبد صار إمام الناس من أهل عصره، وهي الإعراض عن الدنيا، واحتمال الأذى من أهلها، وكان يقول: إذا تداين أحدكم فليتوجه بقلبه إلى الله تعالى، ويتداين على الله تعالى فإن كل ما تداينه العبد على الله تعالى فعلى الله أداؤه[1]، وكان يقول: إن عارضك عارض من معلوم هو لك فاهرب إلى الله منه هروبك من النار، وهذه من غرائب علوم المعرفة في علوم المعاملة، وكان رضي الله عنه يقول إذا تداين: اللهم عليك تداينت وعليك توكلت، وإليك أمري فوضت، وكان يقول: خصلة واحدة تحبط الأعمال، ولا يتنبه لها كثير من الناس وهي سخط العبد على قضاء الله تعالى قال تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ

(١) قلت: وهؤلاء هم أهل الفناء فى الله عز وجل، الذين ينظرون أن حقيقة الفعل صادرة من الله عز وجل، والذين تكون آيتهم: «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى».

أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد: ٩) ، وكان يقول: لا يترك منازعة الناس في الدنيا إلا المؤمن بالقسمة، وكان يقول: رأيت في النوم صائحا يصيح في جو السماء إنما تساق لرزقك أو لأجلك أو لما يقضي الله به عليك أو بك أو لك، وهي خمسة لا سادس لها، وكان يقول: كل حسنة لا تثمر نورًا أو علما في الوقت فلا تعد لها أجرًا، وكل سيئة أثمرت خوفا من الله تعالىً ورجوعا إليه فلا تعد لها وزرًا، وكان يقول: حسنتان لا يضر معهما كثرة السيئات الرضا بقضاء الله، والصفح عن عباد الله، وكان يقول: إياك أن تقف مع الخلق بل انف المضار، والمنافع عنهم لأنها ليست منهم، واشهدها من الله فيهم، وفر إلى الله منهم بشهود القدر الجازي عليك، وعليهم أو لك، ولهم ولا تخف خوفا تغفل به عن الله تعالى، وترد القدر إليهم تهلك وكان يقول: رضي الله عنه من فارق المعاصي في ظاهره، ونبذ حب الدنيا من باطنه، ولزم حفظ جوارحه، ومراعاة سره أتته الزوائد من ربه، ووكل به حارسا يحرسه من عنده، وأخذ الله بيده خفضا ورفعا في جميع أموره، والزوائد هي زوائد العلم واليقين، والمعرفة، وكان رضي الله عنه يقول: لا يوصف العبد بأنه قد هجر المعاصي إلا إن كانت لم تخطر له على بال فإن حقيقة الهجر نسيان المهجور هذا في حق الكاملين فإن لم يكن كذلك فليهجر على المكابدة، والمجاهدة، وكان يقول: لا يتزحزح العبد عن النار إلا إن كف جوارحه عن معصية الله، وتزين بحفظ أمانة الله، وفتح قلبه لمشاهدة الله ولسانه وسره لمناجاة الله، ورفع الحجاب بينه وبين صفات الله وأشهده الله تعالى أرواح كلماته، وكان يقول: الغل هو ربط القلب على الخيانة، والمكر، والخديعة، والحقد هو شدة ربط القلب على الخيانة المذكورة، وكان يقول: اتق الله في الفاحشة جملة وتفصيلا وفي الميل إلى الدنيا صورة وتمثيلا وكان يقول: عقوبة ارتكاب المحرمات بالعذاب، وعقوبة أهل الطاعات بالحجاب لما يقع لهم فيها من سوء الأدب، وعقوبة المراكنات ترك المزيد وعقوبة القلق، والاستعجال هلاك السر وكان يقول: من اعترض على أحوال الرجال فلا بد أن يموت قبل أجله ثلاث موتات أخر موت بالذل، وموت بالفقر، وموت بالحاجة إلى الناس ثم لا يجد من يرحمه منهم، وكان الشيخ مكين

الدين الأسمر رضي الله عنه يقول: الناس يدعون إلى باب الله تعالى وأبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يدخلهم على الله، وكان الشاذلي رضي الله عنه يقول: من النفاق التظاهر بفعل السنة، والله يعلم منه غير ذلك، ومن الشرك بالله اتخاذ الأولياء والشفعاء[1] دون الله قال الله تعالى: ﴿ما لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (السجدة: ٤). وكان يقول: من شفع طلبا للجاه والمنزلة أو لعرض الدنيا عذبه الله على ذلك، ويتوب الله على من يشاء، وكان يقول: من سوء الظن بالله أن يستنصر بغير الله من الخلق قال تعالى : ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ (الحج: ١٥) الآية، وكان يقول: أوصاني أستاذي رحمه الله تعالى فقال :جدد بصر الإيمان تجد الله في كل شيء، وعند كل شيء ومع كل شيء وفوق كل شيء، وقريبا من كل شيء، ومحيطا بكل شيء بقرب هو وصفه، وبإحاطة هي نعته، وعد عن الظرفية، والحدود، وعن الأماكن، والجهات، وعن الصحبة، والقرب بالمسافات، وعن الدور بالمخلوقات وامحق الكل بوصفه الأول، والآخر، والظاهر والباطن كان الله ولا شيء معه، وكان رضي الله عنه يقول: من غفل قلبه اتخذ دينه هزوًا، ومن اشتغل بالخلق اتخذ دينه لعباً، وكان يقول: إذا كان من يعمل على الوفاق لا يسلم من النفاق فكيف بغيره، وكان رضي الله عنه يقول: الكاملون حاملون لأوصاف الحق وحاملون لأوصاف الخلق فإن رأيتهم من حيث الخلق رأيت أوصاف البشر، وإن رأيتهم من حيث الحق رأيت أوصاف الحق التي زينهم بها فظاهرهم الفقر وباطنهم الغنى تخلقا بأخلاق رسول الله ﷺ، قال : "ووجدك عائلا فأغنى "أفتراه أغناه بالمال كلا، وقد شد الحجر على بطنه من شدة الجوع وأطعم الجيش كله من صاع، وخرج من مكة على قدميه ليس معه شيء يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال، وكان يقول: ضيق اليد شرف لكل الناس أو لقطب أو خليفة أو أمين لا يخون الله تعالى برؤية نفسه على من ينفق عليه من العيال، والفقراء طرفة عين.

---

(١) هذا ليعلم أعداء الصوفية كالوهابية وغيرهم أن كبار أقطاب التصوف كالشاذلي وغيره تبرأوا ممن يظن أن النفع والضرر بيد أحد غير الله عز وجل. بل عدوا ذلك من أبواب الشرك.

وكان يقول: العلوم التي وقع الثناء على أهلها وإن جلت فهي ظلمة في علوم ذوي التحقيق، وهم الذين غرقوا في تيار بحر الذات، وغموض الصفات[1] فكانوا هناك بلا هم وهم الخاصة العليا الذين شاركوا الأنبياء، والرسل عليهم الصلاة والسلام في أحوالهم فلهم فيها نصيب على قدر إرثهم من مورثهم قال النبي ﷺ :" العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام "أي يقومون مقامهم على سبيل العلم والحكمة، لا على سبيل التحقيق بالمقام، والحال فإن مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد جلت أن يلمح حقائقها غيرهم، وكان يقول: كل وارث في المنزلة الموروثة لا يكون إلا بقدر مورثه فقط قال تعالى : ﴿ولَقَدْ فضَّلْنا بعضَ النَّبيين علىٰ بعضٍ﴾ كما فضل بعضهم على بعض كذلك فضل ورثتهم على بعض إذ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعين للحق، وكل عين يشهد منها على قدرها، وكل ولي له مادة مخصوصة وكان يقول: الأولياء على ضربين صالحون وصديقون، فالصالحون أبدال الأنبياء والصديقون أبدال الرسل فبين الصالحين والصديقين في التفضيل كما بين الأنبياء والمرسلين منهم طائفة انفردوا بالمادة من رسول الله ﷺ، يشهدونها عين يقين، وهم قليلون وفي التحقيق كثيرون، ومادة كل نبي، وكل ولي بالأصالة من رسول الله ﷺ، لكن من الأولياء من يشهد عينه، ومنهم من تخفى عليه عينه، ومادته فيفنى فيما يرد عليه، ولا يشتغل بطلب مادته بل هو مستغرق بحاله لا يرى غير وقته ومنهم طائفةٌ أيضا مدوا بالنور الإلهي فنظروا به حتى عرفوا من هم على التحقيق وذلك كرامة لهم لا ينكرها إلا من ينكر كرامات الأولياء فنعوذ بالله من النكران بعد العرفان، وكان يقول: أول منزل يطؤه المحب للترقي منه إلى العلا النفس فإذا اشتغل بسياستها، ورياضتها إلى أن انتهى إلى معرفتها وتحققها أشرق عليه أنوار المنزل الثاني، وهو القلب فإذا اشتغل بسياسته حتى عرفه، ولم يبق منه عليه شيء أشرق عليه

(١) ويقصد بهم الأولياء الذين يغرفون من بحر لا ساحل له، ولا يأخذون علمهم من كتاب ولا سند ولا ورق، فهؤلاء هم الذين أخفاهم الحق عز وجل فى باطن الذات وفى غيرة الأسماء والصفات، وقد قال فى ذلك أبو يزيد رحمه الله: أخذتم علمكم من ميت عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت.

أنوار المنزل الثالث، وهو الروح فإذا اشتغل بسياسته، وتمت له المعرفة هبت عليه أنوار اليقين شيئاً فشيئا إلى تمام نهاياته وهذه طريق العامة، وأما طريق الخاصة فهي طريق ملوك تضمحل العقول في أقل القليل من شرحها، وكان يقول: ومن أمده الله تعالى بنور العقل الأصلي شهد موجودًا لا حد له، ولا غاية بالإضافة إلى هذا العبد واضمحلت جميع الكائنات فيه فتارة يشهدها فيه كما يشهد البناء بيتا في الهواء بواسطة نور الشمس، وتارة لا يشهدها لانحراف نور الشمس عن الكوة، فالشمس التي يبصر بها هو العقل الضروري بعد المادة بنور اليقين، وإذا اضمحل هذا النور ذهبت الكائنات كلها، وبقي هذا الموجود فتارة يفنى، وتارة يبقى حتى إذا أريد به لكمال نودي فيه نداء خفيا لا صوت له فيمد بالفهم عنه إلا أن الذي يشهده غير الله تعالى ليس من الله في شيء فهناك ينتبه من سكراته فيقول: يا رب أثبتني، وإلا أنا هالك فيعلم يقينا أن هذا البحر لا ينجيه منه إلا الله عز وجل فحينئذ يقال له :إن هذا الموجود هو العقل[1] الذي قال فيه رسول الله ﷺ :" أول ما خلق الله العقل "فأعطى هذا العبد الذل، والانقياد لنور هذا الموجود إذ لا يقدر على حده، وغايته فإذا أمد الله هذا العبد بنور أسمائه قطع ذلك كلمح البصر أو كما شاء الله تعالى : ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ ثم أمده الله تعالى بنور الروح الرباني فعرف هذا الموجود فرقي إلى ميدان الروح الرباني فذهب بجميع ما تحلى به هذا العبد، وما تخلى عنه بالضرورة، وبقي كلا موجود ثم أحياه الله بنور صفاته فأدرجه بهذه الحياة في معرفة هذا الموجود الرباني فلما استنشق من مبادئ صفاته كان يقول: هو الله فإذا لحقته العناية الأزلية نادته ألا إن هذا الموجود هو الذي لا يجوز لأحد أن يصفه بصفة، ولا أن يعبر عنه بشيء من صفاته لغير أهله لكن بنور غيره يعرفه فإذا أمده الله بنور سر الروح وجد نفسه جالسا على باب ميدان السر فبرفع همته ليعرف هذا الموجود الذي هو السر فعمى عن إدراكه

(١) يشير هنا أن العقل هو الحاكم الأصلى الذى يقرر الزيادة والنقص فى الأحوال، وهو الذى يقرر التوقف ويقرر الاستمرار فى الأحوال، وهو نور قذفه الحق عز وجل فى الهيكل الآدمى يحافظ على مصالحه وأحواله.

فتلاشت جميع أوصافه كأنه ليس بشيء فإذا أمده الله تعالى بنور ذاته أحياه حياة باقية لا غاية لها فينظر جميع المعلومات بنور هذه الحياة، ووجد نور الحق شائعا في كل شيء لا يشهد غيره فنودي من قريب لا تغتر بالله فإن المحجوب من حجب عن الله بالله إذ محال أن يحجبه غيره، وهناك يحيا حياة استودعها الله تعالى فيه ثم قال يا رب أعوذ بك منك حتى لا أرى غيرك، وهذا هو سبيل الترقي إلى حضرة العلي الأعلى، وهو طريق المحبين الذين هم أبدال[1] الأنبياء عليهم الصلاة والسلام،وما يعطيه الله تعالى لأحدهم من بعد هذا المنزل لا يقدر أحد أن يصف منه ذرة، والحمد لله على نعمائه، وأما طريق المحبوبين الخاصة بهم فإنه ترق منه إليه به إذ محال أن يتوصل إليه بغيره فأول قدم لهم بلا قدم إذ ألقى عليهم من نور ذاته فغيبهم بين عباده، وحبب إليهم الخلوات، وصغرت لديهم الأعمال الصالحات وعظم عندهم رب الأرضين، والسموات فبينما هم كذلك إذ ألبسهم ثوب العدم فنظروا فإذا هم لا هم ثم أردف عليهم ظلمة غيبتهم عن نظرهم فصار نظرهم عدما لا علة له فانطمست جميع العلل، وزال كل حادث فلا حادث، ولا وجود بل ليس إلا العدم الذي لا علة له فلا معرفة تتعلق به اضمحلت المعلومات وزالت المرسومات زوالا لا علة فيه، وبقي من أشير إليه لا وصف له ولا صفة ولا ذات، واضمحلت النعوت والأسماء والصفات كذلك فلا اسم له ولا صفة، ولا ذات فهنالك ظهر من لم يزل ظهورًا لا علة فيه بل ظهر بسره لذاته في ذاته ظهورًا لا أولية له بل نظر من ذاته لذاته في ذاته وهناك يحيا العبد بظهوره حياة لا علة لها وصار أولا في ظهوره لا ظاهرًا قبله فوجدت الأشياء بأوصافه، وظهرت بنوره في نوره سبحانه وتعالى ثم يغطس بعد ذلك في بحر بعد بحر إلى أن يصل إلى بحر السر فإذا دخل بحر السر غرق غرقا لا خروج له منه أبد الآباد فإن شاء الله تعالى بعثه نائبا عن النبي ﷺ، يحيى به عباده، وإن شاء ستره يفعل في ملكه ما يشاء فهذا[2] عنبرة من طريق الخصوص، والعموم فتنبه. انتهى .

---

(١) أى الذين حلوا بدلاً عنهم ونابوا عنهم فى الوراثة والتصدى، واللفظ هنا عام مخصص لكل ولى صادق أياً كان مقامه، لا الأبدال انفسهم فافهم.

(٢) الأصح فهذه عنبرة.

قلت: وإنما سطرنا لك يا أخي هذه الأمور الخاصة بالمكملين من أهل الله تعالى تشويقا لك إلى مقاماتهم، وفتحا لباب التصديق لهم إذا سمعتهم يذكرون مثل ذلك كما أشرنا إليه في خطبة هذا الكتاب وهذا الكلام لم أجده لغيره من الأولياء إلى وقتي هذا، فسبحان المنعم على من يشاء بما يشاء .والله أعلم .

ومنهم الشيخ سيدي الإمام أحمد أبو العباس المرسي رضي الله عنه

كان من أكابر العارفين، وكان يقال إنه لم يرث علم الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه غيره، وهو أجل من أخذ عنه الطريق رضي الله عنه، ولم يضع رضي الله عنه شيئا من الكتب .وكان رضي الله عنه يقول: علوم هذه الطائفة علوم تحقيق، وعلوم التحقيق لا تحملها عقول عموم الخلق، وكذلك شيخه أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه لم يضع شيئاً، وكان يقول: كتبي أصحابي، مات رضي الله عنه سنة ست وثمانين وستمائة .ومن كلامه رضي الله عنه جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خلقوا من الرحمة، ونبينا صلى الله عليه وسلم، هو عين الرحمة، وكان رضى الله عنه يقول: الفقيه هو من انفقأ الحجاب عن عيني قلبه، وكان رضي الله عنه يقول: رجال الليل هم الرجال، وكلما أظلم الوقت قوى نور الولي ضرورة، وكان رضي الله عنه يقول: ولى الله مع الله كولد اللبوة في حجرها أتراها تاركة ولدها لمن أراد اغتياله لا والله، وكان رضي الله عنه يقول: إن الله تعالى عبادًا محق أفعالهم بأفعاله، وأوصافهم بأوصافه، وذاتهم بذاته، وحملهم من أسراره ما يعجز عامة الأولياء عن سماعه، وكان يقول: في معنى حديث من عرف نفسه عرف ربه معناه من عرف نفسه بذلها وعجزها عرف الله بعزه وقدرته. **قلت**: وهذا أسلم الأجوبة، والله أعلم، وكان يقول سمعت الشيخ أبا الحسن رضي الله عنه يقول: لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض فما ظنك بنور المؤمن المطيع وكان يقول: لو كشف عن حقيقة ولي لعبد لأن أوصافه من أوصافه، ونعوته من نعوته. **قلت**: ومعنى لعبد: أي لأطيع قال تعالى :" لا تعبدوا الشيطان "أي لا تطيعوه فيما يأمركم به، والله أعلم .قال بعضهم صليت خلف الشيخ أبي العباس فشهدت الأنوار ملأت بدنه، وانبثت من وجوده حتى إني لم أستطع النظر إليه وكان رضي الله عنه يقول: قال ملك من الملوك لبعض العارفين تمن علي فقال له ذلك

العارف تقول ذلك لي ولي عبدان قد ملكتهما، وملكاك، وقهرتهما، وقهراك، وهما الشهوة، والحرص، فأنت عبد عبدى فكيف أتمنى عليك، وأنت عبد عبدي . وكان يقول: سمعت الشيخ أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول: من ثبتت، ولايته من الله تعالى لا يكره الموت، وهذا ميزان للمريدين ليزنوا به على نفوسهم إذا ادعوا ولاية الله فإن من شأن النفوس، وجود الدعوى للمراتب العالية من غير أن يسلك السبيل الموصل إليها قال تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٩٤) وكان رضي الله عنه يقول: قد يكون الولي مشحونا بالعلوم، والمعارف، والحقائق لديه مشهورة حتى إذا أعطى العبارة كان كالإذن من الله تعالى في الكلام، ويجب أن تفهم أن من أذن له في التعبير جلت في مسامع الخلق إشاراته، وكان يقول: كلام المأذون له يخرج، وعليه كسوة، وطلاوة، وكلام الذي لم يأذن له يخرج مكسوف الأنوار، وكان يقول: من أحب الظهور فهو عبد الظهور، ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء، ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره أو أخفاه، وكان رضي الله عنه يقول: الطي طيان طي أصغر، وطي أكبر فالطي الأصغر لعامة هذه الطائفة أن تطوى لهم الأرض من مشرقها إلى مغربها في نفس واحد والطي الأكبر طي أوصاف النفوس، وكان يقول: دخل رجل على عثمان رضي الله عنه، وقد كان نظر إلى محاسن امرأة في الطريق فقال يدخل أحدكم، وآثار الزنا بادية في وجهه، وكان يقول: قد يطلع الله الولي على غيبه إذا ارتضاه بحكم التبع للرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن هنا نطقوا بالمغيبات، وأصابوا الحق فيها وكان يقول: طريقنا هذه لا تنسب للمشارقة ولا للمغاربة بل واحد عن واحد إلى الحسن بن علي أبي طالب رضي الله عنه، وهو أول الأقطاب[1]، وكان يقول: إنما يلزم الإنسان تعيين المشايخ الذين استند إليهم إذا كان طريقه لبس الخرقة لأنها رواية والرواية يتعين رجال سندها،

---

(١) وذلك لأن سيدنا الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما هو أول الأقطاب الباطنيين، وذلك لأن معاوية لما أخذ الخلافة قسراً وجعلها ظاهرية بدون بيعة، غار الحق سبحانه على الخلافة الحقيقية فجعلها باطنية، وذلك أن مولانا الحسن رضي الله عنه كان خليفة فى الظاهر والباطن، فلما ترك ظاهرها ظلت باطنية فيه، وكان هو أول خليفة باطنى، وما ناب معاوية سوى ظاهر الخلافة بدون تذوق لباطنها.

وطريقنا هذه هداية، وقد يجذب الله تعالى العبد إليه فلا يجعل عليه منة لأستاذ وقد يجمع شمله برسول الله ﷺ فيكون آخذًا عنه وكفى بهذا منة، وكان يقول: كثيرًا، قال الشيخ قال الشيخ: كلما ينقل كلاما فقال له إنسان لا نراك قط تسند لنفسك كلاما فقال رضي الله عنه لو أردت عدد الأنفاس أن أقول قال الله قال الله لقلت، ولو أردت عدد الأنفاس أن أقول قال رسول الله ﷺ لقلت، ولو شئت أن أقول على عدد الأنفاس قلت أنا لقلت، ولكن أقول قال الشيخ، وأترك ذكر نفسي أدباً ، وكان يقول: لم يزل الولي في كل عصر لا يلقي أكثر الناس إليه بالا حتى إذا مات قالوا :كان فلان، وكان يقول: الله ما سار الأولياء والأبدال من ق إلى ق إلا حتى يلتقوا مع واحد مثلنا، وكان شيخه أبو الحسن رضي الله عنه يقول للناس: عليكم بالشيخ أبي العباس فوالله إنه ليأتيه البدوي يبول على ساقيه فلا يمشي وإلا وقد أوصله إلى الله تعالى، ووالله ما من ولي لله كان أو هو كائن إلا وقد أظهره الله عليه، وعلى اسمه ونسبه، وحسبه، وحظه من الله تعالى عز وجل، وكان رضي الله عنه يقول: سمعت الشيخ أبا الحسن رضي الله عنه يقول: لن تهلك طائفة فيها أربعة: إمام، وولي، وصديق، وشيخ .وقال أبو الحسن في ذلك المجلس فالإمام هو أبو العباس، وكان رضي الله عنه يقول: الولي إذا أراد عين[1]، وكان يقول: قال لي الشيخ أبو الحسن يا أبا العباس ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا وأنا أنت، وكان رضي الله عنه يقول: لي أربعون سنة ما حجبت عن رسول الله ﷺ ولو حجبت طرفة عين ما عددت نفسي من جملة المسلمين، وكذلك كان يقول: في حق الجنة وفي حق الوقوف بعرفة كل سنة وكان يقول: لو كان الحق سبحانه وتعالى يرضيه خلاف السنة لكان التوجه في الصلاة إلى القطب الغوث أولى من التوجه إلى الكعبة، وكان رضي الله عنه يقول والله ما كان اثنان من أصحاب هذا العلم في زمن واحد قط إلا واحدًا بعد واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان يقول: لا أعلم أحدًا اليوم يتكلم في هذا العلم غيري على وجه الأرض، وقدم إليه بعضهم طعاما فيه شبهة يمتحنه فامتنع الشيخ من أكله، وقال إن كان للشيخ المحاسبي

(١) أى عين فى منصبه، ولا يتدخل فى ذلك كثرة العمل بل مجرد الإرادة الإلهية.

عرق في إصبعه يضرب إذا مد يده إلى شبهة فأنا في يدي ستونً عرقا تضرب فاستغرب الرجل، وتاب على يديه، وكان يقول: من منذ دخلت على الشيخ أبي الحسن في القاهرة وهو يقرأ عليه كتاب المواقف للمنقري[1]، وقال لي تكلم يا بني بارك الله تعالى فيك أعطيتً لسانا من ذلك الوقت، وكان رضي الله عنه يقول: والله لو علمت علماء العراق، والشام ما تحت هذه الشعرات، وأمسك على لحيته لأتوها، ولو حبوا على وجوههم، وكان يقول: والله ما نطالع كلام أهل الطريق إلا لنرى فضل الله تعالى علينا .

وكان رضي الله عنه يقول: إذا كمل الرجل نطق بجميع اللغات، وعرف جميع الألسنً إلهاما من الله عز وجل، وكان يقول: من صحب المشايخ على الصدق وهو عالم بالظاهر ازداد علمه ظهورًا، وكان رضي الله عنه يقول: لا تطالبوا الشيخ بأن تكونوا في خاطره بل طالبوا أنفسكم أن يكون الشيخ في خاطركم فعلى مقدار ما يكون عندكم تكونون عنده .وكانً ساكنا في خط المقسم بالقاهرة فكان كل ليلة يأتي الإسكندرية فيسمع ميعاد الشيخ أبي الحسن ثم يرجع إلى القاهرة، وكان يقرأ عليه كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذي، وكان هو وشيخه أبو الحسن يجلانه ويعظمانه رضي الله عنهما، وكان رجل ينكر عليه، ويقول: ليس إلا أهل العلم الظاهر، وهؤلاء القوم يدعون أمورًا عظمى ظاهر الشرع يأباها فحضروا يوما مجلس الشيخ فانبهر عقله ورجع عن إنكاره، وقال هذا الرجل إنما يغرف من فيض بحر إلهي، ومدد رباني ثم صار من أخص أصحابه، وكان يقول: شاركنا الفقهاء فيما هم فيه، ولم يشاركونا فيما نحن فيه، وعمل رضي الله عنه عصيدة في يوم حار فقالوا له :العصيدة لا تعمل إلا في أيام الشتاء فقال :هذه عصيدة ولدنا ياقوت ولد اليوم ببلاد الحبشة فلم يزل ياقوت يباع من سيد إلى سيد حتى جاء إلى سيدي أبي العباس وحسبوا عمره فوجدوا عمره كما قال وكان رضي الله عنه أكثر ما يتكلم في مجالسه في العقل الأكبر، والاسم الأعظم، وشعبه الأربع، والأسماء والحروف، ودوائر الأولياء، ومقامات الموقنين، والأملاك المقربين عند العرش، وعلوم

(١) هكذا ورددت فى الأصل والصحيح أنها للنفرى.

الأسرار، وأمداد الأذكار، ويوم المقادير، وشأن التدبير، وعلم البدء، وعلم المشيئة وشأن القبضة، ورجال القبضة، وعلم الأفراد، وما سيكون يوم القيامة من أفعال الله تعالى مع عباده من حلمه، وإنعامه، وجوده، وانتقامه، وكان رضي الله عنه يقول: لولا ضعف العقول لأخبرت بما يكون من رحمة الله تعالى قال ابن عطاء الله رضي الله عنه :وكان الشيخ أبو العباس رضي الله تعالى عنه لا يتنزل إلى علوم المعاملة إلا في قليل من الأيام لحاجة بعض الناس إلى ذلك قال ولذلك يقل اتباع من تكون علومه العلوم السابقة فإن المشترين للمرجان قد يكثرون، وقل أن يجتمع على شراء الياقوت اثنان ولم يزل اتباع أهل الحق قليلين كما قال الله تعالى في أهل الكهف :" ما يعلمهم إلا قليل "وأهل الله كهف لأمور الناس، ولكن قليل من يعرفهم، وكان سيدي أبو العباس رضي الله عنه يقول: معرفة الولي أصعب من معرفة الله عز وجل فإن الله تعالى معروف بكمال له وجماله، وحتى متى تعرف مخلوقا مثلك يأكل كما تأكل، ويشرب كما تشرب، وطلب نائب الإسكندرية أن يجتمع به ويأخذ بيده فيكون شيخه فقال للقاصد لست ممن يلعب به، ولم يجتمع به حتى مات وكان إذا نام في بلد في السفر، وعرف أن كبيرها يريد الاجتماع به يسافر منها ليلا قبل الفجر .

وكان يقول: علامة حب الدنيا خوف المذمة، وحب الثناء فلو زهد لما خاف، وأحب، وكان رضي الله عنه يقول: الورع من ورعه الله، وكان يقول: من لم يصلح للدنيا، وللآخرة يصلح لله، وكان يقول: ورع المنقطعين نشأ من سوء الظن وغلبة الوهم، وورع الأبدال والصديقين على البينة الواضحة، والبصيرة الفائقة، وكان يقول: والله ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن الخلق، ولقد رأيت يوماً كلبا ومعي شيء من الخبز فوضعته بين يديه فلم يلتفت له فقربته من فيه فلم يلتفت إليه فإذا علي يقال أف لمن يكون الكلب أزهد منه، وكان رضي الله عنه يقول: للناس أسباب، وسببنا نحن الإيمان والتقوى قال الله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦) وكان يقول: ما سمعتموه مني ففهمتموه فاستودعوه الله يرده عليكم وقت الحاجة، وما لم تفهموه فكلوه

إلى الله يتولى الله ببابه، واسعوا في جلاء مرآة قلوبكم يتضح لكم كل شيء وكان يقول: إذا ضاق الولي هلك من يؤذيه في الوقت، وإذا اتسعت معرفته احتمل أذى الثقلين، ولم يحصل لأحد منهم ضرر بسببه[1]، وكان يقول: لحوم الأولياء مسمومة، ولو يؤاخذوك فإياك ثم إياك، وكان رضي الله عنه به اثنا عشر باسورًا، وكان به الحصى وبرد الكلي، ومع ذلك فكان يجلس للناس، ولا يتأوه في جلوسه، ولا يعلم جليسه بما هو فيه، وكان يقول: لا تنظروا إلى حمرة وجهي فإنها من حمرة قلبي، وكان رضي الله عنه يقول: والله ما جلست بالناس حتى هددت بالسلب وقيل لي لئن لم تجلس لسلبتك ما وهبناك، وكان لا يكاتب الولاة في شيء بل كان يقول: للسائل أنا أطلب لك ذلك من الله تعالى، وكان يكره للأشياخ إذا جاءهم مريد أن يقولوا له قف ساعة، ويقول: إن المريد يأتي إلى الشيخ بهمته المتوقدة فإذا قيل له قف ساعة طفيء ما جاء به وكان يقول: عن شيخه اصحبوني، ولا أمنعكم أن تصحبوا غيري فإن وجدتم منهلا أعذب من هذا المنهل فردوا وكان إذا رأى مريدًا دخل في أوراد بنفسه، وهواه أخرجه منها، وكان إذا مدح بقصيدة يجيز المادح بإقباله عليه، ويعطيه العطايا، وكان يقول: لأصحابه إذا جاءنا رئيس قوم فأخبروني به أخرج إليه فإذا فارقه مشى معه خطوات ثم رجع، ويقول: إن هؤلاء كلفوا نفوسهم إلى زيارتنا، ونحن لم نزرهم، وكان لا يأكل من طعام عبى له، ولا من طعام أعلم به قبل أن يأتيه، وكان لا يدعو للمحسن حتى يخرج من مجلسه فيدعو له بظهر الغيب، وكان إذا أهدي إليه شيء يسير تلقاه ببشاشة وقبول، وإذا أهدى له شيء كثير يتلقاه بعز النفس، وإظهار الغني عنه، وكان لا يثني على مريد بين إخوانه خشية الحسد، وكانت صلاته موجزة في تمام، ويقول: هي صلاة الأبدال وكان رضي الله عنه يقول: إذا قرأت القرآن فكأنما أقرؤه على الله عز وجل، وكان إذا سمع أحدًا ينطق باسم الله تعالى أو اسم النبي ﷺ، يقرب فمه

(١) قلت: وهكذا يكون الكامل مثل سيدنا محمد ﷺ فى التخلق بخلقه عندما قال: اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون، وأبى أن يدعو عليهم، ولذلك كانت الأنبياء لاسيما المرسلين منهم وأخصهم أولو العزم أوسع باعاً فى احتمال أذى الخلق، فلا يظن ظان أن المتصرف فى الناس بالأذى كالمجاذيب وغيرهم إنما حدث لهم ذلك من علو مقامهم، بل ربما يكون من دنوه وانخفاضه فافهم.

منه حتى يلتقط ذلك الاسم إجلالا أن يبرز في الهواء وكان إذا سمع أحدًا يقول: هذه ليلة القدر يقول: نحن بحمد الله أوقاتنا كلها ليلة قدر[1]، وكان يكرم الناس على نحو رتبهم عند الله حتى إنه ربما يدخل عليه المطيع فلا يلتفت إليه لكونه يرى عبادته، ويدخل عليه العاصي فيقوم له لأنه دخل بذل نفس وانكسار، ومدحوا عنده شخصا بالعلم، وكان كثير الوسوسة في الوضوء والصلاة فقال الشيخ أين علمكم الذي تمدحون به هذا الرجل العلم هو الذي ينطبع في القلب كالبياض في الأبيض، والسواد في الأسود، وقال لرجل من الحجاج: كيف كان حجكم فقال كان كثير الرخاء كثير الماء سعر كذا، وكذا فأعرض عنه الشيخ فقال أسألهم عن حجهم، وما وجدوا فيه من الله تعالى من العلم والفوز والفتح فيجيبون برخاء الأسعار وكثرة المياه، وكان يقول: ينبغي للمشايخ تفقد حال المريدين، ويجوز للمريدين إخبار الأستاذ بما في بواطنهم إذ الاستاذ كالطبيب، وحال المريد كالعورة، والعورة قد تبدو للطبيب لضرورة التداوي، وفي الحقيقة كل مريد رأى له عورة مع شيخه فهو أجنبي عنه لم يتحد به. وكان يقول: للشيخ أن يطالب المريد ما دام قاصرًا عن حقيقة دعواه فإذا بلغ مبلغ الرجال لم يطالبه على دعواه ببرهان لخروجه عن مقام التلبيس، وكان يقول: لمن رأى أنه زهد في الدنيا لقد عظمت يا أخي الدنيا حين رأيت لها وجودًا حتى زهدت فيها فقدرها أصغر من ذلك.

وكان رضي الله عنه يفسر مشكلات القوم كثيرًا فقال في كلام سهل بن عبد الله لا تكونوا من أبناء الدهر، وكونوا من أبناء الأزل[2]: معناه لاحظوا ما سبق في علم الله ولا تتكلوا على علمكم، ولا على عملكم مدة عمركم، وقال في قول بشر

(١) لأنهم فى نظرهم أن ليلة القدر تنفع العوام لأجل الحسنات الظاهرية، وأما الولى فإن كل أيامه تكون ليلة قدر، وقد قالوا فى ذلك:

وكل الليالى ليلة القدر عندنا

كما أن كل أيام اللقا يوم الجمعة.

(٢) أى لا تكونوا من أبناء الحدث فتتشغلوا به، وكونوا من أبناء الحق عز وجل، وذلك لكون الحق عز وجل أزلياً فافهم.

الحافي رضي الله عنه إني لأشتهي الشواء منذ أربعين سنة ما صفا لي ثمنه أي لم يأذن لي الحق في أكله فلو أذن لي صفا لي ثمنه وإلا فمن أين يأكل في الأربعين سنة، وقال في قول الجنيد رضي الله تعالى عنه أدركت سبعين عارفا كلهم كانوا يعبدون الله تعالى على ظن ووهم، حتى أخي أبا يزيد لو أدرك صبيا من صبياننا لأسلم[1] على يديه معناه أنهم يقولون ما بعد المقام الذي وصلناه مقام فهذا وهم وظن فإن كل مقام فوقه مقام إلى ما لا يتناهى وليس معناه الظن والوهم في معرفتهم بالله تعالى ومعنى لأسلم على يديه أي لانقاد له لأن الإسلام هو الانقياد، وقال في قول :أبي يزيد رضي الله تعالى عنه خضت بحرًا، وقف الأنبياء بساحله معناه أن أبا يزيد رضي الله تعالى عنه يشكو ضعفه وعجزه عن اللحوق بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خاضوا بحر التوحيد، ووقفوا على الجانب الآخر على ساحل الفرق يدعون الخلق إلى الخوض أي فلو كنت كاملا لوقفت حيث وقفوا قال ابن عطاء الله رضي الله عنه وهذا الذي فسر به الشيخ كلام أبي يزيد رضي الله عنه هو اللائق بمقام أبي يزيد.

وقد كان يقول: جميع ما أخذ الأولياء بالنسبة لما أخذ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كزق مليء عسلا ثم رشحت منه رشاحة فما في باطن الزق للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وتلك الرشاحة للأولياء رضي الله عنهم. والمشهور عن أبي يزيد رضي الله عنه التعظيم لمراسم الشريعة، والقيام بكمال الأدب فالحق تأويل أحوال الأكابر من أهل الاستقامة دون المبادرة إلى الإنكار، وقال في حكاية الحارث بن أسد من أنه كان إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك عليه إصبعه كيف هذا وقد قدم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه لبن فأكل منه ثم وجد كدورته في قلبه فقال :من أين لكم هذا اللبن ؟ فقال غلام له كنت تكهنت لقوم في الجاهلية فأعطوني ثمن كهانتي فتقايأه أبو بكر الصديق رضي الله عنه فلم يكن للصديق عرق يتحرك عليه إذا أكل

---

(١) أى إسلام حقيقة لا إسلام شرك، فحشاه من ذلك فافهم.

وقد صنفنا فى شرح شطحاته كتابنا المسمى «جواهر التوحيد فى شرح الحقائق المستفادة من شطحات أبى يزيد» وهو مطبوع.

طعاما فيه شبهة مع كونه أفضل من الحارث بالإجماع[1]، الجواب أن أبا بكر رضي الله عنه كان خليفةً مشرعا للعباد حتى يقتدى به من أكل طعاما فيه شبهة، ولو لم يعلم فيتكلف طرحه بعد أكله فيثيبه الله تعالى على ذلك، والحارث رضي الله عنه لم يكن إذ ذاكً مشرعا ولا قدوة إنما يعمل بقصد نفع نفسه فقط، ومعلوم أن القدوة من شأنه التنزل في المقام للتعليم.

وكان رضي الله عنه يقول: إنما بدأ القشيري في رسالته بالفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم لأنهما كانا قد تقدم لهما زمن قطيعة فلما أقبلا أقبل الله عليهما فبدأ بذكرهما بسطا لرجاء المريدين الذين كانت تقدمت منهم الزلات، والمخالفات، وليعلم أن فضل الله ليس بمعلل بعمل، ولو أنه بدأ بالجنيد، وسهل بن عبد الله وعتبة الغلام، وأمثالهم ممن نشأ في طريق الله لربما قال :قائل من يدرك هؤلاء لم يسبق لهم زلات، ولا مخالفات، وقال في قول سمنون المحب:

وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني

فابتلى بحصر البول فصاح، وصار يقول: ادعوا لعمكم الكذاب لو كان سمنون قال عوض ما قال فكيفما شئت فاختبرني فاعف عني لكان أول من طلب الاختبار. **قلت**: وإنما وقع الامتحان لسمنون لغفلته عن التبري من الدعوى فلو قال :مدني بالقوة ثم اختبرني بما شئت لم يمتحن، وكان شيخنا رضي الله عنه يقول: إذا قيل لك أتخاف الله تعالى فقل نعم لكن بقدر ما خلقه في من الخوف، وكذلك القول في أتحب الله تعالى فمن سلك ذلك لا يقع له امتحان لتعويله على الله تعالى لا على قوة نفسه هو وقد قالوا: كل مدع ممتحن، وهذا ميزانه، والله أعلم.

وقال في قول السري رضي الله عنه في حد التوبة التوبة أن لا تنسى ذنبك هو أولى

(١) قلت: ومن أدراك أنه لم يكن لأبى بكر رضي الله عنه عرق ينبض فربما كان له عشرات العروق التى تنبض، وربما كان تعريفه للحلال والحرام بطريقة باطنية أرقى من طريقة نبض العرق، ولكنه لم يخبر بذلك، فإن الصحابة كانوا لا يفشون أسرارهم الباطنية خلافاً لمن جاء بعدهم من الأولياء، فيظن الظان أن الذى كتم أقل تعريفاً من الذى أفشى.

من قول الجنيد رضي الله عنه وغيره التوبة أن تنسى ذنبك لأن كلام السري رضي الله عنه يدل على مبادي المقامات، وكان السري مكلفا الكلام على مقامات العباد لكماله، والجنيد وغيره لم يكن إذ ذاك قدوة للناس فافهم، وقال في قول بعضهم لا يكون الصوفيُّ صوفيا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال ذنبا عشرين سنة ليس معنى ذلك أن لا يقع منه ذنب عشرين سنة وإنما معناه عدم الإصرار[1]، وكلما أذنب تاب، واستغفر على الفور، وكان يقول: إذا رفعك إلى محل المحاضرة، والشهود المسلوب عن العلل فذاك مقام التعريف، والإيمان الحقيقي، وميدان تنزل أسرار الأزل، وإذا أنزلك إلى محل المجاهدة، والمكابدة فذاك مقام التكليف المقيد بالعلل، وهو الإسلام الحق وميدان تجلى حقائق الأبدية، والمحقق لا يبالي بأي صفة يكون، وقال في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف: ١٠٨) أي على معاينة تعاين لكل صنف طريقهم فيحملهم عليها، وعلى النيابة، وكان رضي الله عنه يقول: العارف لا دنيا له لأن دنياه لآخرته، وآخرته لربه وكان يقول: الزاهد غريب في الدنيا لأن الآخرة وطنه، والعارف غريب في الآخرة فإنه عند الله تعالى، ومعنى غربته في الدنيا قلة من يعينه على القيام بالحق، وقلة من يشاكله في القيام، وأما غربة العارف في الآخرة فإن سيره مع الله تعالى بلا أين، والمدار على محل يكون فيه القلب لا على محل يكون فيه الجسم كما أن الزاهد كذلك موطن قلبه في الدنيا إنما هو الآخرة فهي معشش روحه، ولولا ذلك لما صح له الزهد في الدنيا، وكان رضي الله عنه: يقول العامة إذا خوفوا خافوا، وإذا روحوا راحوا، والخاصة متى خوفوا راحوا ومتى روحوا خافوا، وكان رضي الله عنه يقول: كان الإنسان بعد أن لم يكن، وسيفني بعد أن كان، ومن كلا طرفيه عدم فهو عدم قال ابن عطاء رضي الله عنه :أي أن الكائنات لا تثبت لها رتبة الوجود المطلق لأن الوجود الحق إنما هو لله، وله الأحدية، وأما العالم فالوجود له من عدمه، ومن كان كذلك فالعدم وصفه في نفسه، وكان من

(١) قلت: هذا التأويل غير صحيح فإن من العارفين من لم يصدر منه ذنب طوال عمره، ولا كتب فى صحيفته ذنب، كأبى يزيد البسطامى رضي الله عنه، فإنه لم تكتب عليه ولو سيئة واحدة طوال عمره، فكيف يصدر منه إصرار؟ وعلى أى شىء يصدر.

طريقته، وطريقة شيخه أبي الحسن الإعراض عن لبس الزي والمرقعات لأن هذا اللباس ينادى على صاحبه أنا الفقير فأعطوني شيئاً، وينادي على سر الفقير بالإفشاء فمن لبس الزي فقد ادعى. **قلت** : وليس مراد الشيخ أن يعيب على الفقراء لبس الزي، وإنما مراده أنه لا يلزم كل من كان له نصيب مما للقوم أن يلبس ملابس الفقراء فلا حرج على اللابس للخشن، ولا على اللابس للناعم إذا كان من المحسنين، والأعمال بالنيات، وكان يقول: اختلف الناس في اشتقاق الصوفي، وأحسن ما قيل فيه إنه منسوب لفعل الله تعالى به أي صافاه الله تعالى فصوفي فسموه صوفياً، وكان يقول: في قول عيسى عليه السلام :يا بني إسرائيل بحق أقول لكم لا يلج ملكوت السموات، والأرض من لم يولد مرتين أنا والله ممن ولد مرتين الإيلاد الأول إيلاد الطبيعة، والإيلاد الثاني إيلاد الروح في سماء المعارف، وكان يقول: لن يصل الولي إلى الله تعالى حتى ينقطع عنه شهوة الوصول إلى الله تعالى[1] أي انقطاع أدب لا انقطاع ملل لغلبة التنويض على قلبه.

وكان رضي الله عنه يقول: إن الله تعالى جعل الآدمي ثلاثة أجزاء فلسانه جزء، وجوارحه جزء، وقلبه جزء، وطلب من كل جزء وفاء، فوفاء القلب أن لا يشتغل بهم رزق، ولا مكر، ولا خديعة، ولا حسد، ووفاء اللسان أن لا يغتاب، ولا يكذب ولا يتكلم فيما لا يعنيه ووفاء الجوارح أن لا يسارع بها قط إلى معصية، ولا يؤذي بها أحدًا من المسلمين فمن وقع من قلبه فهو منافق، ومن وقع من لسانه فهو كافر، ومن وقع من جوارحه فهو غاص، وكان يقول: من اشترى من زياتٍ زيتا فزاده البياعٌ خيطا فدينه أرق من ذلك الخيط، ومن اشترى من فحامٍ فحما فلما فرغ قال :زدني فحمة فقلبه أسود من تلك الفحمة، وكان رضي الله عنه يقول: لا يدخل على الله تعالى إلا من بابين من باب الغني الأكبر، وهو الموت الطبيعي، ومن باب الغني الذي تعنيه هذه الطائفة، وكان يقول: الكائنات على أربعة أقسام جسم كثيف، وهو بمجرده جماد، وجسم لطيف، وهو بمجرده جان وروح شفاف،

---

(١) أى لا تبقى له شهوة فى الوصول، بل يطلب الله لأجل الله لا لأجل الوصول إلى الله تعالى، فهناك يصل.

وهو بمجرده ملك، وسره غريب، وهو المعنى المسجود له فالآدمي صورته بظاهرها جماد وبوجود نفسه وتخليها وتشكلها جان، وبوجود روحه ملك، وبإعطائه السر الغريب استحق أن يكون خليفة، وكان يقول: ليس العجب ممن تاه في نصف ميل أربعين سنة إنما العجب ممن تاه في مقدار شبر الستين والسبعين والثمانين سنة، وهي البطن، وكان يقول: للأولياء الإشراف على مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما لهم الإحاطة بمقاماتهم، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يحيطون بمقامات الأولياء، وكان يقول: جميع أسماء الله تعالى جاءت للتخلق إلا الاسم الله فإنه للتعلق فقط إذ مضمونه الإلهية والإلهية لا يتخلق بها أصلا، وكان رضي الله عنه يقول: السماء عندنا كالسقف، والأرض كالبيت، وليس الرجل عندنا من يحصره هذا البيت .

وكان يقول: نحن في الدنيا بأبداننا مع وجود أرواحنا، وسنكون في الآخرة مع وجود أبداننا. **قلت:** وفي هذا رد لمن قال يكون الناس في الجنة بأرواحهم لا بأجسامهم وعليه جماعة من أهل الكشف الناقص، وسبب غلطهم شهودهم أهل الجنة يتحولون في أي صورة شاءوا، وهذا شأن الأرواح لا الأجسام، وغاب عنهم أن الأجسام هناك منطوية في الأرواح لا معدومة كما أن الأرواح في هذه الدار منطوية في الأجسام، والله أعلم، وكان رضي الله عنه يقول: الفرق بين معصية المؤمن، ومعصية الفاجر من ثلاثة أوجه المؤمن لا يعزم عليها قبل فعلها، ولا يفرح بها وقت الفعل، ولا يصر عليها، والفاجر ليس كذلك، وكان يحث أصحابه على ذكر اسم الله، وهو يقول: هذا الاسم سطان الأسماء، وله بساط وثمرة فبساطه العلم، وثمرته النور، وإن حصل النور، وقع الكشف والعيان، وكان يقول: ليست الفتوة بالماء والملح، وإنما الفتوة الإيمان، والهداية، وكان يقول: ما سمي :إبراهيم الخليل فتى إلا لكونه كسر الأصنام الحسية التي وجدها، وأنت يا ولدي لك أصنام خمسة معنوية فإن كسرتها فأنت فتى :النفس، والهوى، والشيطان، والشهوة، والدنيا، وافهم هاهنا لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، وكان يقول: الكامل من يملك حاله، وله سوحة في العلم كما قيل لبعضهم مالك لا

تتحرك في السماع أمس فقال :إنه كن في الجمع كبير فاحتشمت منه، ولو أني خلوت وحدي لأرسلت وجدي وتواجدت فانظر كيف كان زمام حاله معه يمسكه إذا شاء، ويطلقه إذا شاء، وإذا اتسع القلب بمعرفة الله تعالى غرقت فيه الواردات[1]، ولهذا جهلت أحوال الأكابر أرباب المقامات، واشتهر أهل الأحوال لظهور آثار المواهب عليهم لضعفهم عن كتمها، ولضيقهم عن وسعها، وربما كان صاحب الحال أحظى عند الله، وعند الخلق بإقبالهم عليه من صاحب المقام مع أن بينه وبينه كما بين السماء والأرض، ولذلك قال ابن عطاء الله :كلما تمكن الرجل في العلوم الإلهية، والمعارف الربانية استغرب في هذا العالم فيقل من يعرفه[2]، ويفقد من يحيط به فيصفه، وكان يقول: كل سوء أدب يثمر لك أدبا فهو أدب .وكان رضي الله عنه يقول: كان الجنيد رضي الله عنه قطبا في العلم وكان سهل التستري رضي الله عنه قطبا في المقام، وكان أبو يزيد رضي الله عنه قطبا في الحال، وكان رضي الله عنه يقول: اللطف حجاب من اللطيف إذا وقف معه العبد، والحق لا يحب أن يأنس عبده إلى غيره .وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام نعم العبد يلح لولا أنه يسكن إلى نسيم الأسحار، ولو أنه عرفني ما سكن إلى غيري، وكان يقول في قول أبي عبد الرحمن السلمي انتهى عقل العقلاء إلى الحيرة، معناه أنه لا حيرة إلا عند المؤمنين وأما المحققون فلا حيرة عندهم فيما فيه الحيرة عند المؤمنين، وكان يقول: قليل العمل مع شهود المنة من الله تعالى خير من كثير العمل مع شهود التقصير من النفس، وكان يقول عن شيخه: خرج الزهاد والعباد من هذه الدار، وقلوبهم مغلقة عن الله عز وجل، وكان يقول: هو عن شيخه من لم يتغلغل في هذه العلوم مات مصرًا على الكبائر، وهو لا يعلم، وكان يقول عن شيخه :كل شيء نهانا الله عنه فهو في معنى شجرة آدم عليه السلام لكنا افترقنا فإن آدم

---

(١) الواردات: هى المعلومات الإلهية الحديثة المرسلة على قلب العارف بشتى أنواعها البسطى والقبضى.

(٢) ويقصد به الإنسان الكامل، الذى قلّ من يعرفه فى عصره، وقد كان شيخنا عبد المجيد الشريف رضي الله عنه يقول: الإنسان الكامل غير موجود، وإذا وجد لا يعرف وقد رأى ابن عربى القطب بسوق فاس وهو يغربل الحناء فقال له: استرنى يا محمد، وقال عنه: كان إذا مرض لا يعاد وإذا حضر لا يؤبه له وإذا فقد لا يسأل عنه.

عليه السلام لما أكل من الشجرة نزل إلى أرض الخلافة، وأنت إذا أكلت من شجرة النهي نزلت إلى أرض القطيعة فإياك ثم إياك، وكان يقول: شخص من الأولياء يتكلم على الناس بأرض المغرب، وهو بادن فدخل عليه شخص مكشوف الرأس كبيرها فقال هذا يزهد في الدنيا، وهو كاذب فكوشف به الشيخ فقال من فوق المنبر يا أبا رويس ما سمنتنى إلا حبه، وكان رضي الله عنه يقول لأصحابه: إذا أكلتم طعام إنسان فاشربوا عنده ينال كمال الأجر فإن رسول الله ﷺ يقول: "من سقي مؤمنا شربة ماء مع وجود الماء كان كمن أعتق سبعين من ولد إسماعيل عليه السلام". وكان يقول: لا ينبغي للفقير أن يأخذ من أحد شيئا يقصد نفع نفسه إنما يأخذ ليثيب من يعطيه ويعوضه عليه فمن تطهرت نفسه، وتقدست فليقبل، وإلا فلا، وقال رضي الله عنه لبعض أصحابه لم انقطعت عن مجلسنا فقال: يا سيدي قد استغنيت بك فقال الشيخ ما استغنى أحد بأحد ما استغنى أبو بكر رضي الله عنه، ومع ذلك لم ينقطع عن رسول الله ﷺ يوما واحدا، وكان يقول: لما خلق الله تعالى الأرض اضطربت فأرساها بالجبال وكذلك النفس لما خلقها الله تعالى اضطربت فأرساها بجبال العقل، وكان يقول: الأكوان كلها عبيد مسخرة، وأنت عبد حضرته وكان يقول: لأصحابه إذا وصلتم إلى مكة فليكن همكم رب البيت لا البيت، ولا تكونوا ممن يعبد الأصنام، والأوثان، وكان يقول: من عرف الله لم يسكن إليه لأن في السكون إلى الله ضربا من الأمن "ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون "وكان يقول: الولي في حال فنائه لا بد أن تبقى معه لطيفة علمية عليها يترتب التكليف، وذلك كما يكون الإنسان في البيت المظلم فهو عالم بوجوده، وإن كان غير مشاهد له، وكان رضي الله عنه يقول: والله ما جلست حتى جعلت جميع الكرامات تحت سجادتي قال ابن عطاء الله رضي الله عنه قرأت على الشيخ أبي العباس كتاب الرعاية للمحاسبي فقال :جميع ما في هذا الكتاب يغني عنه كلمتان اعبد الله بشرط العلم، ولا ترض عن نفسك أبدًا ثم لم يأذن لي في قراءته بعد، وكان يقول: من اشتاق إلى لقاء ظالم فهو ظالم، وكان يقول: القبض

الذي لا يعرف سببه لا يكون إلا لأهل التخصيص[1]، وكان يقول: لو علم الشيطان أن ثم طريقا توصل إلى الله تعالى أفضل من الشكر لوقف عليها ألا تراه كيف قال : ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ ولم يقل صابرين، ولا خائفين، ولا راجعين، وكان يقول: أبو بكر وعمر خلفاء الرسالة، وعثمن وعلي خلفاء النبوة، وكان يقول: العامة إن رأوا إنسانا ينسب إلى الولاية جاء من البراري والقفار أقبلوا عليه بالتعظيم، والتكريم وكم من بدل وولي بين أظهرهم فلا يلقون إليه بالا مع أنه هو الذي يحمل أثقالهم، ويدافع الأغيار عنهم فمثلهم في ذلك كمثل حمار الوحش يدخل به البلد فيطوف به الناس متعجبين لتخاطيط جلده، وحسن صورته، والحمر التي بين أظهرهم تحمل اثقالهم إلى موضع أغراضهم وتنقل ترابهم وآلات بنائهم، ولا يلتفتون إليها، وكان رضي الله عنه يقول: الهالك بهذه الطائفة أكثر من الناجي بها رضي الله عنه.

ومنهم سيدي ياقوت العرشي رضي الله تعالى عنه

كان إماما في المعارف عابدًا زاهدًا وهو من أجل من أخذ عن الشيخ أبي العباس المرسي رضي الله عنه، وأخبر به سيدي أبو العباس رضي الله عنه يوم ولد ببلاد الحبشة، وصنع له عصيدة أيام الصيف بالإسكندرية فقيل له إن العصيدة لا تكون إلا في أيام الشتاء فقال هذه عصيدة أخيكم ياقوت ولد ببلاد الحبشة وسوف يأتيكم فكان الأمر كما قال وهو الذي شفع في الشيخ شمس الدين بن اللبان لما أنكر على سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه وسلب علمه، وحاله بعد أن توسل بجميع الأولياء، ولم يقبل سيدي أحمد شفاعتهم فيه فسار من الإسكندرية إلى سيدي أحمد وسأله أن يطيب خاطره عليه، وأن يرد عليه حاله فأجابه ثم إن سيدي ياقوت زوج ابن اللبان ابنته، ولما مات أوصى أن يدفن تحت رجليها إعظاما لوالدها الشيخ ياقوت وإنما سمي العرشي لأن قلبه كان لم يزل تحت العرش، وما في الأرض إلا جسده، وقيل لأنه كان يسمع أذان حملة العرش، وكان رضي الله عنه يشفع حتى

(١) وذلك لكونه من العلم الغامض.

في الحيوانات، وجاءته مرة يمامة فجلست على كتفه، وهو جالس في حلقة الفقراء، وأسرت إليه شيئا في أذنه فقال باسم الله، ونرسل معك أحدًا من الفقراء فقالت ما يكفيني إلا أنت فركب بغلته من الإسكندرية، وسافر إلى مصر العتيقة حتى دخل إلى جامع عمرو فقال اجمعوني على فلان المؤذن فأرسلوا وراءه فجاء فقال له هذه اليمامة[1] أخبرتني بالإسكندرية أنك تذبح فراخها كلما تفرخ في المنارة فقال :صدقت قد ذبحتهم مرارًا فقال لا تعد فقال : تبت إلى الله تعالى ورجع الشيخ إلى الإسكندرية رضي الله تعالى عنه، ومناقبه رضي الله تعالى عنه كثيرة مشهورة بين الطائفة الشاذلية بمصر وغيرها .توفي رضي الله عنه بالإسكندرية سنة سبع وسبعمائة رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه

الزاهد المذكر الكبير القدر تلميذ الشيخ ياقوت رضي الله عنه، وقبله تلميذ الشيخ أبي العباس المرسي كان ينفع الناس بإشاراته، ولكلامه حلاوة في النفوس وجلالة .مات هكذا سنة سبع وسبعمائة وقبره بالقرافة يزار .وله من المؤلفات كتاب التنوير في إسقاط التدبير، وكتاب الحكم، وكتاب لطائف المنن، وغير ذلك رضي الله تعالى عنه .

ومنهم جدي الخامس الشيخ موسى المكنى بأبي عمران رضي الله عنه

في بلاد البهنسا بصعيد مصر الأدنى وهو من أجل أصحاب سيدي الشيخ أبي مدين التلمساني شيخ المغرب، وكان من أولاد السلطان مولاي أبي عبد الله الزغلي بضم الزاي، وإسكان الغين المعجمة، نسبة إلى قبيلة من عرب المغرب يقال لهم بنو زغلة، وكان سلطان تلمسان، وما والاها فلما ترعرع سيدي موسى اختار طريق الله تعالى على الملك فتشوش والده لذلك فلما غلب الأمر عليه أطلق له الأمر فاجتمع سيدي موسى على الشيخ أبي مدين رضي الله تعالى عنه فلما قدم عليه قال له إلى من تنسب قال إلى السلطان مولاي أبي عبد الله قال: وما ينتهي نسبك قال :إلى السيد محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(١) أى كان ممن يفهم لغة الطيور.

فقال الشيخ رضي الله عنه طريق فقر، وملك، وشرف لا يجتمعن فقال :يا سيدي أشهدك أني قد خلعت نسبتي إلى غيرك فأخذ عليه العهد، ووقع على يديه الكرامات، وكلمته البهائم، والحيوانات، وهابته الأسود فلما أرسل سيدي أبو مدين رضي الله عنه عدة من أصحابه إلى مصر أرسله من جملتهم، وقال له إذا وصلت إلى مصر فاقصد ناحية هور بصعيدها الأدنى فإن فيها قبرك، وكان كذلك، وتفرقت أولاده في البلاد فجماعة ماتوا بمنشية الأمراء، وجماعة ببلنسورة، وساح أولاده إلى بلاد الرجراج، وكان إذا ناداه مريده أجابه من مسيرة سنة وأكثر، وأخبر أصحابه بأحوال جدي الأدنى الشيخ علي رضي الله عنه الآتي ذكر مناقبه في أهل القرن التاسع إن شاء الله تعالى .مات سنة سبع وسبعمائة على ما قيل رضي الله تعالى عنه .

ومنهم العارف بالله سيدي محمد وفا رضي الله عنه

كان من أكابر العارفين، وأخبر ولده سيدي علي رضي الله عنه أنه هو خاتم الأولياء[1] صاحب الرتبة العلية، وكان أميناً وله لسان غريب في علوم القوم، ومؤلفاته كثيرة ألفها في صباه، وهو ابن سبع سنين أو عشر فضلا عن كونه كهلا، وله رموز في منظوماته، ومنثوراته مطلسمة إلى وقتنا هذا لم يفك أحد فيما نعلم معناها، ولما دنت وفاته خع منطقته على الأبزاري صاحب الموشحات، وقال هي وديعة عندك حتى تخلعها على ولدي علي فعمل أيام كانت المنطقة عنده الموشحات الظريفة إلى أن كبر سيدي علي فخلعها عليه ثم رجع لا يعرف يعمل موشحا كما أخبرني عن نفسه رضي الله تعالى عنه وسمي وفا[2] لأن بحر النيل توقف فلم يزد إلى أوان الوفاء فعزم أهل مصر على الرحيل فجاء إلى

(١) اعلم أن لكل عصر خاتماً من الأولياء، يختم به الحق سبحانه دورة الولاية وأما مرتبة الختمية الخصوصية فهى نوعان: نوع عام ونوع خاص، فأما الختم العام فهو سيدنا محمد رضي الله عنه فكما أنه نبى فهو ولى أيضاً وكما ختمت به دورة النبوة فكذلك ختمت به دورة الولاية العامة، وأما الولاية الخاصة فهى نوعان: النوع الأول هو الختم المحمدى الذى يكون من أولياء هذه الأمة المحمدية وهو ولى أخفاه الحق عز وجل وقد صنف فيه محيى الدين بن عربى كتابه عنقاء مغرب، وخاض فى ذكره فى الفتوحات، وأما النوع الثانى فهو ختم الولاية المحمدية الخاصة بعيسى بن مريم عليه السلام.

(٢) اعلم أن زيادة بحر النيل هى من اختصاص القطب، ولما قل ماء النيل أيام عمر رضي الله عنه أعطاهم ورقة فألقوها فيه فارتفع ماؤه، وقد كان سيدى على الخواص ممن اختصه الله بزيادة ماء النيل.

البحر، وقال اطلع بإذن الله تعالى فطلع ذلك اليوم سبعة عشر ذراعا وأوفى فسموه وفا. وسئل ولده سيدي علي رضي الله عنه مع علو مقامه، وفرقانه أن يشرح شيئا من تائية والده فقال رضي الله عنه لا أعرف مراده لأنه لسان أعجمي على أمثالنا انتهى .ومن كلامه رضي الله عنه في كتاب فصول الحقائق أعوذ بالله من شياطين الخلق والكون، وأبالسة العلم والجهل، وأغيار المعرفة والنكرة اللهم إني أعوذ بك، وبسبق قدمك من سر حدودك، وبظلمة ذاتك من نور صفاتك وبقوة سلوبك من ضعف إيجادك وبظلمة عدمك من نور تأثيراتك، وأعذني اللهم بك منك في كل ذلك بكل ذلك كذلك من وجه العلم، ولا كيف كذلك من حيث العقل، ولا بذلك من جهة قصد النفس، ولا كذلك من حيث تصور الوهم أعوذ بك من كل ذلك كذلك من حيث إنه كذلك لا من حيث إنك ولي ذلك اللهم أغنني بديموميتك عن بقاء آلائك وبإحاطة وجودك عن تصور الواحد والأحد وبقيومية قيامك عن استقامة تقويم المدد وغيبني في ظلمة ذاتك التي تعجز فيها الأبصار والبصائر، ويستحيل فيها معارف العقول الإلهية ذات الأسرار، والسرائر، وأستغفرك بلسان الحق لا بلسان الوقاية والنظر بعين التلاشي لا بعين الرعاية، والجذب بسر العدم لا بقوة الهداية، والتلاشي ينفي الرسم لا برسوم الولاية سبحانك من وجه ما أنت لا من وجه ما أنا سبحانك من وجه الوجه المتتره عن وسم الأسماء والكنى سبحانك في الحيث الذي لا يلتحق به البقاء ولا الفناء، أحاشيك عن العلم والقول، وأنزهك عن القوة والحول، وأشاكل لا في المنة والطول، وأمد لك يد التأييد لا يد الوسيلة، وأسألك بسبح التفضل لا فضل الفضيلة، وأعوذ بك من تحليل التحويل، ومحاولات الحيلة اللهم أرني وجهك لا من حيث كل شيء هالك، وأسألك بي لا سبيل المهالك والهالك، اللهم إني أسألك بذات عدمك، وبذات وجودك، وبالذات المجردة، وبالذات المتصفة بذات التكوين، والتلوين، وبالذات الفاعلة، وبالذات المنفعلة اللهم اجعلني عينا لذات الذوات، ومشرقا لأنوارها المشرقات، ومستودعا لأسرارها المكتتمة في غيوبها المبهمات اللهم إني أنزهك لا لتنزيه الحسن لك عن أوصاف الجسم، والنفس عن شهوات الطبع والعقل،

وأخلاق النفس، والقلب، وأنزهك عن كل ذلك، وندِه، ومثله، وخلافه، وغيره تنزيها معجوزًا عن تصوره، وتوهمه، وكان رضى الله عنه يقول: قال لي الحق أيها المخصوص لك عند كل شيء مقدار، ولا مقدار لك عندي فإنه لا يسعني غيرك، وليس مثلك شيء أنت عين حقيقتي، وكل شيء مجازك، وأنا موجود في الحقيقة معدوم في المجاز يا عين مطلعي أنت الحد الجامع المانع لمصنوعاتي إليك يرجع الأمر كله، وإلى مرجعك لأنك منتهى كل شيء، ولا تنتهي إلى شيء طويت لك الأرضين السبع في سبع من الحب والنوى المتنوعة بالفعل إلى أصناف من نبات شتى، فإذا شئت على نشرها أولجت فيها جواهر السماء اهتزت وربت وأنبت من كل زوج بهيج ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فصلت: ٣٩) فإذا تكامل خلقها، وتكون، وتزين كونها سعت على أقدام الإقدام لمسجدك الأقصى بحكم الاستقصا فتخر ساجدة سجود العبودية لأرباب حواسك الكلية والجزئية، تسبحك بألسنة التقديس، وتقدسك بأفواه التنزيه، وتعظمك تعظيم مخلوق لخلاق فأملاكها تسبح، وتحمد، وأفلاكها تقوم، وتسجد، وأنت جالس في مجلس سلطانك مستو على عرش ناطقة إنسانك قد تلا لسان الإحسان بمحضر الأكوان ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (طه: ١٠٨) وأطال في ذلك بما لا تسعه العقول فراجعه، وله كتاب العروس[1]، وكتاب الشعائر وديوان عظيم ومؤلفات أخر، وقد ذكرنا مناقبه في كتاب مستقل رضي الله عنه.

ومنهم الأستاذ سيدي علي ولده رضي الله عنه، ورحمه

كان في غاية الظرف والجمال، لم ير في مصر أجمل منه وجها ولا ثيابا، وله نظم شائع. وموشحات ظريفة سبك فيها أسرار أهل الطريق دسكرة[2] الخلاع رضي الله عنه، وله عدة مؤلفات شريفة، وأعطى لسان الفرق، والتفصيل زيادة على الجمع، وقليل من الأولياء من أعطى ذلك، وله كلام عال في الأدب، ووصايا نفيسة نحو مجلدات، وردت عليه فأملاها في ثلاثة أيام رضي الله عنه فأحببت أن

(١) الصحيح أنه كتاب العروش وقد وقع لنا منه نسخة مخطوطة.

(٢) الدسكرة بناء كالقصر حوله بيوت يكون فيها الشراب والملاهى وهى معربة وانظر لسان العرب ٥/ ٢٧١.

ألخصها لك في هذه الأوراق بذكر عيونها الواضحة، وحذف الأشياء العميقة عن غير أهل الكشف لأن الكتاب يقع في يد أهله، وغير أهله فأقول، وبالله التوفيق:

كان رضي الله عنه يقول: مولدي سحر ليلة الأحد حادي عشر محرم سنة إحدى وستين وسبعمائة كما رأيته بخطه، وتوفي عام أحد، وثمانمائة كما قيل، وكان رضي الله عنه يقول: في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف: ٨) فيا صاحب الحق لا تهتم بإظهار شأنك اهتماما يحملك على الاستعانة بالخلق فإنك إن كنت على نور حق فهو يظهر بالله ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ (النساء: ٤٥) وإن كنت على ظلمة باطل فلا تتسبب في إظهار ذلك، وإشاعته فإنك لا تتمتع بذلك إن متعت به إلا قليلا ثم﴿اللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾، ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾فافهم، وكان يقول: في حديث ليلة الإسراء فدخلت فإذا أنا بآدم أي فإذا أنا في صورة حقيقة آدم وناطق بناطقته، وكذلك القول في جميع ما رآه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تلك الليلة فصرح بأنه ظهر بصور حقائق الكل، وجميع نواطقهم، وزاد عليهم بما زاد ونحن الوارثون لرقائقهم وكان رضي الله عنه يقول: أولو العزم من الرسل سبعة، وهم آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وداود، وسليمان وعيسى عليهم الصلاة والسلام[1]، وأطال في السر في ذلك، وكان يقول: زمن خاتم الأنبياء يكون عدد أولياء زمانه بعدد أولياء الأزمنة كلها لكن ظهورهم معه كظهور الكواكب مع الشمس، وكان رضي الله عنه يقول: إنما كانت شريعة محمد ﷺ، لا تقبل النسخ لأنه جاء فيها بكل ما جاء به من تقدمه، وزيادة خاصة، ونزلت شريعته من الفلك الثامن المكوكب فلك الكرسي، وهو فلك ثابت فلذلك قبلت شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام النسخ دون شريعته، وأطال في ذلك، وكان رضي الله عنه يقول: لا يصح لأحد أن يقول: في استفتاحه : ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٧٩) إلا حتى لا يرى غيره ولا المصلى، ولا القبلة، ولا المناجي فاجعل ربك مشهودك دون غيره، وكان يقول:

---

(١) قلت: هذه رؤية خاصة به هو وحده رضي الله عنه، وإلا فأين محمد ﷺ فيهم، وقوله هذا مخالف لقول جمهور الأمة من أهل الظاهر والباطن فافهم.

من أعجب الأمور قول الحق تعالى لسيدنا موسى عليه السلام "لن تراني أي مع كونك تراني على الدوام فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥) كل شيء وجدته حاجزًا لك عن الفحشاء والمنكر يوجد العدل والإحسان فهو الصلاه في كل مقام بحسبه "وجعلت قرة عيني في الصلاة "فهو السر الفعال في كل مرتبة صلاتية، والصلاة صلة بين العبد وربه ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ وهو شهود ذاته، وحده لا شريك له لم يكن شيء غيره فافهم، وكان يقول: في قول الجنيد رضي الله عنه لون الماء لون إنائه حين سئل عن المعرفة والعارف، هو على قسمين أحدهما أن الماء على لون، وإناؤه لا لون له كالأواني الشفافة الساذجة من الصبغ فيكون الإناء مشهودًا على لون مائه، والثاني عكسه فيكون الماء مشهودًا على لون إنائه، وفي الأول المشهود هو لون الماء، والوهم في تشبهه في الإناء، والثاني عكسه فليس التحقيق إلا في الأفراد كل حقيقة بنفسها في كل مقام بحسبه فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: في قوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ (فصلت: ٥٤) أي كإحاطة ماء البحر بأمواجه[1] معنى وصورة فهو حقيقة كل شيء وهو ذات كل شيء وكل شيء عينه، وصفته فافهم، وكان يقول: العارفون يظهرون مواجيدهم للناظرين في مرايا الأدلة المقبولة عندهم، والنظار يأخذون مواجيدهم من تلك الأدلة المقبولة فافهم، وكان يقول: من وجد ثم بحث كان بحثه عيبا في كل مقام بحسبه فافهم . وكان يقول: متى جردت الحقائق عن اللواحق، والنسب، وأفردت عما به تتمايز الرتب لم تكن إلا دأبا فقط فإن ذقت حقيقة التحقيق فمن ثم فخذها بقوة فافهم .وكان يقول: التغاير أم الحجب والتكاثر فافهم، من لم يشهد إلا واحدًا فليس عنده زائد، ومن لم يشهد إلا حقا فاعل في خلق قابل ليس عنده باطل، ومن لم يشهد إلا أمر الرحمن ليس عنده أمر الشيطان، وقس على هذا فلكل مقام مقال فافهم، وكان يقول: من علم أن لا إله إلا الله لم يبق لأحد عنده

(١) قلت: هذا التشبيه إنما هو تقريبي للعقل لكي يفهم نسبة الإحاطة الإلهية، وأما من حيث الحقيقة فهو تشبيه قاصر، إذا لا أحد يحيط بالله سوى الله فافهم.

ذنب سيما لمن يعترف بذلك ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ (محمد: ١٩) أي بلا إله إلا الله، وكان يقول: في حديث "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني "أي مهما تصورني به من الصور كنت ممده من أفق تلك الصورة بحكمها فافهم، وكان يقول: ما عبد عابد معبودًا إلا من حيث رأى له وجهاً إلهيا ولكن الكامل يدعو ناطقة النواطق إلى الانطلاق من قيد وجه إلهي محجوب بمرتبة مألوهه سيما وألوهيته منكورة في النظر الآدمي، وأطال في بيان ذلك، وكان يقول: انظر إلى مراتب التعابد كيف كل منها محتاج في ظهوره إلى الآخر الذي يقابله فلولا الواجب ما ظهر الممكن ممكناً، ولولا الممكن ما ظهر الواجب واجبا فلكل واحد أثر في الآخر كالعلة، والمعلول، والفعل، والمفعول والعالم والمعلوم. وسئل رضي الله عنه عن قول فرعون "وما رب العالمين "هل هو سؤال عن ماهية الله تعالى كما يقال وهل عدول موسى عليه السلام عن الجواب المطابق كما زعموا تنبيها على غلط السائل في سؤاله عن المجرد الحقيقي بما التي تطلب حقيقة ماله جنس، وفصل يجاب بهما عنها .فأجاب رضي الله عنه هذا سؤال عن ماهية صفة من صفات الله لا عن ماهية الله، والجواب مطابق رسمي لأنه أجاب بالخاصة المعلومة عند السائل، ويمكن أن يكون جعل الجواب تفسيرًا للفظ تنبيها على أن المسمى معروف بوضوح أدلته معرفة ضرورية لكل عاقل فلا يسأل عنه إلا متعنت أو من لا يعقل، ولذلك قال في الثالثة "إن كنتم تعلقون "فقيل هل في ذلك سر؟ فقال رضي الله عنه فيها أسرار :منها أن رب العالمين هو القائم على كل كائن بتربيته حتى يقوى ذلك الكائن، ويقول: من توجهت قواه لتربيته فهو وجود الكل، والأمر له جميعاً، ومن ثم توجه قول فرعون : ﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (الشعراء: ٢٩) الآية، وحفظ له موسى حرمة مشهده فلم يجبه بأكثر من قوله : "أولو جئتك بشيء مبين "فجاءه بعصا ظهرت ثعباناً، وهو وجودها المتعين بها فما جاء بمجيئها إلا هو فهو متصرف بذاته في حجب تعيناته، ومظاهر تجلياته فجاء بالحق المبين حيث جاء "لقد جاءت رسل ربنا بالحق "فكان فرعون شاهدًا بلا أدب، وموسى شاهد حي وأين قول فرعون له :﴿إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا

مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ (الإسراء: ١٠١) من قوله : ﴿لَقَدْ علمْت﴾ أي المسحور، والمجنون المستور المحجب، ولا يعلم ذلك إلا مشاهد عارف بأن مشهوده مستور عن سواه، وهكذا حين قال السحرة: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾فتمنوا على ستر تغطية استعداداتهم في كل مقام بحسبه فكانوا سحرة، وطلبوا المغفرة ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ﴾ فانظر كشفه وتحفيته ها لو سلم من المدل إلى التلبس[1] الذي سر شأن مرتبة الإبليسية فأضله الله على علم : ﴿ولقدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وأبىٰ﴾، ﴿واسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾، ﴿قَالَ لَقَدْ علمْت مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ والأرضِ بَصَائِرَ﴾، أي وجود الحق المبين ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال فافهم، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: لا يسود أحد قط في قوم إلا إن آثرهم، ولم يشاركهم فيما يستأثرون به في كل مقام بحسبه فافهم وكان يقول: كنية الشيطان أبو مرة تدري من هي المرة الذي هذا أبوها هي النفس الجسمانية ذات الشؤون المنكرة شهوة بهيمية فلا هي حرة، وغضب كلبي سبعي فلا هي برة، تدري لم سميت مرة لأنها ما دخلت في شيء إلا أفسدته كما يفسد الحنظل اللبن فافهم. وكان يقول في حديث: "فإذا أحببته كنت سمعه "وفي رواية "كنته "ليس المراد به معنى الحدوث في نفس الأمر لأنه كذلك بالذات، وإنما ذلك ليكون الشهود مرتبا على ذلك الشرط الذي هو المحبة فمن حيث الترتيب الشهودي جاء الحدوث لا من حيث التقرير الوجودي فافهم، وكان يقول: لا تهجر ذات أخيك، ولكن اهجر ما تلبس من المذمومات فإذا تاب من ذلك فهو أخوك فافهم، وكان يقول: لا تعب أخاك بما أصابه من معايب دنياك فإنه في ذلك إما مظلوم لينصرنه الله أو مذنب عوقب فطهره الله أو مبتلى قد وقع أجره على الله فافهم، وكان يقول: من الرعونة أن تفتخر بما لا تأمن سلبه أو تعير أحدًا بما لا يستحيل في حقك، وأنت تعلم أن ما جاز على غيرك جاز عليك، وعكسه فافهم . وكان يقول: في حديث "إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا"[2] لما كان ظاهر هذا هو الموت الطبيعي استصعبه الغافلون، واستهونه المشتاقون فخفف عن الطائفتين بتوجيهه إلى الموت

(١) أى التلبس بصفة الألوهية فافهم.

(٢) أى تميتوا طبيعة النفس فيكم وتقتلوا طبيعة الهوى والجبلة.

المعنوي فقال :" موتوا قبل أن تموتوا "أي جردوا نفوسكم من الصفات المذمومة تقيلوها، ويؤيده قول عمر رضي الله عنه في البصل فإن كنتم لا بد آكليها فأميتوها طبخا يعني اطبخوها حتى يذهب خبثها فافهم، وكان يقول: الشيطان نار، وحضرة الرب نور، والنور يطفيء النار فلا تجاهده بأن تبعد معه عن حضرة ربك الحق، ولكن جاهده بأن تواجهه بنور ربك فإن كان له نصيب في السعادة انطفأت ناريته، وعاد نورًا مسلما لا يأمرك إلا بخير، وإلا أطفأه نور ربك وأحرقته شهبه فعاد رمادًا فافهم، وكان يقول: في حديث ابن عمر إنه عليه السلام قال له "عد نفسك من الموتى "يعني كن بحيث ييأس منك كل كفور كما ييأس الكفار من أصحاب القبور لأن الميت لا براح له من المثول بين يدي الله تعالى لا يتصرف لنفسه في شهوة، ولا غضب، ولا يرى سوى ربه كيفما انقلب فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: سبيل الله طريقه من مات فيها فهو شهيد فالمؤمنون كلهم شهداء في سبيل الله "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء "الآية فافهم، وكان يقول: قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه المحبة قطب، والخيرات كلها دائرة عليها فافهم، وكان يقول: في معنى حديث :" لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك "أي هو عند الله مرضى رضا يعبر عنه بأنه أطيب من ريح المسك لو لطخ المكلف به فمه تقرباً وتطيبا للعبادة فافهم، وكان يقول: لا يظهر إمام هدى لمأموميه من الأفعال إلا ما فيه كما لهم، وأما الخصوصيات فإن أظهرها ففائدتها إعلام المأمومين أن لإمامهم خصوصيات باطنة ليس لغيره في وقته مثلها فيقوى به إيمانهم، ويعلمون أنهم ليس لهم منه بدل فافهم، وكان يقول: إذا وجدت من يدعو إلى الله فأجبه، ولا يصدنك كونه من الطائفة التي انتميت إلى غيرها فبمثل ذلك صد الأشقياء قبلك فقال اليهود لو جاء محمد منا لاتبعناه لكن جاء من العرب فلا نتبعه، وندع أمر بني إسرائيل فكان الجن أعقل رابطة منهم وأفقه حيث قالوا : ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾ (الأحقاف: ٣١) الآيات، واعلم أن الحقيقة الداعية إلى الله تعالى في كل دور هو صاحب وقته ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ (يوسف: ١٠٨) وكل الدعاة في زمنه إنما

هم رقائقه وألسنة ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ وعلامته اندراج بياناتهم، وكشوفاتهم في كشفه، وبيانه، واختصاصه عنهم بما لا سبيل لهم إليه إلا بإمداده، وفيضه[1] فافهم، وكان يقول: ألق حبلك، وأسبابك، وما اعتمدت عليه من معلوماتك ومعمولاتك بين يدي الداعي إلى الله تعالى حتى يلتقمها حكمه، وحكمته فلا يبقى لك عمدة إلا على حقه، ولا توصل إلا بصدقه ليسري بك إلى ربك في حالة محو نفسك ليلا، ويخرجك من مواطن تحكم العدو إلى مقامات حكم المولى فهناك لا تزلزلك الزلازل، وإن اشتدت هؤلاء كما قال :أصحاب موسى :" إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين "فكان من حكمة ربه لقومه الذين أسرى بهم ما كان فافهم كما خرج موسى من مدينة فرعون خائفا يترقبُ مستغرقا في ربه فأفضى أمره إلى مقام المناجاة جرت تلك السنة على اتباعه فأسرى بعباد الله من أرض فرعون خائفين يترقبون مستغرقين في نور إيمانهم فأفضى أمرهم به إلى مقام النجاة فافهم .

وكان رضي الله عنه يقول: إنما خرق الخضر عليه السلام السفينة بركابها لحكم منها أن يبين لهم أن السفينة لو كانت حاملة بألواحها، ودسرها لغرقوا عند خرقها ولكن مكرمهم هو حاملهم في البر والبحر فسواء وجودها وعدمها عند صاحب اليقين الكامل ولهذا مشى على الماء من كان هذا يقينه[2]، ولو أراد المشي على الهواء أيضاً ، وكان يقول: إذا رأيت أن الخضر عليه السلام قسمت له الحياة إلى إدراك الزمن المحمدي فما طلب موسى بفتاه السبيل إليه إلا من باب معنى قول القائل :لعلي أراهم أو أرى من يراهم فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: إنما لقي موسى عليه السلام الخضر بفتاه ليجمع لفتاه بين بحر الرسالة من نبوته، وبحر الولاية من خصوصية الخضر عليه السلام، والسر في ذلك أن حكم الولي مع حكم الرسول الذي يلزمه شريعته كحكم النجم مع حكم الشمس، وذلك كما أن النص إذا وجد اندرجت أحكام الاجتهاد كلها تحته، وكان الحكم حكم النص، وإذا غاب

(١) ويقصد به القطب الفرد الجامع، فإن هذه أوصافه فافهم.

(٢) قلت: هذا المشهد لأصحاب الفناء الكامل التام الذين آيتهم «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى».

النص رجع كل مجتهد إلى حكمه فكما أن حكم كل مجتهد في حياة النبي مندرج في حكمه إن أثبته ثبت، وإن نفاه انتفى كذلك حكم ولى مع رسول، وأما في زمن أبي بكر، ومن بعده من الخلفاء فلكل مجتهد حكمه لا يلزمه اجتهاد غيره فهكذا كان أولياء بني إسرائيل في حياة موسى مندرجي الحكم في حكمه فلما دنت وفاته، وتوارى شمس رسالته بحجاب خليفته الذي يستخلفه بعده، وكان ذلك الخليفة هو فتاه الذي قصد به الخضر عليه السلام علم أن أحكام أهل الولاية ستظهر في زمان ذلك الفتى فأراه كيف يكون معاملته لهم إذا ظهر في زمن خلافته، وجمع له بين أمري الرسالة، والولاية فقال لفتاه "لا أبرح "أي لا أموت "حتى أبلغ مجمع البحرين " أي فيك "أو أمضي" حقبا "أو أعيش إلى أن يحصل ذلك، ولو عشت حقبا ﴿فلمَا بلَغا مجْمَع بيْنِهما نسِيا حوتهُمَا﴾ (الكهف: ٦١) ثم كان من الأمر ما قص الله علينا في الكتاب فعلمه أن يسلم للأولياء باطناً، وإن اقتضى الشرع إنكار شيء من أمرهم أنكره ظاهرًا على جهة الاستعلام كي لا يتشبه بأحكامهم من ليس في مقامهم، وإلا فما لموسى كف عن الخضر بتلك المعاني التي أبداها الخضر فإن مثلها لا تسقط به المطالبة في ظاهر الشرع فمن خرق سفينة قوم بغير إذنهم، وقال خرقتها لئلا تغصب لم تسقط المطالبة بذلك ظاهرًا، ومن قتل صبياً، وقال خشيت أن يرهق أبويه طغياناً، وكفرًا لم تسقط عنه المطالبة بذلك في ظاهر الشرع، وقول الولي ما فعلته عن أمري ليس مسوغا لمثل هذه الأعمال في الحكم الظاهر، وإن تحققت، ولايته فما كان الإنكار من موسى أولا إلا حفظا لنظام الشرع الظاهر ثم كف آخرًا حفظا لرعاية أمر الله في أوليائه وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع، وهو شهيد، وكان رضي الله عنه يقول: في قصة موسى، والخضر يعني أن للحق عبادًا أقامهم لبيان المكتسبات، وعبادًا أقامهم لبيان الموهوبات ليس لأحدهما أن يعترض على الآخر، ولا يشاركه فيما أقيم فيه وإن كان أحدهما نبياً، والآخر وليا فافهم، وكان يقول: الجبال أمثال الرجال فكما أن الجبال لا يزيلها عن مقيلها من الأرض ما دام العالم إلا الشرك فكذلك الولي ما يزيل همته عن قلب من آوى إليه إلا شرك خالص

موضع المحبة من قبله بغير ولاء ربه ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ (إبراهيم: ٤٦) فلا يفلت الولي قلب مريده من يده سوى الشرك لا تقصير، ولا غيره فافهم.وكان يقول: لفظة "ما "في قول الخضر لموسى؟ "ما فعلته عن أمري "موصولة، وأمره شأنه لأن تلك الأفعال كانت من أحكام روح الإلهام الولائي فافهم، وكان يقول: الخضر عليه السلام مظهر عرفاني[1] رأى فيه موسى عليه السلام حين وجوده ما سأل في مقامه العرفاني أن يراه في شهوده، وذلك المظهر كان منه، وإليه فافهم، وكان يقول: مـ من كامل في رتبة إلا وهو جامع لكمالات ما دونها، وفقير لكمالات ما فوقها فافهم إلى أن ينتهي الأمر إلى من له المنتهى، وليس وراءه مرمى والله أعلم .

وكان يقول: النفس ما له الإدراك والروح ما به الإدراك في كل مقام بحسبه، ومن هنا سمي القرآن روحاً، وعيسى روحاً، وجبرائيل روح الوحي النبوي المرسل في المعاني الجلالية، وميكائيل روح هذا الوحي في المراتب الجمالية، ولذلك كانت آية إلياس النار تسير معه حيثما سار، وأما الخضر فإنه جلس على الأرض اليابسة فاخضرت وحيث جمع لموسى بين النار والشجرة في تجليه، وتم له ذلك ظهر له عين الأمرين في إلياس قومه وخضرهم، ولذلك كان إلياس للأولياء كجبريل للأنبياء وكان أكثر من يراه أصحاب المجاهدات والخضر لهم كميكائيل، وأكثر من يراه أصحاب المشاهدات، ولا يظهران لأحد إلا متمثلين من غيبه إلى شهادته، ويراهما كل أحد بحسب حاله، ومقامه، ويراهما في الآن الواحد جماعات متفرقون في أماكن متباعدة على هيئات مختلفة ولا يظهران معا إلا لمن له روح كمال ذات جلال، وجمال فافهم، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: في صلاة النبي ﷺ خلف عبد الرحمن بن عوف إشارة إلى أن المتبوع في المعنى قد يكون تابعا في الصورة كغاية الشيء له فلا يلزم من الإتباع الظاهر فضيلة المتبوع على التابع في الباطن، وقد أوحى إلى نبينا ﷺ : ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ (النحل: ١٢٣) مع

(١) قلت: وهو مظهر حقيقي أيضاً، وقد صنفت في حقه كتابي «الجواهر فيمن رأى الخضر من الأكابر» وقد اجتمعنا به ﷺ في مبشرة وأعطاني شيخنا كمال عمر الأمين خاصية في سر لقائه وهي عندي.

أنه القائل "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة "حتى إبراهيم يقول في ذلك اليوم: اجعلني من أمتك فافهم، وكان ﷺ يقول: الحظوظ الدنيوية زبالة فمن أظهر للناس ما عنده من الخصوصيات الربانية ليتوصل بذلك إلى تحصيل حظوظه الدنيوية منهم فقد برطل بالمملكة كلها على أن يصير زبالا، وقد وقف عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بأصحابه على مزبلة حتى أضجرهم فقالوا :مالك حبستنا هنا فقال هذه دنياكم التي تتنافسون عليها، وكان يقول: كل ما أرضى العارف بالله أرضى معروفه، وكل ما أغضبه أغضب معروفه كما جاء في الحديث: "إن الله يرضى لرضا عمر، ويغضب لغضبه "وجاء مثل ذلك في حق فاطمة، وبلال، وعلي، وسلمان، وخبيب؛ فاعملوا أيها المريدون على أن يرضى عنكم العارفون وينبسطوا إن أردتم رضا ربكم، وبسط نعمه عليكم، واحذروا فإن العكس في العكس من ذلك، واسألوا الله توفيقكم لذلك، وكان يقول: التكليف والاختبار من الحق قرين الاختيار، ودعوى الاقتدار من الخلق، فمن عجز وسلم لم يكلف، ولم يختبر. **قلت:** وقوله لم يكلف أي لم يجد مشقة في التكليف فافهم وكان يقول: صلاة تنتج الدعوى رعونة، ونوم ينتج التقوى معونة[1] فافهم، وكان يقول: لسان الكسب يقول: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾، ولسان الوجود يقرأ "ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها "، فافهم، وكان يقول: من استضعف لإيمانه فعاقبته التمكين، وعلو الشأن ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥) الآية، ومن كبر بإجرامه رد أمره إلى صغا ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (الأنعام: ١٢٤) الآية، وكان يقول: جميع ما أفاده المفيد للمستفيد إنما هو في الحقيقة لنفسه أن العبد من مولاه عبد القوم من أنفسهم، وما من الله إلا وإليه فافهم، وليس يفهم عني غير إنائي، وكان يقول: في حديث "لا تقوم الساعة، وعلى وجه الأرض من يقول: الله الله "أي عارف بالله" حقا فوجود العارف بالحق بين الخلق أمان لهم من قيام القيامة ذات الأهوال عليهم فافهم وكان

---

(١) فرب عارف نائم خير من محجوب صائم قائم ولله فى خلقه شؤون.

يقول: ما عبد الله أحد إلا على الغيب لكن فتح لك الشرع الذوقي في الذوق الشرعي المحمدي ً بابا إلى الجمع بأن تشهد كل شيء من معبودك حتى عبوديتك فتراه هو الذي يجري تلك الأحكام عليك ويقيمها فيك بقيوميته فتصير عند شهودك هذا تعبده كأنك تراه لأنك لو رأيته رأيته، وجودك القائم بجميع صفاتك، وسمي اللسان المحمدي هذ الشهود مقام الإحسان، وليس بعده إلا مقام الإيقان، وهو العيان فافهم، وكان يقول: لا يحل لأحد أن يمكن الخلق من تقبيل يده، ورجله إلا إذا صحبه من الحق ما صحب الحجر الأسود من حفظ عهد الحق تعالى في الخلق، وقصد الله وحده، والتطهر من لوث تحكم الوهم البهيمي، وعدم الشهوة المغفلة، والحظوظ المشغلة، والرعونات المضلة، وتحمل خطايا الخلق ولا يبالي أن يسود، ويذكرهم بربهم فيبيض قلوبهم فمن جمع هذه الصفات فهو يمين الرحمن لهم في الأرض ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ "فافهم، وكان يقول: لكل زمان واحد لا[1] مثل له في علمه، وحكمته من أهل زمانه، ولا ممن هو في زمان سابق على زمانه لأنه سبقه زمان آخر، ولسان هذا الواحد في زمانه يقول لتلامذته: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠) لأنهم أخذوا عن إمام لم يتقدمه مثله، ولم يعاصره نظير، وإن للمأموم حكم إمامه فإن قال لهم ذلك بلسانه فذلك منه حق وصدق، وإن قال ذلك وليس هو من أهل ذلك المقام كذبه الحال فيما قال : " والحق أحق أن يتبع "فافهم، وكان يقول: لا يرى الحق تعالى في الآخرة بلا حجاب إلا أهل التنزيه المطلق، وهو تجريد التوحيد عن شريك يقابله أو يشوبه لشهودهم الأحد أحدًا لا شريك له مطلقا ً، وهذا هو سر العيان الذي يستحيل معه الحجاب فافهم، وأما أهل التنزيه المقيد فلا بد لهم من حجاب كما أشار إليه حديث "وما بين أهل الجنة، وبين أن يروا ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن "وهؤلاء هم الذين ينكرون الحق يوم القيامة إذا تجلى لهم في غير معتقداتهم، وسئل رضي الله عنه عن

(١) وهو الغوث، وقد يكون من الأفراد، وهم طائفة من الأولياء أعلم بالله من الغوث، وهم خارجون عن نظره.

مريد ادعى أنه شهد كمال أستاذه ثم أراد السفر عن حضرته لزيارة مكة أو المدينة أو بيت المقدس، واستدل على ذلك بسفر عمر رضي الله عنه من حضرة النبي ﷺ إلى مكة لوفاء نذره فقال :رضي الله عنه المريد الصادق أول ما يشهد في شيخه الكمال يجده في حضرة الحق التي بها أرواح أئمة الهدى أجمعين بالنسبة إليه فكيف مع هذا يفارق تلك الحضرة لمواضع آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام التي هي دون الحضرة التي شهد أستاذه فيها وكيف يشتغل عن بيت وضعه الحق لنفسه ببيت وضعه للناس أو عن مجالسة مظهر أرواح الأنبياء، والتلقي عنها مواجهة مشافهة بآثار أبدانهم، وأفعالهم، وأما سفر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنما كان امتثالا لأمر الله عموما حيث قال :" يوفون بالنذر "ثم لأمر رسول الله ﷺ خصوصا حيث قال :" يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف في المسجد الحرام قال أوف بنذرك "وحسبك إشارة أن عمر رضي الله عنه لو كان يعرف مقام رسول الله ﷺ يوم نذر ذلك لم ينذره، وقدم مجالسته لرسول الله ﷺ على كل شيء ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ إلى قوله ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ﴾ فانظر مع الاستئذان، والإذن في ذهابهم لبعض شأنهم الذي احتاجوا إليه كيف احتاجوا إلى الاستغفار لهم، ولم يكف فيه استغفارهم لأنفسهم فليس لمريد صادق أن يفارق إمام حضرة هدايته أبدًا. **قلت:** ويتعين استثناء الحج المفروض من كلام الشيخ رحمه الله تعالى، وكان يقول: في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ جمع الله تعالى له بين الكلمة العلمية، والروح الإرادية، وقال :" فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويا "فالروح هو الذي غلب بحكمه العلمي على النسمة[1] الكائنة من مريم فكان بها متمثلا، ولذلك قال :" وما قتلوه "لأن الغالب عيه صورة الحياة فالقتل عليه محال، وإن وقع على النسمة المتمثل بها حكم من الأحكام اللائق بها فلذلك لا يؤثر في المتمثل بها

(١) أى الروح.

أصلا لأن ما بالذات لا يزول بالعرض حقيقة، وإن توارى بحكم آخر يخالفه فذلك بالنسبة إلى من لم يدرك منه إلا ذلك الحكم الذي توارى به، وربما يقول هذا فكيف صح أن موسى عليه السلام فقأ عين ملك الموت فرجع إلى ربه فردها عليه فالجواب أن هذا الملك روح طبيعي تمثل في صورة طبيعية فلم يبعد عنه ذلك لأنه من عالمه، ولو لم يكنْ طبيعيا لكان الفقء لم يقع إلا في المثال فقط ثم تمثل بمثال آخر، وأبدل مكان العين المفقوءة عينا سليمة، وأطال في ذلك وكان رضي الله عنه يقول في معنى قول بعض الصوفية: إن الحق ذات كل شيء، والمحدثات أسماؤه انتهى معنى الأول أن كل شيء لا يقيمه، ويوجده، ويحققه إلا الحق لأن الذات هي المقومة المحققة للعرض، ولما كان الحق من المحدثات بهذه المنزلة هو قيومها الذي لا قيام لها دونه أطلقوا عليه ذاتها، وأما كونها أسماؤه فلأنها دالة عليه دلالة لازمة ذاتية لها كما هو دلالة المفعول على فاعله، والاسم ما دل بذاته على ما وضع له فمن ثم سموا المحدثات أسماء لقيومها الذي أوجدها فافهم، وكان يقول: من أراد أن ينقاد[1] له العالم انقيادًا ذاتيا فلا يطلب إلا الله تعالى وذلك أن الإنسان المخلوق على صورة الكمال يطلبه جميع المخلوقات كما يطلبون الرحمن لأنه نائبه في الكون فافهم، وكان يقول: من شأن الذات الإطلاق لذاتها، وتساوى النسب لصفاتها، ومن ثم لا يشعر موجود بإطلاق إلا كان بذاته أحن إليه من التقييد وأطال في ذلك .

وكان يقول: إذا صفت الأرواح صارت تهم أن تنفذ من أقطار السموات والأرض لتفارق حكم عالم الكثافة والغير إلى حكم عالم اللطافة ومحض الخير ويمانعها حكم كونها الترابي الجسمي فيحصل الرفض، والتردد، وربما صحب صاحبها حسرة على عدم خلوه عن العوائق عن ذلك فيثور هنالك عويل، ولطم، وبكاء، وعنف في الحركة، وتمزيق في الثياب، والجلد، وربما قوى حال النفس

(١) هذا الكلام خاطئ في حق الإنسان الكامل، لأن الإنسان الكامل بلا نفس ولا يريد من الله سوى الله فقط، وأما إذا كانت نيته انقياد العالم له فقد سفلت همته ولا يصح له كمال فافهم، واعلم أن من أراد الله عز وجل لحظ نفسه لم يصل إليه ولا يصح له وصول.

عليها ففارقت بدنها المعارف، وحصل الموت وأطال في ذلك .وكان يقول: كلما كان حادي القوم مناسبا لهم في عشقهم وحالهم كان أكثر تأثيرًا فيهم، وكان يقول: من شأن الإمام الهادي أن لا يغفل عن تطهير قلوب المريدين الطائفين على مظاهر الحق "أن طهرا بيتي للطائفين والقائمين "أي بالقسط "والركع السجود "بالاقتراب الإيماني الحسي، وأطال في ذلك، وكان رضي الله عنه يقول: أهل كل ولي من جاءه بقلب سليم من الحظوظ، والشهوات البهيمة ألا ترى أن أهل العروس ليس إلا الذين لا ينظرون إليها بشهوة بهيمية إما والد أو أخ أو عم، وأما الزوج فإنما ينظر إليها بإرادة أمرية لا بشهوة بهيمية وقد نهيت النساء من إظهار وجوههن، وظهورهن، وما يخفين من زينتهن إلا لقرابة أو غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، وهم أمثال الضعفاء العقول المقلدين بالتصميم لأهل النظر القاصر عن إدراك الحقائق فهكذا حال كل مريد جاء إلى حضرة أستاذ بالصدق كان من أهله وعليه تنكشف عورته[1] وتتجلى أسراره، ومن لا فلا فافهم، وكان يقول: اطلب من نفسك الصدق في معرفة خصوصية أهل التخصيص ومحبتك لهم تنل منهم ما تريد، ولا تطلب منهم أن يشغلوا قلوبهم بك، وتهمل أنت أمر نفسك فإن ذلك قليل الجدوى، وكان يقول: الأسباب للأمور الناشئة عن الكسب كالماء للزرع متى انقطع عنه الماء مات، وكذلك المتفكرون متى تركوا التفكر عطلت معتقداتهم النظرية، وكذلك المتقشفون متى تركوا تقشفاتهم بطلت تأثيراتهم الكونية، ومكاشفاتهم الصورية فافهم، وما كان وهبا من الله تعالى فهو باق، وكان رضي الله عنه يقول: من كتم سره ملك أمره، ولم يكتم شيئا من أظهر من الأحوال ما يدل عليه فلا تظهر لقومك إلا ما تعرف منهم قبوله منك ﴿لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ (يوسف: ٥) الآية وكان يقول: حقيقة الشكر الكامل أن يشهد العبد شكره لله تعالى من الله، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه فافهم، ولا يشكر الله حقيقة إلا الله، والعبد عاجز عن ذلك، وكان رضي عنه يقول: إذا

(١) وقد أخبرنى الشيخ محمد أبو بطانية بالصعيد أن المريد الصادق ربما فاق شيخه فى حياته واطلع على أحوال شيخه، وربما أطلعه الله على بعض أحوال شيخه التى قصر فيها، فهنا يجب أن يستر شيخه ولا يفشى سره.

علمت من أستاذك الاطلاع على جميع أحوالك فقد عرضت عليه صحيفتك فقرأها فإما يشكرك، وإما يستغفر لك ربك فاسمع لهذا، وأطع، وإن أعطاك الله تعالى أنت بصيرة علمت بها ذلك فقد أوتيت كتابك تقرؤه فإن علمت بما فيه من الصالحات فقد أوتيت كتابك بيمينك، وإن خالفت ما فيه فقد أوتيت كتابك بشمالك، وإن أغفلت النظر فيه فقد أوتيته، وراء ظهرك، وحيث جاءك هذا البيان فاقرأ كتابك، وحرر حسابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: أئمة الهدى في أمان الله عز وجل، وإنما يبكون، ويتضرعون لأجل اتباعهم إما ليعلموهم كيف يعملون، وإما أنها شفاعة غيبية فافهم، ولا شك أن التعليم أيضا شفاعة فمن تعلم وعمل فقد قبلت فيه الشفاعة فانتفع، ومن لا فلا "فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين". وكان يقول: الكشف من ربك العليم، والغطاء من وهمك البهيم فلا تستعن على الكشف بوهمك فإنه لا يزيدك إلا غطاء ولا تخش من ربك منعا عند صدق توجهك لجوده فإنه لا يوجدك إلا إعطاء فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: لما كانت حواء مظهر صورة شهوة آدم الباطنة كانت المرأة لا ترى قط إلا شهوة جسمية لا تدري ما فوق ذلك، ولا تتوجه همتها إلى أعلى منه[1]، ولا تنظر قط في العواقب، وإنما تسرع إلى ما حرك الوهم البهيم شهواتها إليه، وكان يقول: كم شيء كمال في الخلق نقص في الحق كالأزواج والذرية فإن قيل لولا الزواج ما حصل النتاج فقل لهم بل كان يحصل من حيث حصل في آدم عليه السلام ولكن محض التعريض للأسباب هو أكلة النهي الموجبة لتسليط ما في الضرورات من لعقاب فافهم وكان يقول: في قوله تعالى : ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف: ٣١) المراد بالزينة هنا المكارم، والمحامد، والفضائل فهذه هي الزينة للنفوس الآدمية، وضد ذلك من زينة البهائم، والمراد بكل مسجد هو كل هاد للخلق بنوره، ومرشدهم إلى حسن العبودية فافهم قال الله تعالى : ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف: ٢٦) الآية، وكان يقول: الحق مفطور على صورة الحق فهي حياته وشبابه فإذا أهرمته عوارض الحجب، والغفلات

(١) قلت: هذا خلافاً لكاملات من النساء العارفات أمثال مريم البتول وفاطمة الزهراء ورابعة وغيرهن من كمل النساء، اللاتى بلغن رتبة الفناء عن الكون فى المكون.

صار سمندل نار إذا ألقي به فيها رجع شبابه فافهم، ولا تصح صفة المحبة لعبد، وهو بخيل أو عاص أو عنده عجلة بلا حلم، وكان يقول: ما سمي القلب قلبا إلا لأنه في العلم الأزلي حق بطن في قوته خلقه فانقلب في العلم الأبدي فصار خلقا بطن فيه حقه فهذا الحق في الأزل بيت عبده، وهذا الخلق في الأبد بيت عبده، وكما ظهر الخلق بالحق أزلا كذلك ظهر الحق بخلقه أبدًا، وأطال في ذلك، وكان ﷺ يقول: إذا كان للحق بعبده عناية جعل سبب شقاء الأشقياء من أسباب سعادته يذنب فينكسر، ويستحي ويتذلل ويذوق طعم الحجاب والبعد فيعرف قدر الوصل فيزداد شكرًا فتزداد فضلا والمعكوس منكوس ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (المائدة: ١) فافهم، وكان يقول في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ (الأنعام: ٦٨) الآية فيه إشعار بالإعراض عمن يخوض في حق الأولياء المكملين فهم من آيات الله تعالى الدالين عليه قال تعالى : ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ (البقرة: ٢٥٩)فافهم، وكان يقول: لما كانت الوكالة مشعرة بعجز الموكل عما فوضه إلى وكيله، وقدرة الوكيل عليه، ولو بوجه ما إذ لا بد من مانع له من مباشرة ما. وكل فيه سمي الرب وكيلا لعبده، ولم يسم العبد وكيلا لربه فافهم، وسئل هل لمريد الحق أن يتعاطى ما يشغله عن مراده فقال :لا فقيل فما الحكمة في إذن الشارع ﷺ لأمته في التزويج، وفيه من الشغل ما لا يخفى فقال لأنه لما رأى النفوس البشرية مجبولة على المغلوبية لعوارضها المزاجية أذن لها فيما يفك عنها غلبة تلك العوارض عليها لئلا تشغلها عنه، وشرط عليها مساس الحاجة قبل التعامل ليكون الشغل في ذلك به لا عنه ألا ترى قوله : ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (النساء: ٣) والعول الزيادة أي أدنى أن لا تميلوا عن مولاكم إلى ما دونه فمن تزوج بنية صالحة كان عابدا لله تعالى بتزوجه مع أن في ضمنه عصمة له من الزنا الذي هو أعظم الحجب عن الله تعالى فافهم، وأما من تزوج لمحض الشهوة فقط فذلك الذي يشغله الزواج عن ربه[1]، وكان يقول: مبدأ حقيقتك

(١) هذا الكلام خاص بمشربه هو، وهو رؤية خاصة به، وإلا فأين هو من كلام سيدى محيى الدين فى الفتوحات الذى قال فيه عن القطب إنه يحب النكاح ويكثر منه وهو يتزوج لغير الإنجاب بل لمجرد اللذة، وما المانع فى تلذذ الولى فى الحلال، وقد تزوج سليمان بثلاثمائة وستين امرأة =

الروحانية أحق بك من مبدأ حقيقتك الجسمانية فإذا علمت هذا فقدم أمر ربك الذي هو مبدؤك وقال عنك "فنفخت فيه من روحي "، فهو تعالى أحق بك وأرحم وأفرح بك من أمك، وأبيك، ومن كل شيء دونه صاحب الشيء أحق بشيئه فافهم، وكان يقول: من كان خليقته مرشدك ومربيك، فهو بحقيقته[1] ربك وهاديك، فاعرف يا مريد من هو مرادك، ويا تلميذ من هو أستاذك والزم تغنم فافهم، وكان يقول: علماء السوء أضر على الناس من إبليس لأن إبليس إذا وسوس للمؤمن عرف المؤمن أنه عدو مضل مبين فإذا أطاع وسواسه عرف أنه قد عصى فأخذ في التوبة من ذنبه، والاستغفار لربه، وعلماء السوء يلبسون الحق بالباطل، ويزيدون الأحكام على وفق الأغراض والأهواء بزيفهم، وجدالهم فمن أطاعهم ضل سعيه، وهو يحسب أنه يحسن صنعا فاستعذ بالله منهم، واجتنبهم وكن مع العلماء الصادقين وكان يقول: من المتفقهين تستفيد دعوى العلم بأحكام الدين ومن العلماء العاملين تستفيد العمل بأحكام الدين فانظر أي الفائدتين أقرب قربى عند رب العالمين فاستمسك بها وإذا قال لك المتفقهون: ماذا استفدت من الصوفية الصادقين فقل لهم استفدت منهم حسن العمل بما استفدت منكم من أقوال أحكام الدين، وكان يقول: نية القربات تصير العادات، والمباحات عبادات حتى إنك ترى الجبة الصوف على أهل الله تعالى أحسن من الحرير على غيرهم،

= وتزوج النبى ﷺ بإحدى عشر امرأة وتزوج على ﷺ وتسرى بأكثر من ٤٠ امرأة ونكح ابنه الحسن ﷺ ما لا يحصى من النساء عدداً، وفى الحقيقة أن الفانى تحدث له جمعية عظيمة بالحق أثناء جماعه لا يجدها إلا فى الجماع وقد تكلم على ذلك الإمام الشعرانى فى المنن وتحدث أنه تحدث له ترقيات كبيرة أثناء الجماع، لا يجدها إلا فى سواه.

وقد ورد فى كتابى «معجم من رأى رسول الله ﷺ فى النوم واليقظة» عن بعض الأولياء أنه اجتمع برسول الله ﷺ فرآه يشكر جداً فى النكاح وأن الله يثيب عليه الفاعل.

فمن هنا علمنا أن الولى الفانى إنما روحه هى التى تنكح لا جسده، فلا يثير ذلك عنده انشغالاً بغير الحق سبحانه لأنه فى كل حال مع الحق عز وجل.

وربما قصد الشيخ هنا من مقولته الذى يشغل نفسه بالنساء وأحوالهن الدنيوية ويختار الجمال وذوات الحسب على ربات الدين والتقى فيضيع عمره معهن هباء منثوراً.

(١) أى كأن أوامر المربى هى أوامر الرب نفسه، لا أن المربى هو عين الرب، فحاشاه أن يقصد ذلك.

وذلك لأنهم قصدوا بذلك وجه الله تعالى قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ (الشورى: ٢٣) فافهم، وكان يقول: بينك وبين أن لا تدرك أن تولى حب الدنيا ظهرك فافهم، وكان يقول: خاتم الأولياء على قلب خاتم الأنبياء، ومن علامته أن يتحقق مواجيد الأولياء كلهم، ويختص عنهم بوجده كما حقق خاتم الأنبياء مواجيد الأنبياء كلهم، واختص عنهم بخصوصيته فافهم، وكان يقول: ربما كان الواحد صديقا قطبا من جهتين باعتبارين، ولا شك أن الصديقية في ضمن نظام القطبانية[1] لأنها من مراتب دائرتها فافهم، وكان يقول: القطب مظهر نور الحق على الكمال الممكن لنوع الإنسان بحسب زمانه، ودائرته، والصديق مظهر نور القطب على الكمال الممكن لمثله، والنور ما به الكشف، والبيان، وتحقيق المعاني في الأعيان فافهم، وكان يقول: مجالس الأولياء العارفين محاضرات روحانية لا يعبأون فيها إلا بفصاحة اللسان الروحاني وهو تحقيق المعاني ذوقاً، وحسن تلقيها حقاً وصدقا فإذا صحت لهم هذه الفصاحة فلا عليهم إن فصحت ألسنتهم الجسمانية أوكلت أو لحنت[2] أو أعربت "إن الله لا ينظر إلى صوركم "الحديث وسئل عن المراد بقول الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه في حزب النور: وأعوذ بك من السبعين والثمانية[3] فقال المراد بالسبعين السلسلة التي ذرعها سبعون ذراعاً، وهي مظهر الفرق الهالكة، والثمانية هي إشارة إلى سبع ليال، وثمانية أيام حسوماً، وهذه السبعة هي مظهر أبواب جهنم، وكان يقول: لكل ولي خضر هو تمثل روح ولايته كما لكل نبي صورة جبريل هي تمثل روح نبوته يظهر لحسه من فوق نفسه فافهم وقال رضي الله عنه في الحديث الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال لعمر رضي الله عنه: " والذي نفسي بيده ما سلكتً فجا قط إلا سلك الشيطانً فجا

(١) وذلك لأن درجة القطبانية أعلى من درجة الصديقية، فليس كل صديق قطب والعكس صحيح بل يجوز أن يكون البدل صديقاً وكذلك الوتد.

(٢) فربما لحن الولى فى الظاهر ونطقه الباطنى سليم وكذلك الظاهرى، وهذا مثاله كمثال المعترض على أحد الأولياء فقال له ذلك الولى: إن أذنك هى التى تلحن فصحح نيتك مع الله تسمعنى جيداً انطق بلسان فصيح بغير لحن.

(٣) هى نوع من الكناية التى لا يعلمها سوى ولى كبير مثلهم فى مقامهم.

غير فجك "المراد بذلك صورته الروحانية التي هو بها ذلك المخاطب حين خوطب فلا يقال كيف غواه الشيطان في الجاهلية فافهم، وكان يقول: سيدي ووالدي صاحب الختم الأعظم فالشاذلي، وجميع الأولياء من جنود مملكته فهو يحكم ولا يحكم عليه من سائر الدوائر فلا يقال لنا لم لا تقرؤون حزب الشاذلي لأنكم من أتباعه فافهم. **قلت**: قد ادعي مقام الختمية جماعة من الصادقين في الأحوال، والذي يظهر أن لكل زمان ختما بقرينة قوله فيما سبق لكل ولي خضر، والله أعلم .وكان يقول: في قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ (آل عمران: ٩٦) الآية المراد به قلب آدم عليه السلام لأنه أول بيت وضع للرب في البشر، وهو أيضا بجسده مدفون تحت عتبة هذا البيت كما أعطاه الكشف[1]، وأما بنية الكعبة فهو مثال مضروب للقاصرين ليتذكروا به المعنى عند رؤية[2] مثاله فافهم، وكان يقول: الغذاء شبيه بالمغتذى في كل مقام بحسبه فالجسم غذاء الجسم، والروح غذاء الروح، والنفس غذاء النفس، والعقل غذاء العقل، والعلم غذاء العلم، والحق للحق، والخلق للخلق فافهم فإن أستاذك علم مكنون فلا يغتذى به إلا عالمك، ولا غذاء لعالمك إلا به، ولا بقاء لحي إلا بغذائه فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: الخنق في اللغة التضييق، والخانق الطريق الضيق، ومنه سميت الزاوية التي يسكنها صوفية الرسوم الخانقاه لتضييقهم على أنفسهم بالشروط التي يلتزمونها في ملازمتها، ويقولون فيها أيضا من غاب عن الحضور غاب نصيبه إلا أهل الخوانق، وهي مضايق، وكان يقول: لا تخرق حرمة من يحب أن يحترم إلا وفيك بقية من حكم مغايرتك للحق تحكم عليك بأنك قليل الأدب لأنه ما أحب أن يحترم في ذلك المظهر إلا الحق بالحقيقة، وما إذا لم يكن فيك شهود بقية من حكم الغير فالأمر منك إنما هو من الحق لنفسه فانظر ماذا ترى ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ (القيامة: ١٤ ـ ١٥) فافهم، وكان يقول: الولد متى قدر على الكسب، وصلح له سقطت مؤنته عن أبيه، والعبد أمره لا يخرج عن

(١) أى كشف له أو لغيره من أهل الولاية بأن آدم مدفون تحت عتبة البيت الحرام.

(٢) ولذلك لم ينشغل بعض العارفين برؤية الكعبة كرابعة وأبى يزيد، وكانت رابعة تقول عن الكعبة: ما هذا الصنم الذى انشغل به الناس عن الله.

سيده بسبب فالزم العبودية لمن كان هو عبده فغنم، وكان يقول: إذا رأى العارف أنه عين معروفه فلا عليه بأس في تعظيم العباد له. **قلت:** ومعنى كونه عين معروفه أن يتخلق بصفاته التي أمره بالتخلق بها وهذا مبني على أن الصفات عين لا غير فافهم، وكان يقول: كيف تتحقق بمن لا شيء معه ولم يكن شيء غيره وأنت عندك شيء غيره كائن معه فإن وجود الأول مشروط بفقد الثاني أو ملازمه فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ارقبوا محمدًا في عترته أي اشهدوه بهم فإن وجدتم منهم ما يشق عليكم فسلموا، وارضوا كما لو جاءكم ذلك منه مواجهة لكم ثم لا تجدوا في أنفسكم حرجا مما قضوا، وسلموا تسليما ، وإن وجدتم منهم ما يعجبكم فاشهدوه منه فيهم كي لا تحجبوا عنه بهم وتحبونهم دونه، وتنسونه بذكرهم فما هم في الحقيقة منه إلا كالبشر السوي من الروح المتمثل به، وهل الفرع في الحقيقة غير صله، وهل ثمراته إلا منه فافهم، وكان يقول في معنى حديث "كنت كنزًا لا أعرف: "يعني مرتبة التجرد " فأحببت أن أعرف فخلقت خلقا ، أي قدرت أعيانا تقديرية، وتعرفت إليهم أى ودللتهم على كل منها بكل منها فبى عرفوني أي لأني أنا الكل هذا حقيقة هذا الكلام في التحقيق، وله في الفرقان معان أخر، وكل من عند الله فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: في كل صورة آدمية آدم، والملائكة له ساجدون[1]، وهكذا حقائق الأئمة كل منها كلي أم بالنسبة إلى أتباعه ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ فهم هو مجملاً، وهو هم فصلاً، وكان يقول: أنت أيها المريد غصن، ونور أستاذك شمس يحييك، وقمر يربيك وكان يقول: متى فتحت سدد مداركك أدركت بكل منها ما يدركه كل منها فلا تسمع شيئا إلا رأيته وقس على هذا في كل مقام بحسبه، وكان يقول: إذا سلمت النفس بحكم القلب لم يبق لها نزاع لربها ووليها، وإلا فلها من النزاع بقدر ما فيها من الشرك، وكان يقول: سكوت العالم حيث تعين الكلام عليه ككلام الجاهل.

(١) يقصد بها قضية التسخير الإلهى، وهى تسخير الملائكة الكرام لكل عين آدمية من نحو حفظ ورزق، فإن الكون مسخر للمؤمن والكافر، قال سبحانه: «كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً».

وكان يقول: في حديث :" من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين "، الذبح إزالة الفضلات الردية فهو ذبح معنوي لأنه بغير سكين فمن ولي القضاء مع إزالة رعوناته الوهمية فهو ولي أمر قاض بالحق، ومن لا فهو متغلب قاضي جور. **قلت**: ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام في جلد الميتة "دباغه ذكاته "فتأمل، وكان يقول: ما دام معلمك يولد عندك المعلومات فهو أبوك فإذا تحققت روحك بنوره صار علمه يتجلى فبك معلوماته أبهة، وذلك هو الوحي، وإنما يوحي إليك ربك فاعرف، واغنم، وكان يقول: في قوله تعالى :﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ **(طه: ١٤)** أي لا لأجري ولا لشيء غيري فهذه عبادة المحبين، وكان يقول: كل محق مصدق، ولا عكس فمن وجد الحق بالحق فهو محق مصدق، ومن وجده بأمر زائد فهو مصدق فقط، وكان يقول: من تعدى حده قيد، ومن لا غير له لا حد له فافهم، وكان يقول: لا يراك إلا أنت فمن لك بمن هو أنت حتى تتراءى له فيراك، وكان يقول: إنما كان أستاذك أعلم بك منك لأنه هو حقيقتك وأنت ظلمة فافهم، وكان يقول: معرفتك بحقيقتك على قدر معرفتك بأستاذك، وكان يقول: ما لم يرتفع حكم المغايرة لأستاذك عندك فأنت بالحقيقة لا شك ضائع فارجع إلى ربك فاسأله فافهم، وكان يقول: حيث جاء الخطاب الرباني بيا بني آدم فالمراد بهم أهل اليمين .

وكان يقول: متى تخلص حريرة الإيمان من شوك السعدان، والله ماثم إلا الله ولكن الله يفعل ما يريد، وكان يقول في حديث :" كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي "المراد بابن آدم من كان" محجوبا فإن عمل المقربين كله لربهم، وكله صوم لتجردهم عن شهود نسبته إليهم إلا على وجه المجاز "ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء "، وكان يقول: صورة الأستاذ الناطق مرآة سر المريد الصادق إذا نظر فيها ببصيرته شهدها على صورة سريرته فأول مبادئ المريد أن تتحلى طويته بسمات أهل الفلاح والولاية فإذا كشف لبصيرته عن أستاذه رأى صورة صلاحه وولايته في صفاء صورة أستاذه فينطق أن أستاذه هو الصالح الولي فيستمد من بركات ملاحظته المتوالية، وهممه العالية، ولا يزال مطلبه من

الأستاذ دعواته المنيفة، وخواطره الشريفة، فيتودد إليه تودد المتأنس حتى ينفخ إسرافيل العناية في صور صورة قلبه روح التخصيص الآدمي فهناك يشهد أستاذه آدم[1] الزمان، ومالك أزمة الأكوان، فيعظمه تعظيم الشاب لأبيه المهاب إلى أن يسفر حجاب صورته الآدمية عن جمال ما خصه من الروح المحمدية، فهناك يشهد أستاذه سيدًا محمدياً، ويكون له عبدًا، ولا يجعل له في سواه أرباً ولا قصدًا، إلى أن يغشى سدرة سره الأنوار الروحانية، وينزع من البصر نزغة الزيغ وغطاء الطغيانية، فينظر إلى أستاذه فلا يرى إلا الواحد يتجلى في كل مشهد على قدر وسع الشاهد فيصير عدما بين يدي وجود، ومحوًا في حضرة شهود فأول أمره توفيق، وأوسطه تصديق، وآخره تحقيق، وهذه النهاية هي بداية السعاية بقدم الصدق في مقعد صدق عند مليك مقتدر وكان رضي الله عنه يقول: من وضع العسل في قشر الحنظل التبس حال أصله على الجهلة إذا تمرر العسل لمرارة أصله ظنه الجاهل مرًا من أصله ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ وكان رضي الله عنه يقول: امتهان العباد المكرمين بعد معرفتهم سم ساعة متى خالط القلب مات لوقته، وكان يقول: المخصوص بالله هو الذي نفذ من جميع الأقطار سره وجهره فلم يسعه غير الله، ولم يسع الله غيره، وغير المخصوص بالله بضد ذلك فهو مقيد في الأرض أو السماء أو البرزخ أو الجنة أو النار، وكان رضي الله عنه يقول: الواحد لا يظهر في كل إلا واحدًا وإن كانوا أكثر من واحد في الصورة فهم واحد في السريرة كعيسى، ويحيى، وموسى، وهارون مثلا فهما اثنان حساً وهما في الحقيقة واحد : ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ١٦).

كما إذا شئت أن تعبر عن اسم الذات الأقدس بالعربية تقول: الله جل جلاله، وبالعبرانية الوهيم، وبالفارسية خداي، وبالتركية تكرى، وبالرومية ثيبوس،

---

(١) يعنى أن المريد مطالب بأن يرى أستاذه فى أعلى الدرجات، وأن ينزهه فى أتم المقامات، وبهذا يصل إلى حضرة ربه.

وبالقبطية ليصا[1]، في كل لغة بلفظ، وانظر إلى جبريل حال تمثله في صورة البشر لم يخرج عن كونه جبريل ذا الأجنحة، والرءوس المتعددة بل هو عينه في كلتا الصورتين، واحد لم يتعدد وكان يقول: العقل حجاب الانت، والنفس حجاب الانا فمن رفع عن هذين ترقى من محضر طور سينا إلى مشهد ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (النجم: ٩) وكان يقول: مخالفة المحبوب لأغراض المحبين ميزان صدق محبتهم، وكان يقول: القرب من القريب قرب بلا ريب، والبعد من البعيد بعد بلا ريب هكذا الأمر في الشهادة، والغيب، وكان يقول: العلم من غير حكيم شمس طلعت من مغربها، والعمل من غير أدب شهد وضع في موقشر الحنظل .وكان يقول: لأن تعتب، وتسلم خير من أن تشكر، وتندم، وكان يقول: من ليس له أستاذ ليس له مولى، ومن ليس له مولى فالشيطان به أولى، وكان يقول: المريد من تحقق بمراده في عين أستاذه، وكان يقول ﷺ: من وافق أستاذه في أفعاله طابقه فيما أخبر له من معارفه، ومن خالفه في أفعاله فقد المطابقة بتوهم معاني أقواله، وكان يقول: من كان مع أستاذه بلا إياه كان أستاذه معه بالله، وكان يقول: المبعود من توهم أستاذه مخبرًا عن غيره، ومتكلما بسواه، وكان يقول: المريد الصادق عرش لاستواء رحمانية أستاذه كتب الله على نفسه أن لا يدخل قلبا فيه سواه، ولا يظهر لعين رأت غيره في مرآه، وكان ﷺ يقول لا يرى وجه الحق من حصرته الجهة، ولا يفارق الجهة إلا من نفذ من أقطار السموات، والأرض، ولا ينفذ من أقطارها من حكمت عليه بقية جسمانية لأن جسم الإنسان هو سجنه فإذا فارقه فارق السجن[2] ، وكان يقول: من التفت إلى آدميته بالكلية سلبت عنه الحقائق الإنسانية، ومن سلبت عنه فالحقائق الإنسانية جهل حقائق العلوم الإلهية، وكان يقول: لفلاح المريد مع أستاذه ثلاث علامات أن يحبه بالإيثار، ويتلقى منه كل ما سمعه منه بالقبول، ويكون معه في شئونه كلها

(١) عددها هنا من باب الكشف، إذ أهل المعرفة يتكلمون بسائر اللغات الكونية، وذلك ليس ببعيد عليهم.

(٢) هى مطالبة للمريد أن يتحرر من قيود هذا الجسم الترابى والذى شبهه الشيخ بالسجن، وذلك لكى يطلع على ملكوت السموات والأرض.

بالموافقة، وكان يقول: من تقرب من أستاذه بالخدم تقرب الله إلى قلبه بواسطة الكرم، وكان يقول: من آثر أستاذه على نفسه كشف الله تعالى له عن حظيرة قدسه، ومن نزه حضرة أستاذه عن النقائص منحه الله تعالى بالخصائص، ومن احتجب أستاذه عنه طرفة عين أوثقه الله في موابق البين، وما بين المريد وبين مشاهدة أستاه إلا أن يجعل مراده بدلا من مراده، ومن لم ينبهه أستاذه عن نقائصه لم يفرح بحضرة خصائصه، ومن لم يستحل مقارعة الأستاذ لم يحل أبدًا عروس الوداد تبا لمريد جمح بطبعه عن الدليل لقد ضل سواء السبيل ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ (النور: ٤٥) ، وكان ﷺ يقول: سبقت كلمة الله التي لا تتبدل، وسنته التي لا تتحول أن لا ينفخ روح علمه في مخصوص إلا انقسم الخلق له بين ملكي ساجد، وشيطاني حاسد فاحرص على أن تكون لأهل النعم العلمية محتاجا خاضعا لتسلم أو تعلم أو ترحم، وإياك أن تكون لهم مبغضا أوحاسدًا فتسلب أو ترجم أو تحرم، وكان يقول: قلب العارف حضرة الله، وحواسه أبوابها فمن تقرب إلى حواس العارف بالقرب الملائمة فتحت له أبواب الحضرة. وكان ﷺ يقول: من ملك أخلاقه عبد خلاقه، ومن ملكته أخلاقه احتجب عن خلاقه، وكان يقول: العادة ما فيه حظ النفوس، والعبادة ما كان محضا للملك القدوس من قرب وصيام، ونوم وقيام، وكل طعام فكل ذلك عند العارف عبادة، وكان ﷺ يقول: من ملكته عاداته فسدت عليه عباداته، ومن رفعت عنه العوائد فهو عارف أو مراد أو مشاهد، وكان يقول: من ذكر ربه بلسان الواحد المختار فقد أخلصه بخالصة ذكرى الدار، وكان يقول: من قال عند ظهور براءته من الريب، ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ (يوسف: ٥٤) وكان يقول: أنفع الأقلام ما قبل فيضه الأفهام، وكان يقول: انظروا إلى المرآة تجردت عن جميع الصور، وأشهدت كل ذى صورة ما يراه من صورته، وما لا يرى، هكذا الرجل المجرد عن علائق جميع العوالم، وجهة الناطق مرآة الحقائق ما قابلها ذو صورة إلا رأى وجه حقيقته فمن رأى خيرًا فليحمد الله، ومن رأى غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، وكان يقول: العلقة

التي حول حبة القلب هي الحية المطوقة حول العرش من الملكوتي والحية المطوقة بعين الحياة من الجبروتي، والحية المطوقة بقاف من الملكي، وكان ﷺ يقول: البطن الأوسط من الدماغ المسمى بالدودة هو الذي قوته تنشئ حرير أهل الجنان وكان يقول: قال روح علمي، وأنا كالقائم لما أكل من عهدنا إليه نسي أين كان من تقربه فلا تنس **قلت**: يا مولاي في حوصلة الروح الأمين فصوب لي ربي عندي ما ألهمني كما أشهدني وأوجدني وله الفضل، والمنة وكان يقول: خطر بفهمي، وأنا كنائم ما صورته يا على ما الطائر الذي ألزمناه عنق كل إنسان؟ قلت يا مولاي ناطقه قيل لي فما حوصلة هذا الطائر قلت يا مولاي قوة النطق الفعالة بآلة اللسان عبارة وبباقي الأعضاء كناية واشارة، قيل لي يا علي مهما لقطه هذا الطائر من ساحات الحس، والخيال، والإدراك، والقلب، والفؤاد تحصل في حوصلته ثم سرى إلى سائر آلاته ثم رشح منها بالعبارة والكناية والإشارة فإذا رجعت التراكيب الدنيوية إلى بسائطها الأخروية صارت الحوصلة كتابا منشورًا يرى فيه كل طائر ما لقط فرحم الله من تكلم بخير أو سكت، وكان يقول: فضل العقول في ترك الفضول وهي كل ما فضل عن الكناية، وهي محسوس، ومعقول، وكل مقصود غير ضروري فهو من الفضول وكل وسيلة لا يحصل مقصودها الضروري بدونها فليس من الفضول في شيء، ويكفيك من الغذاء ما يقويك على ما أمرك الله به .

وكان يقول: يكفيك من الملبس ما لا يسفهك به العاقل، ولا يزدريك به الجاهل، ومن المركب ما حمل رحلك، وأراح رجلك، ولا يزدري بركوبه مثلك، ومن السكن ما واراك عمن لا تريد أن يراك، ومن الحلائل الودود الولود ومن الخدم الأمين المطيع، ومن الأصحاب من يعينك على كمالك في جميع أحوالك، ومن الأدب ما يقيك غضب الكريم والعالم وجراءة اللئيم والظالم ومن العلم ما طابق الذوق الصحيح، ومن الاعتقاد ما بعثك على طاعة المعتقد من غير إعراض، ومن معرفة الحق ما أسقط اختيارك لغيره، ومن معرفة الباطل ما يمنعك عن اختياره، ومن المحبة ما حققك بإيثار محبوبك على من سواه، ومن حسن الظن

بالخلق ما لا يقبل منه سوء التأويل، ولا قول العائب بغير دليل، ومن الحذر ما يمنع من مراكنة تجر إلى مباينة، ومن الظن بالله ما لا يجرئ على معصيته ولا يؤيس من رحمته، ومن اليقين ما يعصم من صرف وجه الطلب عن حيرة، ومن التوحيد ما لا يبقى معه أثر لغيره، ومن الفكر ما وصل إلى فهم مراده، ومن النظر في آلائه ما تتسع به روح وداده، ومن الخواطر ما بعث على تعظيم ما عظم، وهضم ما هضم، وقد وضحت لك الأنوار فإن شئت فاقتبس، وقد ثبت الأصول فافهم الجامع، وانف المانع ثم قس، وكان يقول: التلويح لأعين الأذهان أبلغ من التصريح لوعي الآذان، ومن قبل النصيحة أمن مر الفضيحة، وكان يقول: محل الشعر ظاهر الشخص لا باطنه، ولو ثبت في القلب شعرة واحدة لمات صاحبه لوقته[1] فلا تشغل باطنك بشيء من ملاذك الدنيوية الجسمانية وفرغ قلبك من الشواغل الفانية التي بمنزلة الشعر فالقلب بيت الواحد الذي من أشرك معه شيئا تركه وشريكه، ومن وحده بالمحبة سكن قلبه بنور رب لا شريك له في ملكه، فافهم كيف يدخل عبيد الله الجنة جردًا مردًا مكحلين متعاضدين على قلب واحد فاشهد الواحد إن كنت ذا بصيرة مكحولة بطلعته المنيرة، واغتنم هذه الذخيرة، وكان ﷺ يقول: من ظفر بكنز جوهر الألباب مرفوع الموانع مفتوح الأبواب زهدت والله نفسه في افتراش الزبالة، وسف التراب، وليست الزينة الدنيوية إلاّ تراباً آيلا إلى الذهاب خلقت بمحنة يمتحن بها الصادق في حب الله من الكذاب فمن أحب الله تعالى لم تساو الدنيا عنده رجل ذبابة من الذباب بل صغرت عنده الأكوان كلها في جانب ذلك الجناب، ومن أحب صورة عبدها فمحب الله مخدوم لسائر الأحباب لا عبد شيء من هذه الأسباب ومن أحب صورة التلبس بها فلمحب الله تخضع الرقاب فكيف يخضع لزينة ترابية من له هذا العز المهاب، من كرم العلى الأعلى الوهاب ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ۝٧ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ (الكهف: ٧ ـ ٨) الصعيد هو التراب، والجرز القاطع لما تعلق به تعلق اطمئنان وإكباب، فكن من

(١) قلت: قوله هذا صحيح من حيث علم التشريح الحديث وهو علمه من باب المكاشفة.

الزاهدين في الحظوظ الترابية الجروز فأنت عرفت أنك ظفرت بكنز الكنوز، وكان يقول: مخالطة أهل الحجاب، ورؤية الغافلين عن ذكر الله تعالى عقوبة إلا على الأئمة الذين هم أطباء القلوب القائمون في مخالطة ترضي النفوس لطبهم بروح أمر مولاهم، و ليهلك من هلك عن بينة، ويحيي من حي عن بينة، والله يحيي ويميت، والله على كل شيء قدير، وكان يقول: النفس مطية المؤمن اسمع لا تسمح لنفسك في الشراسة، ولا تعودها بالنفار فتتعب بها عند رجوعك إلى الديار، وتندم على تفريطك فيها حين سلوكك في مفازة البرزخ بين الجنة، والنار، واعلم أن النفس مركوب الوافد عند مروره على الصراط المنصوب فإن تشارست أسقطته في الدرك المرهوب، وإن سهلت له نجا عليها إلى المنتهى المطلوب﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ (آل عمران: ١٥٨) وكان يقول: الذي بنى البيت باقتداره على وفق اختياره ما وضع فيه مزبلة، وبالوعة، وكنيفا إلا لحكمة يرضاها فلا ييأس العبد المنجس من روح الرحمة، والرضوان، ولو كان كيفما كان، وكان يقول: لا تشغلنك الوسوسة في غسل بدنك، وثوبك عن تدقيق النظر في تطهير نفسك وقلبك، تضيع الوقت، وتكتسب المقت[1] ، وإنما الطهارة الحقيقية أن تقول: اللهم طهرنا بصلواتك الطيبات، وزكنا بتحياتك المباركات، وطيبنا للموت، وطيبه لنا، واجعل فيه راحة قلوبنا بروحك، وحياة أرواحنا بمعرفتك ومشاهدتك، فإنك أنت الفتاح العليم، وها أنت قد وجدت البحر المحيط العذب الصافي فتطهر تطهر وقل الحمد لله رب العالمين، وكان رضي الله عنه يقول: انظر كل من رضيً شيئا تنعم به، ولو شقي ظاهره، ومن سخط شيئا تعذب به، وإن حسن ظاهره فالشيء الواحد عذاب على من سخطه، ونعيم على من رضيه فالرضا منشأ النعيم، والسخط منشأ الجحيم اللهم هب لنا منك الرضا المطلق بجميع أحكامك أبدًا على مكاشفة وجه وحدانيتك إنك الغني

(١) يعنى أن الشيطان يحاول بوسوسته فى لوضوء تضييع الشق الأهم عند العبد، ألا وهو الطهارة الباطنية، فيحاول إشغال العبد بما لا يعنيه من عدم وصول الماء إلى الجزء الفلانى من البدن وهكذا حتى يضيع خشوعه واستحضاره لعظمة ربه وهو يتوضأ، وقد كان سيدى على زين العابدين بن الحسين رضي الله عنه إذ توضأ اصفر لونه فسئل عن ذلك؟ فقال: أتدرون بين يدى من أقف.

الحميد فافهم، وكان يقول: إنما جعل لكم الأرض بساطا ليعلمكم التواضع فتواضعوا تتبسطوا، وكان يقول: من ركن إلى ظالم مسته نار الفتنة إلا من رحم الله﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ (يونس: ١١٣) وكفى بالخدمة ركونا ً، اسمع من ركن إلى ظالم وخلص منه سالما من فتنة فتلك له كرامة إبراهيمية بحسبه وكان يقول: من خاف ورجا، فقد مدح وهجا، ومن رضي وسلم فقد حمد وعظم، فانظر ماذا ترى إن رأيت الحق بلا مرا .

وكان رضي الله عنه يقول: من عرف الحق لم ير إلا الحق "فماذا بعد الحق إلا الضلال "فافهم، وكان يقول: مهما رآه المأمومون في أئمتهم من كمال أو نقص فهو صورة بواطن المأموم أشهده إمامه إياها، وللإمام فوق ذلك مظهر آخر فإياك أن تظن نقصا بأهل الكمال فتقول : ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ (طه: ١٢١) بل اعرف أن ذلك إنما كان إظهارًا لك كيف تتداوى إذا ابتليت في صفاء تلك الحضرة، وقس على هذا فافهم، وكان يقول: الاستغفار استعداد الغفران وحقيقة التوجه بوجه الاستعداد إلى التحلي بالكمال بدل النقص، وبالإحسان بدل الإساءة، وغايته التحقيق بالمحبوب تحققا ً ذاتيا يستحيل به عروض ضده، وذلك هو العصمة في كل مقام بحسبه، وإليه الإشارة بقوله : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح: ٢) وغاية الغاية في هذا الباب أن يغفر الله منك بحلمه حكم ما دونه فلا ينكشف فيك إلا وجهه الحميد، فافهم فإن الغفران هو الوقاية مما يضر بما يسر، ومنه سميت البيضة مغفرًا فلكل مقام مقال، وكان يقول في كلام الأطباء: إن برد الرحم سبب في عدم الحمل هكذا نفس التلميذ متى لم يجد لوعة الوجد، وحرقة الطلب من الشوق إلى المقصود لم يتولد فيها من فيض أستاذه صورة أمره فهو مثل الوقود البارد لا يؤثر فيه القبس إلا دخانا كالدعاوى والرعونات الحاصلة للنفوس الداخلة بين القوم بغير حرقة شوق، وصدق، وطلب، وجد، ومثلها أن يكون كورقة مبلولة لا يثبت عليها كتابة، ومثلها أيضا كحراق بارد أي رطب لا يعلق فيه قبس، وكان رضي الله عنه يقول: من تحقق بمرتبة حصلت له خصائصها، وأمورها على قدر تحققه بها كالمتحقق بصورة محمدية بشرية،

فيقول: اللهم صل على محمد وآته الوسيلة، والفضيلة إلى آخره، فإنما هو في الحقيقة يطلب ذلك لنفسه من حيث إنه متحقق به، ويقال لمن تحقق بصورة محمدية يا محمد، أو موسوية يا موسى أو عيسوية يا عيسى[1]، وقس على هذا، وارق إلى حيث نفذ ذوقك، فلكل مجال رجال . وكان يقول: في قوله ﷺ :" إنا معاشر الأنبياء نبتت أجسادنا على أرواح أهل الجنة " فأرواحهم سماوية متمثلة في هياكل أرضية، وكل إلى بدنه راجع فافهم، وكان يقول: إنما أمر الحق ونهى منك قلبك السامع الفاهم، ولا يؤدي عن المكلف ما كلف به إلا هو فمتى عمل جسمك عملا، وقلبك غافل عنه لم يحسب لك، ولم يؤد عنك ﴿وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾وإنما سقط اللوم الظاهر بمباشرة الجسم للعمل لظن حضور القلب، وقصده ذلك فراقب علام الغيوب، فإنه الناظر إلى القلوب فافهم، وقال :في قوله تعالى : ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٦) أي منك، ولا يتكلم بكلام الله إلا الله فإذا ناجاك هاديك إلى حق فاسمع من الله وأطع تغنم، واعرف أن ربك قد تحول لك في صورة من صور المعار يتعرف إليك بها لتعرفه فتجيبه فتتحقق به فافهم وكان ﷺ يقول: السر ما لا يشهده إلا واجده فمن شهدت سره فاعلم أنك أنت هو من حيث حصل لك هذا الشهود، وللمستفيد شيء إلا صورة مفيده فإذا كل ما من المستفيد إلى مفيد إنما هو في الحقيقة المفيد لنفسه أن العبد من مولاه عبد القوم من أنفسهم، وما من الله إلا وإليه وليس يفهم عني غير إياي فافهم. وكان يقول في قوله : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ (يس: ٦٠) أي لا تطيعوه، وتنقادوا له راضين بأمره فمن كان هكذا لأحد فقد عبده ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١) وما أكثر ما يعبد المقلدون أئمة الضلال علماء السوء الذين يريدون بعلمهم ما ليس من الله في شيء فافهم، وكان يقول: إذا كان إبليس كفر بترك سجدة واحدة لآدم فكيف يرضى ابن آدم أن يكفر بتكرار السجود لإبليس ولكن الكفر

(١) وهو كما ذكر الشيخ الأكبر فى الفتوحات أن الأولياء يكونون على قدم الأنبياء منهم المحمدى ومنهم العيسوى ومنهم الموسوى ومنهم الإبراهيمى ومنهم النوحى.

درجات كما أن الإيمان بالحق درجات فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: احذر أن تزدري أصحاب الخلع الخفية من الشعثة رؤوسهم المغبرة وجوههم فإن وجوههم ناضرة إلى ربها ناظرة، إنما أنت أعشى العين، وكان يقول: إياك أن تحسد من اصطفاه الله عليك فيمسخك الحق كما مسخ إبليس من الصورة الملكية إلى الصورة الشيطانية لما سجد آدم، وأبى وتكبر عليه، وفي هذا تحذير لك إذا رأيت إمام هدى إلى الحق أن تحسده، أو تتكبر عن الخضوع له والائتمام به، فإن ذلك يسلبك ما فيك من الصور المرضية، ويدخلك في الصور الغضبية، وإذا خضعت له، وكنت بالعكس نقلك من الصورة الشيطانية إلى الملكية[1] وكان يقول في حديث صوم يوم عاشوراء: "نحن أحق بموسى منهم "أي من اليهود إنما كانت هذه الأمة أولى بموسى عليه السلام من قومه لأنا نؤمن بموسى كإيمان من عاصره لدلالة معجزة نبينا التي هي القرآن التي نعرف إعجازه بالمشاهدة لا بالخبر، وأما اليهود الذين لم يعاصروه، فإنما آمنوا به تقليداً للخبر، وأين من يؤمن تقليداً ممن يؤمن عياناً وتحقيقا في المعجزة القرآنية فنحن أحق بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام ممن لم يعاصرهم من أممهم، والسلام، وكان يقول: إنما كان يوم عرفة أفضل من يوم عاشوراء بفضيلته على عاشوراء بالحج المشروع فيه، وهو ركن من أركان الإسلام، وليس في عاشوراء ركن من أركان الإسلام يختص به كيوم عرفة فافهم. وكان يقول: في قوله : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (الأنعام: ١١٥) صدقا هنا وضع موضع فضلا إذ قوبل به عدلا فافهم أي تفضل الله تعالى بصدقها على قلوب قوم حتى صدقوها وعدل الله بقلوب قوم حتى عدلوا عن تصديقها، وكان يقول: كل ما أتاك به إمام هدايتك، فهو ذكر من ربك ورحم بك محدث الإتيان إليك، والظهور عن ذلك الإمام من حيث كونه، فأما من حيث وجوده الحق المبين المتجلى في عينه الناطق بمرتبة الربوبية، والرحمانية، فلم يزل قديما لأن الحق المذكور من المرتبة المذكورة لم يزل متكلما إذ هي له ذاتية، وإنا الحدوث من جهة التعلق الظهوري من حيث الحكم

(١) كما كانت تخضع الصحابة لبعضها البعض، فيبايع الأدنى الأعلى بنفس سمحة ورضا تام، ومن هنا كانت مقاماتهم أعلى وأتم من مقامات من أتى من بعدهم من الأولياء.

بالحدوث، فافهم، وكان يقول: من أتى بما لم يسبق به فقد أبدع وأبدأ ومن كرر مثالا، فقد أعاد، واخترع فافهم . وكان يقول: لا يظهر سر السيادة الربانية في أحد إلا ويجعل له أتباعا لأن السيد هو الرب المصلح المدبر فلا بد له من حضرة يحكم فيها ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (الرعد: ٣٨) أي معنوية فقد كان فيهم من ليس له زوجة صورية، ولا ولد صلبي كعيسى ويحيى[1] ومن هنا يفهم المراد بقول زكريا ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ (الأنبياء: ٨٩) فكأنه قال كما قال إخوانه: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ وأحب الخلق إلى الله تعالى أنفعهم لعباده فكفى المصلح لشأنهم شرفا أن يكون أحب إلى الحق ممن ليس همه إلا صلاحه وحده، وكان يقول: من كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويغضب لغضبه فهو نسخة الحق ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ (محمد: ٢) فافهم فمن اتخذه إمام هدى، وجعله كتابه ينظر في أموره بعين الإيمان فيتبعها بإحسان فقد أوتي كتابه بيمينه، ومن اعتمد على الأساطير فإنما اعتمد على حكم وهمه أو حكمة فهمه ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ (العنكبوت: ٤٩) أي معناه مبين في نواطق العلماء وكان يقول: إنما أحب الله عبده المسلم لأنه مخلوق على صورته، وهو تعالى أجل من أن يحب خلاف صورته التي هي الكمال المطلق الأقدس فافهم **قلت**: والمراد هنا بصورة الحق صورة آدم عليه السلام لأنها أشرف الصور، وليس المراد بها صورة الذ ت الإلهي، والله أعلم، وكان يقول: ما دمت أيها الآدمي صاحب صفات كريمة فأنت إنسان باق على أصلك لم تنسخ، ولم تمسخ، ومتى نسخت منك الكرائم بالذمائم فقد نسخت عنك الإنسانية بالصورة الشيطانية التي انمسخت بها وإن خلطت لم تك إنسانا خالصاً، ولا شيطاناً محضا وفي ذلك فليتفاوت المتفاوتون، والحكم للغالب فافهم، وكان يقول: إذا قال لك قائل لم دون العارفون المعارف التي تضر بالقاصرين من العلماء فضلا عن

(١) قلت: السيادة لا تكون بالابن الصلبى فقط، وإنما بالأتباع التابعين لذلك النبى، وبتمجيدهم فى الكتب المنزلة، فهناك من الأنبياء من اندثرت أممهم وبقى ذكرهم ممجداً فى الكتب السماوية لحد الآن.

العوام؟ أما كان من الحكمة وحسن النظر، والرحمة ما يمنعهم من تدوينها فإن كان عندهم ذلك فمخالفته نقص، وإن لم يكن فكفاهم نقصا أنهم غير حكماء فقال له :أليس الذي أطلع شمس الظهيرة، ونشر فاضح شعاعها صحوا مع إضرارها بالأبصار الضعيفة وسائر الأمزجة التي تتضرر بها عليماً حكيما فإن قال :بلى ولكن عارض ذلك مصالح تربو على هذه المفاسد فقل له: وهكذا الجواب عن مسئلتك وحسبك جوابا أن من دون ذلك لم يدونه للجمهور، ولا أذن في ذلك، ولا سكت عنه بل نهى عن إظهاره لهم . وشدد في النهي والتحذير إلى الغاية، وصرح بأنه لم يدون إلا بإذن من الله[1] في تدوينه لأهله فقط فيكون في التدوين أمانة لهم ليظفروا من معانيه بما تنفتح به أبواب كمالاتهم الباعثة بسحائب الرحمة في قلوبهم، وعلى ألسنتهم فتشرق الأرض بنور رشدهم وتحيا بأثر هدايتهم فتعدى أهل الغفلة والحجاب حدود هؤلاء السادات، وأظهروا دواوينهم لغير أهلها كما تعدى الغافلون حدود ربهم، فسافروا بالقرآن إلى أرض العدو، ومكنوا أعداء الله من قراءته بقلوب زائغة، وألسن معوجة فحرفوه، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وهل دون الأئمة المجتهدون ما دوناه عنهم من العلم ليستعان به على هوى النفس وكسب الدنيا، وتوليد مسائل موافقة لهوى الظلمة والأمراء لا والله ولكن كان أمر الله قدرًا مقدورا وحيث ظهر أن فائدة تدوين هذه المعارف من أعظم الفوائد ظهر أن تدوينها من أحق الحقوق إذ فائدتها بقاء روح حق اليقين، وإشراقها في مظاهر الهادين بالحق كما في فائدة تدوين علم الظاهر بقاء روح الاجتهاد الظني الموجب للعمل، وظهوره في مظاهر المرشدين ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ (البقرة: ٢٢٠) فافهم .

وكان يقول في حديث "من اغبرت قدماه في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين عاما: "يدخل فيه من مشى مع ولي لوجه الله تعالى، وابتغاء مرضاته فإن الله تعالى يبعد وجهه عن النار حقا فافهم، وكان يقول: في قوله

---

(١) يعنى أنهم لم يدونوا علوم الباطن فى الكتب إلا بإذن إلهى، كما ألف الشيخ الأكبر كتابه الفصوص بأمر إلهى صرف ذكره فى صدر الكتاب.

تعالى: ﴿منكم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا ومنكم مَّن يُرِيدُ الآخرة﴾ (آل عمران: ١٥٢) أي ومنكم من يريدنا لا يريد سوانا وفي الآية دليل على أن المؤمن قد يريد الدنيا ولا يقدح ذلك في أصل إيمانه قال: وكل من كان طلبه النعيم الجثماني بعد الموت، فهو يريد الدنيا فأهل الله تعالى مجردون عن المقامين، فلم يريدوا الدنيا ولا الآخرة، لتعلق همتهم بلا أين، وما لا يقبل الشركة[1] والعين، لا ينقسم إلى اثنين لأن الأحدية الفردية أمر ذاتي له لا قبله، ولا بعده، ولا معه، عدد وأطال في ذلك وكان رضي الله عنه يقول: كما أن للعبد من مولاه وجودًا فكذلك للمولى من عبده شهود "أنت مني وأنا منك "فافهم، واعرف، والزم والله أعلم، وكان يقول: المراد من العـ ـذله الذي يظهر به عن ربه، ولذلك أمر بالتعبد، فافهم فإذا فعلت ما يريده منك ربك فعل لك ربك ما تريده منه فاجعل مرادك منه هو ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ (الحجر: ٩٩) فافهم، وكان يقول: إذا بعت نفسك لمظهر من مظاهر الحق المبين الهادي، فلا تخف عنه شيئا من عيوبك فإن البائع إذا بين وصدق بورك له في بيعه، وإذا كذب وكتم محقت بركة بيعه، والمشتري إذا اشترى بعد بيان العيب لم يبق له أن يرد السلعة. وإذا اشترى من غير بيان كان له الرد، ومن ثم جاء في الخبر الصحيح "من اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه "فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: متى رأيت مظهرًا من مظاهر الحق المبين في وصف من الأوصاف، فتوجه إليه بقلبك بوجه صدق، ومحبة، واجعل نفسك له عبدًا خالصا لله، فإن لسان الحال منه ينادي على أسماء الأفهام في ذلك الوقت ﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ (المائدة: ١١٩) وحسب الذي صار عبداً لله أن العبد من مولاه، وكفى من كان محبا لله أن المرء مع من أحب فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: في قوله عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه "أنت مني وأنا منك "أي أنت مني وجودًا فإني أنا المتعين بك لنفسي، وأنا منك شهودًا لأنك الذي توجدني عرفانا للمؤمنين المتعرفين، وبذلك حصلت بينهما الأخوة في إفادة كل منهما الآخر فقال له: "أنت

(١) وهؤلاء هم أهل الفناء فى الذات الإلهية لا هم لهم سوى الحق سبحانه فى الدارين، كما سمع الشبلى رضي الله عنه قائلاً يقرأ قول الله تعالى: «منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة» فصاح وقال: فأين الذين يريدون الله تعالى.

أخي في الدنيا والآخرة "أي في زمن ختم النبوات، وفي زمن ختم الولايات، وكان يقول: عقل نفس المتعلم إنما هو تمثُّل عقل المعلم الفعال في تلك النفس عند ملاحظة مفيد، ومستفيد، وكان يقول: لسان حال كل أستاذ ناطق بالحق المبين يقول لكل مريد صادق: تقرب إلي حتى أحبك، فإذا أحببتك رأيتك أهلالي فظهرت فيك بما أنت مستعد له فافهم، وكان يقول: ما وجود المريد الصادق الذي هو به حق إلا عند أستاذه الناطق بالحق المبين، فإن تحقق المريد بأستاذه كان حقاً، وإلا فلا يزال خلقا فافهم، وكان رضي الله عنه يقول وهو في عام أربع، وثمانمائة: لم أجد إلى الآن مريداً[1] صادقا يتقرب إلى حقيقة حقه عندي بالنوافل حتى أحبه، ولو وجدته لوافيته بحقه فأحببته فكنت هو فكيف بمريدي على المطابقة والتمام . وكان رضي الله عنه يقول في حديث "أبو بكر مني بمنزلة السمع وعمر بمنزلة البصر "وبايع عن عثمان رضي الله عنه بيعة الرضوان بيده الكريمة، وقال :اللهم هذه يد عثمان فعثمان منه بمنزلة اليد، وقال :لا يبلغ عني إلا أنا أو علي فعلي لسانه، واللسان أخص المراتب بالناطق فلذلك قال علي رضي الله عنه أنا الصديق الأكبر يعني للحق المحمدي الصادق عليه لا يقولها بعدي إلا كاذب، ولما كان اللسان باب مدينة روح الكشف والبيان جاء في الخبر: "أنا مدينة العلم وعلي بابها "وهذا الخبر وإن كان في سنده مقال فإن شاهد الحال يشهد به، وهو الثقة الأمين، فافهم، وقال: في قوله: ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ﴾ (يوسف: ٦٥) إذا وجدت أخا في الحق فاحفظه تزدد به ممن آخيته من أجله، فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: إذا جنت إلى أئمة الهدى، فلا تأتهم إلا لتهدي بهم ولا يحصل ذلك إلا أن ترى نفسك على غواية، وأنت مضطر إلى كشف غمتها بنور روح الهداية ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ (النمل: ٦٢) وكان يقول: من قام به روح العليم الحكيم تمام القيام، فهو آدم عباد الله تعالى في زمانه فيجب عليه القيام بمصالحهم كما يجب للأولاد على أبيهم، ومن ثم لم يسع الأقطاب، وأئمة الهدى أن يعتزلوا

---

(١) قلت: كثير من الشيوخ ماتوا بحسرتهم ولم يجدوا ذلك المريد، وكذلك ماتوا ولم يعطوا الطريق لأحد، لأنهم لم يجدوا كما لهم في أحد.

الناس، ويقطعوا عنهم مدد رحمتهم ورشد حكمتهم، فحاشا مثلهم أن يضع من يقول: ﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾ (البقرة: ٢٣٣) ولولا أوجبت لهم الرحمة ذلك، وإلا فلم صبروا على ما كذبوا وأوذوا، ولكن كتب ربكم على نفسه الرحمة فافهم، وكان ﷺ يقول: لو لم يصر صدر أبي بكر من رق وهمه عتيق لم يسع ما صبه الصدر المحمدي فيه من التحقيق. وهذا أصل تسميته عتيق[1] فافهم، وكان يقول: من راد أن يظهر في هذا الوجود دون سيده، فجزاؤه الخفاء عكس ما قصد ومن طلب الخفاء ليظهر مجد سيده جوزي بالظهور وتفرد الكلمة فافهم، وقال :في قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ (الإسراء: ٨٤) هي مرتبته الوجودية فلا يمكنُ كائنا أن يخرج عن حكم مرتبته الوجودية، وانظر كيف من شاكلته مرتبة جهل وحجاب كيف كلما توغل في الفنون العلمية، وتبحر في الكشوفات النظرية لا يزيده ذلك إلا شكا في الحق وبعدًا عن الصواب، ومن شاكلته مرتبة علم وكشف كلما اعترضته الشكوك والأوهام انفتح له فيها أعين يبصر بها الحق، ويرى بها الصواب إما بإلهام أو بفهم عن تعليم، وانظر من شاكلته شاكلة صنعة كيف يتكبر فلا يزداد بتكبره في النفوس إلا ضعة، وهو مذموم موزور، وآخر مرتبة شاكلته عز فلا يزيده التواضع إلا عزًا، وهو ممدوح مأجور فافهم، وكان ﷺ يقول: وجه الحق في لسانهم هو الوجه الذي شهدته من أستاذك، فهو الوجه الذي تعرف الحق به إليك فافهم وكان يقول: أول من وصف بالحسد بغياً والغرور حقدًا وسوء الظن بربه، والتحكم على أمر سيده ومعارضة علمه، واختياره بهواه ووهمه هو إبليس، فمهما وقع ممن بعده شيء من ذلك فهو قرين إبليس فإن لم يعمل بقول ذلك القرين فهو محفوظ منه، وإلا فهو مصروع معه، وكلما قلت قرناء السوء كثرت القرناء الكريمة، فافهم، وكان يقول: المعاني أرواح الأعيان، فما أرواح الكلم إلا ما تبين فيها من الأحكام، والحكم، وعلى قدر علو هذه المعاني يكون حياة كمال هذه المعاني فمن منع العارفين بإنكاره العنيف أن يبينوا في الحديث الكلامي ما يأتون

(١) مقصودة أن صدره ﷺ فرغ من رق الوهم العلمي، والخيال الفكري وذلك لاستقبال ما لا مجال فيه لعقل ولا إعمال فيه لفكر فافهم.

به من معنى لطيف، أو روح شريف فإنه عدو ذلك الكلام بجهله يريد أن يذره ميتاً دارساً. وهو يحسب أنه يحفظه من اللغو والتحريف، فيا أيها العارف إذا رأيت من هذا شأنه، فأنزله إلى اللفظ الذي ليس عنده من الحق سواه وأت أنت بمواجيدك، وما أحوج العارفين إلى التعرض من إظهار معارفهم في مظاهر ظواهر النصوص التي ليس مبدأ المنكر من الحق سواها فإن نفوس غالب الناس كثيفة، ومشاهد الحق شريفة، ولا يؤذي الأستاذين بالإنكار إلا أصحاب النفوس الكثيفة، فافهم، وكان يقول: مدد أمر الأستاذ حبة وضعها في أرض قبول تلميذه وسقاها بتفهيمه وتأييده، فمهما ظهر من التلميذ أو عنه من ذلك فهو من ثمرات تلك الحبة، ونتائج الحبة، وثمراتها وإن كثرت إنما هي ملك لغارس الحبة في أرض يستحقها، فكل ما للتلميذ من أمر رشد فإنما هو في الحقيقة حق لأستاذه، فلا يظن مريد أنه ظفر بشيء لم يظفر به أستاذه، ومن ظن ذلك فهو جاهل، وكان يقول: انظر إلى السحاب كيف يتفرق، وينحط لجهة التراب، فاجعل نفسك بالعبودية ترابا يخدمك من جعل نفسه بالرياسة سحابا فافهم، وكان رضي الله عنه يقول: التراب محل الراحة[1] ﴿ومِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ (الروم: ٢٠) وانظر إلى الإشارة في تكنية علي بأبي تراب تجد العلو في التنزل من لم يطرح نفسه في التراب لم يسترح فافهم . وكان يقول في قوله :﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ (الأعراف: ١٤٣) لولا وجد التجلي ما اندك فإذا وجدت من خشع للحق جهرًا، فاعلم أنه قد وجد الحق فلذلك خشع، وإن لم يشعر هو، واحفظ له حرمة ذلك الوجد تسلم وتغنم، وكان يقول: من شهد أن الأمر كله لواحد ما ثم فعل غيره، وإيجاده مطابق معلومه، ومراده لم ير في العالم إلا صدقا مطابقاً، فليس عنده في العالم إلا الصدق لا ضده فافهم، وكان يقول: من شهد أن الوجود لا يمكن أن يقوم به نقيضه، ولا واسطة بينهما لم يشهد في الوجود إلا حقاً، وإن يظن شيئا بعد ظهوره لشيء أو ظهر له بعد بطونه عنه ومتى تم لهذا شهوده،

(١) وذلك لأنه تفرغت فيه جميع المكونات الهالكة والفانية منذ آدم وحتى الساعة، وتبدلت فيه الهيآت والأشكال، وخرج منه كل ما احتاجه البشر من معادن وزرع وماء وبترول، فهو يعطى ويأخذ، وحقيقته أنه الهباء الإلهى الذى لا معلومية لأصله، لكون ظاهره بخلاف باطنه، ولا حقيقة لماهيته.

وكمل لم يشهد إلا واحدًا، وشاهده مشهوده فافهم، وكان يقول: من حدد عدد ومن جرد وحد، ومن تمكن من التصرف بالحكمة في أحكام الأمرين أطلق، وقيد، وذلك هو الحق المبين، وكان يقول: صور الخيرات ملكية، وصور الشرور شيطانية، فأيما صورة خير عرض لها ما به تكون سيئة فهي شيطان تشكل بصورة ملكية تشبهاً وتلبساً وأيما صورة شر عرض لها مابه تكون حسنة فإنها شيطان أعان الحق عليه فأسلم، فهو لا يأمر صاحبه إلا بخير مثال هذا صورة الكذب شيطانية فإذا كذب لإصلاح ذات البين أو لإقامة حق من حقوق الرب كحق دم أو نصرة مظلوم أو كف ظالم عن ظلمه، وما أشبه هذا، فتلك الصورة الشيطانية حينئذ مسلم لا يأمر إلا بخير، وقس على هذا فافهم، وكان يقول: إذا ظهر الوجود في موجود بوصف أحب أن يوافق، ومتى خولف فارق، فمن ثم لا تعيب على موجود أمره إلا كره منك ذلك، ولا يقبل منك إلا أن تسلم له "ومن يبتغ غير الإسلام" دينا فلن يقبل منه "فافهم، وكان يقول: الجنان درجات أعلاها الفردوس التي سقفها عرش الرحمن الرب الأعلى الذي يطعم، ولا يطعم، ومنه يأتي لأهل كل جنة ما لا عين منهم ولا ممن دونهم رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من أولئك فالعرش عنده ما لا يعلمه إلا رحمانية الحق المجرد، والفردوس عنده من الرحمن ما جاءه بواسطة العرش، فلا يطلع عليه إلا العرش وأهله، والجنة التي سقفها الفردوس عند أهلها من الرحمن بواسطة الفردوسيين ما لا علمه، ولا أدركه إلا أهل العرش وأهل الفردوس، وهكذا إلى آخر الزمان، فأدناها أدناها عطاء، وأعلاها أعلاها علاء، وأهل كل جنة يرون سقفها عرش الرحمن لأنهم لا يرون ربهم الرحمن إلا في مظاهره وأطال في ذلك، وكان يقول في قول أبي يزيد رضي الله عنه حججت فرأيت البيت، ولم أر رب البيت ثم حججت ثانية، فرأيت البيت، ورأيت رب البيت ثم حججت ثالثة فرأيت رب البيت، ولم أر البيت انتهى لو أن أبا يزيد عرف الحقيقة حق معرفتها لأنزل كل شيء منزلته، ولم يغب عنه أن الكل واحد إذا رأى العدد[1]، ولا غاب عنه العدد

(١) لأنه رأى العدد فى بدايته وليس فى نهايته، فلا تقاس بداية رجل بنهاية آخر.

إذا رأى الواحد فافهم، وكان يقول في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ (الصافات: ٥) أي له في كل دائرة مشرق لا يعرفه أهل تلك الدائرة إلا من ذلك المشرق، ولا تسجد له إلا من تلك الجهة، فالفقهاء مشارق الربوبية للجحيميين، والصوفية مشارق الربوبية للفقهاء، وأهل الذوق الباطن مشارق الربوبية للصوفية، وهكذا إلى أعلى المشارق، وهم نواطق التحقيق، فلا يحاول من عبد سجود الرب إلا إن أتاه من مشرق دائرته، وهو الصورة التي إذا أتاه فيما فوقها قال له: أعوذ بالله منك ما أنت ربي، فإذا تحول له فيها قال: أنت ربي، وخر له ساجدًا لأنه تحول له في الصورة التي يعرف بها وفيها فافهم .وكان يقول: قال بعضهم: في حديث "ما تركت شيئا يقربكم إلى الله إلا وقد بينته لكم "إلى آخره، فعلى هذا كل شيء لا يوجد في الكتاب، ولا في السنة، فليس بخير، ويؤيده "كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد" **قلت**: هذا صحيح لو قام دليل على أن كل ما بينه النبي ﷺ، ودل عليه نقل عنه، وبلغنا لكن الصحابة رضي الله عنهم قد اعترفوا بأنهم نسوا كثيرًا وأخفوا كثيرًا شيئا رأوا المصلحة في إخفائه، ومع هذا كيف يعرف أن مالا وجدنا له ذكرًا فيما بلغنا من السنة ليس مما بينه، ودل عليه الشرع، ولم يبلغنا، وإذا لم نعرف ذلك فكيف نحكم أنه ليس بخير لكن الحق أن ما وجدنا له أصلا، ولو على بعد، ولم نجد صريحا يبطله، فهو خير، وما لا نجد له أصلا ولا مبطلا فهو موقوف موكول أمره إلى الله تعالى، وما وجدنا له مبطلا، فالأصل بطلانه لذلك حتى يأتي ما يصححه، ولعل من قال بصحة العمل بالإلهام فيما يبطله بعض العمومات أو النصوص يخصص تلك المبطلات بقصة الخضر عليه السلام، وأمثالها، ولقد أنصف من قال في أصحاب الأحوال: إننا نسلم لهم أحوالهم، ولا نقتدي بهم حيث لم نجد ما يبطلها، ولا ما يصححها. وكان يقول: من توهم في نفسه الكبرياء، والعظمة فلا فرق بينه وبين من قال "إني إله من دونه "وكفي بذلك افتراء، وكان يقول في حديث "أعوذ بك أن أغتال من تحتي: "أي أعوذ بك أن يتغلب من مرتبته دون مرتبتي علي بتحكمه حتى يخرجني من نفوذ حكمي بالدخول في قيود حدود مرتبته فهذا هو الاغتيال من تحتي[1]، وهذا هو حقيقة

(١) أى يتصرف فىَّ من الأولياء أحد أقل منى فى المقام، وهو نوع من أنواع السلب والتأديب للولى، فاستعاذ ﷺ أن يدخل فيه، أو أن يؤذى بسلب أو انتكاس.

قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ (هود: ٨٢) فافهم، وكان يقول: المحقق المجرد المطلق يخاطب كل أهل مرتبة بلسانها وكل شيء عنده بمقدار، فيخاطب أهل الخبر بخبرهم، وأهل النظر بنظرهم، وأهل الذوق بذوقهم، وكان يقول: علامة الذكر بالحق أن يأتيك من الحق بما إذا بينته لك تجلى في قلبك ثابتا كأنه لم يزل متحققا عندك إلا أنك نسبته بعارض ثم لما بين لك بذلك البيان ذكرته ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ فافهم وكان يقول في قوله: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ﴾ (الكهف: ٧٠) الآية أي لأن كمال التابع أن يتحقق بمتبوعه وطريق ذلك المحبة والتعظيم، ومن توابعها مطابقة إرادة المحب لإرادة محبوبه، فلا يسبقه بقول ولا فعل، وأيضاً فإن التابع إذا سأل متبوعه عما لم يحدث له منه ذكرًا، فقد يقتضي حكمه المتبوع أن لا يجيب التابع عن ذلك، فإن أجابه حصل الضرر بمخالفة الحكمة،وإن لم يجبه، فلا يؤمن من ثوران نفس التابع فيكدر عليه صفاء المودة، ويقطع عليه طريق المطلوب من متبوعه فافهم، وكان يقول: الذكر البيان وهو إلهي ذكر من الله، ورحماني ذكر من الرحمن، ورباني ذكر من ربهم، ورحمة ذكر رحمة ربك، ولم يوصف في لسان القرآن بالحدوث من هؤلاء إلا ما دون ذكر الله تعالى، فأيما ذكر وصف بالحدوث فهو من إحدى تلك الدوائر فافهم، وكان يقول: ليس لك من كلام العارف الحق إلا ما فهمت[1] منه، وليس لك منه إلا ما شهدته فيه، فاعمل على أن تتحقق بأستاذك، فتقوم حقا لا خلقا فافهم، وكان يقول في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ (البقرة: ٢٦٠) الآية الكلام عليها من وجهين أحدهما ما يقتضيه ظاهر اللفظ، والثاني ما يقتضيه حقيقته، فأما الأول ففيه أسئلة :الأول ما الحكمة في كون إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع فضله على الذي مر على القرية، وهي خاوية، سأل أن يريه

---

(١) وما لم تفهمه فلا يجب عليك تأويله، لأنك تأوله بالنفس المجردة والعارف نطق الكلام بالروح والسر ولأنك لا ترقى إلى مستوى قائل الكلام إلا إذا كنت من العارفين الذين شربوا من نفس العين، ومن هنا بزغ نجم إلا نكار على أهل المعرفة كالحلاج، فكيف يحكم أصحاب النفوس الأمارة على إصحاب النفوس الكاملة، وهؤلاء لم يشاهدوا وهؤلاء شاهدوا، وهؤلاء بقيت معهم النفوس الأمارة، وهؤلاء بقوا بلا نفوس.

ربه كيف يحيي الموتى وذلك أرى ذلك بلا واسطة سؤال، فقيل له ابتداء ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ (البقرة: ٢٥٩) الآية، والجواب أن الذي مر على القرية حصل منه سؤال من غير تعيين مسئول منه فقال:﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (البقرة: ٢٥٩) وذلك إما لغفلته أو لجهله إن لم يكن نبيا أو لشغله بالتعجب إن كان نبيا أو غير غافل، ولا جاهل، وأراه الله ما أراه بياناً كشفا من حيث يظهر أنه أجابه لسؤاله، وأراه ذلك بعد أن أماته مائة عام ثم بعثه، فلم ير ذلك إلا في حال بعث الموت. وأما إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فتوجه بسؤاله إلى الحق قصد الكمال حضوره وأعطى مسئوله إجابة لسؤاله على الفور كما دل عليه قوله "فخذ "فأتى بالفاء المقتضية للفور تنويها بالاعتناء بأمره، وإظهارًا لكرامته، ورأى قبل الموت، والبعث منه ما لا رآه ذلك إلا بعد البعث من الموت فظهر فضله بذلك على الذي مر على القرية .السؤال الثاني فيما وقع الاستدراك بقوله :﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (البقرة: ٢٦٠) وما المراد بالاطمئنان للقلب هنا .والجواب أن الاستدراك، وقع من نفي كون السؤال لعدم الإيمان وتقرير كونه لاطمئنان القلب فقط، والمراد بالاطمئنان السكون من قلق التشوف لحصول هذا المسئول عنه والتشوف لقضاء الوطر[1] منه لا السكون من قلق تردد وشك فيه السؤال الثالث ما وجه تقرير يوجبه مقابلة سؤاله هذا بأن يقال له "أو لم تؤمن" وقد سبق الإخبار عنه بأنه المصطفى في الدنيا، وأنه في الآخرة لمن الصالحين، والجواب أن أرني تستعمل تارة في طلب مشاهدة كيفية المعلوم المتحقق بالبرهان ليتحقق مع ذلك بالعيان، ويستعمل أيضا هذا في الإفحام والتعجيز، لعدم اعتقاد وجود صاحب ذلك الكيف أو إمكانه كما تقول لضعيف ادعى حمل صخرة وحده كبيرة: أرني كيف تحملها، وأنت تعتقد أنه لا يستطيع حملها، ولا يمكنه، وإبراهيم عليه السلام لم يرد هذا الثاني، ولا بطريق توهمه، وإنما اقتضت حكمة الرب بعباده أنه قال لإبراهيم ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾ (البقرة: ٢٦٠) فحفظ عباده المؤمنين بذلك عند سماع هذه الآية من أن يخالطهم الوهم بذلك الظن السوء في حبيب من أحباب الله فيهلكوا

(١) الوطر يعنى الحاجة.

ولا يشعرون، ويجوز أن يكون وقوع هذا السؤال قبل الإخبار بآية الاصطفاء والله أعلم. السؤال الرابع ما الحكمة في تعيين الأربعة دون غيرها من العدد وما الحكمة في تعيين جنس الطير دون غيره، والجواب أن عدد الأربعة أجمع للأعداد لأنه مجموع من الفرد البسيط، وهو الواحد، والفرد المركب، وهو الثلاثة، والزوج البسيط، وهو الاثنان، والزوج المركب، وهو الأربعة فكان فيه تذكير بقيام الخلق لربهم مثنى وفرادى مثنى: اثنان بسيطان واثنان مركبان وفرّادى فرد بسيط وفرد مركب، وفيه تذكير بأصناف المبعوثين أيضا فمنهم كافر، ومنهم مؤمن ظالم لنفسه أو مقتصد مخلط أو سابق بالخيرات، وإنما خص الطير لأنه أشد الحيوانات نفورًا، وأقدرهم على الفرار، والتباعد عما ينفرون منه، فإذا دعا هذا الجنس، وأجابه، وأتاه يسعى كان ما دونه أولى، وكان ذلك أعظم آية من غيره، والطير أيضا أقل رطوبة من باقي الحيوانات، وميتته أسرع جفافا فيتيقن معه عدم الحياة الجسمانية منه باطناً، وظاهرًا . السؤال الخامس: ما الحكمة بتخصيص الجبال بهذا الجعل في قوله:﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ (البقرة: ٢٦٠) هل الظاهر إرادة جميع الجبال أو أربعة أجبل فقط أو غير ذلك وما وجه كل واحد من هذه إن كان هو الظاهر، والجواب المراد جبال بعدد الأجزاء التي يجزئها إليها إن كانت كثيرة فكثيرة أو قليلة فقليلة بدليل قوله: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ (البقرة: ٢٦٠) ولم يأمره بتبينهن، فحمل الأمر على جميع الجبال متعذر عادة، والظاهر أن المراد أن يجعل على كل جبل جزءًا لا يعينه من كل واحد منهن لأن ذلك هو المناسب للقصة، وما فيها من رؤية ذلك الأمر العجيب. السؤال السادس :ما لحكمة في الإتيان بثم في قوله ثم ادعهن، وما الحكمة في تعليق إتيانهم إليه على دعائه إياهن ولم يحيين فيأتين من غير دعاء لهن منه وما الحكمة في إتيـنهن ولم يكتف بطيرانهن حيث مشين أو إتيانهن غيره، وما الحكمة في إتيانهن ساعيات لا طائرات، ولا ماشيات على هون إن كان سعياً متعلقا بهن وإن كان متعلقا به هو فما الحكمة في حصول ذلك منهن، وهو يسعى أو دعائه لهن، وهو يسعى. والجواب أنه جيء بثم ليحصل بكونهن على الجبال مهلة، فلا يبقى في عدم الحياة منهن لطول المكث في محل

بكونهن على الجبال مهلة، فلا يبقى في عدم الحياة منهن لطول المكث في محل الجفاف ريب ما، ولو لوحظ في جعلهن على الجبال التي لا حائل لها عن الشمس التي كانت النمروذية ينسبون الآثار إليها، وتركها هناك برهة حتى يعلم أن الشمس لا تأثير لها حيث كن منها بمطلع، ولم يجئن، ولما دعاهن داعي الحق جئنه، وأتينه سعيا لكان قولا حسناً، وأما تعليق إتيانهن إليه على دعائه لهن ففيه إرشاد إلى أن إحياء الموتى يكون بدعائهم ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (الروم: ٢٥) لكن الدعاء من الله تعالى بالكلام النفساني اللائق به تعالى يقوم مقام الكلام اللساني في إيصال المراد إلى المدعو، فجعل الكلام اللساني هنا من إبراهيم عليه السلام مظهرًا للكلام النفساني من الحق تعالى في إحياء الموتى بالدعاء ليتمكن من رؤية الإحياء برؤية نفسه حين الكلام إذ كان مظهر اسمه المحيي، فلولا دعا بالقول لم يكن عنده من مظاهر الإحياء ما يحس فيحس الإحياء بإحساسه[1] لأن في مظهره هذا مع ما في إحيائها بدعائه من البرهان الساطع على بطلان مذهب خصومه في الدين ما لا يخفى، ولو لم يكن ذلك مع قوله المسموع المتيقن بالحس لأمكنهم مكابرته في أن ذلك الإحياء في غير ما ينسبونه إليه، وأما إتيانهن، ففيه تذكير بما أخبر به محيي الموتى من قوله : ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده﴾ (الإسراء: ٥٢) أي تحشرون إليه، وأما سعى الطائر في تحدره من الجبل فهو أبلغ في قوته، وتمام حياته وصحته من غير ذلك. فكان سعيهن هذا دليلا على أنهن عدن إلى أتم ما كن عليه، وفيه تذكير بكما بدأكم تعودون، وبحشر المبعوثين من الأجداث سراعاً، وأطال في ذلك إلى خمسة وعشرين سؤالا، وجوابا والله أعلم.

ومنهم سيدي يوسف العجمي الكوراني رضي الله عنه

وهو أول من أحيا طريقة الشيخ الجنيد رضي الله عنه بمصر بعد اندراسها، وكان ذا

(١) كما قال شيخنا إبراهيم صالح رضي الله عنه أراد إبراهيم عليه السلام أن يدخل المصنع الإلهي التخليقي بنفسه ويشاهد التصنيع لحظة حدوثه، وأبى أن يشاهد من الخارج وهذا ليس عيباً في يقينه وحقيقة إيمانه ولذلك قال ﷺ: نحن أحق بالشك من إبراهيم.

طريقة عجيبة في الانقطاع، والتسليك، وله التلامذة الكثيرة، وعدة زوايا .توفي في زاويته بالقرافة الصغرى في يوم الأحد نصف جمادى الأولى سنة ثمان وستين، وسبعمائة وصلى عليه خلق لا يحصون، وأخذ العهد، ولبس الخرقة عن الشيخ نجم الدين محمود الأصفهاني، وعن الشيخ بدر الدين حسن الشمشيري، وتلقن الذكر، وهو لا إله إلا الله عليهما رضي الله تعالى عنهما، وهي سلسلة الشيخ الجنيد[1] رضي الله عنه، ولما ورد عليه وارد الحق بالسفر من أرض العجم إلى مصر، فلم يلتفت إليه فورد ثانيا فلم يلتفت إليه فورد ثالثاً، فقال : اللهم إن كان هذا وارد صدق فاقلب لي عين هذا النهر لبنا حتى أشرب منه بقصعتي هذه، فانقلب النهر لبنا وشرب منه ثم ذهب إلى مصر وكان سيدي حسن التستري رضي الله عنه أقدم منه هجرة عند الشيخ، وكان يقاربه في الرتبة، وقيل إنه كان أرقي منه درجة فلحقه بأرض مصر فقال له سيدي يوسف يا أخي الطريق لا تكون إلا لواحد، فإما أن تبرز أنت للخلق، وأكون أنا خادمك، وإما أن أبرز أنا وتكون أنت خادمي قياما لناموس الطريق، فقال له سيدي حسن رضي الله عنه :بل أبرز أنت وأكون أنا خادمك فبرز سيدي يوسف رضي الله عنه، وأبرز بمصر الكرامات، والخوارق، وكانت طريقته التجريد، وأن يخرج كل يوم فقيرًا من الزاوية يسأل الناس إلى آخر النهار، فمهما أتى به هو يكون قوت الفقراء ذلك النهار كائنا ما كان، وكان يوم الفقراء يأتي أحدهم بالحمار محملا خبزًا، وبصلا، وخيارًا، وفجلا، ولحما ويوم سيدي يوسف يأتي ببعض كسيرات يابسة يأكلها فقير واحد فسألوه عن ذلك فقال أنتم بشريتكم باقية، وبينكم وبين الناس ارتباط، فيعطونكم، وأنا بشريتي فنيت حتى لا تكاد ترى فليس بيني وبين التجار والسوقة، وأبناء الدنيا كبير مجانسة، وكان صورة سؤاله أن يقف على الحانوت أو الباب، ويقول: الله، ويمدها حتى يغيب، ويكاد يسقط إلى الأرض، فيقول من لا يعرفه: هذا الأعجمي راح في الزقزية، وكان رضي الله عنه يغلق باب الزاوية طول النهار لا يفتح لأحد إلا للصلاة، وكان إذا دق داق الباب يقول للنقيب: اذهب فانظر من شقوق الباب، فإن كان معه شيء من الفتوح للفقراء، فافتح له، وإلا فهي زيارات فشارات، فقال

(١) قلت: لاتزال الطريقة الجنيدية باقية لحد الآن ومنتشرة.

له إنسان في ذلك فقال :أعز ما عند الفقير وقته، وأعز ما عند أبناء الدنيا ما لهم، فإن بذلوا لنا ما لهم بذلنا لهم وقتنا . وكان رضي الله عنه إذا خرج من الخلوة يخرج وعيناه كأنهما قطعة جمر[1] تتوقد فكل من وقع نظره عليه انقلبت عينه ذهبا خالصاً ، ولقد وقع بصره يوما على كلب فانقادت إليه جميع الكلاب إن وقف وقفوا، وإن مشى مشوا، فأعلموا الشيخ بذلك، فأرسل خلف الكلب، وقال :أخسأ فرجعت عليه الكلاب تعضه حتى هرب منها.

وهرب بعض مماليك السلطان عنده خوفا من السلطان، فأرسل يقول للسلطان: اصفح عن هؤلاء، فقال: إن كنت فقيرًا فلا تدخل في أمر السلطنة، فطلب السلطان منه مماليكه ليردهم، فلم يفعل، فقال :أنت تتلف مماليك السلطان فقال :إنما أنا أصلحهم، فنزل إليه السلطان، فأخرج إليه الشيخ مملوكا منهم، وقال له قل لهذه الأسطوانة: كوني ذهباً ، فقال لها ذلك، فصارت ذهبا يراه السلطان بعينه، فاستغفر، وقبل رجل الشيخ، وقال له الشيخ: هذا صلاح أو فساد فعرض على الشيخ أرزاقا يوقفها على الفقراء، فأبى، وقال :لا أعود أصحابي على معلوم، وأنشد فيه الشيخ يحيى الصنافيري حين وقع بينه وبينه ما وقع في معارضة الشيخ يوسف في دخول مصر :

ألم تعلم بأني صيرفي ... أحك الأولياء على محكى

فمنهم بهرج لا خير فيه ... ومنهم من أجوزه بسبكي

وأنت الخالص الذهب المصفى ... بتزكيتي ومثلي من يزكي

ومنهم الشيخ حسن التستري رضي الله عنه

تلميذ الشيخ يوسف العجمي وأخوه في الطريق جلس للمشيخه بعده في مصر، وقراها، وقصدته الناس من سائر الأقطار، وكان ذا سمت بهى وكمال في العلم، والعمل، وانتهت إليه الرياسة في الطريق، وكان السلطان ينزل إلى زيارته

(١) وذلك من آثار التجليات التى فتح عليه بها فى الخلوة، وكان منهم من إذا دخل الخلوة ذاب وصار ماء، من شدة تجليات الجلال عليه.

فلم يزل الحاسدون من أرباب الدولة، وغيرهم بالسلطان حتى غيروا اعتقاده فيه، وهم بحبسه أو نفيه فأرسل الوزير إلى زاويته ليسد بابها، وكان الشيخ خارج مصر، في المطرية هو والفقراء فرجعوا فوجدوا الباب مسدوًا فقال الشيخ: من سد هذا الباب؟ فقالوا: سده الوزير فلان بأمر السطان فقال :ونحن نسد أبواب بدنه وطيقانه فعمى الوزير، وطرش، وخرس، وانسد أنفه عن خروج النفس، وقبله ودبره عن البول والغائط، فمات الوزير[1] في الحال فبلغ ذلك السلطان، فنزل إليه، وصالحه، وفتح له الباب وكان عسكر السلطان كله قد انقاد لسيدي حسن رضي الله عنه حتى خرجوا عن طاعة السلطان إلى طاعته رضي الله عنه؛ وجاءه مرة نصراني صائغ، فقال :إن السلطان أرسل لي فصا من المعادن الغالية أصنعه له في خاتم خاتون، فطرقته فانكسر نصفين، وأنا خائف من القتل، وطاب خاطري بوزن ثمنه، ولو كان بعشرة آلاف دينار، وما أعرف يا سيدي رد السلطان عني إلا منك، فدخل الشيخ رضي الله عنه الخلوة فحول باطن السلطان إلى أن صار هو يطلب قسم الفص نصفين، وذلك أن سريته المحظية طلبت هذ الفص، فبذل لها جملة فصوص، فلم ترض فسألت أن يكون الفص بينهما نصفين فأرسل السلطان قاصده إلى الصائغ بذلك، فأخبره الجيران بما وقع للصائغ، وقالوا إنه عند الشيخ فذهب القاصد إلى الشيخ، فأخبر بدلك الصائغ. فأسلم، ودفن في زاوية الشيخ ولما أراد ابن أبي الفرج تربيع جنينته حكم التربيع على جعل زاوية الشيخ فيها فقال للخادم: انقل الشيخ إلى موضع آخر وأنا أبنيه لك فعزم الخادم على ذلك، فجاء إليه في المنام، وقال له :قل لابن أبي الفرج: لا تثقلنا ننقلك فأخبره الخادم بذلك، فقال :هذه أضغاث أحلام فشرع في نقله فلحقه شيء في جنبه فطلعت روحه في الحال .توفي رضي الله عنه سنة سبع وتسعين، وسبعمائة، ودفن في زاويته في قنطرة الموسكى على الخليج الحاكمي بمصر المحروسة رضي الله تعالى عنه.

---

(١) كان الأولياء فى ذلك العصر لديهم الإذن الإلهى فى التصرف جهرة فى الملوك ورد ظلمهم، والآن قد سقط هذا الإذن فى الظاهر، فلا ترى ولياً لله إلا فى حكم النادر الضئيل يتصرف أمام الناس فى سلطان أو ملك أو رئيس، وإن حدث فربما يحدث فى الباطن بعيداً عن أعين الناس.

ومنهم سيدي الشيخ محمد أبو المواهب الشاذلي رضي الله عنه

كان من الظرفاء الأجلاء الأخيار، والعلماء الراسخين، والأبرار أعطى رضي الله عنه ناطقة سيدي على أبي الوفاء، وعمل الموشحات الربانية، وألف الكتب الفائقة اللدنية، وكان مقيما بالقرب من الجامع الأزهر، وكان له خلوة فوق سطحه موضع المنارة التي عملها السلطان الغوري، وكان يغلب عليه سكر الحال، فينزل يتمشى ويتمايل في الجامع الأزهر، فيتكلم الناس فيه بحسب ما في أوعيتهم حسناً، وقبحاً، وله كتاب القانون[1] في علوم الطائفة، وهو كتاب بديع لم يؤلف مثله يشهد لصاحبه بالذوق الكامل في الطريق، وكان أولاد أبي الوفاء لا يقيمون له وزنا لأنه حاكى دواوينهم، وصار كلامه ينشد في الموالد، والاجتماعات والمساجد على رؤوس العلماء والصالحين، فيتمايلون طربا من حلاوته، وما خلا جسد من حسد، وكان هو معهم في غاية الأدب، والرقة، والخدمة، وأمسكوه مرة، وهو داخل يزور السادات فضربوه حتى أدموا رأسه، وهو يتبسم، ويقول: أنتم أسيادي، وأنا عبدكم، ومن كلامه رضي الله عنه إذا أردت أن تهجر إخوان السوء، فاهجر قبل أن تهجرهم أخلاقك السوء فإن نفسك أقرب إليك، والأقربون أولى بالمعروف، وكان يقول: كل أبناء الدنيا يقبلون عليها، وهم راحلون عنها في كل نفس لأنهم عمي عن شهود ما إليه يصيرون، وكان رضي الله عنه يقول: تفاخر الغنى، والفقر، فقال الغنى: أنا وصف الرب الكريم فمن أنت يا حقير فقال له: الفقر لولا وصفي ما تميز وصفك، ولولا تواضعي ما رفع قدرك، وأنا وصفي وسم بذل العبودية، وأنت وصفك نازع الربوبية، وكان يقول: الفقيه من ارتضع بلبن حي الصدور دون قديد ميت السطور وكان يقول: من علامة المرائي إجابته عن نفسه إذا أضيف إليه نقص، وتنقيص الصالحين من أهل زمانه إذا ذكروا، وكان يقول: الفقراء يراءون بالأحوال والفقهاء يراءون بالأقوال وكان يقول: من طلب الشهرة بين الناس فمن لازمه أن يرضيهم بما يسخط الله تعالى، وأن يصحبهم لهواه لا لله، وكان يقول: العارف ينمو حاله حال حياته، ولا يشتهر إلا بعد مماته، وكان

---

(١) وهو كتاب قد تم طبعه قديماً بمصر وعندنا منه نسخة.

يقول: العارف كلما علا به المقام صغر في أعين العوام كالنجم يرى صغيرًا، وإنما العيب من العيون، وكان يقول: لو أن الحلاج ﷺ كمل حقيقة الفناء لتخلص مما وقع فيه من الغلط بقوله :أنا هو، ومن قوله أدنيتني منك حتى ظننت أنك أنا[1]، وكان يقول: ثم من يدخل في مقام البقاء قبل الفناء بحكم الإرث للأنبياء ولكنه قليل وقوعه في القوم، ولذلك أنكروه، وكان يقول: إذا أردت أن تفتح كنزًا، فإياك أن تلهو عن صرف العوائق أو تغفل عن العزيمة قبل حضور صاحب الكنز فإذا فتحت الكنز فإياك أن تشتغل بشيء من الأمتعة عن الملك بل اجعل قصدك الملك لا غير حتى يهبك الخاتم خادم الاستخدام إن شاء، فإن لم يعطك الملك سر الخاتم، فإنما ذلك لكونه يريد اتخاذك جليسا له، وذلك أعظم من سر الخاتم فإن جليس الملك لا يحتاج قط إلى استخدام، ولا تعب، وقال :في معنى قولهم إن للربوبية سرًا لو ظهر لعطل نور الشريعة المراد به الفناء، وإعطاء سر التكوين، وأن العبد يفعل ما يشاء يعني لو أعطى العبد ذلك لتعطلت أفعال الشريعة كلها، وبطل القول بالكسب، واختل النظام، وقال ﷺ في معنى قول بعضهم يصل الولي إلى حد يسقط عنه التكليف المراد به سقوط كلفة الأعمال ومشقتها من باب "أرحنا بها يا بلال "وقال :في معنى قول سيدي عمر بن الفارض ﷺ :وكل بلا أيوب بعض بليتي أي لأن بلاء أيوب عليه السلام في الجسد دون الروح، وبلاء العارف فيهما معاً، وقال في معنى قول بعضهم :

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

يعني أن مقام النبوة يعطي للأخذ عن الله بواسطة وحي الله، ومقام الرسالة يعطي تبليغ ما أمره الله به للعباد، ومقام الولاية الخاصة يعطي الأخذ عن الله بالله من الوجه الخاص. قال: وهذه الحقائق الثلاثة كلها موجودة فيمن كان رسولا فافهم، ولا تظن أن أحدًا من أهل الله تعالى يعتقد تفضيل الولاية على النبوة والرسالة، وقال في معنى قول الشيخ محيي الدين بن العربي[2] رحمه الله تعالى:

(١) هى شهادة منه ﷺ بولاية الحلاج والكلام لايدل على علو مقامه على مقام الحلاج ﷺ.

(٢) الصحيح ابن عربى بإسقاط أل التعريف.

توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر وإلا تيمم بالصعيد، وبالصخر

وقدم إماما كنت أنت إمامه وصل صلاة الفجر في أول العصر

فهذى صلاة العارفين بربهم فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر

المراد بالوضوء طهارة أعضاء الصفات القلبية من النجاسات المعنوية، وماء الغيب هو خلوص التوحيد فإن لم يخلص لك بالعيان فتطهر بصعيد البرهان، وقدم إماما كان إمامك في يوم الخطاب ثم صرت أنت إمامه بعد سدل الحجاب وصل صلاة الفجر التي هي صلاة نهار كشف الشهود بعد حجاب ظلمة الوجود في أول العصر الذي هو أول زمان انفجار، فجرك، ولا تتأخر لآخر دورك لأن الحكم للوقت، والتأخير له مقت فهذه صلاة العارفين بربهم، وهم الذين لم يخرجوا عن متابعة الأحكام الشرعية في جميع مشاهدة الربوبية، فإن كنت منهم، فانضح يعني اغسل بماء بحر الحقيقة ما تدنس من بر الشريعة. وقال في قولهم النبي مشرع للعموم، والولي مشرع للخصوص: أي النبي مبين للعوام برسالته ومبين للخواص بولايته لا أن الولي يشرع الأحكام الشرعية، فإنه ليس له ذلك، وإنما له تبيين الحقائق الكشفية بطريق الولاء، والوراثة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام . كما أن الأولياء رضي الله عنهم تبين ما أجمل في السنة، والنبي يبين ما أجمل في القرآن، وقال في إنكار بعض المنكرين على قول بعض العارفين إن الخضر مقام لا إنسان لا إنكار لأن الولي المحبوب يعطي من الكرامات كما كان للخضر من المعجزات وذلك عند الوراثة، والوراثة الخضرية قبل الوراثة الموسوية، والوراثة بلا شك مقام فافهم يا غلام. وقال في إنكار بعضهم على من قال: حدثني قلبي عن ربي لا إنكار لأن المراد أخبرني قلبي عن ربي من طريق الإلهام الذي هو وحي الأولياء، وهو دون وحي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا إنكار على من قال :كلمني الله تعالى كما كلم موسى، ففرق بين أخبر وكلم يا من أنكر وتوهم، وكان يقول: إثبات المسألة بدليلها تحقيق، وإثباتها بدليل آخر تدقيق، والتعبير عنها بفائق العبارة ترقيق، ومراعاة علم المعاني والبيان في تركيبها

تمييق، والسلامة من اعتراض الشرع فيها توفيق، وكان يقول: أقسم الحي القدوس ألا يدخل حضرته أحد من أصحاب النفوس، وكان يقول: احذر أن تخرق سور الشرع يا من لم يخرج عن عادة الطبع، واحذر أن تقول :أنا مطلق من الحدود لأنني دخلت حضرة الشهود فإن الذي دعاك هو الذي نهاك وكان يقول: أهل الخصوصية مزهود فيهم أيام حياتهم متأسف عليهم بعد مماتهم، وهناك يعرف الناس قدرهم حين لم يجدوا عند غيرهم ما كانوا يجدونه عندهم[1]، وكان يقول لأصحابه: عليكم بالتسليم للفقراء فيما ادعوه من المقامات، والأحوال[2]، وكان يقول: من تحقق بمعارف الحضرة الإلهية، وانمحق وصفه بوصفها خرج من الاعتماد على عمله، وعلمه، وعن كل شيء من بقايا كونه، وكينونته التي كان بها مع معية وجوده تدقيقاً، وتحقيقا لا بباطل وهمه في إثبات وجوده فافهم وكان يقول: الاعتماد على العمل أول عائق يقع لأصحاب السلوك في بدايتهم، وذلك من غلبة الوهم على وجوههم، وتراكم الخيال على مرايا عقولهم، فلا يخرجون عن ذلك إلا بنور الكشف بأنه تعالى خالق لأعمالهم، وكان رضي الله عنه يقول: قد ادعى أقوام محو آثار البشرية، فأخطأوا الطريق فإن الأكابر من الصحابة، والتابعين وصلوا إلى محو الصفات البشرية، وما تركوا قط شيئا من الواجبات الدينية[3] علما منهم أنها اختيار الرب لهم، ودعوته لهم حين أذن بها أن يأتوه بها ومن كان بأمر سيده كان بغير أمر نفسه فافهم معنى الفناء يا من وقع في العناء ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٣) وكان يقول: علامة الخروج عن الشيء تعسره، وعلامة الدخول في الشيء تيسره فمن صدق في خروجه عن الدنيا تعسرت أسبابها عليه فلا يتيسر له إلا ما كان على اسم غيره، وكان يقول: لا تطلب الأكوان، فإنها ما خلقت بالأصالة إلا لك، وأنت خلقت

---

(١) ويقصد به الإنسان الكامل فإنه غير موجود، وإن وجد لا يعرف كما نص على ذلك مشايخنا.

(٢) وتحدث الإمام الشعراني في المنن أن مما من الله به عليه أنه كان لا ينكر على أحد ادعى مقاماً حتى لو ادعى مقام القطبانية.

(٣) وقد كان الصحابة هم خير من أتقن مقام الفناء، وبرغم ذلك لم يسقطوا عن أنفسهم شيئاً من الشرائع والتكاليف.

لربك، فإن طلبت ما خلق لك، وتركت ما أنت مطلوب له انعكس بك السير، وإن أقبلت على ربك طلبتك الأكوان بنفسها، وخدمك كل شيء، فافهم وقد قال لحق لسيدي أحمد بن الرفاعي رضي الله تعالى عنه في منامه ما تريد يا أحمد فقال :أريد ما تريده قال :تعالى لك المراد ولك مني كل يوم مائة حاجة مقضية. وكان يقول: إذا فتح على السالك فتح التعرف لا يبالي قل العمل أو كثر[1]، وكان يقول: لما علم أهل الله تعالى أن كل نبات لا ينبت، ويثمر إلا بجعله تحت الأرض تعلوه الأرجل جعلوا نفوسهم للكل أرضا ليعطيهم ما أعطى أصفياءه، وأولياءه. وكان رضي الله تعالى عنه يقول: وقوع بعضهم في بعض المحرمات ليتستر بها عن أهل الزمان يقاس على من لم يجد ما يسبغ به اللقمة إلا الخمر قاله الغزالي قال وإذا ساغ ذلك لأجل حياة دنيوية، فأولى ما يفوت به حياة أخروية لا يقال ارتكابهم فيه ما يوقع الناس في سوء الظنون به وهو حرام لأنا نقول إن من أخلاقهم العفو والصفح، وعدم المؤاخذة بل هم رحمة بين أظهر العباد .

قلت: ولو سامح العبد فحق الله باق من حيث أنه تعدى حدود الله تعالى، فالإشكال باق والله أعلم، وكان يقول: قال علماؤنا: لا تصلح العزلة إلا لمن تفقه في دينه، وقد كان السلف يشتغلون أولا بالعلم إلى سن الأربعين ثم يعتزلون للاستعانة بالعزلة على العمل بما علموا فافهم، وكان رضي الله تعالى عنه يقول: دليلنا في القول بالخلوة ما صح أنه ﷺ كان يختلي في غار حراء حتى فجأه الوحي فدل على أن الخلوة حكم مرتب عليه الوحي وذريعة لمجئ الحق، وظهور نور الله تعالى، وكان يقول: من شرط الخلوة الطي، وله تأثير كبير، واختار القوم الأربعين لأن الأربعين فيها يكون نتاج النطفة علقة ثم مضغة ثم صورة، وهي مدة الدر في صدفه وعدد أيام توبة داود عليه الصلاة والسلام، وكان يقول: الفرق بين الكشف الحسي والخيالي أنك إذا رأيت صورة شخص أو فعلا من أفعال الخلق ففمض عينيك فإن بقي لك الكشف فهو خيالي وإن غاب عنك فهو حسي، فإن الإدراك تعلق به في الموضع الذي رأيته . وكان رضي الله عنه يقول: إذا ورد وارد

(١) أى لا يشترط فى الفتح كثرة العمل بقدر ما يشترط سلامة النفس من العلل الباطنية.

الوقت فاقبله، ولا تتعشمه[1] فإن تعشقته حجبت به عن الترقي، وكان يقول: إذا ورد عليك وارد فاحفظه فإنك تحتاج إليه إذا ربيت، فإن أكثر الشيوخ إنما أتى عليهم في التربية لتفريطهم في حفظ ما ذكرناه وزهدهم فيه، وكان يقول: من المحال أن ينفتح باب الملكوت، والمعارف، وفي القلب شهوة كما أن من المحال أن ينفتح باب العلم بالله من حيث المشاهدة، وفي القلب لمحة للعالم بأسره الملكي، والملكوتي، وكان يقول: إذا ورد الوارد بخفة، ولطافة، وأعقب علما فهو من الملك، وإن ورد بثقل، وتعب في الأعضاء، فهو من الشيطان، فاعلم ذلك تفرق بينهما، وكان يقول: لما خلت المرآة المحسوسة من جميع الألوان انطبعت فيها صورة الأكوان، وكذلك القلب إذا تفرغ من انطباع الطباع، والأوهام أشرق فيه نور الشعاع[2] فأحرق هشيم الشهوات، وتراءت لهم المغيبات، وأبصر ما مضى، وما هو آت، وكان يقول: ما يبدو لك من الإشراق إنما هو نور ذكرك يشرق في مرآة قلبك ثم ينشد

مثل لنفسك بيتا أنت ساكنه ... من المرائي، وأثبت قطب مركزكا

وقل له: يا أنا هل كنت قط أنا ... فلا يجيبك إلا أنت عنك بكا

وكان يقول: التطهر من الجنابة المعنوية مقدم على الحسية فإن الجنابة الحسية ربما رخص لصاحبها في بعض الأوقات، والمعنوية لا رخصة فيها البتة، ولهذا ترى كثيرًا من الموسوسين ليس عنده نشقة من نسيم الحضرة القدسية لعمى بصيرة قلبه فافهم، وكان ﷺ يقول: أهل الطبيعة هم الدهرية القائلون بأن لا صانع للعالم إلا وجود الطبيعة، وأهل العلة هم الفلاسفة القائلون بقدم العالم، وكلهم في ظلمات بعضها فوق بعض وكان يقول كل ما دلك على الله فهو نور، وكل ما لم يدلك عليه فهو ظلمة فتأمل، وكان يقول في معنى قول بعضهم

---

(١) أى لا تتعلق به وإلا حجبك عن الترقى لما هو أعلى وأتم منه.

(٢) وذلك لأن القلب كالمرآة بالنسبة للناظر إليها، فإنها لا تكشف إلا ما يبدو فيها من المرائى، فمن نظر إليها بشهوة ظهرت فيها شهوته، ومن طمست أوصافه لم ير فيها نفسه ورأى فيها الحق الصراح فافهم. فهناك تبدو تجليات الحق واضحة فى تلك المرآة بعد انقشاع الصدأ والران عنها.

في كل شيء اسم من أسمائه تعالى: أي أن وجود الأشياء كلها مضافة إلى أسمائه تعالى متعلقة بها غير خارجة عنها من خير، وشر، ونفع، وضر، وإعطاء، ومنع، وغير ذلك. وكان يقول: يصل العارف إلى مقام، ويكون خطابه لغيره من باب خطاب الصفة لموصوفها، فافهم ما تحته، وكان يقول: ليس في الوجود إلا ما سبق به العلم، وأوجدته القدرة، وخصصته الإرادة، ورتبته الحكمة، فذرات الوجود ما خرجت عن حكم هذا الشهود فكيف يكون الغير حجابا على الحمقى، والغير منفى بهذا الاعتبار، الله أكبر قد طلع النهار، وأضاءت الأنوار على رغم أنف الكفار :

إذا ما تجلى الحق من غيب ذاته تلاشى وجود الغير حقا بلا شك

وطاح حجاب الكون في كل مشهد فنزه وجود الحق منك عن الشرك

وكان يقول: لما طلب موسى عليه السلام من الحق الرؤية زيادة على ما آتاه من الكلام لم يجبه، وقال: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٤) فدلت الآية على أنه لا ينبغي للعبد أن يطلب الزيادة على ما أعطاه الله تعالى إلا مع التفويض، وكان يقول: الفتح على المريد بالأمور قد يكون امتحاناً، وقد يكون تأنيساً، وقد يكون تثبيتاً، وكان يقول؛ ينبغي للمريد أن يجتهد أن لا يخرج له نفس إلا بمحمود، ولا يدخل عليه نفس إلا بمحمود فإن تم له ذلك فهو المريد.

قلت: هذا شيء لا يجيء بالتفعل إنما هي خلعة يخلعها الله تعالى على من يشاء والله أعلم، وكان يقول: إنما كان الأين في حقه تعالى محالا لأن الأين محتاج إلى أين فيتسلسل، وما يتسلسل، فلا يتحصل، ولا يلزم من إطلاق مجاز اللفظ أن يكون له حقيقة فافهم وإذا فهمت المعاني فلا مشاحة في الألفاظ، وقد قال الإمام مالك رضي الله عنه: بالمعاني تعبدنا لا بالألفاظ، وكان يقول: كل ما سوى الله تعالى لهو ولعب، ولو أعطاك من الشهود ما أعطاك فلكل مقام مقال، ولما سمعت رابعة العدوية رضي الله تعالى عنها شخصا يتلو قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ

﴿٢٠﴾ ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (الواقعة: ٢٠، ٢١) قالت نحن إذن صغار حتى نفرح بالفاكهة والطير[١]، فانظر رحمك الله تعالى كيف لم تفرح بغير الله تعالى وعلمت أن ما سواه من الموهبة، والعطاء كالخشخاشة التي يسكت بها الصغير وكان يقول: نظر الحق تعالى بالبصر جائز وقوعه في الدنيا عقلا لمن شاء الله تعالى صرح بذلك أبو الحسن الأشعري رضي الله تعالى عنه، ولا يلزم على ذلك محال فإياك يا أخي أن تقع في ورطة الإنكار فإنه يستحيل على السيد موسى عليه الصلاة والسلام أن يسأل ما كان مستحيلا أو أن يعطل صفة من صفات ربه أو أن يجهلها، وكان يقول: إنما حجب الخفاش عن الأبصار لضوء النهار ما غلب عليه من تراكم الأنوار فافهم، وكان يقول في معنى قول موسى عليه السلام ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ (الأعراف: ١٤٣) بلسان الإشارة أرني أي بالغيبة عني أنظر قدس ذاتك بتنزيه صفاتك إذ لا يراك سواك وامح عني الظلام ولا تحجبني بوهم الخيال، وكان يقول :شهود حضرة الحق بحسب الحاضر لا بحسب الحضرة لأن الحقائق الربانية لا تدركها الإنسانية من جميع وجوهها، فافهم تعلم أن تلون حقائق التجريد في مقامات التوحيد بحسب الرائي لا بحسب المرئي في جميع أطوار التجليات مما يقال، ومما لا يقال، وكان يقول: احذروا زخارف أهل الرضا عن النفس خصوصا الذين اتخذوا العلم حرفة، وشبكة لصيد حرام الدنيا مع تكبرهم على الناس فإنهم قد حرموا خيري الدنيا والآخرة ولهم نعوت ممقوتة، وأحوال مزرية لم تبق لهم بين الناس حرمة، ولا قبول شفاعة اتخذوا حسن الزي شعارًا، وتكبروا بذلك استكبارًا، وقد قال الشيخ تاج الدين رحمه الله تعالى في الحكم لأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه فافهم، ومما جربناه فصح أنه من أراد قضاء حوائجه، ودفع مصائبه، فليرفع الأمر إلى الله تعالى قبل أن يعلم بها الناس هكذا عادة الله تعالى مع من يتعلق به أول مرة، فاعمل على ذلك فإنه الكبريت الأحمر،

(١) أى أن فرح العارف لا يكون سوى بالحق عز وجل، وإنما أمثال ما ورد فى القرآن أن فى الجنة كذا وكذا من الحور والولدان والفاكهة والطير إنما هى تعبيرات للعوام الذين هم دون الخواص وخواص الخواص.

والفرج القريب، والمعين على ذلك الصبر وكان يقول: بلغنا أن يونس عليه السلام اجتمعت روحه بروح قارون لما التقمه الحوت فرأى قارون نازلا، فقال ليونس عليه السلام: تعلق بربك يا يونس في أول أمرك ينجيك، فقال له يونس: وأنت قال تعلقت بابن الخالة موسى، فوكلني إليه ولهذا كما قيل عاتب الله موسى عليه السلام، وقال وعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته، وكان يقول: أحسن الظن بربك من حيث محبة جماله، وجلاله، فإن ذلك وصف له لا يتحول، ولا تحسن الظن بربك لأجل إحسانه إليك فربما قطع ذلك عنك فتسيء الظن به، فليحذر السالك من علة هذا المقام وكان يقول: غاية رحلة السائرين بالأشباح السير إلى الله وبداية رحلة السائرين بالأرواح في الله أي في التنزه في عجائب قدرته فافهم، فالأولون ينتهي سيرهم، والآخرون لا ينتهي لهم سير[1]، وقد قيل مرة للشيخ أبي الفتح الواسطي رضي الله عنه ما تقول في جماعة من أئمة الزهاد، ومن صدور هذه الأمة فلان وفلان وفلان، فقال أولئك قوم خرجوا عن شهواتهم الدنيوية لأجل شهواتهم الأخروية، فأين الفناء في الله والبقاء به . ولما سمع الشبلي رضي الله عنه قوله :" منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة "صاح صيحة عظيمة، وقال فأين الذين يريدون الله تعالى .وكان يقول في قوله تعالى : ﴿كُلُوا واشْرَبُوا﴾ (البقرة: ٦٠) وإن كان ظاهره إنعاما فباطنه انتقام، وابتلاء، واختبار لينظر تعالى من هو معه، ومن هو مع حظ نفسه فافهم دقائق أحكام الباطن، ولا تغتر برخص الظاهر تكن من أهل الفهم عنه، وكان رضي الله عنه يقول: إذا لم تجد أيها المريد صاحب الحال فعليك بصاحب القال : ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ (البقرة: ٢٦٥) وإياك، وصحبة من لا قال له ولا حال، وكان يقول: يجب على الفقير إذا آخى في الله تعالى أن يشاطر أخاه في ماله كما فعلت الأنصار مع المهاجرين حين قدموا عليهم المدينة، وهم فقراء فكل من ادعى الأخوة في الله فامتحنه بهذا الميزان، وكان يقول: أخوك حقيقة من وافقك في الذوق، ومدد الإفهام لا من شاركك في معنى صورة النطفة في الأرحام، وكان يقول: ما رقي أحد إلى

(١) فهم يترقون إلى الله ومع الله إلى الأبد بلا انقطاع، ويكون ترقيهم بعد الموت أعظم.

مركز عال إلا قلت أشكاله المعنوية، وجلت نفائس دقائقه على غالب الإفهام، وهذا موجب قلة الأتباع، والأصحاب لكمل العارفين، وكان يقول: الأدب أن يقول العبد: فلان من أصحابي إلا إن كان دونه بدرجات، فإن كان مساويه أو فوقه فليقل أنا خادمه أو مريده هكذا درج السلف، وكان يقول: ينبغي لمن خدم كبيرًا كاملا ثم فقده أن لا يخدم من دونه إلا إذا كان أكمل منه، وإلا جعل صحبته مع الله تعالى، وكان يقول: ما ثقل على الأشياخ خدمة أحد من الفقراء لهم إلا لعلة في قلب الخادم كتمها عنهم، وهذه علة لا يسلم منها إلا من أتى الله بقلب سليم، ولو أن الخادم كان أظهر لهم تلك العلة لربما وصفوا له دواءها أو شفعوا له فمحاها الله تعالى عنه من اللوح أو سألوا النبي ﷺ في الشفاعة فيه فيشفع إلا إذا كان قضاء مبرما لا مرد له، وقد رأى السيد عبد القادر الجيلي لمريده أنه لا بد له أن يزني بامرأة سبعين مرة، فقال: يا رب اجعلها في النوم، فكان كذلك[1].

وكان رضي الله عنه يقول مما اخترته من أدب المصاحبة، والمجالسة أنك إذا جالست أهل الدنيا، فحاضرهم برفع الهمة عما بأيديهم مع تعظيم الآخرة، وإذا جالست أهل الآخرة، فحاضرهم بوعظ الكتاب وآداب السنة، وتعظيم دار البقاء، وإذا جالست الملوك، فحاضرهم بسيرة أهل البدن، وسياسة العقلاء مع حفظ الأدب معهم، والعفاف عما بأيديهم، وإذا جالست العلماء، فحاضرهم بالروايات الصحيحة والأقوال المشهورة في المذاهب المعلومة بالحق دون الهوى مع الإنصاف لهم، في القول والفهم المبتكر إذا وافق الصواب مع عدم الجدال، والمراء المظهر لحب العلو عليهم، وإذا جالست الصوفية فحاضرهم بما يشهد لأحوالهم الحقانية، ويقيم لهم الحجة على المنكر عليهم مع آداب الباطن قبل الظاهر وإذا جالست العارفين فحاضرهم بما شئت، فإن لكل شيء عندهم وجها من وجوه المعرفة لكن بشرطين الكلام، وحفظ الحرمة، والأدب فإن حضرتهم صباغة، فالمعنى الذي تدخل عليهم

---

(١) نعم فلابد للشيخ أن يدافع عن تلميذه ويشفع له عند ربه، لاسيما فى قضايا النوازل والابتلاءات، وفى ذلك يقول الإمام البوصيرى رضي الله عنه:

ومن تكن برسول الله نصرته

إن تلقه الأسد فى آجامهاتجم

به يخرج منهم يكسوك مشهدك فيهم، ويلبسك ما توجهت به إليهم إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، وكان يقول: عليك بتكثير سواد القوم فإن من كثر سواد قوم فهو منهم.

وكان رضي الله عنه كثير الرؤيا لرسول الله ﷺ، وكان يقول قلت لرسول الله ﷺ: إن الناس يكذبونني في صحة رؤيتي لك، فقال رسول الله ﷺ: وعزة الله وعظمته، من لم يؤمن بها أو كذبك فيها لا يموت إلا يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا هذا منقول من خط الشيخ أبي المواهب رضي الله تعالى عنه، وكان رضي الله تعالى عنه يقول: رأيت رسول الله ﷺ على سطح الجامع الأزهر عام خمسة وعشرين وثمانمائة فوضع يده على قلبي، وقال :يا ولدي الغيبة حرام ألم تسمع قول الله تعالى : ﴿ولا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ (الحجرات: ١٢) وكان قد جلس عندي جماعة فاغتابوا بعض الناس ثم قال ﷺ، فإن كان ولا بد من سماعك غيبة الناس، فاقرأ سورة الإخلاص، والمعوذتين، واهد ثوابها للمغتاب، فإن الغيبة والثواب يتوارثان، ويتوافقان إن شاء الله تعالى، وكان رضي الله عنه يقول: رأيت رسول الله ﷺ فقال لي: هات يدك أبايعك، فقلت :يا رسول الله لا قدرة لي أخاف أن يقع مني معصية بعد المبايعة، فقال :هات يدك فبايعني، ولا تضرك الفلتة والزلة إن وقعت، وتبت منها وكأنه يشير ﷺ إلى أن العبد قد يصلح الله تعالى حاله ليسد عنه بها ثلمة تقع في دينه بعجب أو كبر، ونحوهما هذا منقول من خطه رضي الله تعالى عنه، وكان رضي الله تعالى عنه يقول: جاءني جماعة يأخذون عني الطريق فرأيت النبي ﷺ، فقال لي :الجماعة غير مؤمنين بك إلا واحدًا بعض الإيمان، فهو يراك بالعين العوراء، وسيختم الله له بخاتمة الخير، والموت على الإسلام[1]. وكان رضي الله عنه يقول: ألبسني رسول الله ﷺ خرقة التصوف، وكان رضي الله عنه يقول: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي :قل عند النوم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم خمسا بسم الله الرحمن الرحيم خمسا ثم قل :اللهم بحق محمد أرني وجه محمد حالا، ومآلا فإذا قلتها عند النوم، فإني آتي إليك، ولا

(١) أى أن رسول الله ﷺ هو الذى يختار المريدين للمشايخ فى الحقيقة فى الباطن.

أتخلف عنك أصلا ثم قال : وما أحسنها من رقية، ومن معنى لمن آمن به هذا منقول من لفظه رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه يقول: رأيت رسول الله ﷺ، فقلت :يا رسول الله لا تدعني، فقال :لا ندعك حتى ترد على الكوثر، وتشرب منه لأنك تقرأ سورة الكوثر، وتصلي علي أما ثواب الصلاة فقد وهبته لك، وأما ثواب الكوثر فأبقه لك ثم قال :ولا تدع أن تقول أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه، وأسأله التوبة والمغفرة إنه هو التواب الرحيم مهما رأيت عملك، أو وقع خلل في كلامك هذا منقول من لفظه رضي الله عنه .وكان رضي الله عنه يقول: رأيت رسول الله ﷺ فقال لي :أنت تشفع لمائة ألف قلت له: بم استوجبت ذلك يا رسول الله قال :بإعطائك لي ثواب الصلاة علي، وكان رضي الله عنه يقول: استعجلت مرة في صلاتي عليه ﷺ، لأكمل وردي، وكان ألفاً ، فقال لي ﷺ أما علمت أن العجلة من الشيطان ثم قال :قل :اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد بتمهل وترتيل إلا إذا ضاق الوقت، فما عليك إذا عجلت ثم قال :وهذا الذي ذكرته لك على جهة الأفضل وإلا فكيفما صليت، فهي صلاة، والأحسن أن تبتدئ بالصلاة التامة أول صلاتك، ولو مرة واحدة وكذلك في آخرها تختم بها. قال لي ﷺ: والصلاة التامة هي اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم، وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم، وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، هذا منقول من لفظه رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه يقول: رأيت رسول الله ﷺ، فقال لي :إن شيخك أبا سعيد الصفروى يصلي علي الصلاة التامة، ويكثر منها، وقل له إذا ختم الصلاة أن يحمد الله عز وجل، وكان رضي الله عنه يقول: رأيت النبي ﷺ، فقال :إذا كان لك حاجة، وأردت قضاءها، فانذر لنفيسة الطاهرة، ولو فلسا فإن حاجتك تقضى، وكان رضي الله عنه يقول: خذوا من مال السلطان دون حواشيه، فإن رسول الله ﷺ، أمرني أن أطلع إلى السلطان جقمق[1]، وأسأله من الدنيا شيئاً،

(١) قلت: لعل هذا السلطان كان رجلاً صالحاً في الحقيقة، لأن الأنبياء لا يأمرون أحداً أن يأكل من مال أحد إلا إن كان ماله حلالاً، ولذلك أمره ﷺ أن لا يأكل من مال حاشية السلطان.

فطلعت له فأعطاني مائة دينار، واعتذر إلي بأن ما عنده غيرها، وكان رضي الله عنه كثير البكاء، والحزن قريب الخشية قل من سمعه يبكي إلا ويبكي معه، وكان يقول: رأيت امرأة بمصر تدور على الأبواب، وهي تغني في مدح المصطفى ﷺ، فسألت النبي ﷺ عنها، فقال :هي ولية كبيرة، ولكنها تتستر بذكر محبوبها ألا تراها لا تذكر في كلامها إلا جدًا، وكان يقول: وقع بيني، وبين شخص من الجامع الأزهر مجادلة في قول صاحب البردة رحمه الله تعالى :

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

وقال لي ليس له دليل على ذلك فقلت له :قد انعقد الإجماع على ذلك فلم يرجع، فرأيت النبي ﷺ، ومعه أبو بكر، وعمر جالسا عند منبر الجامع الأزهر، وقال لي :مرحبا بحبيبنا ثم قال لأصحابه: أتدرون ما حدث اليوم؟ قالوا :لا يا رسول الله، فقال :إن فلانا التعيس يعتقد أن الملائكة أفضل مني، فقالوا بأجمعهم لا يا رسول الله ما على وجه الأرض أفضل منك، فقال لهم :فما بال فلان التعيس الذي لا يعيش، وإن عاش عاش ذليلا خمولاً مضيقا عليه خامل الذكر في الدنيا، والآخرة يعتقد أن الإجماع لم يقع على تفضيلي، أما علم أن مخالفة المعتزلة لأهل السنة لا تقدح في الإجماع .قال رضي الله عنه ورأيته ﷺ مرة أخرى فقلت :يا رسول الله قول الأبوصيري فمبلغ العلم فيه أنه بشر معناه منتهى العلم فيك عند من لا علم عنده بحقيقتك أنك بشر، وإلا فأنت وراء ذلك كله بالروح القدسي والقالب النبوي قال ﷺ : صدقت، وفهمت مرادك ". وكان رضي الله عنه يقول: رأيت رسول الله ﷺ فقال لي :ما أحسن مجلسك قد غفر الله لكل من حضره بذكركم لله تعالى عقب فراغ القارئ، وكان يقول: رأيت مرة كأن حنشا دخل بين ثيابي، فرأيت رسول الله ﷺ، فسألته عن ذلك، فقال :الحنش هو صاحبك فلان قد بدا له فيك ورجع يؤذيك ولولا خوفه منك لعمل جهده في إيذائك، فكان الأمر كما قال ﷺ وكان رضي الله عنه يقول: كناني سيدي يحيى بن أبي الوفاء بأبي عابد، فرأيت سيدي عليا رضي الله عنه، وقال لي :هذه الكنية لا تصلح لك إنما تصلح لأرباب الأثقال، وإنما كنيتك أبو حامد قال :ثم رأيت النبي ﷺ، فقال

:كنيتك عندنا أبو حامد، وكذلك في السماء[1]، وقد دخلت، في دائرة بني الوفاء ومقامك كبير، وأنت ولي، وكان رضي الله عنه يقول: كنت أطلب من شيخي أبي سعيد الصفروي رضي الله عنه أن أقبل قدميه، فكان يوعدني بذلك، ويقول: لي : حتى يجيء الوقت، فلما مات سنة إحدى وخمسين وثمانمائة رأيت رسول الله ﷺ، فقال لي: اطلب من شيخك وعدته، فأخذت قدميه رضي الله عنه بعد وفاته، وقبلتهما، وقلت له :يا سيدي هذا إنجاز وعدك، وحرمتك ميتا كحرمتك حياً، وكان يقول: قلت. لسيدي وشيخي أبي سعيد الصفروي رضي الله عنه هل أترك أصحابي وأعتزل عنهم خصوصا الذين يؤذونني، فقال :لا تتركهم، وخالطهم بحسن الظاهر، وجاملهم وابق على ما أنت عليه ثم رأيت النبي ﷺ، فسألته عن قول شيخي، فقال: هو صحيح، وامش على طريق شيخك، وكان رضي الله عنه يقول: انقطعت عن رؤية رسول الله ﷺ مدة، فحصل لي غم بذلك فتوجهت بقلبي إلى شيخي يشفع في عند رسول الله ﷺ، فحضر عنده رسول الله ﷺ، فقال :ها أنا فنظرت فلم أره فقلت ما رأيته، فقال عليه الصلاة والسلام: سبحان الله غلبت عليه الظلمة، وكنت قد اشتغلت بقراءة جماعة في الفقه، ووقع بيني وبينهم جدال في إدحاض حجج بعض العلماء، فتركت الاشتغال بالفقه، فرأيته فقلت :يا رسول الله الفقه من شريعتك فقال :بلى ولكن يحتاج إلى أدب بين الأئمة، وكان رضي الله عنه يقول: تفل رسول الله ﷺ في فمي فقلت :يا رسول الله ما فائدة هذا التفل فقال :لا تتفل بعدها على مريض إلا ويبرأ، وكان رضي الله عنه يقول: امتنعت عني الرؤيا لرسول الله ﷺ ثم رأيته، فقلت :يا رسول الله ما ذنبي، فقال :إنك لست بأهل لرؤيتنا لأنك تطلع الناس على أسرارنا[2]، وقد كنت قد أخبرت شخصا من إخواني بشيء من الرؤيا فتبت إلى الله تعالى فرأيته بعد ذلك، وكان رضي الله عنه يقول: قال لي رسول الله ﷺ أنا لا أجتمع بمن يجلس مجالس الغيبة مع الناس، ولا يقوم منها . وكان يقول: رأيت رسول الله ﷺ، فقال لي :يا محمد ما هذه الغفلة، وما هذه الرقدة، وما

(١) ربما يكنى الملأ الأعلى من الملائكة الولى بكنية لا يعرف بها فى الأرض.

(٢) قلت: فيه دليل على أن بوح الإخوان من الصوفية ببعض المنامات والكرامات بدون إذن ربما يقطعها عنهم، وكفانا عبرة ما حدث للحلاج رضي الله عنه عندما تحدث بدون إذن فأصابه ما أصابه.

هذا الإعراض مالك تركت تلاوة القرآن، وما هذه الوريدات في جانب تلاوة القرآن لا تفعل ذلك أصلا بل اتل كل يوم، ولو حزبين لا أقل من ذلك كل يوم قال بعض أصحاب الشيخ: فما ترك الشيخ تلاوة القرآن من ذلك اليوم وكان يردد بعض الآيات مرارًا كثيرة يبكي، وتنحدر دموعه على خديه ولحيته، ويتأوه حتى لا يقدر أحد أن يتكلم بحضرته لما يرى من وجده، وكثرة بكائه، وكان ﷺ كثيرًا ما يسجد بعد السلام من النافلة سجود الشكر بعد ما يدعو[1]، وكان ﷺ يقول: رأيت النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله قد وهبت لك ثواب صلاتي عليك، وثواب كذا وكذا من أعمالي إن كان ذلك ما أردته بقولك للسائل الذي قال لك : " أفأجعل لك ثواب صلاتي كلها فقلت له إذاً تكفي همك ويغفر لك ذنبك ". فقال لي رسول الله ﷺ: نعم ذلك أردت، ولكن أبق لنفسك ثواب الكذا والكذا، فإني غني عنه . وكان ﷺ يقول: رأيت رسول الله ﷺ، فقبل فمي، وقال :أقبل هذا الفم الذي يصلي على ألفا بالنهار، وألفا بالليل ثم قال لي: وما أحسن "إنا أعطيناك الكوثر " لو كانت وردك بالليل ثم قال لي :ويكون دعاؤك اللهم فرج كرباتنا اللهم أقل عثراتنا اللهم اغفر زلاتنا، وتصلي علي وتقول: وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وكان يقول: لا يأتي النصر قط إلا بعد حصول الذل قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ (آل عمران: ١٢٣) وكان ﷺ يقول: رأيت رسول الله ﷺ، فقلت :يا رسول الله صلاة الله تعالى عشرًا على من صلى عليك مرة واحدة هل ذلك لمن كان حاضر القلب؟ قال لا بل هو لكل مصل علي غافلاً، ويعطيه الله تعالى أمثال الجبال من الملائكة تدعو له، وتستغفر له، وأما إذا كان حاضر القلب فيها، فلا يعلم ذلك إلا الله، وكان ﷺ يقول: قلت مرة في مجلس: محمد بشر لا كالبشر بل هو ياقوت بين الحجر فرأيت النبي ﷺ، فقال لي :قد غفر الله لك، ولكل من قالها معك، وكان ﷺ لم يزل يقولها في كل مجلس إلى أن مات، وكان ﷺ يقول: رأيت رسول الله ﷺ، وقال لي: كن أصحابك فلانا كذا، وفلانا كذا وكن فلانا أبا الظهور لأنه يتبع ظهور النساء ببصره، ولا عليك

(١) ربما كان يسجد سجود الشكر بعد أداء النافلة لتوفيق الله عز وجل له على أدائها، أو ربما سجد لاستجابة دعائه.

منه، وكان رضي الله عنه يقول: رأيت رسول الله ﷺ، فقلت له:يا رسول الله إني متطفل في علم التصوف، فقال ﷺ: اقرأ كلام القوم، فإن المتطفل على هذا العلم هو الولي، وأما العالم به فهو النجم الذي لا يدرك هذا منقول من لفظه رضي الله عنه وكان رضي الله عنه يقول: رأيت رسول الله ﷺ، فقال لي عن نفسه: لست بميت، وإنما موتي عبارة عن تستري عمن لا يفقه عن الله، وأما من يفقه عن الله فها أنا أراه، ويراني، وكان رضي الله عنه يقول: رأيت رسول الله ﷺ، فسألته عن الحديث المشهور "اذكروا الله حتى يقولوا مجنون "وفي صحيح ابن حبان "أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا مجنون "فقال ﷺ: صدق ابن حبان في روايته، وصدق راوي اذكروا الله، فإني قلتهما معا مرة قلت هذا ومرة قلت هذا، وكان رضي الله عنه يقول: رأيت رسول الله ﷺ، فقال لي :لا تخف من الحساد، فإنهم إن كادوك، فإن الله عز وجل يكيدهم ألم تسمع قول الله عز وجل ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ (الطارق: ١٥ ـ ١٧) ورأى بعض العارفين رسول الله ﷺ جالسا في مكان، فدخل عليه الشيخ أبو المواهب فقام له ﷺ فقص ذلك على سيدي أبي المواهب، فقال له :يا فلان اكتم ما معك فإن النبي ﷺ هو روح الوجود، وما قام لأحد إلا قام له الوجود، وكان رضي الله عنه يقول: من أراد أن يرى النبي ﷺ، فليكثر من ذكره ليلاً ، ونهارًا مع محبته في السادة الأولياء وإلا فباب الرؤيا عنه مسدود لأنهم سادات الناس، وربنا يغضب لغضبهم، وكذلك رسول الله ﷺ، وكان رضي الله عنه يقول: إن أولياء الله يطلعون على أمور لم يطلع عليها العلماء، فلا يسع الخائف على دينه إلا الأدب و لتسليم، وكان رضي الله عنه يقول: عليك بصحبة الفقراء لو لم يكن إلا أخذهم بيدك يوم القيامة مع ما يحملونه عن أصحابهم في دار الدنيا من المصائب، والهموم، والأحزان، وما يتلقون به القادم عليهم في البرزخ من الفرح والإكرام، وكان يقول: ينبغي للفقير أن يتعاهد مع أخيه أن كل من سبق لحضرة الله تعالى منهما يكون وسيلة له عند ربه، وكان رضي الله عنه يقول: انظر إلى المؤمن لما صحب الحق تعالى من حيث تخلقه باسمه المؤمن كيف لا تقدر عليه النار، وتقول له: جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي، وكان يقول: بلغنا

أنه يؤتى بمن اسمه محمد يوم القيامة، فيقول الله له: أما استحيت إذ عصيتني، وأنت سمي حبيبي لكن أنا أستحي أن أعذبك، وأنت سمي حبيبي اذهب فادخل الجنة[1] .وكان يقول: صحبة المبتدي للمنتهي الذي لم يقف على مراسم الرسوم مضرة غير نافعة لا سيما إن كان المنتهي خضري المقام المباين لحكم عالم الملك والشهادة فهذا ليس به انتفاع لأصحاب البداية البتة قال المحقق أبو عبد الله النفري: أوقفني الحق تعالى في التيه ثم قال لي :من جملة كلامه اصحب المحجوب، وفارق الموصول، وذلك لأن صحبة المحجوب أنفع للمحجوب من صحبة المكاشف بالغيوب لأنه يفعل على شاكلة ما شهد في الملكوت، وربما يكون ذلك غير مطابق له في الملك لأن حكم الغيب غير حكم الشهادة واعتبر أيها المنكر بقصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام، ففي ذلك مقنع للعاقل فافهم . وكان رضي الله عنه يقول: التسليم للقوم أسلم لكن الاعتقاد فيهم أغنم فكم استغنى بصحبتهم فقير وجبر كسير وارتفع وضيع، وستر شنيع، ومات غوي، وهلك ظالم ورفعت مظالم . وفيهم ورد الحديث "بهم ترزقون وتمطرون وترحمون "وكان رضي الله عنه يقول: قد غلط أكثر الناس في وصف أهل الصلاح بالتحول والتقشف فقط وليس الأمر كما ظنوا بل فيهم السمين، والهزيل، والمترفه، والمتقشف، ودليل السمين قوله تعالى : ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ (البقرة: ٢٤٧) وكان صلى الله عليه وسلم له عكن من السمن، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه بدينا عظيم البطن، وكذا ذكر شيخنا الحافظ ابن حجر في صفة الأستاذ الكبير سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه أنه كان غليظ الساقين عظيم البطن[2]، وأما دليل المترفه، والمتقشف، فكثير في السنة المحمدية، وكان رضي الله عنه يقول: احذر بعد صحبة القوم أن تفشي أسرارهم لغيرهم، ومن ليس له مشربهم، ولاذوقهم، فإن الله تعالى ربما مقتك، فخسرت الدنيا، والآخرة، فلا يخفى أن

---

(١) هو مثال وعظى لكل من اسمه محمد أن يحترم الاسم ويتخلق به، وإلا فيستحيل حقيقة لكل من اسمه محمد أن يدخل الجنة حتى ولو زنى وقتل وسرق بدون سابقة عذاب فافهم والله تعالى أعلم.

(٢) وقد ورد أن الشبلى كان سميناً وكان عبد الله بن الزبير عظيم الجثة وكان أقوى أهل زمانه، وكذلك حكى عن سيدى محمد بن الحنفية أنه كان عظيم الخلقة وأنه كان أقوى أهل عصره، وليس فى السمن ما يشين السالك، بل الفيصل فى ذلك هو نظافة الهيكل من العلل الباطنية.

إظهار السر كإظهار العورة، وقد حرم كشفها، والنظر إليها والتحدث بها. وورد "من ستر عورة أخيه ستر الله عورته، ومن كشف عورة أخيه كشف الله عورته حتى يفضحه "وهذا الأمر يقع فيه كثير ممن يدخل في صحبة الفقراء من غير صدق، ويفارقهم بغير جميل وأنشد :

تغير إخوان هذا الزمان ... فكل خليل عراه الخلل
وكانوا قديما على صحة ... فقد داخلتهم حروف العلل
قضيت التعجب من أمرهم ... فصرت أطالع باب البدل

وكان رضي الله عنه يقول: إذا نقل إليك أحد كلاما عن صاحب لك فقل له: يا هذا أنا من صحبة أخي ووده على يقين، ومن كلامك على ظن[1]، ولا يترك يقين لظن، وكان ينشد كثيرًا :

شاور أخاك إذا نابتك نائبة ... يوما وإن كنت من أهل المشورات
فالعين تلقى كفاحا ما نأى ودنا ... ولا ترى نفسها إلا بمرآة

وكان يقول: من حمل الفقراء ما يرد عليه من النكد فكأنه بال عليهم إذ ورد، وكان يقول: كان الإسراء برسول الله ﷺ إلى المراكز العلية ليشهد الملائكة الملكوتية ما ليس فيهم، ولا في الملكوت من عزيز الخصائص وكمال النعوت فأراد الحق بالإسراء أن يرى محمدًا ﷺ قدر ما أنعم به عليه فكان ظاهره اجتباء وباطنه ابتلاء لعدم قيام العبد بشكر جميع النعم الربانية فافهم[2]، وكان يقول: لا تستقل بالعالم الفقير، ولا تنظر إليه بالتحقير فربما تقدم على أهل الزمان إذا جاء وقت الامتحان لهم وكان رضي الله عنه يقول: شيخ الأمير طبل كبير، وشيخ السلطان أخو الشيطان، وكان يقول: الأستاذ هو من كمل الدوائر، وانطوى فيه

(١) وهذا شأن كبار الصوفية أنه لا يعود نفسه على سوء الظن بأحد أبداً، حتى لا تتربى نفسه على ذلك، بل هو في حسن ظن دائم، حتى بمن يسيء إليه من الخلق.

(٢) قلت: في كلامه قصور إذ أنه ﷺ سيد الشاكرين على الإطلاق، وقد صرح بذلك بقوله: «أفلا أكون عبداً شكوراً».

علم الأوائل والأواخر ويسمى بالعالم المطلق فكل أستاذ شيخ، ولا عكس، وكان يقول: من شرط المريد أن لا يخرج عن التحديد، وكان كثيرًا ما يتمثل بقول الشيخ محيي الدين رضي الله عنه حين يستغرب أحد قولا :

تركنا البحار الزاخرات وراءنا فمن أين يدري الناس أين توجهنا

وكان رضي الله عنه يقول: كان سجود الملائكة عليهم السلام لآدم عليه السلام إشارة لتواضع الصغير للكبير، وإظهارًا للكرامة بظهور صورته بسمة محمد ﷺ وذلك أن رأس آدم عليه السلام ميم، ويديه حاء وسرته ميم،ورجليه دال، وكذا كان يكتب في الخط القديم وإنما لم تظهر اليد الأخرى حتى يكون يميناً وشمالا هكذا .لأن الأول أعظم في المدح، لأنه ﷺ كان ينظر من خلفه كما ينظر من أمامه فيصير يسار الخلق يمينا لذلك الوجه المختص به ﷺ، ومن هنا قال بعض العارفين لا يقال ليد النبي ﷺ يسار، وإنما يقال اليمين الأول اليمين الثاني أو يمين وجهه، ويمين خلفه .وهنا دقيقة وهي خروج عدد المرسلين الثلاثمائة والثلاثة عشر من اسمه محمد فالميم الأول منه إذا نطقت بها كانت ثلاثة أحرف، والحاء حرفان حاء وألف، والهمز ساقط، والميم المضعف كذلك بستة أحرف، والدال كذلك دال ألف لام فإن عددت حروف اسمه كلها ظاهرها، وباطنها حصل لك من العدد ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد الرسل المتفرعين منه ﷺ الجامعين للنبوة، ويبقى واحد من العدد هو لمقام الولاية المفرق على جميع الأولياء التابعين للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وله ﷺ فافهم، وقد التقطت جميع ما نقلته عنه من شرحه للحكم، ومن كتاب القانون له رضي الله عنه والله أعلم .

ومنهم الشيخ حسين الآدمي رضي الله عنه

أحد مشايخ سيدي أحمد الزاهد رضي الله عنه، وكان مقيما بالحسينية بمصر قال سيدي أحمد الزاهد : وكان أصله من مراكش بأرض المغرب، وكان له هناك أرض يزرعها، ويرعى فيها غنمه فلما جاء إلى مصر كان كل يوم يرسل غنيماته مع النقيب يرعاها بمراكش، ويبيتها بمصر، قال سيدي أحمد رضي الله عنه، وكنت جالسا

عنده يوما فجاء يهودي، وقدم رجله وهي في النعل، وقال يا مسلم اقطع لي هذه الجلدة التي تؤذيني فقال بسم الله وأخذ الشفرة، وقال الله أكبر فصاح اليهودي أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وقال يا أحمد إن عشت افعل كذا رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ أحمد بن سليمان الزاهد رضي الله عنه

هو الشيخ الإمام العالم العامل الربائي شيخ الطريق، وفقيه أهلها ربي الرجال، وأحيا طريق القوم بعد اندراسها، وكان يقال هو جنيد القوم . وكان يتستر بالفقه لا تكاد تسمع منه كلمة واحدة من دقائق القوم[1]. وصنف عدة رسائل في أمور الدين، وكان يعظ النساء في المساجد، ويخصهن دون الرجال، ويعلمهن أحكام دينهن، وما عليهن من حقوق الزوجية، والجيران، وعندي بخطه نحو ستين كراسا في المواعظ التي كان يعظها لهن، وكان رضي الله عن يقول: هؤلاء النساء لا يحضرن دروس العلماء، ولا أحد من أزواجهن يعلمهن، وكان يقول: بينما أنا ذاهب إلى المكتب، وأنا صبي عارضني شخص من أولياء الله أشعث أغبر فطلب مني غدائي فأعطيته له، وعزمت على الجوع فأخذه مني وقال لي يا أحمد تبني لك جامعا في خط المقسم، وتلقب بالزاهد، ويعارضك في عمارته جماعة، ويخذلهم الله عز وجل، وتصير المشار إليه في مصر ويتربى على يديك رجال فكان الأمر كما قال، ولم أجتمع بذلك الرجل بعد ذلك اليوم .

قلت: وقد عارضه من العلماء جماعة منهم شيخ الإسلام ابن حجر، وجمال الدين صاحب الجمالية التي بالقرب من خانقاه سعيد السعداء حتى أرسل إلى الترّاب[2]، ومنعه أن ينقل تراب عمارة جامع الشيخ فقال الشيخ كل فقير لا يظهر له برهان لا يحترم له جناب ثم وضع رأسه في طوقه، وتوجه في تغيير

---

(١) قلت:وهذا حجابه لكونه بذلك أمر، وكان سيدى أحمد الرفاعى يقول: أمرت بالصمت، ولم يتصدر مجلساً قط، وكان شيخنا عبد المجيد رضي الله عنه حجابه الصمت، ولم يتصدر مجلس علم قط حتى مات لا فى فقه ولا فى علم التصوف.

(٢) الترّاب بتشديد الراء هو الذى ينقل التراب.

خاطر السلطان على جمال الدين فأرسل ذلك الوقت وراءه وحبسه ولم يذكر له ذنباً ، ولم يزل جمال الدين محبوسا حتى فرغ الشيخ من تعمير الجامع، وقال للتراب انقل وقلبك قوي طيب لا نطلقه من الحبس حتى تفرغ، وأنكر عليه أيضا قبل ذلك الشيخ سراج الدين البلقيني، وبالغ في إنكاره عليه فبلغ ذلك سيدي أحمد فقال ماذا ينكر علينا؟ فقال يقول: إنك تأخذ طوب المساجد الخراب تبنى بها جامعك فقال كلها بيوت الله ثم إن الشيخ دخل الجامع الأزهر بقصد البلقيني، ونصب كرسيا في صحن الجامع وهو في حال حتى صارت عيناه كالجمر الأحمر ثم جلس على الكرسي وقال من يسألني عن كل علم نزل من السماء أجيبه عنه فبهت الناس كلهم، ولم يسأله أحد فلما سرى عنه قال من جاء بي إلى هنا فقالوا له وقع منك كذا، وكذا وقلت كذا وكذا فقال لهم هل سأل أحد فقالوا لا فقال الحمد لله لو خرج إلينا أحد لافترسناه ثم خرج من الجامع.

وكان رضي الله عنه إذا دعي إلى شفاعة عند من لا يعرفه يقول: لصاحب الحاجة اذهب فخذ لك أحداً من وجوه الناس، واسبقني إلى بيت الرجل فإذا جئت فقوموا، وتلقوني وعظموني حتى تمهدوا لي مكانا للشفاعة فإني رجل مجهول الحال بين هؤلاء، وكان يقول: ما دخل أحد إلى مسجدي هذا ثم صلى ركعتين إلا أخذت بيده في عرصات القيامة فإن الله شفعني في جميع أهل عصري، وكان يستر نفسه، ولا يذكر قط شيئا من الكشف إلا على لسان بعضهم، وأخلى مرة مريداً فكشف للمريد أن الشيخ من أهل النار فتوجه إلى الله أن يمحو اسم شقاوته فدق الشيخ على المريد، وقال يا ولدي أنا لي منذ ثلاثين سنة أرى ذلك، ولا اعترضت، ولا سألت التغيير فأنت في ساعة واحدة تقلقت ثم توجه الفقير فوجد الشيخ قد حول اسمه في السعداء وكان رضي الله عنه يمتحن المريد قبل أن يأخذ عليه العهد سنة وأكثر . ولما جاء سيدي محمد الغمري ليأخذ عنه الطريق وافق الدخول بعد العشاء، وقد أغلق باب الجامع فقال افتحوا لنا فقال الشيخ نحن لا نفتح الجامع بعد العشاء فقال إن المساجد لله فقال الشيخ نفس فقيه يا فلان افتح له ففتحوا له فدخل فقال أين الشيخ فقال له الشيخ ما تفعل به فقال

أطلب الطريق إلى الله فقال ما أنت من أهلها فقال ببركة الشيخ أكون إن شاء الله أهلا لها فتعرف له الشيخ فعرفه، ولقنه الذكر، وجعله خادما في الميضأة ثم نقله إلى البوابة ثم نقله إلى الوقادة فمكث عشر سنين فقام عن الوقود في الفجر فخرج الشيخ فقال يا محمد فقال نعم فقال أوقد الجامع فجال بيده، وحلق على الجامع فأوقدت مصابيحه كلها فقال له الشيخ اذهب إلى بلبيس انفع الناس ما بقي لك إقامة هنا[1] فذهب إلى بلبيس فلم يصح له فيها قدم فانتقل إلى محلة أبي الهيثم فلم يصح له فيها قدم فذهب إلى المحلة الكبرى فكان من أمره ما كان كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى . وكان سيدي أحمد رضي الله عنه لا يدخل إلى بيته من الجامع إلا بعد صلاة الجمعة فكان يصلي ويدخل فيمكث إلى العصر فدخل يوما فرآهم يضحكون، وهم مبسوطون فقال مالكم فقالوا شخص يسمى عبد الرحمن بن بكتمر أرسل إلينا لحما وملوخية وعسلا، وقال اطبخوا، وكلوا فقال الشيخ وجب حقه علينا فأرسل وراءه، وأخذ عليه العهد وكانت مجاهداته فوق الحد، وقد رأيت له حبلاً مربوطا في السقف في خلوته فوق ميضأة جامع سيدي أحمد الزاهد رضي الله عنه فكان لا يضع جنبه الأرض سنين حتى وقع له الفتح، وكان من أمره ما كان، وأما سيدي مدين فجاء إلى سيدي أحمد بعد أن كان اشتغل بالعلم زمانا فأخذ عليه العهد وأخلاه ففتح عليه ثالث يوم فكان سيدي أحمد رضي الله عنه يقول: كل الناس جاءونا، وسراجهم مطفأ إلا مدين فإنه جاء وسراجه موقد فقويناه له وسافر سيدي محمد الغمري إلى ناحية دمياط فاشترى لبيت الشيخ علبة حلاوة فتحرك الريح فجاء حبل الراجع فرماها في البحر فلما وصل سيدي محمد إلى القاهرة، ودخل وسلم على الشيخ قال له يا محمد أين هديتك قال يا سيدي رماها الراجع في البحر فقال للخادم :ادخل هذه الخلوة، واعرض عليه الخبر فدخل فوجد العلبة على الرف وهي تقطر ماء فقال يا محمد وصلت هديتك، ولما حضرته الوفاة تطاول بعض

(١) وذلك أن كل مريد يصل إلى درجة الفتح الأكبر وإلى مقام التصريف، يرسله الشيخ إلى جهة لكى يستفيد الناس به، إذ لا معنى لبقائه مع شيخه بعد حدوث الفتح له، وطاقية لا تسع اثنين.

الفقراء للإذن له بالجلوس في الجامع بعد الشيخ فجمعهم الشيخ، وقال أنا أقسم بينكم الميراث في حياتي لئلا تتنازعوا بعد فقال لسيدي محمد الغمري يا محمد إن خيرك في الطريق لذريتك ما لأصحابك منه شيء سوى الرشاش، وقال لسيدي مدين رضي الله عنه يا مدين أنت خيرك لأصحابك ما لذريتك منه شيء وقال لسيدي عبد الرحمن بن بكتمر يا عبد الرحمن أنت خيرك لنفسك ما لذريتك، ولا لأصحابك منه شيء، وكان يقول الطريق بالمواهب، ولو كانت بالاختيار كان ولدي أحق بها وكان يقول: يا من يربي لنا ولدنا ونربي له ولده، وكان يخرج في السحر على باب الجامع يتبرك بمن دخل مصر من المتسفرين، ويقول: إنهم مر عليهم نسيم الأسحار، وكان إذا جاءه إنسان بولده الصغير ليدعو له يقول: اللهم لا تجعل لهذا الولد كلمة، ولا حرمة في هذه الدار، وكان يهجر الفقراء كثيرًا وربما يأمر الفقير بالإقامة في الميضأة سنة كاملة فيفعل، وكان إذا جاءه شخص يريد المجاورة للاشتغال بالعلم يقول: يا ولدي ما نحن معدين لذلك اذهب إلى الجامع الأزهر، وما كان يأذن للفقراء القاطنين عنده إلا في تعليم فرائض الشرع وواجباته المتعلقة بالعبادات، وكان يمنعهم من تعلم الأمور المتعلقة بفصل الأحكام في البيوع، والرهون والشركات ونحو ذلك، ويقول: ابدءوا بالأهم، ولا أهم من معرفة الله في هذه الدار، والفقهاء قد قاموا عنكم بفروع الشريعة فإن قتلوا، والعياذ بالله، وتعطلت الأحكام وجب عليكم تعلم هذه الفروع لئلا تندرس الشريعة[1] رضي الله عنه **قلت** :وقد سألت سيدي الشيخ محمد الحريفيش الدنوشري وكان قد رأى سيدي أحمد الزاهد رضي الله عنه عن سبب تسميته الزاهد، وإن كان كل ولي لا بد له من الزهد، ومع ذلك فلم يشتهر به في مصر إلا هو فقط فقال صنع مرة الكيمياء نحو خمسة قناطير ذهبا ثم نظر إليه، وقال

(١) ربما رأى أن فى تبحرهم فى الفقه فى غير أبواب العبادات شغلاً عن مجاهدة النفس، والقيام بمجاهدة النفس مقدم على التبحر فى البيوع والطلاق وخلافه عند العارفين، لأن مجاهدة النفس هى الجهاد الأكبر، والجهاد الأكبر مقدم على أى جهاد فى الإسلام لاسيما لأهل البدايات، وكان من العارفين من يحبذ للمريد تعلم أبواب العبادات فقط من الفقه وما يجوز على المكلف أن يعتقده وما لا يجوز فى علم الكلام ثم يشتغل بمجاهدة النفس فإذا أتم ذلك فله التبحر كيفما شاء.

أف للدنيا ثم أمر بطرحها في سرداب جامعه فأشهره الله تعالى من ذلك اليوم بالزاهد. مات رضي الله عنه سنة نيف وعشرين وثمانمائة، ودفن بجامعه، وقبره ظاهر يزار، ويتبرك الناس به رضي الله عنه.

ومنهم سيدي عمر الكردي رضي الله عنه

كان رضي الله عنه مقيما ببركة ميدان خارج القاهرة وكان يغتسل لكل فريضة صيفا كان أو شتاء، وكان الأمراء، والخوندات، والأكابر يأتون له بالأطعمة الفاخرة والحلاوات فيطعمها للحشاشين الذين يتفرجون، ويقول: لهم يا إخواني ما لي أرى أعينكم حمرًا لا يزيدهم على ذلك، وكان النقباء يلومونه على عدم إطعامهم من ذلك الطعام فقال يوما للنقيب، املأ لك صحنا من هذه الحلاوة، وغطه، وقم بنا نأكله في تلك الجزيرة التي في وسط البركة فمضى هو والنقيب، وقال اكشف وكل فوجده النقيب كله خنفسا فقال كل فقال هذا خنفس فقال أتلومني على عدم إطعامكم الخنفس كل يوم .قال الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري رضي الله عنه ولما دفناه في تربة خشقدم كان من جملة الحاضرين سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه فقال :وعزة ربي ما رأيت أصبر منه نازل في قطعة من جهنم، وما فيه من شعرة تتغير رضي الله تعالى عنه .

ومنهم سيدي إبراهيم المتبولي[1] رضي الله عنه

كان من أصحاب الدوائر الكبرى في الولاية، ولم يكن له شيخ إلا رسول الله ﷺ، وكان يبيع الحمص المسلوق بالقرب من جامع الأمير شرف الدين بالحسينية من القاهرة المحروسة، وكان يرى النبي ﷺ كثيرًا في المنام فيخبر بذلك أمه فتقول: يا ولدي إنما الرجل من يجتمع به في اليقظة فلما صار يجتمع به في اليقظة، ويشاوره على أموره قالت له الآن قد شرعت في مقام الرجولية، وكان مما شاوره عليه عمارة الزاوية التي ببركة الحاج فقال يا إبراهيم عمر ها هنا،

---

(١) حرّف العامة من أهل مصر اللقب إلى مبولى فقلبوا التاء دالاً، وكان ولايزال الكثيرون منهم من يتسمى به، ويقسمون به ويقولون: وحياة سيدى المدبولى.

وإن شاء الله تعالى تكون مأوى للمنقطعين من الحاج وغيرهم، وهي دافعة البلاء الآتي من الشرق عن مصر فما دامت عامرة فمصر عامرة[1]، ولما شرع في غرس النخل بالقرب من البركة لم يصح له بئر فاستأذن النبي ﷺ في ذلك فقال :غدًا إن شاء الله تعالى أرسل لك علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعلم لك على بئر نبي الله شعيب التي كان يسقي منه غنمه فأصبح فوجد العلامة مخطوطة فحفر فوجدها، وهي البئر العظيمة بغيطه إلى الآن .وأخبرني الشيخ جمال الدين يوسف الكردي رضي الله عنه أن الغلاء وقع أيام السلطان قايتباي حتى اجتمع عند الشيخ في الزاوية نحو من خمسمائة نفس فكان كل يوم يعجن لهم ثلاثة أرادب، ويطعمها لهم من غير إدام فطلب الناس منه أدما فقال للخادم اذهب إلى الخص الذي في النخل فارفع الحصير الخوص، وخذ حاجتك فذهب ورفع الحصير فوجد قناة تجري ذهباً وفضة من علو نازلة في السفل فأخذ منها قبضة فاشترى بها ذلك اليوم أدما فقال النقيب: يا سيدي إذا كان الأمر كذا دستورك نوسع على الناس فقال ما ثم إذن فذهب الخادم من وراء الشيخ فلم يجد القناة فحفر فلم يجد شيئاً ، ولما سافر إلى القدس زار السيدة مريم عليها السلام بنت عمران فقرأ عندها ختما تلك الليلة فرأى بعض القراء سيدنا عيسى عليه السلام، وهو يقول: سلم لنا على إبراهيم، وقل له جزاك الله عنه وعن والدته خيرًا، وأخبرني الشيخ جمال الدين يوسف أيضا قال اشتقت إلى أهلي بحصن كيفا من بلاد الأكراد فشاورت الشيخ، وإن ذلك بعد العصر فقال إن شاء الله يكون فدخلت الخلوة أقرأ ورد العصر فرأيت نفسي داخل بلدي، والناس تسلم علي، وشالوا الأعلام قدامي فدخلت دارنا فسلمت على أمي وأبي، ومكثت عندهم أخطب في الجامع، وأقرئ أطفالا مدة تسعة شهور فقوي اشتياقي إلى الشيخ فشاورت والدي، ووالدتي فأذنا لي فخرجت إلى موضع خارج البلد فإذا أنا في خلوتي ببركة الحاج فخرجت لأسلم على إخواني فلم يسلموا علي

(١) قلت: وقد أدركت هذه الزاوية، وكانت بشارع رمسيس على يسار المتجه إلى ميدان التحرير، ولكن قد قامت الحكومة وللأسف بعملها محطة للمجارى، وكان مكتوباً عليها اسم الشيخ رضي الله عنه، وكانت بجوار مستشفى الهلال ونقابة المهندسين من الخلف، وهذا أذان من الله تعالى بظهور الشرور والفتن.

فأخبرتهم بسفري فقالوا :يوسف حصل له جنون فعلم الشيخ بذلك فقال :اكتم يا ولدي ما معك ثم بعد ثلاث سنين جاءت والدته بصحبة والده وقالا يا سيدي لولا خاطرك ما خلينا يوسف يجيء إلى سنة.

قلت، وهذه القصة من مسائل ذي النون المصري، وهي تشبه مسألة الجوهري الذي غطس في البحر فرأى نفسه ببغداد فتزوج، وجاء بالأولاد ثم رفع رأسه فإذا هو عند ثيابه بساحل النيل بمصر فخرج في الحس ما كان في عالم الخيال(١)، وكان هذا الشيخ يوسف من عباد الله الصالحين، وكان يذكر أنه يجتمع بالخضر عليه السلام كثيرًا فكانت لوائح الصدق ظاهرة على وجهه، وكان يقرأ القرآن بالسبع، وحدثني بهذه القصة في كماله، وعقله ﷺ، ولما اجتمع عنده بنو حرام في زاويته خوفا من بني وائل أرسل الشيخ لبني وائل قاصدًا يأمرهم بالصلح فقالوا: ايش للمتبولي في هذا يروح يقعد هو وصغاره في الجبل والله لا نرجع حتى نسقي خيلنا من حيضان المدينة فقال الشيخ وعزة ربي ما عادت تقوم لبني وائل رأس إلى يوم القيامة فهم إلى وقتنا هذا تحت حكم بني حرام.

وكان سيدي إبراهيم ﷺ مبتلى بالإنكار عليه من كونه لم يتزوج، وكان ﷺ يقول: ما في ظهري أولاد حتى أتزوج بقصدهم ومكث نحو الثمانين سنة حتى مات لم يغتسل قط من جنابة لأنه لم يحتلم قط، وكان إذا جاءه الشاب، وشهوته ثائرة عليه يقول له: تطلب لك مدة والا دائما فإن قال أريد مدة حتى أقدر على مؤنة التزويج يقول له: خذ هذا الخيط فشد به وسطك فما دام معك لا يتحرك

---

(١) وذلك أن المرأة التى تزوجها جاءت من بغداد تبحث عنه هى وأولادها بعد ستة أشهر فعرفها ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى ﷺ عن هذه القضية: وهذه من مسائل ذى النون الست التى تحليها العقول، فلله قوى فى العالم خلقها مختلفة الأحكام فى اختلاف حكم العقل فى العامة من حكم البصر والسمع وغيرهما، فاختص الله أولياءه بقوى لها مثل هذه الحكاية فلا ينكرها إلا جاهل بما ينبغى للجناب الإلهى من الاقتدار، ولا يعرف هذا الضرب إلا من عرف قدرة الله تعالى فى وجوه الخيال فى العالم الطبيعى وما يجده العالم به من الأمور الواسعة فى النفس الفرد وطرفة العين ثم يرى أثر ذلك فى الحس بعين الخيال فيعرف هذا القرب وتضاعف السنين فى الزمن القليل.

لك شهوة، وإن قال أريد عدم تحرك الشهوة طول عمري يمسح على ظهره فلا تتحرك له شهوة، ولا ينتشر إلى أن يموت، وكان يقول لمن يبلغه عنه إنكار: يا أولادي أنا سم ساعة فما للناس ولي.

وكان يقبض على لحيته، ويقول: يا ما تقاسي مصر بعد هذه اللحية أنا أمان لها[1]، وكان رضي الله عنه يقول: وعزة ربي لتتوزع أحوالي بعدي على سبعين رجلا، ولا يحملون، وكان إذا ذهب إلى أحد من الأكابر لا يأخذ معه أحدًا من الفقراء، ويقول: ارجعوا فإني عازم على أكل السم، ولم تطيقوه، وكان رضي الله عنه يقول: إذا كان طعام الأمراء سما فكيف بطعام الملوك وظلم ابن البقري رجلا وأخذ بقرته التي يشرب هو وأولاده لبنها فجاء إلى سيدي إبراهيم رضي الله عنه فركب حمارته، وتوجه إلى ابن البقري فوجده عند شيخه ابن الرفاعي فتكلم سيدي إبراهيم رضي الله عنه كلاما بعزة بحضرة شيخه فقال له شيخك هذا كان أبوه قرادًا في بلاده فما قال الشيخ رضي الله عنه ذلك الكلام إلا والقرد، والدب، والحمار، والكلب في وسط داره حتى شهدهم الحاضرون تصديقا لكلام الشيخ ثم غابوا فاستغفر ابن البقري، وقضى الحاجة، ونام عنده جماعة من فقهاء الأزهر في بركة الحاج فوجدوا عند الشيخ مملوكين أمردين من أولاد الأمراء ينامان معه في الخلوة فأنكروا عليه ثم رفعوا أمره إلى الشرع بالصالحية فأرسل القاضي وراءه فحضر فدخل الصالحية فقال مالكم فقال القاضي هؤلاء يدعون عليك أنك تختلي بالشباب، وهذا حرام في الشرع فقال ما هو إلا هكذا وقبض على لحيته بأسنانه، وصاح فيهم فخرجوا صائحين فلم يعرف لهم خبر بعد ذلك الوقت ثم جاء الخبر أنهم أسروا وتنصروا في بلاد الإفرنج فشفعوا فيهم عند الشيخ فلم يقبل شفاعة أحد ثم انقطع خبرهم. ورماه أهل بيت من متبول باللواط مع ولدهم فقال هتك الله ذراريهم فمن ذلك اليوم صار أولادهم مخانيث، وبناتهم زناة إلى يومنا هذا ورماه واحد

(١) قلت: وهؤلاء هم الأفراد كعمر بن الخطاب، وأحمد بن حنبل ـ وهم قليلون جداً ـ ويكررهم الزمان كل فترة طويلة، ولهم وظائف متعددة، وهم يكونون أبواباً لصد الفتن عن الأمة، وبهم يحمى الله الخلق، كما أخبر حذيفة عن عمر أن بموته سينكسر الباب ولن يؤصد مرة أخرى.

أيضا بفاحشة فقال له سود الله نصف وجهك فصار له خد أسود، وكذلك ذريته إلى وقتنا هذا.

وكان يقول: وعزة ربي ما رأيت في الأولياء أكبر فتوة من سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه، ولذلك واخى[1] بيني وبينه رسول الله ﷺ، ولو كان هناك من هو أكبر فتوة منه لآخى بيني وبينه، ودخل عليه مرة رجل، ومعه ولد صغير فقال للولد هز هذه النبقة فهزها فوقع منها اثنتان وسبعون حبة فقال للولد كلها كلها فإنك تأخذ بعددها نساء فتزوج ذلك الولد اثنتين وسبعين زوجة، وكان رضي الله عنه يقول: لا تكبروا خبزي على خبز أخي أحمد البدوي، وكان سماً ناقعا على الولاة فإذا تشوش من أمير أو وزير مات لوقته أو في ليلته وتعرض جماعة من الظلمة إلى جماعة غيطه، وأراد الوزير وكان يسمى قانم التاجر أن يحدث عليهم مظلمة وقال إن كان المتبولي شيخا ينفخني فقال يا ولدي ما أنا أنفخ وإنما أفوق سهمي فلا يرد فدخل الوزير بيت الخلاء فانتظروه ليخرج فلم يخرج فدخلوا عليه فوجدوا لحيته ووجهه في حلق الخلاء، وهو ملطخ بالعذرة، وهو ميت فرجع غالب الولاة عن معارضته في أمر من الأمور، وكان رضي الله عنه يقول لأصحابه: إذا غير أحدكم منكرًا فليتوجه بقلبه إلى الله تعالى في إزالته، ويقلب أصحاب المنكر فيزيلوا ذلك المنكر قال الشيخ يوسف رحمه الله تعالى ولقد كناً يوما في حصن مسلة فرعون بالمطرية فجاء جماعة من الجند بجرار خمر فجلسوا يشربون فقال سيدي إبراهيم رضي الله عنه من يزيل هذا المنكر فقال فقير أنا فوضع رأسه في طوقه فما كان بأسرع من أن وقع الجند في بعضهم بعضا بالدبابيس، والنعال، وكسروا الجرار ثم جاءوا، واستغفروا، وتابوا على يد الشيخ، وقالوا كلهم نقول: أستغفر الله قال الشيخ محمد النامولي رحمه الله :وكنا إذا سافرنا معه إلى ناحية طندتا نقول: لنا البيات عند الشيخ علي بن الصعيدي يعني جدي أنا لأجل حل طعامه.

وقد كان جدي رحمه الله قد دقق في الورع كما سيأتي في ترجمته إن شاء

(١) يعنى آخى بينى وبينه.

الله تعالى، وسمعت سيدي الشيخ عبد القادر الدشطوطي رحمه الله يقول: ليس أحد من الأولياء له سماط[1] يمد كل سنة فوق سد الإسكندر ذي القرنين غير سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه ولا يتخلف أحد من الأنبياء والأولياء عن حضوره فيجلس النبي ﷺ صدر السماط، والأنبياء يميناً وشمالا على تفاوت درجاتهم، وكذلك الأولياء، ونقباء ذلك السماط المقداد بن الأسود رضي الله عنه وأبو هريرة رضي الله عنه، وجماعة هكذا سمعته من سيدي عبد القادر قال: وقد حضرته سنين .

وكان جماعة من رعيان الغنم يرعون برسيمه في ناحية المطرية فأغلظ عليهم جماعة الشيخ فبينما الشيخ رضي الله عنه يوما راكب، وهو راجع من مصر إلى البركة، ومعه جماعة من الفقراء إذ أرسلوا إليه عشرة كلاب شؤام بأطواق الحديد يعقرون الشيخ وجماعته فلما وصلوا إلى الشيخ بصبصوا بأذنابهم، ولاذوا بالشيخ تبركا فجاء أصحابهم إليهم فرجعوا عليهم فعقروهم، ومضوا مع الشيخ رضي الله عنه في خدمته، وكان إذا حصل بين الواردين نكد، وتشويش يدخل إلى المطبخ، ويضرب الدست بعصاه، ويقول: أنت الذي جمعت عندي هؤلاء المخاميل فما يطلع النهار حتى يشتوا عن المكان بأنفسهم من غير أن يخرجهم أحد، وكان رضي الله تعالى عنه لا يراه أحد يصلي الظهر في مصر أبدًا، وكان بعض الفقهاء ينكر عليه فسافر الشام فوجد سيدي إبراهيم في الجامع الأبيض برملة لد يصلي فسلم عليه .وسأل قيم الجامع عنه فقال سيدي إبراهيم دائما يصلي الظهر عندكم فقال نعم فرجع عن إنكاره، وكان رضي الله عنه يقول: لا تكبر تعظم، وكان يقول: طهر قلبك من محبة الدنيا يجر ماء الإيمان في قلبك جداول، ومن لم ينظف قلبه من ذلك لا يجري في قلبه ماء الإيمان، وكان رضي الله عنه يقول: لا أحب الفقير إلا إن كان له حرفة تكفه عن سؤال الناس، ولما وقع من البقاعي وغيره الكلام في شأن سيدي عمر بن الفارض جاؤوا إليه، وقالوا له: مثل سلطان العشاق يتكلم فيه فقال لهم من سلطان العشاق . فقالوا سيدي عمر بن الفارض فقال سيدي

(١) هى خصيصة خاصة به رضي الله عنه، وفى الخبر دلالة على قدرته على استحضار الأرواح العلوية سواء للأنبياء أو الأولياء، سواء الأموات أو الأحياء، وقد كانت هذه الخاصية لسيدى محيى الدين بن عربى رضي الله عنه.

إبراهيم هذا وأمثاله ممن ملأ الأرض عياطا ما أعطى أحدهم من سر الله عز وجل ما يغطي شارب ناموسة[1]، وكان يحط على من يسلك برياضات البوني[2] وغيره، ويقول: وعزة ربي إن عباد الأصنام أحسن من هؤلاء فإن الله عز وجل أخبر عنهم أنهم كانوا يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ (الزمر: ٣) هؤلاء اتخذوا أسماء الله المشرفة المعظمة لحصول أغراض خسيسة من مناصب الدنيا لو عرضت على عاقل بلا سؤال كان من الأدب ردها فكيف بمن يطلبها بمعصار التوجه، والجوع ليلا، ونهارًا حتى يخف دماغه، وبعضهم يحصل له الماليخوليا، والجنون، وكان رضي الله عنه يلبس الصوف، ويتعمم به وكان له طليحية حمراء، ويقول: أنا أحمدي، وكان رضي الله عنه يعمل في الغيط ويدير الماء، وينظف القناة من الحشيش، وكان إذا رأى إنسانا يعلم ما في نفسه، وما هو مرتكبه من الفواحش، وجاءته امرأة بولدها ليقرأ عنده في بركة الحاج فقال أنا ما أجمع عندي أحدًا من الحرامية المقطوعين اليد فقالت أمه: بسم الله حوالي ولدي فخرجت به إلى الخانكاه فسرق فقطعت يده، وصدق الشيخ، وكان الشيخ إذا جاءه جبة أو جوخة مثمنة يتحزم عليه بحبل، ويعزق الغيط، وهو لابسها، ويقول: ليس لملابس الدنيا عندنا قيمة، وكان إذا فارقه إنسان من مريديه إلى أصحاب الخلوات والرياضات يهجره، ويقول: له :يا ولدي أنا أريد أن أجعلك رجلا، وأنت تريد أن تصير كالبومة العمياء لا تنفع أحدًا، وأخباره مع الولاة وغيرهم مشهورة.

وكان رضي الله عنه يقول: كل فقير لا يقتل بعدد شعر رأسه من الظلمة فليس بفقير وكان يعارض السلطان قايبتاي في الأمورحتى قال له يوما السلطان: إما أنا في مصر أو أنت فخرج سيدي إبراهيم رضي الله عنه متوجها نحو القدس، فقالوا له :إلى أين فقال إلى موضع تقف فيه حمارتي فوقفت بأسدود تجاه قبر سيدي سليمان

(١) قلت: وقد كان شيخنا سيدى عبد المجيد الشريف رضي الله عنه يقول: إيش يكون مقام عمر بن الفارض بين مقامات الأولياء.

(٢) وهم صوفية الأوفاق والفوائد، دخلوا التصوف غلطاً وخطأ، وعلقوا أنفسهم بعلوم الحرف والأوفاق والطلاسم، والسلوك منهم برئ، وقد امتلأت إفريقية بهم، ويتركون الهدف الأساسى وهو السلوك، ويعلقون أنفسهم بما لا يعنيهم ولا يوصلهم إلى حضرة الله عز وجل.

رضي الله عنه، فمات هناك سنة نيف وثمانين، وثمانمائة، وخلع عليه سيدي سليمان رضي الله عنه الشهرة فانطفأ اسمه من ذلك اليوم، وصار الاسم لسيدي إبراهيم والمشهور بين الناس أنه خرج في غيظ من قايتباي، وذلك لا يليق بمقام الشيخ لأن الكمل لا يغضبون لأنفسهم، وإنما ينقلون من مكان إلى مكان لترابهم، أو بنية صالحة أو غير ذلك، والله أعلم .وعشق رجل أمرد فهرب الأمرد منه إلى سيدي إبراهيم، فوضعه في خلوته فبلغ ذلك الرجل فغير هيئته في صفة فقير، وجاء إلى سيدي إبراهيم يطلب الطريق، فأدخله مع ذلك الأمرد، فأنكر بعض الناس على سيدي إبراهيم فلما كان الغد خرج الفقير، وقال :يا سيدي أنا تائب إلى الله تعالى فقال لماذا؟ فقال :يا سيدي وضعت يدي على الشاب، فأخذتني الحمى حتى لم أستطع أن أجلس إلى الصباح، وقد تبت إلى الله تعالى قال له الشيخ: حتى تأخذ حدها منك، فمكث بها نحو ستة شهور تخضه حتى خرجت شهواته من الدنيا وما فيها رضي الله تعالى عنه، والله أعلم.

ومنهم الشيخ حسين[1] أبو علي رضي الله عنه

كان هذا الشيخ رضي الله عنه من كمل العارفين، وأصحاب الدوائر الكبرى، وكان كثير التطورات تدخل عليه بعد الأوقات تجده جنديا ثم تدخل فتجده سبعا ثم تدخل فتجده فيلا ثم تدخل فتجده صبياً وهكذا، ومكث نحو أربعين سنة في خلوة مسدود بابها ليس لها غير طاقة يدخل منها الهواء، وكان يقبض من الأرض، ويناول الناس الذهب والفضة، وكان من لا يعرف أحوال الفقراء يقول: هذا كيماوي سيماوي، ولما شرع الخواجا ابن القنيش البرلسي في بناء زاويته قال أعداؤه إن هذا المصروف العظيم إنما هو من كيمياء الشيخ حسين فبرطلوا عليه بعض العياق أن يقتلوه، فدخلوا على الشيخ فقطعوه بالسيوف، وأخذوه في تليس [2]، ورموه على الكوم وأخذوا على قتله ألف دينار ثم أصبحوا، فوجدوا

(١) قلت: وضريحه لايزال ببولاق لحد الآن بمصر، بل عرفت بولاق باسمه فيقول الناس: بولاق أبو العلا، ويسمونه الناس السلطان أبو العلا بكسر العين

(٢) التليس: فى لهجة الصعايدة يعنى الجوال الذى يعبأ فيه القمح وغيره، وهى لهجة تستعمل لحد الآن عندهم.

الشيخ حسينا رضي الله عنه جالسا ، فقال لهم: غركم القمر، وكانت النموس تتبعه حيثما مشى في شوارع وغيرها، فسموا أصحابه بالنموسية، وكان رضي الله عنه بريئا من جميع ما فعله أصحابه من الشطح الذي ضربت به رقابهم في الشريعة، وكان الشيخ عبيد أحد أصحابه الذي هو مدفون عنده الآن مثقوب اللسان لكثرة ما كان ينطق به من الكلمات التي لا تأويل[1] لها. مات رضي الله عنه في سنة نيف وتسعين وثمانمائة، ودفن بزاويته بساحل النيل بمصر المحروسة ببولاق رضي الله عنه.

ومنهم سيدي الشيخ محمد الغمري رضي الله عنه

أحد أعيان أصحاب سيدي أحمد الزاهد رضي الله عنه، كان من العلماء العاملين، والفقراء الزاهدين المحققين، سار في الطريق سيرة صالحة وكانت جماعته في المحلة الكبرى، وغيرها يضرب بها المثل في الأدب، والاجتهاد، ولما أذن له سيدي أحمد الزاهد أن يذهب إلى المحلة، وقال له :إن مقامك بها عارضه الشيخ أبو بكر الطريني، فرده إلى محلة أبي الهيثم مدة ثم رجع إلى مصر فقال سيدي أحمد لسيدي مدين اذهب وطن أخاك في المحلة فسافر معه سيدي مدين، ولم يجيء إلى أن طاب الوقت بينه وبين الطرينية، وعملوا له مولدًا، وصرفوا عليه من مالهم، وكان رضي الله عنه يقول: خدمت عند سيدي أحمد رضي الله عنه مدة في البوابة ومدة في الوقادة، ومدة في النقابة، وكان قد قسم الفقراء إلى ثلاثة أقسام كهول، وشباب، وأطفال، وجعل لكل قسم مكانا يخصه، ولا يختلط بالآخر، وكانوا لا يجتمعون إلا يوما واحدًا في الجمعة فيتناقشون فيما وقع بينهم في بقية الجمعة لأنه كان أخذ عليهم العهد أن لا أحد يجيب عن نفسه قط بل يعفو عن الظالم أو يشكوه للشيخ يفعل فيه ما شاء من حيث أنهم كانوا يرون نفوسهم ملكا للشيخ يفعل فيهم ما شاء، وهم أوصياء على أجسامهم فينتصرون لها من حيث إنها مضافة إلى الحق، وما كان أحد منهم يتكدر قط مما يفعله الشيخ معه من

(١) وذلك لكونه نطق بكلمات إلهية بكر بلا تحفيف فانثقب لسانه، ولذلك خفف القرآن علينا قبل تلاوته وإلا ذاب من نطقه اللسان والبدن، وتهدمت فيه الأركان وتصدعت الجبال، فإن القرآن الذى يقرأ ليس هو القرآن الغير مخفف، ونو نطق به جبريل مباشرة على أهل الأرض لذابوا.

هجر أو إخراج أو ضرب أو جوع أو نحو ذلك بل كانوا يرون الفضل للشيخ، ولمن غمز عليهم في ذلك لمكان صدقهم في طلب الأدب، وكان رضي الله عنه يقول: كان سيدي أحمد رضي الله عنه لا يأذن قط لفقير أن يجلس على سجادة إلا إن ظهرت له كرامة، وكانت كرامتي أنني نمت عن الوقود، فأشرت إلى القناديل فاتقدت كلها، وأخبرني الأخ الصالح الشيخ شمس الدين الطينخي أن الفقراء أرسلوه يوما إلى البستان فأتى بشيء من الرطب للفقراء، فغلبته النفس فأكل ثلاث رطبات، فأول ما رآه النقيب قال :هذا أكل من الرطب من وراء الفقراء، فأخبرتهم أني أكلت ثلاث رطبات، فأمر الشيخ بهجرى عن كل رطبة يوماً ، وأخبرني رحمه الله أن الفقير كان يأتيه أبوه أو أخوه من البلاد، فيقع بصره عليه فلا يقدر يسلم عليه حتى يشاور النقيب، ودخل عليه سيدي محمد بن شعيب الخيسي يوما الخلوة، فرآه جالسا في الهواء وله سبع[1] عيون، فقال له :الكامل من الرجال يسمى أبا العيون، ووقع الغلاء في سنة، فأخرج الشيخ جميع ما في المخزن من القمح فباعه للناس، وصار يشتري مثل الناس، وقال :إن الله يكره الرجل المتميز عن أخيه .ولما أراد عمارة جامعه بمصر بسويقة أمير الجيوش أرسل يستأذن النبي ﷺ في عمارته على يد شخص يرعى المعزى في مصر كان مشهورًا بالولاية بباب النصر، فقال له :أرد لك الجواب غدًا، فلما كان الغد قال له :عمر أذن لك النبي ﷺ، وكان رضي الله عنه يحب المشي إلى الشفاعات مع قدرته على قضاء الحاجة بقلبه، ويقول: إن الحديث ورد فيمن مشى في قضاء الحاجة لا فيمن يقضيها بقلبه، ولما أرسل السلطان جقمق تجريدة خلف ابن عمر أمير الصعيد جاءوا به في الحديد فعثر حمار بياع فجل من فقراء سيدي محمد في الصعيد، فقال :يا سيدي محمد يا غمري فسمعه ابن عمر فقال من هذا فقال :شيخي فقال: وأنا الآخر أقول : يا سيدي محمد يا غمري لاحظني فسمعه سيدي محمد، وهو في المحلة قال الحاكي لي الشيخ شهاب الدين بن النخال:

(١) تعدد الأعضاء فى العارف يدل على قوة إطلاعه على الأكوان ونفوذ بصيرته والتمكين والكمال وقوة التصريف فى الوجود، والعارف يكون الكون بين يديه كالقصعة بين يدى الآكل، وقد كان ﷺ يرى من خلفه.

فطلب رضي الله عنه ثلاث حمير وقال :اركبوا فركبنا مع الشيخ، وسافرنا إلى القاهرة، فجلس الشيخ تحت قبة السلطان حسن لحظة وإذا بابن عمر طالعون به في الحديد إلى القلعة فقال لابن النخال اطلع خلف هذا الرجل فإذا رأيت السلطان أغلظ عليه، وأمر بإتلافه فضع إصبعك السبابة على الإبهام، وتحامل عليه فإن كل من في الموكب تضيق نفسه، ويخنق حتى السلطان فلما طلع ورآه أغلظ عليه السلطان فصنع ما أمره الشيخ فصرح السلطان أطلقوه واخلعوا عليه فتلطخ جماعة بالزعفران فنزل ابن النخال فأخبر الشيخ فقال اركبوا قضيت الحاجة، ولم يكن أحد يعلم ابن عمر بالواقعة، ولا بمجيء الشيخ ورجع إلى المحلة، وقال :المعاملة مع الله تعالى، وما مع أحد منكم دستور يتكلم بذلك حتى أموت قال لي ابن النخال: فما أخبرت بها أحداً قبلك .مات رضي الله عنه سنة نيف وخمسين وثمانمائة، ودفن بجامع المحلة رضي الله عنه.

ومنهم سيدنا، ومولانا شمس الدين الحنفي رضي الله عنه

كان رضي الله عنه من أجلاء مشايخ مصر، وسادات العارفين صاحب الكرامات الظاهرة، والأفعال الفاخرة، والأحوال الخارقة، والمقامات السنية، والهمم العلية صاحب الفتح المؤنق، والكشف المخرق، والتصدر في مواطن القدس، والرقي في معارج المعارف، والتعالي في مراقي الحقائق، كان له الباع الطويل في التصريف النافذ واليد البيضاءفي أحكام الولاية، والقدم الراسخ في درجات النهاية، والطود السامي في الثبات، والتمكين وهو أحد من ملك أسراره، وقهر أحواله، وغلب على أمره، وهو أحد أركان هذه الطريق، وصدور أوتادها، وأكابر أئمتها، وأعيان علمائها علماً، وعملا، وحالا، وقالا، وزهداً، وتحقيقاً، ومهابة، وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود وصرفه في الكون، ومكنه في الأحوال، وأنطقه بالمغيبات، وخرق له العوائد وقلب له الأعيان، وأظهر على يديه العجائب، وأجرى على لسانه الفوائد، ونصبه قدوة للطالبين حتى تلمذ له جماعة من أهل الطريق، وانتمى إليه خلق من الصلحاء والأولياء، واعترفوا بفضله، وأقروا بمكانته وقصد بالزيارات من سائر الأقطار، وحل مشكلات أحوال القوم، وكان رضي الله عنه ظريفا

جميلا في بدنه، وثيابه، وكان الغالب عليه شهود الجمال ﷺ، وكان ﷺ من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه .توفي ﷺ سنة سبع وأربعين، وثمانمائة ﷺ، وقد أفرد الناس ترجمته بالتأليف منهم الشيخ نور الدين علي بن عمر البتنوني[1] ﷺ، وهو مجلدان، والحق أنه لم يحط علما بمقام الشيخ ﷺ حتى يتكلم عليه إنما ذكر بعض أمور على طريقة أرباب التواريخ وأهل الطبقات بل لو رام الولي نفسه أن يتكلم على مقام نفسه لا يقدر كما هو مقرر في كلام أصحاب الدوائر الكبرى والله أعلم، ولكن نذكر لك طرفاً صالحا مما ذكره الإمام البتنوني لتحيط به علما فنقول وبالله التوفيق: اعلم أنه ﷺ ربي يتيما من أمه وأبيه فربته خالته فكان زوجها يريد أن يعلمه الصنعة فمضى به إلى الغرابلي فهرب إلى الكتاب ثم مضى به إلى المناخلي، فهرب إلى الكتاب فكف عنه، فحفظ القرآن، وكان ابن حجر رفيقه في الكتاب قال الشيخ أبو العباس السرسي: ولما خرج الشيخ محمد الحنفي من الكتاب جلس يبيع الكتب في سوقها، فمر عليه بعض الرجال، فقال: يا محمد ما للدنيا خلقت، فنزل من الدكان، وترك جميع ما فيه من الغلة والكتب، ولم يسأل عن ذلك بعد ثم حبب إليه الخلوة ثم اختلى سبع سنين لم يخرج في خلوة تحت الأرض ودخلها وهو ابن أربع عشرة سنة وكان ﷺ يقول: إياكم وكرامات الأولياء أن تنكروها، فإنها ثابتة بالكتاب والسنة، ونقض العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية جائز عند أهل السنة، والجماعة، قال الشيخ أبو العباس وكنت إذا جئته وهو في الخلوة أقف على بابها فإن قال لي: ادخل دخلت، وإن سكت رجعت فدخلت عليه يوما بلا استئذان فوقع بصري على أسد عظيم[2]، فغشي علي فلما أفقت خرجت، واستغفرت الله تعالى من الدخول عيه بلا إذن قال الشيخ أبو العباس ﷺ: ولم يخرج الشيخ ﷺ من تلك الخلوة حتى سمع هاتفا يقول: يا محمد اخرج انفع

---

(١) وقد تم طبعه فى جزاين منذ أكثر من مائة عام بمصر واسمه: «السر الصفى فى مناقب السلطان الحنفى» وعندى منه نسخة بمكتبتى.

(٢) الاسد العظيم هو حال الشيخ، وصورة الأسد دالة على الخلافة الكبرى لكونه ملك الحيوانات حليمتهم، واعلم أن كل ولى يتلبس بالصورة الأسدية فهو يدل على خلافته.

الناس ثلاث مرات، وقال له في الثالثة: إن لم تخرج، وإلا هيه، فقال الشيخ: فما بعد هيه إلا القطيعة قال الشيخ: فقمت، وخرجت إلى الزاوية فرأيت على الفسقية جماعة يتوضئون فمنهم من على رأسه عمامة صفراء ومنهم زرقاء، ومنهم من وجهه وجه قرد ومنهم من وجهه وجه خترير، ومنهم من وجهه كالقمر فعلمت أن الله أطلعني على عواقب أمور هؤلاء الناس، فرجعت إلى خلفي، وتوجهت إلى الله تعالى فستر عني ما كشف لي من أحوال الناس، وصرت كآحاد الناس، وكان في خلوة الشيخ توتة مزروعة قال الشيخ رضي الله عنه: فخطر لي أن أباسطها فقلت :يا توتة حدثيني حدوثة فقالت بصوت جهوري نعم إنهم لما زرعوني سقوني فلما سقوني أسست فلما أسست فرعت فلما فرعت أورقت، فلما أورقت أثمرت فلما أثمرت أطعمت قال الشيخ رضي الله عنه: فكان كلامها سلوكا لي، وقد حصل لي بحمد الله ما قالت التوتة وكان رضي الله عنه يجلس يعظ الناس على غير موعد فيجيء الناس حتى يملؤا زاويته بقدرة الله عز وجل، وكان الشيخ حسن الخباز المدفون بتربة الشاذلية بالقرافة رضي الله عنه إذا رأى سيدي محمدًا وهو صغير يقول: سيكون لهذا الولد شأن عظيم في مصر ثم يقول وأخبرني بذلك أيضا ابن اللبان عن ابن عطاء الله عن ياقوت العرشي عن أبي العباس المرسي عن أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه أنه كان يقول: سيظهر بمصر رجل يعرف بمحمد الحنفي يكون فاتحا لهذا البيت، ويشتهر في زمانه ويكون له شأن عظيم، وفي رواية أخرى عن الشاذلي رضي الله عنه يظهر بمصر شاب يعرف بالشاب التائب حنفي المذهب اسمه محمد بن حسن، وعلى خده الأيمن خال، وهو أبيض اللون مشرب بحمرة وفي عينيه حور ويربي يتيما فقيرًا، أخذ رضي الله عنه الطريق بعد أن خرج من الخلوة عن الشيخ ناصر الدين بن الميلق عن جده الشيخ شهاب الدين بن الميلق عن الشيخ ياقوت العرشي عن المرسي عن الشاذلي، فلذلك كان سيدي أبو الحسن يقول: الحنفي خامس خليفة من بعدي قال أبو العباس رضي الله عنه: وكان سيدي محمد رضي الله عنه يأمر من يراه من أصحابه عنده شهامة نفس بالشحاتة[1] من

(١) هى لهجة لاتزال تستعمل لحد الآن بمصر.

الأسواق وغيرها حتى تتكسر النفس، ويقول: رحم الله من ساعد شيخه على نفسه، وكان رضي الله عنه يقول: ظفرت في زماني كله بصاحبين، ونصف صاحب، فأما الصاحبان فهما أبو العباس السرسي، والشيخ شمس الدين ابن كتيلة المحلى، أما الأول فإنه أنفق على جميع ماله، وأما الثاني فإنه تمسك بطريقتي، واتبع سنتي، وأما نصف الصاحب فهو صهري سيدي عمر قال أبو العباس رضي الله عنه قال لي سيدي محمد يوما: أما ترضى أن تكون بدايتي نهايتك فقلت :نعم .

وكان سيدي علي بن وفا رضي الله عنه يوما في وليمة فقال الناس ما تتم الوليمة إلا بحضور سيدي محمد الحنفي، فجاء إليه صاحب الوليمة فدعاه فأتى فقال :من هنا من المشايخ .فقال سيدي علي بن وفا، وجماعته، فقال :ادخل، واستأذنه لي فإن من أدب الفقراء إذا كان هناك رجل كبير لا يدخل عليه حتى يستأذن له فإن أذن، وإلا رجعنا خوف السلب، فدخل صاحب الوليمة فاستأذن له فأذن له سيدي علي، وقام له، وأجلسه إلى جانبه فدار الكلام بينهما، فقال سيدي على: ما تقول في رجل رحى الوجود بيده يدورها كيف شاء فقال له سيدي محمد رضي الله عنه: فما تقول فيمن يضع يده عليها فيمنعها أن تدور فقال له سيدي علي: والله كنا نتركها لك ونذهب عنها، فقال سيدي محمد رضي الله عنه لجماعة سيدي علي: ودعوا صاحبكم فإنه ينتقل قريبا إلى الله تعالى فكان الأمر كما قال، وسمع سيدي محمد رضي الله عنه هاتفا يقول بالليل: يا محمد، ولينك ما كان بيد علي بن وفا زيادة على ما بيدك فعلمت أن ذلك لا يكون إلا بعد موته، فأرسلتُ شخصا من الفقراء يسأل عن بيت سيدي علي بحارة عبد الباسط فوجد الصائح أنه قد مات، ودخل فقير إلى القاهرة فأشكل حاله على الناس، وكان يمد يده في الهواء فيقبض من الدنانير والدراهم فبلغ سيدي محمدًا فأحضره بين يديه، وقال :أكرمنا بما فتح الله به عليك فقبض قبضة من الهواء وأعطاها لسيدي محمد رضي الله عنه فوجدوها ثمانين دينارًا . فطلب منه كذلك ثانياً، وثالثاً، وهو يعطيه لكن دون الأول فقال :زدني فقبض فلم يقع شيء بيده فقال الشيخ إن خزائن الله لا تنفد ثم ضرب وأخرج وسلب حاله من ذلك اليوم، وكان الشريف النعماني رضي الله عنه

أحد أصحاب سيدي محمد ﷺ يقول: رأيت جدي رسول الله ﷺ في خيمة عظيمة، والأولياء يجيئون فيسلمون عليه واحدًا بعد واحد، وقائل يقول: هذا فلان هذا فلان، فيجلسون إلى جانبه ﷺ حتى جاءت كبكبة عظيمة، وخلق كثير وقائل يقول: هذا محمد الحنفي فلما وصل إلى النبي ﷺ اجلسه بجانبه ثم التفت ﷺ إلى أبي بكر وعمر، وقال لهما :إني أحب هذا الرجل إلا عمامته الصماء أو قال الزعراء، وأشار إلى سيدي محمد، فقال له أبو بكر ﷺ: أتأذن لي يا رسول الله أن أعممه فقال :نعم فأخذ أبو بكر ﷺ عمامة نفسه، وجعلها على رأس سيدي محمد[1]، وأرخى لعمامة سيدي محمد عذبة عن يساره وألبسها لسيدي محمد انتهى فلما قصها على سيدي محمد ﷺ بكى، وبكى الناس، وقال للشريف محمد: إذا رأيت جدك ﷺ فاسأله لي في أمارة يعلمها من أعمالي، فرآه ﷺ بعد أيام، وسأله الأمارة فقال له :بأمارة الصلاة التي يصليها علي في الخلوة قبل غروب الشمس كل يوم وهي :اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم عدد ما علمت وزنة ما علمت وملء ما علمت فقال سيدي محمد ﷺ: صدق رسول الله ﷺ، وأخذ عمامته، وأرخى لها عذبة ونزع كل من في المجلس عمامته، وأرخى لها عذبة، وصار سيدي محمد ﷺ إذا ركب يرخي العذبة، وترك الطيلسان الذي كان يركب به إلى أن مات ﷺ ثم إن الشريف ﷺ رأى النبي ﷺ بعد ذلك أيضاً، وقال له :إني أرسلت إلى محمد الحنفي أمارة مع رجل من رجال الصعيد، وأن يعمل لعمامته عذبة فوصل الرجل الصعيدي بعد مدة، وأخبر سيدي محمدًا بالرؤيا ﷺ، قال الشيخ شمس الدين بن كتيلة رضي الله عنه: وأول شهرة اشتهر بها الشيخ محمد الحنفي ﷺ أن السلطان، فرج بن برقوق كان يرمي الرمايا على الناس، وكان الشيخ يعارضه فأرسل وراء الشيخ وأغلظ عليه القول، وقال المملكة لي أو لك؟ فقال له الشيخ ﷺ: لا لي، ولا لك المملكة لله الواحد القهار ثم قام الشيخ متغير الخاطر، فحصل للسلطان عقب ذلك ورم في محاشمه كاد يهلك منه،

(١) قلت: هي علامة الخلافة.

فأرسل خلف الأطباء، فعجزوا فقال له بعض خواصه العقلاء هذا من تغير خاطر الشيخ محمد الحنفي، فقال :أرسلوا خلفه لأطيب خاطره، فنزل الأمراء إليه، فوجدوه خارج مصر نواحي المطرية فأخبروه بطلب السلطان له فلم يجب إلى الاجتماع به فلم يزالوا يترددون بينه وبين السلطان حتى رق له وأرسل له رغيفاً مبسوسا بزيت طيب . وقال لهم :قولوا له :كل هذا تبرأ، ولا تعد إلى قلة الأدب نملغ آذانك فمن ذلك اليوم اشتهر أمر الشيخ رضي الله عنه للناس، وصار الناس إذا لام بعضهم بعضا على أمر لم يفعله يقول: له :يعني ينغاظ الحنفي، وشاعت هذه الكلمة بين الناس إلى الآن، وكان الاستادار لما جاء إلى الشيخ يدعوه للسلطان أغلظ على الشيخ القول فدعا عليه الشيخ، فأعلموا السلطان بذلك فسجنه ثم ضرب عنقه، وأرسل رأسه للشيخ في طبق فولى بوجهه عنه، وقال :ارفعوها، وادفنوها مع جثته، وكان سيدي الشيخ إسماعيل نجل سيدي محمد الحنفي رضي الله عنه يقول: إن الشيخ رضي الله عنه أقام في درجة القطبانية ستة وأربعين سنة، وثلاثة أشهر، وأياما[1]، وهو القطب الغوث الفرد الجامع هذه المدة، وكان رضي الله عنه يقول: من الفقراء من يسلك على يد رجل، وينفطم على يد غيره لموت الشيخ الأول أو غير ذلك، وكان شيخ شيخه الشيخ شهاب الدين بن الميلق رحمه الله تعالى يكتب بكل مدة قلماً كراسا كاملا، فسمع بذلك الناس، فتعجبوا من ذلك، واستبعدوا وقوعه فأمر الشيخ محمد الحنفي رضي الله عنه بعض مريديه أن يكتب بكل مدة كراسين فكتب، والناس ينظرون، وكان رضي الله عنه يقول: كان الشيخ ياقوت رضي الله عنه يقول: يا دهشة يا حيرة يا حرف لا يقرأ، وكان يقول: وجدت مقام سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه أعلى من مقام سيدي عبد القادر الكيلاني رضي الله[2] عنه ثم قال :وسبب ذلك أن سيدي عبد القادر سئل يوما عن شيخه، فقال :أما فيما مضى فكان شيخي حمادًا الدباس وأما الآن فإني أسقى من بين بحرين بحر النبوة وبحر الفتوة يعني ببحر الفتوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأما سيدي

(١) قلت: وقد أقام فيها الإمام الغزالى رضي الله عنه ليلة واحدة وهى الليلة التى مات فيها فإنه تقطب فيها.

(٢) وكان سيدى أحمد التجانى رضي الله عنه يقول: إن أقرب الطرق إلى الطريقة التجانية هى الطريقة الشاذلية.

أبو الحسن رضي الله عنه فقيل له من شيخك؟ فقال أما فيما مضى فكان شيخي سيدي عبد السلام بن مشيش، وأما الآن فإني أسقى من عشرة أبحر خمس سماوية، وخمسة أرضية كما تقدم في ترجمته، وكان رضي الله عنه إذا وعظ الناس في ترك الزنا يقول: إن الذي يشبك الكلب مع الكلبة قادر أن يشبك الزاني مع الزانية في حال زناه ثم يقول: هاه هاه فيصرخ الناس، ويكثر ضجيجهم، وكان رضي الله عنه يتكلم على خواطر القوم، ويخاطب كل واحد من الناس بشرح حاله، وقال له رجل: بلغنا عن الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه أنه عمل يوما ميعادًا سكوتيا لأصحابه، ومرادنا أن تعملوا لنا ذلك، فقال :نفعل ذلك غدًا إن شاء الله تعالى فجلس على الكرسي، وتكلم بغير صوت، ولا حرف سرًا فأخذ كل من الحاضرين مشروبه وصار كل واحد يقول: ألقي إلي في قلبي كذا وكذا فيقول له الشيخ: صدقت، فحصل الاتعاظ لكل واحد، وكان ذلك من الكرامات، وكان إذ حضر أحد من المنكرين ميعاده يصير المنكر يضطرب، وينتفض، ويتقلب في الأرض ويقول: والله ما هذا سدى ثم يصحبه، وجاءه شخص فقال يا سيدي ادع الله أن يرزقني شيئا من محبته فقال رضي الله عنه: لا أقول لك مثل ما قال بعض العارفين رضي الله عنهم لما سأله ذلك عني كتفك، ولكن أقول لك احضر الميعاد، فحضر يوما فألقى الشيخ عليه بعض مسائل من دلائل محبة الله تعالى فغشي على الرجل، وحمل مغشيا عليه فمكث ثمانية أيام لا يعي شيئا ثم مات فصلى عليه الشيخ رضي الله عنه، وقال :صلوا على شهيد المحبة، ودفنه في القرافة، وكان رضي الله عنه يلبس الملابس المثمنة الفاخرة فأنكر عليه بعض من لا معرفة عنده بأحوال الأولياء، وقال :بعيد أن يكون الأولياء يلبسون هذه الملابس التي لا تليق إلا بالملوك ثم قال :إن كان الشيخ وليا يعطيني هذا السلاوي أبيعه وأنفقه على عيالي فلما فرغ الشيخ رضي الله عنه من الميعاد نزعه ثم قال : أعطوه لفلان يبيعه، وينفق ثمنه على عياله فأخذه الرجل، وصار يقول: شيء لله المدد ثم جاء الميعاد الثاني فوجده على الشيخ اشتراه بعض المحبين، وقال :هذا لا يصلح إلا للشيخ محمد الحنفي فأهداه له، وكان رضي الله عنه لا ترد له شفاعة وكان يشفع عند من يعرفه، وعند من لا يعرفه، وقد ذكر شيخ الإسلام

العيني[1] في تاريخه الكبير والله ما سمعنا، ولا رأينا فيما حويناه من كتبنا، وكتب غيرنا، ولا فيما اطلعنا عليه من أخبار الشيوخ، والعباد والأستاذين بعد الصحابة إلى يومنا هذا أن أحدًا أعطى من العز والرفعة، والكلمة النافذة، والشفاعة المقبولة عند الملوك، والأمراء، وأرباب الدول، والوزراء عند من يعرفه، وعند من لا يعرفه مثل ما أعطى الشيخ سيدي شمس الدين الحنفي ثم قال :وأبلغ من ذلك أنه لو طلب السلطان أن ينزل إليه خاضعا حتى يجلس بين يديه ويقبل يديه لكان ذلك اليوم أحب الأيام إليه، وفي مناقب الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه أن الخليفة قصد يوما زيارته فلما قرب من زاويته قام سيدي عبد القادر من مجلسه ودخل خلوته، ووقف خلف الباب، فلما دخل الخليفة خرج إليه فسلم عليه، وجلس، وكان ذلك من سيدي عبد القادر رضي الله عنه تعظيما للخرقة والطريق حتى أنه لا يقوم للخليفة، وكان سيدي الشيخ شمس الدين الحنفي لم يقم قط لأحد من الملوك، ولا من الأمراء، ولا من القضاة الأربع، ولا غيرهم، ولم يغير قط قعدته لدخول أحد منهم، وكان هؤلاء إذا دخل أحد منهم لا يستطيع أن يجلس إلى جانبه، ولا يتربع بين يديه بل يجلس جاثيا على ركبتيه متأدبا خاضعا، ولا يلتفت يميناً ولا شمالا وكان الملك الظاهر جقمق سيء الاعتقاد في طائفة الفقراء، وكان يكره سيدي محمدًا، ومع ذلك كان يرسل له في الشفاعات فيقضيها، ويقول لمن حوله: كلما أقول إني لا أقبل لهذا الرجل شفاعة لا أستطيع بل أقبل شفاعته، وأتعجب في نفسي من ذلك، ونزل إليه الملك المؤيد، فجاء إلى الزاوية فوجد الشيخ فوق سطح البيت، فطلع إليه سيدي أبو العباس وأخبره فقال :قل له :قال :إنه ما يجتمع بأحد في هذا الوقت فوضع السلطان يده على رأسه، ورجع إلى القلعة، ولم يتغير من الشيخ إجلالا له رضي الله عنه .وأرسل إليه الأمير بيسق بشكارة[2] فضة فوجده على الكرسي فصار يقبض منها، ويرمي للناس

(١) هو الإمام الكبير بدر الدين العينى صاحب كتاب عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى.

هذا ليعلم الناس أن كبار الحفاظ والأئمة كانوا من الصوفية، وكانوا ينتصرون للصوفية ويتلمذون لهم.

(٢) الشكارة هى الجوال، وهى لفظة لاتزال تستعمل بين العامة فى مصر لحد الآن.

حتى أفناها كلها بحضرة القاصد كأنه يريه أن الفقراء في غنية عن ذلك، وأنهم لو أحبوا الدنيا ما كان لهم هذا المقام بين الناس ثم إن الأمير بلغه ما وقع فجاء إلى الشيخ، فقبل يديه فقال له الشيخ: قم إلى هذا البئر فاملأ منه هذه القسقية للوضوء فيصير ثواب ذلك في صحيفتك إلى يوم القيامة، فخلع الأمير ثيابه وملأ دلوًا فوجده ثقيلا فعالجه حتى طلع به فوجده ذهباً، فقال ذلك للشيخ فقال :صبه في البئر واملأ فملأه كذلك ثانياً وثالثا فقال قل للبئر مالنا حاجة إلا بالماء، فاستحقر الأمير ما كان أرسله للشيخ، وطلب الفقراء بالوعة للميضأة ففرز الشيخ عكازه، وقال :هذه بالوعة فهي إلى الآن ينزل فيها ماء الوضوء ولا يعرفون إلى أين يذهب، وكان أمير كبير يسمى بطط عند الملك المؤيد كلما يجيء يزور الشيخ يقوم يخلع ثيابه، ويملأ القسقية للناس بنفسه، ويعود ويلبس ثيابه، وتخفيفته، ولما تسلطن بعد الملك أحمد بن المؤيد كان ينزل إلى زيارة الشيخ كل يوم أو ثلاثة لا يستطيع أن يتخلف عنه فيقول له الشيخ: إنك صرت سلطاناً، فالزم القلعة، فيقول: لا أستطيع، وكان يقول للشيخ: لا تقطع شفاعتك عنا، ولو كان كل يوم ألف شفاعة قبلناها، ولما عزل شيخ الإسلام ابن حجر أرسل الشيخ جاريته بركة إلى السلطان ططر، وقال لها :قولي له :رد الشيخ شهاب الدين إلى ولايته فطلعت إليه بركة، وقالت له ذلك فكتب لها في الحال مرسوما بولاية شيخ الإسلام ابن حجر، وأرسل له خلعة فكان ابن حجر رحمه الله لا ينسى ذلك للشيخ، وطلع الشيخ رضي الله عنه مرة للسلطان ططر يعوده من مرض، فتسامع الناس أن الشيخ رضي الله عنه طلع للسلطان، فترادف عليه أصحاب الحوائج فأمر السلطان أن لا يرد ذلك اليوم قضية، وسأل الشيخ أن يعلم الناس على قضاياهم، فعلم على خمسة وثلاثين قضية فلما أراد الشيخ النزول أخرج السلطان له فرسا بسرج مغرق، وكبوشا ، وأمر بالقبة والطيرأن يكونوا على رأس الشيخ، وأمر الأمراء أن يركبوا معه إلى الزاوية، ففعلوا ذلك، وكانت القبة والطير مع أمير كبير يقال له :برسباي الدقماقي ثم تولى بعد ذلك المملكة فكان هو الملك الأشرف برسباي، وكان يراعي خاطر الشيخ، ويخاف منه مدة مملكته

إلى أن توفي رحمه الله تعالى، وجاء مرة قاض من المالكية يريد امتحان الشيخ فأعلموا الشيخ أنه جاء ممتحناً، فقال الشيخ رضي الله عنه: إن استطاع يسألني ما عدت أقعد على سجادة الفقراء فلما جاء القاضي يسأل قال: ما تقول في وتوقف فقال له الشيخ رضي الله عنه: نعم فقال ما تقول في وتوقف فقال له الشيخ رضي الله عنه: نعم فقال ما تقول في وتوقف فقال له الشيخ نعم حتى قال ذلك مرارًا عديدة فلم يفتح عليه بشيء فقال القاضي كنت أريد أن أسأل عن سؤال وقد نسيته ثم كشف رأسه واستغفر وأخذ عليه العهد بعدم الإنكار على الفقراء والاعتراض عليهم.

وكان رضي الله عنه يجمع الفقراء ويدخل بهم الحمام جبرًا لخاطرهم، وإشارة لتنظيفهم الباطن، وكان للشيخ بلان فسافر إلى بلاد المغرب فعرف أنه كان بلانا لسيدي محمد الحنفي، فصار الناس يأخذون يده يقبلونها، ويقولون :هذه يد مست جسد الشيخ فبلغ ذلك مولاي أبا فارس سلطان تونس، فأرسل وراءه وقبل يده، ووضعها على مواضع من جسده يتبرك بها ثم أرسل وكيله إلى مصر ليأخذ له العهد بطريق الوكالة، فأخذ عليه العهد وأمره أن يأخذ العهد على السلطان إذا رجع، وكان أهل الروم يكتبون اسمه على أبواب دورهم يتبركون به، وكانت رجال الطيران في الهواء تأتي إليه فيعلمهم الأدب ثم يطيرون في الهواء والناس ينظرون إليهم حتى يغيبوا، وكان رضي الله عنه يزور سكان البحر فكان يدخل البحر بثيابه فيمكث ساعة طويلة ثم يخرج ولم تبتل ثيابه، ووقع لإمام زاويته أنه خرج للصلاة فرأى في طريقه امرأة جميلة، فنظر إليها فلما دخل الزاوية أمر الشيخ غيره أن يصلي، فلما جاء الوقت الثاني فعل كذلك إلى خمسة أوقات فلما وقع في قلبه أن الشيخ أطلعه الله على تلك النظرة استغفر، وتاب فقال الشيخ: ما كل مرة تسلم الجرة، ودخل مصر رجل من أولياء الله تعالى من غير استئذان سيدي محمد فسلب حاله، فاستغفر الله ثم جاء إلى الشيخ فرد عليه حاله، وذلك أنه كان معه قفة يضع يده فيها، فيخرج كل ما احتاج إليه فصار يضع يده فلا يجد شيئا. وكان رضي الله عنه يقول: والله لقد مرت بنا القطبية[1]، ونحن شباب فلم نلتفت

(١) أى بشر بها فى ذلك الوقت.

إليها دون الله عز وجل وكان يقول: إن القطب إذا تقطب يحمل هموم أهل الدنيا كلها كالسلطان الأعظم بل أعظم، وكان يتطور في بعض الأوقات حتى يملأ[1] الخلوة بجميع أركانها ثم يصغر قليلا قليلا حتى يعود إلى حالته المعهودة، ولما علم الناس بذلك سد الطاق التي كانت تشرف على الخلوة رضي الله عنه، وكان إذا تغيظ من شخص يتمزق كل ممزق، ولو كان مستنداً لأكبر الأولياء لا يقدر يدفع عنه شيئا من البلاء النازل به كما وقع لابن التمار وغيره فإنه أغلظ على الشيخ في شفاعة وكان مستنداً لشيخ اسمه البسطامي من أكابر الأولياء، فقال سيدي محمد مزقنا ابن التمار كل ممزق، ولو كان معه ألف بسطامي ثم أرسل السلطان فهدم دار ابن التمار وهي خراب إلى الآن، وعزم بعض الأمراء على سيدي محمد، ووضع له طعاما في إناء مسموم وقدمه للشيخ، وكان لا يتجرأ أحد يأكل معه في إناء فأكل منه الشيخ شيئا ثم شعر بأنه مسموم فقام وركب إلى زاويته، فاختلطت الأواني، فجاء ولدا الأمير الاثنان فلعقا من إناء الشيخ، فماتا، ولم يضر الشيخ شيء من السم، وكان يتوضأ يوما فورد عليه وارد فأخذ فردة قبقابه فرمى بها وهو داخل الخلوة فذهبت في الهواء، وليس في الخلوة طاق تخرج منها، وقال لخادمه: خذ هذه الفردة عندك حتى تأتيها أختها فبعد زمان جاء بها رجل من الشام مع جملة هدية، وقال :جزاك الله عني خيرًا إن اللص لما جلس على صدري ليذبحني قلت في نفسي: يا سيدي محمد يا حنفي فجاءته في صدره، فانقلب مغمى عليه ونجاني الله عز وجل ببركتك، وشفع رضي الله عنه عند أمير يسمى المناطح كان كل من نطحه كسر رأسه، وكان ينطح المماليك بين يدي السلطان الملك الأشرف برسباي، فقال للقاصد: قل لشيخك: اقعد في زاويتك، وإلا جاء لك ينطحك، ويكسر رأسك فذكر القاصد ذلك للشيخ، فلم يرد عليه جوابا فلما دخل الليل كشف ذلك الأمير رأسه، وصار ينطح الحيطان إلى أن مات فبلغ الخبر السلطان، فقال :قتله الحنفي رضي الله عنه .وكان له جارية مباركة

(١) تطور أجساد الأولياء دليل على التصريف، وإذا قلنا لماذا لم تكن هذه الظاهرة موجودة بين الأنبياء، قلنا لأنهم أعظم عبودية من الأولياء، وربما لو تطوروا لخافهم أقوامهم، والألوهية تريد شيئاً آخر غير خوف الناس منهم، لتتضح نوايا كل واحد من أقوامهم، وحتى يراهم الناس بشراً عاديين بلا خوف.

اسمها بركة أعتقها، وكتب لها، وقال لها: لا تخبري بذلك أحدًا فلما أخبرت أهل البيت بذلك قال لها :روحي اقعدي في المكان الفلاني، ولم تعلم ما أراد الشيخ فجلست فيه ثم أرادت أن تقوم فما استطاعت، فسألت الشيخ أن يأذن لها في القيام فقامت لكن لم تستطع المشي، فقالت استأذنوا سيدي في المشي فقال :إنها لم تسأل إلا القيام، والسهم إذا خرج من القوس لا يزد فلم تزل مقعدة إلى أن ماتت، وكان رضي الله تعالى عنه يقرئ الجان على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه فاشتغل عنهم يوما بأمر فأرسل صهره سيدي عمر، فأقرأهم في بيت الشيخ ذلك اليوم، وكان سيدي عمر هذا يقول: طلبت مني جنية أن أتزوجها، فشاورت سيدي محمدًا رضي الله عنه فقال هذا لا يجوز في مذهبنا فعرضت ذلك على ملكهم حين نزلت معها تحت الأرض فقال الملك: لا أعترض على سيدي محمد فيما قال ثم قال الملك للوزير: صافح صهر الشيخ باليد التي صافحت بها النبي ﷺ ليصافح بها سيدي محمدًا رضي الله عنه فيكون بينه وبين النبي ﷺ في المصافحة رجلان فصافحني، وأخبرني أن بينه وبين وقت مصافحة النبي ﷺ ثمانمائة سنة ثم قال للجنية: رديه إلى الموضع الذي جئت به منه ورآه كاتب السر ابن البارزي يوما ، وهو راكب ومعه جماعة من الأمراء فأنكر عليه، وقال :ما هذه طريقة الأولياء، فقال له ناظر الخاص: لا تعترض فإن للأولياء أحوالا فقال :لا بد أن أرسل أقول له ذلك فلما دخل القاصد، وأخبر سيدي محمدًا قال له قل لأستاذك أنت معزول عزلا مؤبدًا، فأرسل له السلطان المؤيد، وقال له :الزم بيتك فما زال معزولا حتى قتله الملك المؤيد نعوذ بالله من النكران .وكانت أم سيدي محمود زوجة الشيخ رضي الله عنه تقول أهدت لنا امرأة أترجة صفراء، فوضعناها عندنا في طبق فانقطع الجان الذين كانوا يقرؤون على الشيخ فلما أكلناها جاءوا، فقال لهم سيدي: ما قطعكم عن المجيء إلينا، فقالوا :لا نقدر على رائحة الأترج ولا نقدر ندخل بيتا هو فيه فكان سيدي محمد رضي الله عنه يأمر من نزل عنده الجان أن يضع في بيته الأترج، ويعمل من حبه سبحا ، ويحفظها عنده لمن عرض له عارض في غير أوان الأترج .ودخلت على الشيخ يوما امرأة أمير، فوجدت حوله

نساء الخاص تكبسه، فأنكرت بقلبها عليه فلحظها الشيخ بعينه، وقال لها :انظري فنظرت فوجدت وجوههن عظاما تلوح، والصديد[1] خارج من أفواههن ومناخرهن كأنهن خرجن من القبور فقال لها :والله ما أنظر دائما إلى الأجانب إلا على هذه الحالة ثم قال للمنكرة إن فيك ثلاث علامات علامة تحت إبطك، وعلامة في فخذك، وعلامة في صدرك فقالت :صدقت والله إن زوجي لم يعرف هذه العلامات إلى الآن، واستغفرت وتابت وأرسل ابن كتيلة مرة يشفع عند إنسان من كبراء المحلة فقال :إن كان ابن كتيلة فقيرًا لا يعارض الولاة، وإن لم يسكت ابن كتيلة قطعت مصارينه في بطنه فتكدر ابن كتيلة من ذلك، وأرسل أعلم سيدي الشيخ محمدًا الحنفي فقال :هو الذي تتقطع مصارينه في بطنه فأرسل له سيدي محمد جماعة من الفقراء، وأمرهم إذا طلعوا المحلة أن يمروا على بيت ذلك الظالم، ويرفعوا أصواتهم بالذكر ففعلوا فصار يتقايأ، ومصارينه تطلع قطعاً قطعا إلى أن مات، وكان رضي الله عنه يأخذ القطعة من البطيخة، ويشق منها حتى يملأ كذا كذا طبقا كل طبق له لب خلاف الآخر حتى إنه يشق من البطيخ الأخضر بطيخا أصفر حتى يبهر عقول الحاضرين رضي الله عنهم، وسرقت له نعجة من الحوش فمكثت ستة أشهر غائبة فقال الشيخ رضي الله عنه يوما لغلامه: اذهب إلى الروضة فدق الباب الفلاني فإذا خرج لك صاحب الدار قل له هات النعجة التي لها عندك ستة أشهر فأخرجها له، فقال الشيخ رضي الله عنه: هذه بضاعتنا ردت إلينا .وجاءه مرة قاض فقال :يا سيدي أهل بلدي رفعوا في قضية إلى أستاذهم بأنني فلاح فقال قضيت حاجتك فركب الأمير ذلك اليوم فرساً حرنا فجرى به في خوخة ضيقة، فانكسر ظهر الأمير، ووقع على ظهر الأرض ميتاً، وتولى ذلك الإقطاع رجل من أصحاب سيدي محمد فجاء إلى الشيخ يزوره ثاني يوم فكلمه على ذلك القاضي فكتب له عتاقة هو وذريته . وكان الشيخ إذا لم يجد شيئا ينفقه يقترض من أصحابه[2] ثم يوفيهم إذا فتح الله تعالى عليه بشيء، فاجتمع

(١) وقد اجتمعنا ببعض الأولياء بالقاهرة المحروسة وأخبرنى أنه يرى بنطلونات النساء المحزقة فى الشوارع وهى تشتعل ناراً على أجسادهن من باب الكشف.

(٢) وهو مقام الفقر وهو أفضل من مقام التصرف فى الوجود، وهو حال رسول الله ﷺ فقد =

عليه ستون ألفا فشق ذلك على الشيخ، فدخل رجل بكيس عظيم، وقال :من له على الشيخ دين فليحضر، فأوفي عن الشيخ ﷺ جميع ما كان عليه ولم يعرف ذلك الرجل أحد من الحاضرين، فقالوا للشيخ عنه فقال :هذا صيرفي القدرة أرسله الله تعالى يوفي عنا ديننا، وأنشدوا بين يديه شيئا من كلام ابن الفارض ﷺ فتمايل الشيخ العارف بالله تعالى سيدي الشيخ شمس الدين بن كتيلة المحلى فلحظه الشيخ فغاب عن إحساسه فرأى في منامه سيدي عمر بن الفارض ﷺ واقفا على باب الزاوية، وفي فمه قصبة غاب كأنه يشرب بها ماء من تحت عتبة باب الزاوية ثم أفاق، فقال له الشيخ: الذي رأيته صحيح رأيت بعينك يا شمس الدين، وكان يقول كثيرًا: لو كان عمر بن الفارض في زماننا ما وسعه إلا الوقوف ببابنا، ومرضت زوجته فأشرفت على الموت، فكانت تقول :يا سيدي أحمد يا بدوي خاطرك معي فرأت سيدي أحمد ﷺ في المنام، وهو ضارب لثامين، وعليه جبة واسعة الأكمام عريض الصدر أحمر الوجه والعينين وقال لها كم تناديني، وتستغيثي، وأنت لا تعلمي أنك في حماية رجل من الكبار المتمكنين، ونحن لا نجيب من دعانا، وهو في موضع أحد من الرجال قولي يا سيدي محمد يا حنفي يعافيك الله تعالى فقالت ذلك فأصبحت كأن لم يكن بها مرض، وكان الشيخ طلحة ﷺ المدفون بالمنشية الكبرى يقول: قال لي سيدي محمد الحنفي: يا طلحة خرج من زاويتي هذه أربعمائة ولي، وفي رواية ثلاثمائة وستون على قدمي كلهم داعون إلى الله تعالى، وأصحابنا بالمغرب كثير، وبالروم والشام أكثر، وأكثر أصحابنا باليمن، وسكان البراري والكهوف والمغارات قال الشيخ طلحة ﷺ: وكان ذلك آخر اجتماعي بالشيخ رحمه الله تعالى.

وقال سيدي محمد ﷺ في مرض موته: من كانت له حاجة فليأت إلى

= أعطى التصرف فى الكون والوجود وجاءته الكائنات خاضعة، وبرغم ذلك كان يقترض ويجوع ويربط الحجر على بطنه، فلا يظن الظان أن من يتصرف وينفق فى الغيب أفضل ممن يقترض ويفتقر إلى مولاه ويرفض التصرف فى الوجود، وقد كان الحلاج ﷺ يقول لما سئل عن حقيقة الفتوة: الفتوة أنى أرى الذهب فى باطن الأرض تحت رجلى فلا آخذ منه شيئاً وإننى لمحتاج إلى فلس لكى أشترى به زبداً.

قبري، ويطلب حاجته أقضها له فإن ما بيني، وبينكم غير ذراع من تراب، وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب، فليس برجل، وكان ﷺ يلقن الخائف، من ظالم، ويقول: إذا دخلت عليه فقل بسم الله الخالق الأكبر حرز لكل خائف لا طاقة لمخلوق مع الله عز وجل فيه رجع إليه المظلوم وعليه الخلعة، والوصول بالتعليق، وأنكرت عليه امرأة ما يقدمه للفقراء من الطعام القليل في الصحون الرملي فقالت :قلة هذا الطعام ولا هو، ثم ذهبت وعملت طعاما بكثرة فيه فراخ وأوز، وحملته إلى الزاوية، فقال سيدي محمد ﷺ لسيدي يوسف القطوري رحمه الله: كل طعامها كله وحدك فأكل طعامها كله وحده، وشكا من الجوع، فأخذته إلى بيتها، وقدموا له نحو ذلك الطعام، وكثر، وهو يشكو الجوع لها فقال الشيخ: البركة في طعام الفقراء لا في أوانيهم فاستغفرت وتابت، وكان إذا تذكر أحدًا من أصحابه الغائبين عن السماط يأكل الشيخ عنه لقمة أو لقمتين فتنزل في بطونهم في أي مكان كانوا ثم يجيئون، ويعترفون بذلك[1] وكان إذا سأله أحد من المنكرين عن مسألة أجابه، فإن سأله عن أخرى أجابه حتى يكون المنكر هو التارك للسؤال فيقول الشيخ ﷺ لذلك الشخص: أما تسأل، فلو سألتني شيئا لم يكن عندي أجبتك من اللوح المحفوظ وحضره الشيخ جلال الدين البلقيني ﷺ يوما في الميعاد، فسمع تفسير الشيخ ﷺ للقرآن، فقال :والله لقد طالعت أربعين تفسيرًا للقرآن ما رأيت فيها شيئا من هذه الفوائد التي ذكرها سيدي الشيخ محمد، وكذلك كان يحضره شيخ الإسلام البلقيني، وشيخ الإسلام العيني الحنفي، وشيخ الإسلام البساطي المالكي وغيرهم وقبله الشيخ سراج الدين البلقيني رحمه الله بين عينيه وقال له :أنت تعيش زمانا طويلا لأن الله تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (الرعد: ١٧) وكان إذا استغرق في الكلام، وخرج عن أفهام الناس يقول: وهاهنا كلام لو أبديناه لكم لخرجتم مجانين لكن نطويه عمن ليس من أهله، وكان له صاحب في مكة المشرفة فلما بلغه وفاة الشيخ ﷺ سافر إلى مصر لزيارة قبر الشيخ، ولم يكن له في مصر

(١) هو من باب التصريف الباطني، وقد كانت هذه الكرامة من معجزاته ﷺ وورثها عنه الأولياء، فقد كان يشبع الجائع بالقليل من الطعام.

حاجة غير ذلك، وجاءه رجل فقال :يا سيدي أنا ذو عيال فقير الحال فعلمني الكيمياء فقال الشيخ رضي الله عنه: أقم عندنا سنة كاملة بشرط أنك كلما أحدثت توضأت وصليت ركعتين فأقام على ذلك فلما بقي من المدة يوم جاء إلى الشيخ فقال له غدًا تقضى حاجتك فلما جاءه قال له :قم فاملأ من البئر ماء للوضوء فملأ دلوًا من البئر فإذا هو مملوء ذهباً، فقال :يا سيدي ما بقي في الآن شعرة واحدة تشتهيه، فقال له الشيخ: صبه مكانه، واذهب إلى بلدك فإنك قد صرت كلك كيمياء .

فرجع إلى بلاده ودعا الناس إلى الله تعالى، وحصل به نفع كبير قال الشيخ شمس الدين بن كتيلة رضي الله عنه: وكان سيدي محمد رضي الله عنه إذا صلى يصلي عن يمينه دائما أربعة روحانية، وأربعة جسمانية لا يراهم إلا سيدي محمد أو خواص أصحابه، ووقعت له ابنة صغيرة من موضع عال فظهر شخص، وتلقاها عن الأرض فقلنا له من تكون؟ فقال من الجن من أصحاب الشيخ، وقد أخذ علينا العهد أن لا نضر أحدًا من أولاده إلى سابع بطن فنحن لا نخالف عهده، وكان سكان[1] بحر النيل يطلعون إلى زيارته،وهو في داره بالروضة، والحاضرون ينظرون، قالت ابنته أم المحاسن رضي الله عنها: وزاروه مرة، وعليهم الطيالسة، والثياب النظيفة، وصلوا معه صلاة المغرب ثم نزلوا في البحر بثيابهم، فقلت :يا سيدي أما تبتل ثيابهم من الماء فتبسم رضي الله عنه، وقال :هؤلاء مسكنهم في البحر، وجاءه مرة رجل في جوف الليل فوقف على دور القاعة فقال له الشيخ: من فقال :حرامي فقال له الشيخ: ما تسرق وتعمل شغلك فقال : يا سيدي تبت إلى الله، فإني سمرت فقال له الشيخ انزل ما عليك بأس فتاب، وحسنت توبته، واستمر في زاوية الشيخ إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى، وأمر شخصا من أصحابه يوما ينادي في شوارع القاهرة، وأسواقها بأعلى صوته يا معشر المسلمين يقول: لكم سيدي محمد الحنفي رضي الله عنه حافظوا على الصلوات الخمس، والصلوات الوسطى حتى شاع ذلك في جميع البلاد أن الشيخ أمر بذلك، فاعترض بعض الشهود

---

(١) يقصد سكانه من الجن والروحانيين.

على منادي الشيخ، وقال :هذا ما هو للحنفي هذا لله عز وجل فرجع الفقير، وأخبر الشيخ رضي الله عنه بما وقع فسكت، فخرج يوم الثالث ينادي فمر على دكان الشهود فقال له شاهد منهم: شيء لله يا سيدي محمد يا حنفي مات البارحة الرجل الذي قال لك ما قال فرجع إلى الشيخ رضي الله عنه فأخبره فقال :لا تعد تقول لأحد ما قلت لك، وكان رضي الله عنه يقول: كنا نقرأ حزب سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه فكان بعض الناس يستطيله فألفت الحزب الذي بين أصحابي الآن وأخفيته، ولم أظهره حتى جاء الإذن من سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه أدبا معه، ولعن شخص إبليس في حضرته فقال له :لا تعود لسانك إلا خيرًا، ولو كان ذلك جائزًا، ولما تزوج الشيخ شمس الدين بن كتيلة رضي الله عنه بنت سيدي محمد رضي الله عنه جلسا يأكلان، فجاءت هرة فخطفت قطعة لحم[1] فقال الشيخ رضي الله عنه: لعنك الله فقالت بنت الشيخ رحمه الله تذكر اللعنة على لسانك، وأنت رجل يقتدى بك، وتفتي المسلمين فقال الشيخ رضي الله عنه: لا أعود لمثلها، وتاب من كل لفظ قبيح، وظهر شخص بشعره، وفي وسطه مئزر يذكر الله في زاوية في حارة قناطر السباع فهرع الناس إليه من الأمراء،والتجار وغيرهم فأرسل الشيخ رضي الله عنه وراءه، فحضر فاصفر لونه، وتغير، وقال للقاصد: خذ هذه الفضة، وأعتقني من مقابلته فقال له القاصد: لا بد فلم يزل به حتى جاء به إلى الشيخ فلما نظر إليه الشيخ قال له :يا ولدي قلة الأدب ما يثبت معها شيء، ونهره وقال :اخرج فخرج لا يدرى أين يذهب، وانطفأ اسمه من ذلك اليوم فقال الشيخ رضي الله عنه: ما هي مائدة يقعد عليها طفيلي .

وكان رضي الله عنه يقول: أول ما تنزل الرحمة على حلق الذكر ثم تنشر على الجماعة فكان الفقراء يمدون أيديهم في الحلقة لعل أن يصيبهم شيء من الرحمة، وسمع رضي الله عنه يوما امرأة تقول :ما أحسن السجود في السماء بين الملائكة

---

(١) قال الشعراني في المنن: ومما من الله تعالى به عليّ أنني لا أمنع الهرة إذا خطفت دجاجة من بين يدي وأنا آكل، بل أتركها لتأكلها، فإن الحيوان له نفس وشهوة كابن آدم وهذا الخلق لم أره فاعلاً غيري في هذا العصر.

فقال لها محبة الله خير من ذلك، وكان ﷺ يأمر أصحابه برفع الصوت بالذكر في الأسواق والشوارع، والمواضع الخربة المهجورة، ويقول: اذكروا الله تعالى في هذه الأماكن حتى تصير تشهد لكم يوم القيامة، وتحرقوا ناموس طبع النفس فإنكم في حجاب ما لم تحرقوه، وكان أصحابه إذا سألوه أن يمضي بها إلى موضع التترهات[1] في حين يقول: حتى تحضر لنا نية صالحة، ودعاه ابن البارزي كاتب السر على أيام الملك المؤيد إلى وليمة، وقال إن الأئمة الأربعة قد طلبوكم فلان وفلان فقال الشيخ ﷺ للقاصد: قل له :حرر النية في حضور الفقراء، وهم يحضرون، ولا تطلب حضورهم لأجل أن تقول :حضر عندنا في الوليمة فلان وفلان، وتجعلوا الفقراء حكاية ثم قال ﷺ: ما وطئ حافر فرسي باب أحد على هذا الوجه إلا وخربت دياره فرجع القاصد، وأخبره بذلك، فسكت، ولم يزل ممقوتا عند المؤيد حتى قتله كما تقدم، وسأله شخص يوما عن الحلاج، فقال الحلاج تكلم في حال غلبة هذا قولى أنا لكن ثم من يقول فيه خلاف قولنا كسراج الدين البلقيني وغيره، وكان ﷺ إذا عطش، وطلب كوز الماء للشرب يقوم كل من في المجلس من كبير أو أمير أو قاض فلم يزالوا واقفين حتى يفرغ فيستأذنوه في الجلوس فيأذن لهم، وكانت ملوك أقاليم الأرض ترسل له الهدايا فيقبلها فأرسل إليه ملك الروم دابة تمشي على ثلاث قوائم مؤخرها على رجلين، وصدرها على واحدة[2] وكانت قدر الجدي الصغير فأقامت عنده ستة أشهر وماتت، وأهدى له سلطان تونس الخضراء مشطا لتسريح اللحية فإذا فردوه صار كرسيا لمصحف فأهداه الشيخ ﷺ إلى الملك الأشرف برسباي ففرح به وأعجبه، وأهدى له ملك الهند ثوباً بعلبكيا في قصبة وشاشا في جوزة هند.

---

(١) قلت: الصوفية يخرجون إلى مواضع التنزهات للتخفيف عن أنفسهم من شدة التجليات، ولكى يكسروا تجليات الجلال بتجليات الجمال، وكذلك لترقيق الطباع من حدة الأوامر والتكاليف، وقد ورد أن الشيخ الأكبر ابن عربى ﷺ كان يخرج للتنزه ومعه بعض تلاميذه وهو القونوى.

(٢) قلت: لعله حيوان الكانغر، ولم يكن يعرف للعرب حينذاك.

ودخل عليه مرة فقير فرأى عليه ثيابا لا تليق إلا بالملوك، فقال :سيدي طريقتكم هذه أخذتموها عمن فإن من شأن الأولياء التقشف، ولبس الخشن فقال ما مقصودك؟ قال :تنزع يا سيدي هذه الثياب التي عليك وتلبس هذه الجبة، ونذهب ماشيين إلى القرافة فأجابه الشيخ رضي الله عنه، وخرجا ماشيين فرأى بعض الأمراء الشيخ رضي الله عنه فعرفه، فنزل من على فرسه، وخلع على الشيخ السلار الذي كان عليه، وأقسم عليه بالله تعالى أن يقبله، ورجع هو ومماليكه مع الشيخ رضي الله عنه حتى شيعوه للزاوية فقال الشيخ لذلك الفقير: رأيت يا ولدي أيش كنا نحن والله لولا أنت من أولاد الفقراء ما حصل لك خير فتاب ذلك الفقير واستغفر، وكشف رأسه، ولم يزل يخدم الشيخ إلى أن مات رحمه الله تعالى، وكان رضي الله عنه لا يشتري قط ملبوسا إنما هو هدايا المحبين، وكان رضي الله عنه إذا ركب يذكر الله تعالى بين يديه جماعة كطريقة مشايخ العجم، ويقول: هو شعارنا في الدنيا، ويوم القيامة، وكان يجعل من خلفه جماعة كذلك يذكرون الله تعالى بالتوبة فكان الناس إذا سمعوا حسهم من المساجد أو الدور يخرجون ينظرون إليه فيدعو لهم، وكان إذا كتم أحد شيئا عنه من ماله يذهب ذلك المال الذي كتمه كله، ولا يبقى معه إلا المال الذي يعترف به ودخل الحمام يوما مع الفقراء فأخذ ماء من الحوض ورشه على أصحابه، وقال :النار التي يعذب الله بها العصاة من أمة محمد ﷺ مثل هذا الماء في سخونته ففرح الفقراء بذلك، وكان رضي الله تعالى عنه إذا زار القرافة سلم على أصحاب القبور، فيردون السلام عليه بصوت يسمعه من معه، ولما طلع فقراء الصعيد، ومعهم الفرغل بن أحمد رضي الله عنه في شفاعة ابن عمر أمير الصعيد قال سيدي محمد الحنفي رضي الله عنه: لا تقضى لهؤلاء حاجة لأنهم جاءوا بغير أدب، ولم يستأذنوا صاحب هذا البلد فكان الأمر كما قال ولما دخلوا بالفرغل على السلطان أحمد جقمق قال له: أنت مشد هذا البلد فلم يجبه السلطان[1] لكونه مجذوباً ، وسمع رضي الله عنه بعض الفقراء في الزاوية يقول لبعض: قم يا فلان اكنس الزاوية قال له :قم أنت فما زالا يقولان ذلك ساعة

(١) وقد كان الملوك آنذاك يعملون آلف حساب للمجاذيب والأولياء حتى لا يتصرفوا فيهم.

فخرج الشيخ رضي الله عنه وهو يقول: أنت وأنت اخرجا واجلسا على باب الزاوية وامنعا الناس من الدخول، وأنا أكنسها ففعلا فخلع الشيخ ثيابه، وشد وسطه وطوى الحصر، ونفضها وكنسها وافتتح القرآن يتلوه من الفاتحة إلى آخر سورة الأنعام حتى فرغ من الكنس رضي الله عنه وكان أميرًا كبيرًا، والمقدمون الألوف هم الذين يمدون سماطه في المولد الكبير، ودخل يوما فرأى الأمراء يبنون في الكوانين[1] فقال :لا إله إلا الله لو أمرنا الملوك أن يبنوا الكوانين لفعلوا، وكان شخص من التجار شديد الإنكار على سيدي محمد رضي الله عنه حتى كان يجيء إلى باب الزاوية أحيانا ً، ويرفع صوته بالألفاظ القبيحة في حق الشيخ فدار عليه الزمان، وانكسر، وركبته الديون، فجاء إلى الشيخ رضي الله عنه فتلقاه بالترحيب، وجمع له من أصحابه مالا جزيلا ً، ولم يزل يعتقد الشيخ إلى أن مات، ولم يعاتبه رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه يتنزه عن سماع المعازف، وجميع آلات اللهو، فدخل يوما يزور سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه فرأى المازروني عمالا ً، والآلات تضرب فأمره بالسكوت حتى يزور فزار الشيخ رضي الله عنه، وعمل مجلس الذكر .

فلما خرج عاد المازروني إلى حاله، ولم يتعرض الشيخ لكسر آلاته، وسمع مرة ً مدرسا من الحنفية يقول في درسه: الحكم كذا ً خلافا للشافعي رضي الله عنه فزجره، وقال :تقول ً خلافا للشافعي بقلة أدب لم لا تقول :رضي الله عنه، والا رحمه الله فقال المدرس: تبت إلى الله تعالى يا سيدي، وكان إذا رأى رضي الله عنه في جبهة فقير أثر سجود يقول: يا ولدي أخاف عليك أن يكون هذا من الرياء، وذكروا ً يوما عنده سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه فقال :لو حضر عندنا عبد القادر هنا لكان تأدب معنا، وكان رضي الله عنه يقول: نحن أسرار الوجود، وكان إذا وضع يده على الفرس الحرون لم يعد إلى حرونته، وكان رضي الله عنه يكره مشايخ القرى، والمدركين للبلاد، ويقول: أنا لا أقول بإسلامهم، وكان يقول: من اعتقد شيخا ً، ولم يره كسيدي أحمد البدوي، وغيره لا يصير بذلك مريدًا له إنما هو محب له فإن شيخ

---

(١) الكوانين جمع كانون، وهو بناء صغير جداً من الطين يستعمل فى القرى والأرياف للطبخ وتسخين الماء وخلافه، وهى لغة لازالت شائعة لحد الآن فى الصعيد، ولازال يستعمل هناك الكانون.

الإنسان هو الذي يأخذ عنه، ويقتدي به، وكان يكره للفقير لبس الطليحية، ويقول: الفقر في الباطن لا في الظاهر وكان رضي الله عنه إذا رأى من الفقراء، والمجاورين عورة سترها عليهم، ويصير يسارقهم بحيث لا يشعرون، ويرغبهم في ذلك الأمر الذي فيه صلاحهم، وكان رضي الله عنه يكره للفقير أن يكون عند شيخه، ولا يشاوره في أموره كلها، ويقول: والله ما عرف الكيلاني وابن الرفاعي وغيرهما الطريق إلى الله تعالى إلا على يد شيخ، وكم لعب الشيطان بعابد، وقطعه عن الله عز رجل، وكان إذا تشوش من فقير ظهر عليه المقت، وكان يقول: الفقراء ما عندهم عصا يضربون بها من أساء الأدب في حقهم، وما عندهم إلا تغير خواطرهم، وسألوه مرة: ما تقول الساقية في غنائها؟ قال :تقول لا يرى ملآن إلا طالعا ولا فارغ إلا نازلا .ورأى مرة شابين أمردين ينامان في خلوة فلم يفش عليهما أمرًا، وصار يحكي الحكايات المناسبة للتنفير عن مثل ذلك حتى قال :بلغنا عن الشبلي رحمه الله تعالى أنه دخل يوما خربة يقضي فيها حاجته فوجد فيها حمارة فراوده الشيطان عليها فلما أحس الشبلي رضي الله عنه بذلك رفع صوته، وصاح يا مسلمون يا مسلمون الحقوني، وأخرجوا عني هذه الحمارة فإني أعرف ضعف نفسي عن سلوك طريق الصيانة[1] ثم قال سيدي محمد رضي الله عنه: فإذا كان هذا حال مثل الشبلي رضي الله عنه في حمارة، فكيف بالصور الجميلة ففطن لذلك الشابان فتفرقا عن الاجتماع حتى كأنهما لم يكونا عرفا بعضهما، وكانت الفضة لا تقطع من جيبه لأجل الفقراء فكان لا يقدم عليه فقير إلا وضع يده في جيبه، وأعطاه من غير عدد، وكان الذي يلاحظه يقول: والله عطايا الشيخ أكثر من عطايا السلطان كل يوم، وكان رضي الله تعالى عنه إذا ركب في شوارع مصر لا يلقاه أمير أو كاتب سر أو ناظر خاص إلا ورجع معه إلى أي مكان أراد وتلقاه رجل أعجمي فأنشده :

---

(١) قلت: اعلم أن الوسوسة جائزة فى حق الأنبياء والأولياء، ولكن لا يجوز للأنبياء العمل بها خلافاً للأولياء، نص على ذلك الشعرانى فى اليواقيت والجواهر واحتج بقوله تعالى: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى لشيطان فى أمنيته» واحتج كذلك بتعرضه للنبى ﷺ فى الصلاة وهو فى المسجد ومعه شعلة نار.

نهـاري نسـيم كله إن تبـسـمت أوائله منهـا بـرد تحـيـتي

فقال الشيخ رضي الله عنه: هذا الرجل كلما صلى الصبح وصلى على النبي ﷺ سمع رد السلام من النبي ﷺ، فيستنير النور، ويقوى حتى يصير كأصيل النهار فكأنه يقول: حصل لي اليوم الفتح، وكان الخضر عليه السلام يحضر مجلسه مرارًا فيجلس على يمينه فإن قام الشيخ قام معه، وإن دخل الخلوة شيعه إلى باب الخلوة، وسئل يوما عن الصالح فقال هو من صلح لحضرة الله عز وجل، ولا يصلح لحضرة الله عز وجل إلا من تخلى عن الكونين، وسئل عن الولي فقال هو من قال لا إله إلا الله، وقام بشروطها، وشروطها أن يوالي الله ورسوله بمعنى أنه يواد الله بشهادته له بالوحدانية، ولمحمد ﷺ بالرسالة، وكان رضي الله عنه يقول: إذا مات الولي انقطع تصرفه في الكون من الإمداد، وإن حصل مدد للزائر بعد الموت أو قضاء حاجة فهو من الله تعالى على يد القطب صاحب الوقت يعطى الزائر من المدد على قدر مقام المزور قال بعضهم: المزور في الحقيقة هو الصفات لا الذوات فإنها تبلى، وتفنى، والصفات باقية، وكان الشيخ رضي الله عنه يخرج إلى قبر رجل كان أبارًا فقيل له في ذلك فقال :إنه كان يخبر عن رأس ماله في كل إبرة يبيعها، وكان يقول: قوموا لأهل العلوم الربانية فإن قيامكم في الحقيقة إنما هو لصفة الله تعالى التي أنار بها قلوب أوليائه، وكان بالشيخ رضي الله عنه عدة أمراض كل مرض منها يهد الجبال منها البلغم الحار والبلغم البارد فاجتمع عنده الأطباء، وقالوا إن النصف الأعلى قد تحكم منه البلغم الحار، والنصف الأسفل قد تحكم منه البلغم البارد فإن داوينا الأعلى غلب عليه الأسفل، وإن داوينا الأسفل غلب عليه الأعلى فقال لهم: خلوا بيني وبين الله تعالى يفعل بي ما يريد، وأقام رضي الله عنه بذلك المرض سبع سنين ملازما فرشه ما سمعه أحد يقول: آه إلى أن توفي رحمه الله تعالى سنة سبع وأربعين وثمانمائة، وكان مع وجود هذا البلاء العظيم يتوضأ للصلاة قبل دخول الوقت بخمس درج، والأذكار والأحزاب تتلى حوله في كل صلاة، ولا يصلي إلا مع جماعة، ولما دنت وفاته بأيام كان لا يغفل عن البكاء ليلا، ولا نهاراً وغلب عليه الذلة، والمسكنة، والخضوع حتى سأل الله

تعالى قبل موته أن يبتليه بالقمل، والنوم مع الكلاب، والموت على قارعة الطريق، وحصل له ذلك قبل موته فتزايد عليه القمل حتى صار يمشي على فراشه، ودخل له كلب فنام معه على الفراش ليلتين وشيئاً، ومات على طرف حوشه، والناس يمرون عليه في الشوارع، وإنما تمنى ذلك ليكون له أسوة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين ماتوا بالجوع والقمل[1]، وكان السيد عيسى عليه الصلاة والسلام يقول: والله إن النوم مع الكلاب لكثير على من يموت، ولما دنت وفاته قال لزوجته :لا تتزوجي بعدي فمن تزوج بك خربت دياره، وأنا لا أحب أن تكوني سببا لخراب دار أحد رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ مدين [2] بن أحمد الأشموني رضي الله عنه

أحد أصحاب سيدي الشيخ أحمد الزاهد رضي الله عنه، كان من أكابر العارفين، وانتهت إليه تربية المريدين في مصر وقراها وتفرعت عنه السلسلة المتعلقة بطريقة أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه، قالوا وكان رضاعه على يد سيدي أحمد الزاهد رضي الله عنه، وفطامه على يد سيدي الشيخ محمد الحنفي رضي الله عنه السابق ذكره، فإنه لما توفي سيدي أحمد الزاهد رضي الله عنه جاء إلى سيدي محمد رضي الله عنه، وصحبه وأقام عنده مدة في زاويته مختليا في خلوة ثم إنه طلب من سيدي محمد إذنا بالسفر إلى زيارة الصالحين بالشام وغيره فأعطاه الشيخ إذنا فقام مدة طويلة سائحا في الأرض لزيارة الصالحين ثم رجع إلى مصر فأقام بها واشتهر، وشاع أمره، وانتشر، وقصده الناس، واعتقدوه، وأخذوا عليه العهود، وكثرت أصحابه في إقليم مصر وغيرها، ولما بلغ أمره سيدي الشيخ أبا العباس السرسي خليفة سيدي محمد الحنفي رضي الله عنه قال :لا إله إلا الله ظهر مدين بعد هذه المدة الطويلة، والله لقد أقام عندي سيدي في هذه الزاوية نحو الأربعين يوما حتى

---

(١) قلت: حاشا للأنبياء أن تصيبهم الآفات القذرة كالقمل والأمراض المقززة فإنهم معصومون من ذلك، وحتى لا ينفر الناس منهم، فإن الأنبياء هم مظاهر الدعوة فلا ينبغى أن ينفر منهم أحد، بل بالعكس هم يحبون الروائح الحسنة كالطيب الذى كان يحبه رسول الله ﷺ.

(٢) قلت: هو من ذرية سيدى أبى مدين الغوث أستاذ ابن عربى.

كمل. **قلت** : هكذا رأيته في آخر مناقب سيدي محمد الحنفي عند ذكر أصحابه الذين أخذوا عنه، والمشهور بين جماعة سيدي مدين، والغمري وغيرهم أن فطام سيدي مدين رضي الله عنه كان على يد سيدي أحمد الزاهد فالله أعلم بما كان، وهو من ذرية سيدي أبي مدين المغربي التلمساني رضي الله عنه، وجده الأدنى على المدفون بطبلية بالمنوفية ووالده مدفون في أشمون جريسان، وكلهم أولياء صالحون، وأول من جاء من بلاد المغرب جده الذي في طبلية فدخلها، وهو مغربي فقير لا يملك شيئاً، فجاعً جوعا شديدًا فمر به إنسان يقود بقرة حلابة فقال له :احلب لي شيئا من اللبن أشربه، فقال له :ثور فصارت في الحال ثورًا، ولم تزل ثورًا إلى أن ماتت، ووقع له كرامات كثيرة فلم يمكنوه أن يخرج من بلدهم طبلية حتى مات، وأما والد سيدي مدين رحمه الله تعالى، فانتقل إلى أشمون فولد له سيدي مدين فاشتغل بالعلم حتى صار يفتي الناس، واستسلم[1] من أشمون عدة بيوت من النصارى منهم أولاد إسحاق، ومنهم الصديرية، والمقامعة، والمساعنة، وهم مشهورون في بلد أشمون ثم تحرك في خاطره طلب الطريق إلى الله تعالى، واقتفاء آثار القوم، فقالوا له :لا بد لك من شيخ فخرج إلى مصر فوافق سيدي محمد الغمري حين جاء إلى القاهرة يطلب الآخر ما يطلب سيدي مدين فسألوا عن أحد يأخذون عنه من مشايخ مصر فدلوهما على سيدي محمد الحنفي رضي الله عنه فهما بين القصرين، وإذا بشخص من أرباب الأحوال قال لهما :ارجعا ليس لكما نصيب الآن عند الأبواب الكبار ارجعا إلى الزاهد، فرجعا إليه فلما دخلا تنكر عليهما زمانا ثم لقنهما، وأخلاهما ففتح على سيدي مدين رضي الله عنه في ثلاثة أيام، وأما سيدي محمد الغمري رضي الله عنه فأبطأ فتحه نحو خمس عشرة سنة، ومن كرامات سيدي مدين رضي الله عنه أن منارة زاويته الموجودة الآن لما فرغ منها البناء مالت إليه، وخاف أهل الحارة منها فأجمع المهندسون على هدمها، فخرج إليهم الشيخ على قبقابه فأسند ظهره إليها، وهزها والناس ينظرون فجلست على الاستقامة إلى وقتنا هذا، ومن كراماته المشهورة أن يوسف ناظر الخاص بمصر ظلم

---

(١) أى أخرجهم من النصرانية إلى الإسلام.

شخصا من تجار الحجاز. وكان مستنداً للشيخ عبد الكريم الحضرمي رضي الله عنه فسأل الشيخ في التوجه إلى الله تعالى فيه فتوجه فيه تلك الليلة، فرأى يوسف في مقصورة من حديد مكتوب عليها من خارج مدين مدين فأصبح فأخبر التاجر، وقال من هو مدين هذا فقال شيخ في مصر يعتقده يوسف فقال ارجع إلى مكان شيخه لا طاقة لي به. وشاوره بعض الفقراء في السفر إلى بلاده ليقطع علائقه. ويجيء إلى الشيخ بالكلية، فأذن له فباع ذلك الفقير بقرته، وبعض أمتعته. وجعل ثمنها في صرة. ووضعها في رأسه فلما جاء في المركب نفض الراجع عمامته فوقعت بالصرة في بحر النيل أيام زيادته فلما دخل الشيخ حكى له ما وقع فرفع سيدي مدين رضي الله عنه طرف السجادة وأخرج تلك الصرة تقطر ماء. وكان اذا رأى فقيرًا لا يحضر مجلس الذكر يخرجه. ولا يدعه يقيم عنده فقال لفقير يوما: ما منعك يا ولدي عن الحضور فقال :الحضور إنما هو مطلوب لمن عنده كسل ليتقوى لغيره. وأنا بحمد الله ليس عندي كسل فأخرجه الشيخ. وقال :مثل هذا يتلف الجماعة. ويصير كل واحد يدعي بدعواه فيختل نظام الزاوية. وشعارها، وخرج فقير يوما من الزاوية فرأى جرة خمر مع إنسان فكسرها فبلغ الشيخ رضي الله عنه ذلك فأخرجه من الزاوية. وقال :ما أخرجته لأجل إزالة المنكر وإنما هو لإطلاق بصره[1] حتى رأى المنكر لأن الفقير لا يجاوز بصره موضع قدميه، ووقع أن ثور الساقية انطلق يوما فأكل من طحين الفقراء فذبحه الشيخ، وقال :قد صار الماء الذي يملؤه لوضوء الناس فيه شبهة رضي الله عنه، وجاءته رضي الله عنه امرأة فقالت :هذه ثلاثون دينارًا، وتضمن لي على الله الجنة فقال لها الشيخ رضي الله عنه مباسطا لها: ما يكفي. فقالت :لا أملك غيرها فضمن لها على الله دخول الجنة فماتت فبلغ ورثتها ذلك فجاءوا يطلبون الثلاثين دينارًا من الشيخ. وقالوا :هذا الضمان لا يصح فجاءتهم في المنام، وقالت لهم :اشكروا لي فضل الشيخ فإني دخلت الجنة، فرجعوا عن الشيخ وحكى أن الشيخ رضي الله عنه كان يوما يتوضأ في البالوعة التي في رباط الزاوية فأخذ فردة القبقاب فضرب بها نحو

(١) أي لكونه لايزال في دور البدايات، فغض بصره أولى من إطلاقه. والمشايخ أدرى من غيرهم بما يفسد القلوب وبما يصلحها. ومجاهدة النفس عند أهل البدايات أولى من الاشتغال بعيوب الناس.

بلاد المشرق ثم جاء رجل من تلك البلاد بعد سنة، وفردة القبقاب معه، وأخبر أن شخصا من العياق عبث بابنته في البرية فقالت :يا شيخ أبي لاحظني لأنها لم تعرف أن اسمه مدين ذلك الوقت، وهي إلى الآن عند ذريته رضي الله عنه . وكان الشيخ عبادة أحد أعيان السادة المالكية ينكر على سيدي مدين رضي الله عنه، ويقول: ايش هذه الطريق التي يزعم هؤلاء نحن لا نعرف إلا الشرع فلما انقلب بعض أصحاب الشيخ عبادة إلى سيدي مدين رضي الله عنه وصحبوه، وتركوا حضور درسه ازداد إنكارًا، فأرسل سيدي مدين وراءه يدعوه إلى حضور مولده الكبير الذي يعمل له في كل سنة فحضر فقال !الشيخ رضي الله عنه لا أحد يتحرك له ولا يقوم ولا يفسح له فوقف الشيخ عبادة في صحن الزاوية حتى كاد يتمزق من الغيظ ساعة طويلة ثم رفع سيدي مدين رضي الله عنه رأسه، وقال :افسحوا للشيخ عبادة، فأجلسه بجانبه ثم قال له :سؤال حضر فقال الشيخ عبادة رحمه الله تعالى: سل فقال :هل يجوز عندكم القيام للمشركين مع عدم الخوف من شرهم فقال :لا فقال سيدي مدين رضي الله عنه: بالله عليك ما تكدرت حين لم يقم لك أحد فقال : نعم فقال :لو قال لك :إنسان لا أرضي عليك إلا إن كنت تعظمني كما تعظم ربك ماذا تقول له قال : أقول له كفرت فدارت فيه الكلمة فانتصب قائما على رءوس الأشهاد، وقال :ألا اشهدوا أنني قد أسلمت[1] على يد سيدي مدين رضي الله عنه، وهذا أول دخولي في دين الإسلام. ولم يزل في خدمة سيدي مدين رضي الله عنه إلى أن مات رحمه الله تعالى، ودفن في تربة الفقراء، وحكى له الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد الحريفيش الدنوشري أحد أصحاب سيدي محمد الغمري رضي الله عنه قال :لما مات شيخنا رضي الله عنه لم يعجبنا أحد بعده نجتمع عليه فسألت بعض الفقراء فقال :عليك بسيدي مدين فسافرت إليه فقالوا لي :الشيخ يتوضأ في الرباط فدخلت عليه، فوجدته رجلا بعمامة كبيرة وجبة عظيمة، وإبريق وطشت وعبد حبشي واقف بالمنشفة، فقلت :لشخص أين سيدي مدين فأشار إلي أنه هذا فقلت في نفسي:

(١) يقصد به إسلام الحقيقة لا إسلام الشريعة، وإلا فإنه مسلم شرعاً غير كافر، وإلا لو كفرنا كل ملك أو أمير يقام له ويعظم، لكفرنا كل الملوك والأمراء إلا من عصم ربي.

لاذا بذاك، ولا عـتب على الزمن

بتحريك التاء المثناة من فوق لأن عهدي بسيدي محمد رضي الله عنه أن يلبس الجبة، والعمامة الغليظة، والتقشف الزائد، وليس لي علم بأحوال الرجال فقال لي: أصلح البيت قل:

لاذا بذاك، ولا عـتب على الزمن

بسكون الفوقية فقلت :الله أكبر فقال :على نفسك الخبيثة تسافر من البلاد إلى هنا تزن الفقراء بميزان نفسك التي لم تسلم إلى الآن فقلت تبت إلى الله تعالى، وأخذ العهد علي. وأنا في بركة سيدي مدين رضي الله عنه إلى الآن، وكنت أسمع هذه الحكاية من سيدي علي المرصفي يرويها عن شيخه سيدي محمدا بن أخت سيدي مدين عن سيدي محمد الحريفيش هذا فلما اجتمعت بسيدي محمد الحريفيش سنة خمس عشرة، وتسعمائة بدنوشر حكاها لي على جهة المباسطة فلما رجعت إلى القاهرة أخبرت بها سيدي عليا رضي الله عنه، وأنا فرحان بذلك، فقال لي على وجه المباسطة: كنت بلا سند فصرت بسند، وضاقت النفقة على السلطان جقمق فأرسل يأخذ خاطر سيدي مدين رضي الله عنه بالمساعدة على نفقة العسكر، فأرسل للسلطان قاعدة عمود حجر فحملها العتالون إلى القلعة، فوجدها السلطان معدنا فباعها، وجعلها في بيت المال، واتسع الحال على السلطان، فقال السلطان هؤلاء هم السلاطين . وجاءه شخص قد طعن في السن، وقال :يا سيدي مقصودي أحفظ القرآن في مدة يسيرة فقال :ادخل هذه الخلوة فأصبح يحفظ القرآن كله، وكان الشيخ رضي الله عنه إذا سأله أحد عن مسألة في الفقه لا يجيبه، ويقول: اذهب إلى عيسى الضرير يجيبك عنها وكان عيسى هذا أمياً[1] مقيما عنده في الزاوية فجاءه جماعة متعنتون على وجه الامتحان، فقال :اذهبوا إلى عيسى الضرير يجيب عنها فقالوا :لا نطلب الجواب إلا منك فقال :الجواب في الكتاب الفلاني الذي عندكم على الرف في سابع سطر من

(١) ربما كان أمياً ومفتوحاً عليه كسيدى على الخواص فإنه كانت له فتاوى جمعها تلميذه سيدى عبد الوهاب الشعرانى، وهى مطبوعة.

عاشر ورقة، فوجدوا الأمر كما قال :فاستغفروا، وتابوا، ووقائع سيدي مدين رضي الله عنه كثيرة مشهورة بين مريديه، وغيرهم.

ومن أصحابه سيدي محمد الشويمي المدفون قبالة قبره رضي الله عنه

وسيدي أحمد الحلفاوي رضي الله عنه المدفون في صحن الزاوية

فأما الشويمي رضي الله عنه فكان من أرباب الأحوال العظيمة، وكان يعمل هلالات الموادن[1] والضيب، وكان يجلس بعيدًا عن سيدي مدين رضي الله عنه فكل من مر على خاطره شيء قبيح يسحب العصا، وينزل عليه غنيا أو فقيرًا كبيرًا أو صغيرًا أو أميرًا لا يراعي في ذلك أحدًا فكان من يعرف بحاله لا يتجرأ يجلس بين يدي سيدي مدين رضي الله عنه أبدًا ومرض سيدي مدين رضي الله عنه مرة أشرف فيها على الموت فوهبه من عمره عشر سنين ثم مات في غيبة الشويمي رضي الله عنه فجاء وهو على المغتسل فقال كيف مت، وعزة ربي لو كنت حاضرك ما خليتك تموت ثم شرب ماء غسله كله، وكان رضي الله عنه يقول لأصحابه عليكم بذكر الله تعالى تقضى لكم جميع حوائجكم .وجاءه مرة شخص يحمله حملة امرأة يحبها، ويريد أن يتزوجها، وهي تأبى فقال له :ادخل هذه الخلوة، واشتغل باسمها[2] فدخل، واشتغل باسمها ليلا، ونهارًا. فجاءته المرأة برجليها إلى الخلوة، وقالت له :افتح لي أنا فلانة فزهد فيها، وقال :إن كان الأمر كذلك فاشتغالي بالله أولى فاشتغل باسم الله تعالى ففتح عليه في خامس يوم رضي الله عنه .واحتاج المطبخ يوما ، وهم في أشمون قلقاساً ، فأعطوه خرجاً ، وحمار، وقالوا له: اشترا لنا قلقاسا من الغيط فخرج إلى ناحية التربة فملخ لهم من الحلفاء قلقاسا حتى ملأ الخرج، ورجع بالفلوس فاعتقده النساء من ذلك اليوم، ولما مات سيدي مدين رضي الله عنه، وطلب ابن أخته سيدي محمد رضي الله عنه الشياخة في الزاوية بعد الشيخ خرج له بالعصا، وقال :إن لم ترجع يا محمد، وإلا استلفتك من ربك ثم دخل، فأخرج سيدي أبا السعود ابن

(١) الموادن أى المآذن وهو جمع مئذنة.

(٢) هى معالجة تأديبية لهذا الرجل، فإن سيدى الشويمى رأى أن هذا الرجل له سابقة خير فى علم الله فأعلمه أن الاشتغال بغير الله شرك، فنبهه إلى ذلك حتى يترك ما لا ينبغى إلى ما ينبغى.

سيدي مدين، وهو ابن خمس سنين فأجلسه على السجادة، وقال :اذكر بالجماعة، فرجع ابن أخت سيدي مدين، ولم يتجرأ أن يطلع الزاويةحتى مات الشويمي رضي الله عنه، وكان وهو جمال في أشمون يحمل القمح أيام الحصاد، وكان لا يحمل الجمل إلا قتة واحدة فذكروا ذلك لشيخ العرب، فقال :دقوا قتتي، وحمل غيري فوجدوا قتته خمسة أرادب فقال الجمل يحمل أكثر من خمسة أرادب، وهو الذي زرع الخروبة التي هي قريب من التيه في طريق الحجاز حين توضأ سيدي مدين رضي الله عنه لما سافر إلى الحج، ووقائعه كثيرة مشهورة عند جماعة سيدي مدين رضي الله عنه.

وأما الحلفاوي رضي الله عنه

فكان رجلاً صالحا سليم الباطن، وكان يمشي بحلفايته بحضرة الشيخ في الزاوية، وكان الشويمي رضي الله عنه يتأثر من ذلك، ويقول: له :أنت قليل الأدب فغضب يوما منه فهجره فلما كان الغروب آخر اليوم الثالث جاء له الشويمي، وصالحه وقال رأيت الحق يغضب لغضبك يا أخي، ولم يفتح علي بشيء من مواهب الحق منذ هجرتك فبلغ ذلك سيدي مدين رضي الله عنه فقال :أنا رأيته يمشي بحلفايته هذه في الجنة[1] رضي الله عنه توفي سيدي مدين رضي الله عنه سنة نيف وخمسين وثمانمائة رضي الله تعالى عنه .

ومنهم سيدي الشيخ محمد بن أحمد الفرغل رضي الله عنه

المدفون في أبي تيج بالصعيد كان رضي الله عنه من الرجال المتمكنين أصحاب التصريف، ومن كراماته رضي الله عنه أن امرأة اشتهت الجوز الهندي فلم يجدوه في مصر فقال للنقيب مخيمر: يا مخيمر ادخل هذه الخلوة واقطع لها خمس جوزات من الشجرة التي تجدها في داخل الخلوة، فدخل فوجد شجرة جوز

---

(١) ربما يصد الحق سبحانه وتعالى ولياً كبيراً لاعتراضه على ولى أصغر منه، ويقف معه وقفة كوقفة الخضر مع موسى وكوقفة عمر بن الخطاب مع النبى ﷺ فى حادثة الأسرى، وهى ميزة للأصغر وخاصية له.

فقطع لها منها خمس جوزات ثم دخل بعد ذلك فلم يجد شجرة، ومر عليه شيخ الإسلام ابن حجر رضي الله عنه بمصر يوما حين جاء في شفاعة لأولاد عمر، فقال في سره: ما اتخذ الله من ولي جاهل ولو اتخذه لعلمه على وجه الإنكار عليه فقال له :قف يا قاضي فوقف فمسكه، وصار يضربه، ويصفعه على وجهه، ويقول: بل اتخذني، وعلمني، ودخل عليه بعض الرهبان فاشتهى عليه بطيخا أصفر في غير أوانه فأتاه به، وقال وعزة ربي لم أجده إلا خلف جبل قاف، وخطف التمساح بنت مخيمر النقيب فجاء وهو يبكي إلى الشيخ فقال له :اذهب إلى الموضع الذي خطفها منه، وناد بأعلى صوتك يا تمساح تعال كلم الفرغل فخرج التمساح من البحر، وطلع كالمركب، وهو ماش، والخلق بين يديه جارية يمينا وشمالا إلى أن وقف على باب الدار فأمر الشيخ رضي الله عنه الحداد بقلع جميع أسنانه، وأمره بلفظها من بطنه فلفظ البنت حية مدهوشة، وأخذ على التمساح العهد أن لا يعود يخطف أحدًا من بلده ما دام يعيش، ورجع التمساح ودموعه تسيل حتى نزل البحر، وكان رضي الله عنه يقول: كثيرًا كنت أمشي بين يدي الله تعالى تحت العرش وقال لي :كذا وقلت له :كذا فكذبه شخص من القضاة فدعا عليه بالخرس فخرس حتى مات، وكان آخر عمره مقعدًا، ويتكلم على أخبار سائر الأقاليم من أطراف الأرض، ويبدلون له كل يوم والثاني زربونا جديدًا، وسمعت سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه يقول: زرت الفرغل بن أحمد رضي الله عنه وأنا شاب فأخبر جماعته بخروجي من بلاد الشرقية، وقال :ها هو محمد بن حسن الأعرج خرج بقصد زيارتنا، وكانت له نصرانية تعتقده في بلاد الإفرنج فنذرت إن عافى الله تعالى ولدها أن تصنع للفرغل بساطا فكان يقول: ها هم غزلوا صوف البساط ها هم دوروا الغزل على المواسير[1] ها هم شرعوا في نسجه ها هم أرسلوه ها هم نزلوه المركب ها هم وصلوا إلى المحل الفلاني ثم الفلاني فقال يوما: واحد يخرج يأخذ البساط، فإنه قد وصل على الباب فخرجوا فوجدوا البساط على الباب كما قال الشيخ رحمه الله، وأرسل مع القاصد الذي جاء بالبساط بعضا

(١) لهجة مصرية لاتزال تستعمل لحد الآن.

من الهدية وقال له: غمض عينك فغمض عينه فوجد نفسه في بلده طينات وسطى، وجعلوه حارس الجرن، وهو صغير في بني صميت[1] فأخذ فريكا أخضر، وطلع فوق جرن يحرقه فتسامع الناس إن هذا المجنون أحرق الجرن فطلعوا له، وضربوه فقال : أنا قلت للنار: لا تحرقي إلا فريكي بس، وانظروا أنتم فوجدوها لم تحرق إلا الفريك .وقال لرجل: زوجني ابنتك فقال :مهرها غال عليك فقال : كم تريد فقال : أربعمائة دينار فقال اذهب إلى الساقية، وقل لها قال لك الفرغل: املئ قادوس ذهب، وقادوس فضة فملأت له قادوسين فلم يزل هو وذريته مستورين ببركة الشيخ حتى ماتوا، وجاءه ابن الزرازيري فقبل رجله فقال له :وليتك من الخلصة للملصة فولاه السلطان كشف أربع أقاليم الصعيد، وأرسل قاصده إلى أمير في مصر يشفع عنده في فلاح فقال :قل لشيخك أنت ذوكاري فرجع القاصد إلى الشيخ فأخبره فنقر بإصبعه في الأرض كهيئة الذي يحفر، فجاء الخبر أن السلطان غضب على ذلك الأمير، وأمر بهدم داره فهي خراب إلى الآن ناحية جامع طولون ثم ضرب عنقه بعد ذلك فقالوا له: ما سببه؟ قال لا أعرف له سببا إلا أن الله تعالى حركني لذلك، وجلس عنده فقيه يقرأ القرآن فنط الفقيه فقال له :نطيت فقال له: من أعلمك يا سيدي، وأنت لا تحفظ القرآن؟ فقال :كنت أرى نورًا متصلا صاعدًا إلى السماء فانقطع النور، ولم يتصل بما بعده فعلمت أنك نطيت[2]، وكان رضي الله عنه يقول: أنا من المتصرفين في قبورهم فمن كانت له حاجة فليأت إلى قبالة وجهي، ويذكرها لي أقضيها له، ووقائعه رضي الله عنه لا تحصيها الدفاتر توفي سنة نيف وخمسين وثمانمائة رضي الله تعالى عنه آمين .

---

(١) وتسمى الآن بنى سميع، ولذلك نسبه بعض المؤرخين بأنه محمد بن أحمد الفرغل السميعى.

(٢) حدثت مثل هذه الكرامة مع صاحبنا سيدى محمد أبى بطانية وكان أمياً فجلس عنده شخص بالصعيد يقرأ القرآن فأخطأ فى آية، فقال له: لقد أخطأت اذهب واجلس عند أمك على المصطبة.

ومنهم سيدي الشيخ أبو بكر الدقدوسي رضي الله عنه

شيخ سيدي عثمان الحطاب رضي الله عنه، كان رضي الله عنه من أصحاب التصريف النافذ، وكانت الأعيان تقلب له حكى لي شيخ الإسلام الشيخ نور الدين الطرابلسي الحنفي رحمه الله تعالى قال: أخبرني سيدي عثمان الحطاب رحمه الله تعالى أنه حج مع سيدي أبي بكر رضي الله عنه سنة من السنين فكان الشيخ يقترض طول الطريق الألف دينار فما دونها على يدي فإذا طالبني الناس أجيء إليه فأخبره بذلك فيقول: له :عد لك من هذا الحصا بقدر الدين فكنت أعد الألف حصاة، والخمسمائة، والمائة، والأربعين، والثلاثين، وأذهب بها إلى الرجل فيجدها دنانير قال :فلما دخلنا مكة كان الشيخ رضي الله عنه يضع كل يوم سماطا صباحا ومساء في ساحة لا يمنع أحدًا يدخل ويأكل مدة مجاورته بمكة قال :وهذا أمر ما بلغنا فعله لأحد قبل سيدي أبي بكر .وكان له صاحب يصنع الحشيش بباب اللوق فكان الشيخ رضي الله عنه يرسل إليه أصحاب الحوائج فيقضيها لهم قال سيدي عثمان رضي الله عنه: فسألته يوما عن ذلك، وقلت المعصية تخالف طريق الولاية فقال: يا ولدي ليس هذا من أهل المعاصي إنما هو جالس يتوب الناس في صورة بيع الحشيش فكل من اشترى منه لا يعود يبلعها أبدًا هكذا أخبرني سيدي نور الدين الطرابلسي عن سيدي عثمان رحمه الله تعالى .

ومنهم سيدي عثمان الحطاب رضي الله عنه

أجل من أخذ عن سيدي أبي بكر الدوقدسي رضي الله عنه من الزهاد المتقشفين، كان له فروة يلبسها شتاء وصيفاً، وهو محزم بمنطقة من جلد، وكان شجاعا يلعب اللبخة فيخرج له عشرة من الشطار،ويهجمون عليه بالضرب فيمسك عصاه من وسطها، ويرد ضرب الجميع فلا يصيبه واحدة هكذا أخبر عن نفسه في صباه، وكان رضي الله عنه رحيما بالأولاد الأيتام، ويقول: أنا قاسيت مرارة اليتم لموت أبي، وأنا صغير، وكان مطرقا على الدوام لا يرفع قط رأسه إلى السماء إلا لحاجة أو مخاطبة أحد، وكان لم يزل في عمل مصالح فقراء الزاوية، وغيرهم

إما في غربلة القمح، وإما في تنقيته، وإما في طحنه، وإما في جمع آلات الطعام وإما في خياطة ثياب الفقراء، وإما في تفليتها، وإما في الوقود تحت الدست، وإما في جمع الحطب من البساتين، وبلغ الفقراء، والأرامل عنده أكثر من مائة نفس، وليس له رزقة، ولا وقف إلا على ما يفتح الله به كل يوم، وكان كل من بار عنده شيء من الخضر يقول: خلوه للشيخ عثمان، وكان إذا ضاق عليه الحال يطلع للسلطان قايتباي يطلب منه فيرسم له بالقمح، والعدس، والفول، والأرز، ونحو ذلك فقال له السلطان يوما: يا شيخ عثمان ايش بلاك بهذه الناس كلهم أطلقهم لحال سبيلهم، وأرح نفسك فقال له: وأنت الآخر أطلق هذه المماليك، والعسكر واقعد وحدك فقال هؤلاء عسكر الإسلام فقال: وهؤلاء عسكر القرآن فتبسم السلطان، ولما شرع في بناء الإيوان الكبير عارضه هناك ربع فيه بنات الخطا فطلع للسلطان فقال يا مولانا هذا الربع كان مسجدًا، وهدموه، وجعلوه ربعا فصدق قول الشيخ ورسم بهدم الربع، وتمكين الشيخ من جعله الزاوية، فأرشوا بعض القضاة فطلع إلى السلطان، وقال :يا مولانا يبقى عليكم اللوم من الناس ترسمون بهدم ربع بقول فقير مجذوب، فقال السلطان: ثبت عندي قول الشيخ فهدمه فظهر المحراب، والعمودان فأرسل الشيخ رضي الله عنه وراء السلطان فنزل فرآه بعينه، وطلب أن يصرف على العمارة . فأبى الشيخ، فقال :أساعدك في كب التراب[1]فقال :لا نحن نمهده فيها فهذا كان سبب علوه إلى الآن، وبقية الزاوية كانت زاوية شيخه الشيخ أبي بكر الدقدوسي رضي الله عنه، وأخبرني شيخ الإسلام الشيخ نور الدين الطرابلسي الحنفي، والسيد الشريف الخطابي المالكي النحوي رحمهما الله تعالى قالا سمعنا سيدي عثمان رضي الله عنه يقول: لما حججت مع سيدي أبي بكر سألته أن يجمعني على القطب، فقال : اجلس هاهنا، ومضى فغاب عني ساعة ثم حصل عندي ثقل في رأسي فلم أتمالك أحملها حتى لصقت لحيتي بعانتي فجلسا[2] يتحدثان عندي بين زمزم والمقام ساعة وكان من جملة

(١) قلت: وهل يوجد الآن من ملوك الأرض من يطلب أن ينقل التراب بنفسه مع العمال والناقلين، قلت وهذا يبرهن مدى انقياد الملوك فى تلك الفترة للأولياء وحب مشاركتهم فى همومهم.

(٢) فجلسا أى القطب وشيخه أبو بكر ـ والكلام فيه اختصار.

ما سمعت من القطب يقول: آنستنا يا عثمان حلت علينا البركة ثم قال لشيخي: توص به فإنه يجيء منه ثم قرأ سورة الفاتحة، وسورة قريش ودعيا، وانصرفا ثم رجع سيدي أبو بكر رضي الله عنه فقال ارفع رأسك قلت لا أستطيع فصار يمرجني، ورقبتي تلين شيئاً فشيئا حتى رجعت لما كانت عليه فقال يا عثمان هذا حالك، وأنت ما رأيته فكيف لو رأيته فمن ثم كان سيدي عثمان رضي الله عنه لا يريد الانصراف عن جليسه حتى يقرأ سورة الفاتحة، ولإيلاف قريش لا بد له من ذلك قال الشيخ شمس الدين الطنبخي رحمه الله تعالى: وما رأيت سيدي أبا العباس الغمري رضي الله عنه يقوم لأحد من فقراء مصر غير الشيخ عثمان الحطاب كان يتلقاه من باب الجامع رضي الله عنه ما، وكذلك كان سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه يحبه، ويعظمه، وكان كل واحد منهما يجيء لزيارة الآخر، وكان إذا قال له شخص: يا سيدي عثمان المدد يقول: عثمان حطبة من حطب جهنم فماذا ينفعكم خاطره رضي الله عنه .

وأخبرني سيدي الشيخ نور الدين الشوني رضي الله عنه أنه جاور عنده مدة فخرج يتوضأ ليلا فوجد رجلاً ملفوفا في نخ في طريق الميضأة فقال له :قم ما هو محل نوم فكشف عن وجهه، وقال :يا أخي أنا عثمان أخرجتني أم الأولاد، وحلفت أنها ما تخليني أنام في البيت هذه الليلة، وكانت مسلطة عليه، وكذلك كانت امرأة صاحبه الشيخ عثمان الديمي، وكانت عيال كل منهما تخرج على الآخر، وكانت كل منهما ينادي الآخر بيا عثمان فقط من غير لفظ لقب، ولا كنية رضي الله عنهما .

خرج رضي الله تعالى عنه زائرًا للقدس فتوفي هناك سنة نيف وثمانمائة رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ محمد الحضري رضي الله عنه

المدفون بناحية نهيا بالغربية، وضريحه يلوح من البعد من كذا وكذا بلدًا، كان من أصحاب جدي رضي الله عنه ما، وكان يتكلم بالغرائب والعجائب من دقائق العلوم، والمعارف ما دام صاحيا.

وأخبرني الشيخ أحمد القلعي أن السلطان قايتباي كان إذا رآه قاصدًا له تحول، ودخل البيت خوفا أن يبطش به بحضرة الناس، كان إذا أمسك أحدًا

يمسكه من لحيته، ويصير يبصق على وجهه، ويصفعه حتى يبدو له إطلاقه، وكان لا يستطيع أكبر الناس، يذهب حتى يفرغ من ضربه[1]، وكان يقول: لا يكمل الرجل حتى يكون مقامه تحت العرش على الدوام، وكان يقول: الأرض بين يدي كالإناء الذي آكل منه،[2] وأجساد الخلائق كالقوارير أرى ما في بواطنهم .توفي رضي الله عنه سنة سبع وتسعين وثمانمائة رضي الله عنه.

ومنهم سيدي عيسى بن نجم خضير البرلس رضي الله عنه

كان من العلماء العاملين وله المجاهدات العالية في الطريق، وأخبرني الشيخ محمد البرلسي أن شخصا نذر إن ولدت فرسي هذه حصانا فهو لسيدي عيسى بن نجم فولدت له حصاناً فلما كبر أراد أن يبيعه، وقال أيش يعمل سيدي عيسى فبينما هو مار به ذات يوم، وقد صار تجاه سيدي عيسى رمح من صاحبه حتى دخل الزاوية فرمح صاحبه وراءه فدخل الحصان قبر الشيخ فلم يخرج رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ شهاب الدين المرحومي رضي الله عنه

أحد أصحاب العارف بالله تعالى سيدي مدين رضي الله عنه، كان طريقه المجاهدة، والتقشف وكان يلبس الفروة صيفاً، وشتاء يلبسها على الوجهين، وكان لم يزل مطرقا إلى الأرض، وكان يقرئ الأطفال بمصر العتيق[3] بالقرب من سيدي محمد ساعي البحر، ومكث عند شيخه سيدي مدين رضي الله عنه إلى أن توفي لم يذق له طعاما، فقيل له في ذلك فقال: أنا لم آكل لشيخي طعاما خوفا أن أشرك في طلبي للشيخ شيئا آخر رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه يقول: ذهبت الطريق، وذهب عشاقها، وصار الكلام فيها معدودًا عند الناس من البدعة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وكان الغالب عليه رضي الله عنه الخشوع، والبكاء لا تكاد تجده إلا باكيا قال: سيدي، وشيخي الشيخ نور الدين الشوني رضي الله عنه زرته مرة، وقلت: له يا سيدي

(١) وذلك خوفاً من أن يتصرف فيه باطنياً فيؤذيه أو يهلكه.

(٢) قلت وهى علامة الخلافة وصدق سيدى ابن عطاء الله عندما قال: الرجل الكبير يملأ جسده الكون.

(٣) أى بمصر العتيقة.

مقصودي الطريق إلى الله عز وجل فقال :يا أخي والله ما أعد نفسي سلمت من النفاق طرفة عين، ولم تأخذ علي عهدًا قال :فلما أردت الانصراف قلت :يا سيدي ادع لي فخرً باكيا بوجهه إلى الأرض، وصار يفحص كالطير المذبوح، وقال لنفسه: عشتي يا شقية إلى زمان صار يطلب من مثلك الدعاء، ويوبخ نفسه رضي الله عنه، ومن أجل أصحابه سيدي الشيخ أبو السعود الجارحي، وسيدي الشيخ العارف بالله تعالى سيدي سليمان الخضيري رحمهما الله تعالى، ورضي عنهما، وكان سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه يقول: الشيخ سليمان الخضيري عندي أكمل من الشيخ أبي السعود رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد ابن أخت سيدي مدين رضي الله عنه

أعاد الله تعالى علينا، وعلى المسلمين من بركاته، واشتهر بابن عبد الدائم المديني، كانت مجاهداته فوق الحد فظهر صدقه في تلامذته فخرج من تحت تربيته سيدي الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد أبو الحمائل السروري، والشيخ العارف بالله تعالى سيدي نور الدين الحسني بن عين الغزال، وسيدي الشيخ العارف بالله تعالى سيدي نور الدين علي المرصفي، وخلائق كثيرة من العجم، والمغاربة، ومدار طريق القوم اليوم في مصر على تلامذته رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه ذا سمت بهى ونظافة وترافة[1] أقبلت عليه الخلائق فطردهم بالقلب فلم يصر حوله فقير، وصار يخرج إلى السوق فيشتري حاجته بنفسه، ويحمل الخبز إلى الفرن بنفسه إلى أن مات، ودفن على باب تربة سيدي مدين رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه يقول: شبعنا كلام وقال وقيل في هذه الدار، وما بقي إلا القدوم على الواحد الأحد وله رسالة عظيمة في علم السلوك يتداولها أهل طريقته في مصر، وغيرها. **قلت**: وسبب دفنه على باب التربة دون أن يدخلوه فيها مع جماعة سيدي مدين كما أخبرني به شيخنا الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري بمصر رضي الله عنه أن سيدي أبا السعود ابن سيدي مدين، وجماعته لم يمكنوه من الدخول للوقعة

(١) أى ترف وبذخ.

التي كانت بينهم وبينه حين جلس للمشيخة بعد سيدي مدين ﷺ دون ولده سيدى أبي السعود وقالوا له : الطريق جاءتك من أين؟ الولد أحق، وهذا الداء لم يزل بين أولاد الأشياخ، وبين جماعة والدهم إلى عصرنا هذا إلا من حماه الله عز وجل من حمية الجاهلية، ولما منعوه من زاوية سيدي مدين انتقل إلى مدرسة أم خوند بخط بين السورين، فانقلب الفقراء معه فركب جماعة من زاوية سيدي مدين، ومضوا إلى أم خوند صاحبة المدرسة، وكانت ساذجة فقالوا لها أنت[1]عمرت المدرسة يحصل لك الأجر، والا التعب من غير أجر فقالت الأجر فقالوا :إن هذا الذي يسمي نفسه المديني أخذ الأجر كله له والدعاء وما بقي يحصل لك شيء فركبت بنفسها، وجاءت فأخرجته منها فانتقل إلى مدرسة ابن البقري بباب النصر وبها توفي ﷺ، وأخبرني الشيخ شمس الدين الصعيدي المؤذن بمدرسة أم خوند قال :جاء مغربي إلى سيدي الشيخ محمد ابن أخت سيدي مدين، فقال :يا سيدي أنت رجل ذو عيال، وفقراء كثير، وليس لك رزقة، ولا معلوم، ومقصودي أعلمك صنعة الكيمياء تنفق منها على الفقراء، فقال له : جزاك الله عنا خيرًا فقال يا سيدي فلوس آخذ بها الحوائج، فأعطاه فجاء بالحوائج [2]فقال الشيخ كمل جميلك، وادخل هذه الخلوة، واعملها ثم أعرضها علينا فجاء بعدته، ودخل الخلوة، فقال الشيخ ﷺ للفقراء: هذا الرجل ما يعرف من أحوال الفقراء شيئا إنما كيمياء الفقراء أن يعطيهم الله تعالى قلب الأعيان بلفظ كن ثم قال لهم :هذا الوقت يخرج محروق الوجه، واللحية فبعد لحظة دق الباب، وقال افتحوا لي احترقت ففتحوا له فوجدوه محترق الوجه واللحية، وقال: انطلق في الكبريت فقال الشيخ ﷺ لا حاجة لنا بكيمياء فيها حرق الوجوه، واللحى اذهب لحال سبيلك قال الشيخ شمس الدين الصعيدي رحمه الله تعالى: وإنما لم يرده الشيخ أولا من غير تجربة صيانة للخرقة ليعلمه أن الفقراء في غنية عن ذلك وأن كنزهم القناعة في هذه الدار لا غير. والله أعلم.

---

(١) يوجد هنا حذف لحرف (إن) حتى يتزن الكلام.

(٢) أى أعطنى فلوساً لكى أشترى بها طلبات من العطارين وغيرهم، لكى أحضر لك بها الكيمياء.

ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي علي المحلي رضي الله عنه

كان من رجال الله المعدودة، وكان رضي الله عنه يبيع السمك القديد مع البطيخ مع التمر حنا، والمرسين والياسمين، والورد وكان إذا أتاه فقير يستعين به في شيء من الدنيا يقول له: هات لي ما تقدر عليه من الرصاص فإذا جاء به يقول: له ذوبه بالنار فإذا أذابه يأخذ الشيخ بإصبعه شيئا يسيرًا من الترب ثم يقول عليه: باسم الله، ويحركه فإذا هو ذهب لوقته، وأنكر عليه مرة قاض في دمياط، وقال له: ما مذهبك فقال : حنشى[1] ثم نفخ على القاضي فإذا هو ميت، وكان رضي الله عنه يمشي في البلد، ويقول: يا علماء البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد، وكراماته رضي الله عنه كثيرة، وأرسل مرة سيدي حسين أبو علي رضي الله عنه السلام له فقال سيدي على المحلي رضي الله عنه: نعطيك هدية في نظير السلام ثم غرف له من البحر ملء القفة جواهر فقال الفقير ليس لي ولا لشيخي حاجة بالجواهر فردها في البحر. مات سنة نيف وتسعمائة رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ الإمام العارف بالله تعالى سيدي علي بن شهاب جدي الأدنى رضي الله عنه

كان رضي الله عنه من المدققين في الورع، ويقول: الأصل في الطريق إلى الله تعالى طيب المطعم، وكان إذا طحن في طاحون يقلب الحجر، ويخرج ما تحته من دقيق الناس يعجنه للكلاب ثم يطحن، ويخلى للناس بعده الدقيق من قمحه، ولم يأكل فراخ الحمام الذي في أبراج الريف إلى أن مات، وكان والدي رحمه الله تعالى يأتيه بفتاوى العلماء بحله فيقول: يا ولدي كل من الخلق يفتي بقدر ما علمه الله عز وجل ثم يقول: يا ولدي إنها تأكل الحب أيام البذار، ويطيرونها بالمقلاع، ولذلك يعملون لها أشياء تجفلها في الجرون، ولو كان الفلاحون يسمحون بما يأكله الحمام ما فعلوا شيئا مما ذكرناه ثم بالغ فتورع عن أكل العسل النحل، وقال: إني رأيت أهل الفواكه ببلادنا يطيرون النحل عن زهر الخوخ، والمشمش وغيرهم، ولا يسمحون بأكل أزهارهم[2]، فقال له والدي رحمه الله تعالى: أما

(١) أى سريع العطب والتلف كالحنش وهو الثعبان.

(٢) واسمه ورع المتكلفين، وذلك لكون الحق عز وجل أباحه وكذلك أباحه النبى ﷺ وأباح التداوى به، =

قال الله تعالى المالك الحقيقي: ﴿كُلِي مِن كُلِّ الثَّمرات﴾ فقال :الثمرات المملوكة أم المباحة؟ فسكت والدي ثم قال له :والدي إن كل تفيد العموم فنحن على العموم فقال: الخاص مقدم على العام، وقد حرم الله عليك أن ترعى بقرتك في زرع الناس بغير رضاهم ثم تشرب لبنها فكشف والدي رحمه الله رأسه واستغفر، وقال: مثلي لا يكون معلما لك يا سيدي، وكان يقرئ الأطفال، ولا يدخل جوفه قط شيئا من ناحيتهم، ولا من ناحية آبائهم حتى في أيام الغلاء كان يجوع، ويطعم ذلك لأرامل البلد وأيتامها، وكان عنده موهبة معلقة في سقف الزاوية كل صغير فضل من خبزه شيء يضعه فيها قال عمى الشيخ عبد الرحمن: فكانت تملأ كل يوم، وكان الأطفال نحو مائة نفس، فيرسل العرفاء بقفف صغار بعد العشاء تفرقه على مساكين البلد، وأوقات هو بنفسه، وإذا كان الزمان زمان رخاء يترصد المراكب التي ترسي من قلة الريح بساحل بلده فيرسله لهم مع الجبن، والفول الحار، ومعهما مهما وجد، وكان لا يأكل قط من طعام فلاح، ولا شيخ بلد، ولا مباشر، ولا أحد من أعوان الظلمة من منذ وعى على نفسه، وقدم إليه مرة رجل قباني[1] في بولاق طعاما فلم يأكله فقال :يا سيدي هذا حلال هذا من عرقي فقال :لا آكل من طعام من يمسك الميزان لعدم تحريرها في الغالب على وجه الخلاص .

وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رضي الله عنه يقول: كان جدك من إخواني في الجامع الأزهر، وكان يضرب بي وبه المثل في شدة الاجتهاد، وصيام النهار، وقيام الليل بنصف القرآن كل ليلة، وكان يفوقني في الورع فإنه لم يأكل من طعام مصر[2] قط، ويقول: سمعت أخي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه يقول: طعام مصر سم في الأبدان وكذلك كان لا يشرب من ماء محمول على يد غيره من

= وكيف يطلق عليه ﷺ أنه دواء إلا إذا كان حلالاً خالصاً صرفاً.

قلت: ولو أكل القطب من العسل لما أنقص من عبوديته شيئاً.

(١) قبانى يعنى قائم على وزن أطعمة الناس وما يشترونه، وربما هو بائع الموازين، وهى لغة عامية قديمة.

(٢) فكيف به لو كان فى عصرنا هذا وشاهد قلة الذمم وخراب الضمائر واستغلال الناس لبعضهم البعض وتفشى الربا والتدليس وأكل الحرام.

البحر أبدًا بل كان يأخذ له جرة، ويذهب إلى بحر النيل فيملؤها، ويشرب منها حتى تفرغ، وكنا نتعامل عليه، ونحن شباب فنشربها جميعا في الليل ونقول :حتى ننظر أيش يعمل إذا عطش، فيجس الجرة بيده فيجد فارغة فيتبسم، ويضحك، ويسكت وكان كتابه المنهاج، والشاطبية، والمنحة، وحل الثلاث كتب، وصار يقرأ بالسبع وغيره، وعمره نحو العشرين سنة وكنت لا أفارقه، ولا يفارقني فجاءته والدته بالكعيكات التي كان يتقوت منها على عادته فأخذت قميصه تغسله فوجدت فيه أثر احتلام، فقالت إني أخاف عليك من أهل هذا البلد فإن كنت في طاعتي فسافر معي أزوجك في بلدي، وتقعد عندي فشاورني، فقلت استخر ربك فقال :لا أستخير في طاعة والدتي، وكان رحمه الله تعالى بارًا بوالدته، وكانت امرأة لها قوة تحمل الأردب وحدها وتضعه على ظهر الحمارة قال :وكان جدك ﷺ يقول: علمتني أمي، وأنا صغير انتهى ما سمعته من شيخي شيخ الإسلام ﷺ، وكان ﷺ إذ غرقت مركب فيها شيء يؤكل كالرمان، والقلقاس والقصب لا يمكن أحدًا من أهل بلده أن يمسك من ذلك شيئا يقول: تشغلوا ذمتكم بشيء أنتم في غنية عنه، وغرق على رغم أنف صاحبه، ودعا الله أن لا يصح في دور ذريته برج حمام فبنوه مرارًا وكتبوا له الجلب، ولم يفرخ شيئا مع أن جيرانهم عندهم الأبراج، وهو فيها بكثرة، وكان ﷺ يقول: مات أبي، وأنا صغير فما رباني إلا أمي فكنت أرعى للناس بهائمهم بالكرا، وأتقوت .وحفظت القرآن، وأنا أرعى البهائم فكنت أكتب لوحي، وآخذه أحفظه في الغيط فمر علي بعض الفقراء السائحين فقال :يا ولدي اسمع مني، وشاور والدتك، وسافر إلى مصر تعلم بها العلم، فشاورت أمي فسمحت لي بذلك وزودتني زوادة آكلها في نحو أربعة شهور ثم صارت تتفقدني إلى أن رجعت إليها، وأخبرني جماعة ممن قرأوا عليه أنهم لم يضبطوا عليه غيبة واحدة في أحد إلى أن مات، وكذلك لم يضبطوا عليه قط مدة صحبتهم ساعة فراغ فكان إن لم يكن في عمل أخروي كان في عمل ينفع الناس قالوا وكانت طريقته أنه يقوم رحمه الله بعد رقدة من الليل فيتوضأ، ويصلي ما شاء الله أن يصلي ثم يثني ذيله في وسطه، ويتحزم

عليه، وفي وسطه سراويل ثم يأخذ جرارًا كبارًا ويبتدئ بالقراءة فلا يزال يملأ إلى قريب الفجر، وربما قرأ نصف القرآن إلى الفراغ، فكان يملأ سبيل زاويته التي أنشأها بحري بلده ، ثم يملأ سبيل الجامع ثم يملأ سبيلا على طريق منف خارج جرن البلد، ولما زوج أولاده الثلاثة والدي، ومحمد، وعبد الرحمن أعمامي كان يملأ لهم سقاياتهم حتى مسقاة الكلاب ولا يمكن أحدًا منهم يملأ، ولا أحدًا من عيالهم ثم يرجع إلى ميضأة زاويته فيملؤها، ويملأ حيضان أخليتها، وينظفها ثم يصعد إلى سطح الزاوية، فيسبح اله وينزهه ثم يؤذن فينزل فيصلي الفجر، ويقرأ السبع هو وعرفاء الأطفال ثم يصلي بالناس الصبح ثم يجلس يتلو القرآن إلى طلوع الشمس، فتجتمع الأولاد في المكتب فلا يزال يعلم هذا الخط وهذا رسم الخط، وهذا الإدغام وهذا الإقلاب وهكذا، ويؤدب هذا، ويرشد هذا، ويسمع لهذا إلى أذان العصر فيملأ الميضأة أو يكملها ثم يفتح دكانه على باب زاويته فيها الزيت الطيب، والزيت الحار والعسل، والرب والأرز والفلفل والمصطكي وغير ذلك، فلا يزال يبيع للناس إلى أن يقضي حوائجهم للطعام والأكل قبل المغرب فيؤذن، ويصلي بالناس ويجلس للسبع إلى صلاة العشاء .

فإذا صلى العشاء بالناس لا يفرغ من وتره حتى لا يبقى أحد يمشي في الأزقة، وينام الناس فيغفو لحظة ثم يقوم يتوضأ ويصلي، ويأخذ الجرار. ويملأ الأسبلة[1] كما تقدم هذا كان عمله على الدوام شتاء وصيفاً ، وكانت زوجته رحمها الله تعالى تقول له :يا سيدي أما تستريح لك ليلة واحدة فيقول: ما دخلنا هذه الدار لذلك، وكان رضي الله عنه إذا قويت الشبهة في ثمن شيء يبيعه لا يأخذ من ذلك المشتري ثمنا بل يعطيه حاجته، ويقول: سامحناك فكان يظن أن ذلك لمحبته له، وإنما ذلك لقوة الشبهة في ماله على حسب مقام الجد رضي الله عنه. **قلت:** وقد تحدثت بذلك للشيخ محمد الناموني أحد أصحاب سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله تعالى عنه فقال :صحيح كان هذا دأبه مدة صحبتنا له ثم قال لي

---

(١) الأسبلة جمع سبيل، وهى مواضع المياه التى يشرب منها الناس فى الطرقات، وهى لفظة لاتزال تستعمل بمصر لحد الآن.

سمعت سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه يقول: ما في أصحابنا قط أكثر نفعا من الشيخ علي الشعراوي ثم قال لي الشيخ محمد رضي الله عنه: فإن شككت في قول: سيدي إبراهيم رضي الله عنه فأعرض هذه الأحوال المتقدمة على مشايخ مصر الآن لا تجد أحدًا منهم يستطيع المداومة على هذه الأعمال جمعة واحدة ثم نظر إلي وحولي الفقراء، والمعتقدون، وقال: إن كنت تعمل فقيرًا فاتبع جدك، وإلا فأنت سكة[1]، وصورة، وشيء ما في المقصورة فقلت: أستغفر الله العظيم، وأخبرني أنه كان إذا نزل سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه من البركة للريف يقول للفقراء: الميعاد عند الشيخ علي الشعراوي هذه الليلة فتكون ليلة عظيمة قال الشيخ محمد رحمه الله: فنزلنا أيام التين فاعترضنا أهل الصالحية وأهل برشوم، وقالوا :يا سيدي انزل هنا نطعم الفقراء التين فقال :لا نأكل التين إلا عند الشيخ علي الشعراوي في ذلك البر فقال الفقراء: نترك بلد التين، ونطلب التين في غير بلده قال: فأول ما خرج جدك وسلم على الشيخ، والفقراء أخرج لهم قفة كبيرة من أطيب التين فقال الفقراء لسيدي إبراهيم رضي الله عنه: استغفر الله لنا، وتابوا من اعتراضهم الباطل، وأخبرني عمي الشيخ عبد الرحمن رحمه الله تعالى أن سبب عمارة والدي بيوت الخلاء في زاويته مع كونها كانت خارجة عن البلد والفلاحون في الغالب لا يعتنون بدخول الأخلية أنه ورد عليه الشيخ سراج الدين التلواني، فخرج فرأى الأولاد يقولون تعالوا بنا نتفرج على هذا القاضي الذي يخرى، فحصل عند والدي خجل عظيم لأجل ضيفه، فطلب البناء، وبنى بيوت الأخلية ذلك اليوم، وكان رضي الله عنه إذا زرع مارسا من القمح يجعل بينه وبين الناس خطا من الفول، وإذا زرع مع الناس الفول جعل بينه وبينهم خطا من القمح، وهكذا في سائر الحبوب، فإذ حصد ترك للناس خط الفول أو أخذه إذا شاء، فإنه فوله، وكان إذا سرح للحصاد يأخذ الإبريق معه للوضوء، فإذا جاء وقت الصبح ترك الحصاد، وصلى فكان شريكه يتكدر لأجل ذلك فيقول: كل طعام اكتسب بطريق حرام فهو حرام وكان رضي الله عنه يقول: بلغني أن الأرض لا تأكل

(١) كلمة سكة يطلقها أهل مصر على كل ما هو مزيف، وهى كلمة عامية لاتزال تستعمل لحد الآن.

قط جسما نبت من حلال، فكان بعض فقهاء بلاده ينكر ذلك عليه، ويقول هذا خاص بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام والشهداء فلما مات والدي أدخلوه عليه، فوجدوه طريا كما وضعوه، وبين دفن والدي ودفنه إحدى وعشرون سنة، فأرسل الملحد للجد وراء الفقهاء الذين كانوا ينكرون على جدي ذلك، وقال :انظروا فاستغفروا الله وتابوا .

وكان رضي الله عنه يكره من يقول: له :يا نور الدين ويقول: نادوني باسمي علي كما سماني بذلك والدي، وبات سيدي الشيخ علي العياشي أحد أصحاب سيدي أبي العباس الغمري رضي الله عنه، وهو من أرباب القلوب ليلة في زاوية جدي فسمع جدي يقرأ القرآن في قبره، فابتدأ من سورة مريم إلى سورة الرحمن فطلع الفجر فسكت الصوت فأخبر أهل البلد بذلك، فقالوا هذا الشيخ علي رحمه الله تعالى، وكان رضي الله عنه يقول: لا تجعل على قبري شاهدًا، وادفنوني خلف جدار هذه القبة التي في الزاوية، ففعلوا فليس لقبره علامة إلى وقتنا هذا، وأخبرني عمي الشيخ عبد الرحمن رضي الله عنه قال :لما حضرت والدي الوفاة دعا بكتاب سيدي عبد العزيز الدريني رضي الله عنه المسمى بطهارة القلوب فقال لوالدك اقرأ لي في أحوال القوم عند خروج أرواحهم فقرأ له فتنهد وقال: سبقونا على خيول دهم، ونحن في أثرهم على حمير دبرة، وطلع النفاطات في لسانه حتى تزلع لسانه فكانت جدتي رحمها الله تعالى تقول: والله ما يستأهل[1] هذا اللسان يا طول ما ختم القرآن في الليل، فيقول: سكتوها عني لو علمت ما أعلم من مناقشة الحساب ما قالت ذلك، وأخبرني والدي في التربية سيدي خضر رحمه الله قال :إن جدك كان لا يجيء إلى القاهرة إلا ويأتي معه بانجراب الخبز، وإبريق يملؤه من النيل فيشرب، ويأكل من ذلك إلى أن يرجع ولم يذق لي طعاما قط، وقال لي :تعرف سبب معرفتي بجدك قلت لا قال :نزلنا سنة من السنين مع سيدي محمد بن عبد الرحمن نائب جده، وبعض بني الجيعان نتفرج في بلدكم أيام الربيع فأقمنا مدة فطاب لسيدي محمد الوقت فشرع في زراعات، وبنى حواصل، وصرف

(١) ينطقها أهل مصر بالتخفيف فى لهجتهم العامية.

مصروفاً واسعا فطلب شخصاً أمينا يكون وكيلا عنه في ذلك فقال جميع الفلاحين: ليس عندنا أحد أكثر أمانة من الشيخ علي رضي الله عنه فأرسلوا وراءه فحضر، فقال: إني لا أصلح لذلك فقالوا :لا بد فأخذ مفاتيح الحواصل فلما طلع البطيخ خزنه، وصار كل بطيخة حصل فيها تلف ينادي عليها إلى أن تنتهي الرغبات فيها ثم يكتب ثمنها عليه ويعطيها لمساكين البلد وصار يكتب تفاوت علف البهائم في اليوم الفلاني، والثور الفلاني مرض الليلة الفلانية، فلم يأكل عشاه تلك الليلة، ونقص من غذائه في الوقت الفلاني، وهكذا فلما حضر ابن عبد الرحمن ثاني مرة إلى البلد أرسل خلف جدك يطلب منه قائمة المصروف، فنظر فيها ثم خرج من الخيمة مكشوف الرأس خارًا على أقدام جدك يقبلها، ويبكي، ويقول: يا شيخ علي اجعلني في حل فإني والله ما علمت بمقامك ثم صار يقول: مثل هذا الرجل يكون وكيلا عني، وأخبرني عمي الشيخ عبد الرحمن رحمه الله قال: أهدى لنا سيدي محمد عبد الرحمن ثلاثة أطباق على رءوس ثلاثة من العبيد في واحد أثواب صوف وشاشان وثياب بعلبكية، وفي الآخر حلاوة ومكسرات وفي الآخر أنواع من الطيب فرد القماش وقبل الحلاوة والطيب وفرق الطيب على صبايا البلد، والحلاوة على أيتام البلد، ولم يذق هو ولا أهل بيته شيئا من ذلك، وأراد عمي عبد الرحمن أن يأخذ له إصبعا من الحلاوة فمنعه وقال يا ولدي هذا سم في الجسد فإنه كان جده يقبض العشور انتهى قال سيدي خضر: وقد عاشرت جدك، وأنا مباشر البلد إلى أن مات فما رأيته وضع يده في طعام الفلاحين، ولا أخذ على شهادته لهم في الخراج، والإجارات، وعقود الأنكحة، ولا خطابته لهم، ولا إمامته لهم درهما واحدا قال :وكان يفضل للفلاح على أستاذه الدرهم الواحد فيكتبه للفلاح لثاني سنة، ويقول: لو أمكنني تخليصه لك هذه السنة لخلصته لك من أستاذك .وكان إذا ضاق به الحال من حيث الكسب بالبيع يكتب المصاحف ويصنع الطواقي المضربة دالة في قلب دالة، وكل واحدة يعطونه فيها الدينار الذهب ويقولون إن كل طعنة فيها مرقية بكلمة

من القرآن لأنه كان إذا خاط يقرأ مع ذلك القرآن فكان يحسب رأس ماله فيها وأجرة مؤنته وخياطته، ويتصدق ببقية الدينار على الأرامل والمساكين، وبلغني عنه أنه كان يقرأ القرآن، وهو ينسخ كتب العلم لا يشغله أحدهما عن الآخر(١)، وتخرج كتابته سالمة من الغلط مع ذلك، وأخبرني جماعة ممن كانوا يقرءون عليه أنه كان يأكل اللبن، والطعام المائع مع المجذومين ويقول: إن هؤلاء خاطرهم(٢) مكسور، وكان الذين يقرءون عليه يقولون: ما رأيناه قط نائما في النهار في أيام الصيف، ولا غيره.

وكان رضي الله عنه يقول: إن النهار لم يجعل للنوم، ولما حج وتلقاه الناس وافق طلوعه للبلد أذان العصر فصعد سطح الزاوية وأذن، ونزل وصلى بالناس ثم نزل فنظف بيوت الخلاء، وملأ الميضأة قبل دخول الدار ثم شرع من تلك الليلة في ملء الأسبلة المتقدم ذكرها على يديه على عاداته، ولم يسترح كما يقع للحجاج، وكان يقول: الوقت سيف، ولما جاء من الحج كثر بكاؤه وحزنه زيادة على ما كان عليه قبل الحج، ولم ير ضاحكا قط حتى مات، وكان إذا لبس القميص أو العمامة لا ينزعها للغسل قط إلا إن نزعوها، وكانوا ينسونه بعض الأوقات فتصير كالوحل، ومع ذلك على ثيابه الفخر، والنور يخفق منها من نور الأعمال، وكانت عمامته من الصوف الأبيض، وكان أشبه الناس بجدي الشيخ نور الدين الشوني رضي الله عنه شيخ الصلاة على رسول الله ﷺ بالجامع الأزهر، وغيره في وجهه ولحيته وهمته وجسمه حتى إن الجماعة الذين قرءو على جدي كلهم مطبقون على ذلك، وكانوا يذهبون إلى الجامع الأزهر لرؤية الشيخ نور الدين لشبهه بجدي لا غير، ولما دفن سيدي نور الدين الشوني رضي الله عنه رأيته ثاني يوم فقال لي جاءني جدك إلى هنا هذه الليلة، وقال: آنست مكانك، وإذا كان لك حاجة فنادني أحضر إليك في الحال ورأيت بينهما اتحادا عظيما، ولذلك جعلنا اسميهما مسبوكين معا في

(١) قلت: هذا لا يمكن فعله إلا لولى من أولياء الله تعالى، فإن تأدية فعلين فى وقت واحد كقراءة القرآن ونسخ كتب العلم يستحيل صنعهما من قبل غير الأولياء كالعوام.

(٢) قلت: وهو يورث مقاماً عظيماً للولى، وهو دخوله فى مقام الذل والانكسار للواحد الجبار، ومشاركته لآلام المستضعفين والأذلاء.

الدعاء لهما في قراءة الأسباع والكرسي وغيرهما في الزاوية التي دفن فيها الشيخ نور الدين الشوني رحمه الله تعالى كل واحد يدعى له بقرينة تخصه فإن كلا منهما والدي ﷺ، وكان ﷺ يقول: لا يعجبني كثرة العبادات من العبد. وإنما يعجبني كثرة خوفه من الله عز وجل، ومناقشته لنفسه، ورافقه مرة في سفره من القاهرة إلى بلده رجل عليه آثار الفقراء، فقال له جدي: ما حرفتك قال له: مؤذن في جزيرة الفيل فقال له: هل أقمت مقامك نائبا فقال الأمر سهل، فقال: هذا فراق بيني وبينك وساق وتركه، وكان ﷺ لا يمكن أحدا من الفقراء البرهامية يفعل شيئا في بلده مما يفعلونه في غيرها من أكل النار ودخولها، وجر السيف على اللسان، وعلى الكف، ويقول: إن كنتم برهامية فأتوا لنا بالبرهان على ذلك من الكتاب والسنة أو من فعل سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ فانتصر جماعة من البلد للفقراء على جدي، وقالوا لا بد أن يفعلوا هذه الليلة ذلك حتى تنفرج عليهم فأتاهم تلك الليلة سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ، وقال لهم: أطيعوا الشيخ عليا ﷺ، وأنا بريء من كل عمل يخالف هدى الخلفاء الراشدين، والأئمة الراشدين، فأصبحوا، واستغفروا، وتابوا ورجعوا عن ذلك الفعل، فقال لهم: أنا رجل برهامي[1]، ولو كنت أعلم رضا سيدي إبراهيم بذلك لكنت أول فاعل له لأنه قدوتي وشيخي، وكذلك وقع له مع فقراء الأحمدية، وكان شيخهم الشيخ الصالح سيدي عبد الرحمن ابن الشيخ وهيب السطوحي الأحمدي تلك الليلة فقال له: يا شيخ عبد الرحمن إن كنت تطلع بلدنا فاطلعها على الكتاب والسنة، وإلا فأنت مهجور فدارت فيه الكلمة، ونادى بأعلى صوته يا فقراء تفرقوا عني، فإني رجعت إلى الله تعالى عن هذه الطريقة ثم عقد التوبة على يد جدي من تلك الليلة،ثم جعل له خصا في الجزيرة التي هي الآن متعلقة بالفقراء تجاه فم بحر الفيض وصار يتعبد فيها، والبحر محيط به يزوره الناس في المراكب إلى أن مات، وكان يقول: كل هذا ببركة الشيخ علي بن شهاب فانه أنقذني من الضلالة، وظهرت للشيخ عبد الرحمن ﷺ كرامات عظيمة منها:

(١) قد تقال برهامى نسبة إلى سيدى إبراهيم الدسوقى ﷺ، وقد تقال برهانى نسبة إلى لقبه وهو برهان الدين.

أنهم قطعوا مرة حطبا بغير إذنه من جزيرته، وسافروا به فانقلبت المركب بالقرب من بولاق وغرق من فيها، ولم تزل منحدرة إلى أن أرست على جزيرته، فقال: هذه بضاعتنا ردت إلينا فقال صاحب المركب يا سيدي الشيخ تغرق المركب كلها في حزمتين حطب فقال: هذا من سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه ما هو مني، وكان جدي رضي الله عنه إذا خرج من بيته للصلاة لا يستطيع تارك الصلاة يفارقه حتى يصلي هيبة منه رضي الله عنه، وكان إذا رأى جماعة الفلاحين في مجلس لغوهم يقول: يا أولادي العمر يضيق عن مثل ذلك عن قريب تندمون، وكان رضي الله عنه ينتهي نسبه إلى سلطان تلمسان أبي عبد الله في الجد الرابع، وبعده إلى السيد محمد بن الحنفية رضي الله عنه، وكان لا يظهر ذلك ويقول: إن رسول الله ﷺ نهى عن التفاخر بالنسب ولا يقدس الإنسان حقيقة إلا عمله، ولو كان من أولاد أكابر الصحابة، وكان يقول: انظروا إلى الموالي الذين صحبوا رسول الله ﷺ كسلمان، وبلال كيف صار شأنهم بطاعة الله ورسوله، وأخبرني سيدي كمال الدين زوفا من أولاد عمنا بنواحي البهنسا أن جدنا الخامس سيدي موسى المكنى بأبي عمران رضي الله عنه قال له سيدي أبو مدين رضي الله عنه: لمن تنتسب قال: إلى مولاي أبي عبد الله سلطان تلمسان قال له: فقر وشرف لا يجتمعان، فقال: يا سيدي تركت الشرف، فقال: الآن نربيك . **قلت**: وتبعه على ذلك أعمامي ووالدي فلما خفت موت نسبتنا بالكلية ذكرتها في مؤلفاتي، وأخبرني الشيخ كمال الدين المتقدم أن نسبتنا القديمة، وجدوا عليها خطوط أولياء المغرب، وعلمائها، وقضاتها فوقع بين أولاد عمنا، وبين الخليفة سيدي يعقوب العباسي، فأرشى عليها من أخذها، وغيبها، وقال: ليس لنا أولاد عم أبدًا خوف انقراض بيتهم أو ضعفه فيعطي أولاد عمنا الخلافة، ولعمري الشرفاء أحق بذلك، وهم كثير في أرض مصر فالله يكثر منهم، ويعرفنا بمقدارهم، والقيام بخدمتهم آمين .

مات جدي رضي الله عنه سنة إحدى وتسعين وثمانمائة، وله من العمر سبع وخمسون سنة رضي الله عنه، وليكن ذلك آخر من ذكرناه من أهل القرن التاسع وتركنا جماعات

كثيرة من أهل القرافتين، وغيرهما استغناء بكتب الزوار الموضوعة لذلك[1]، فإن كتابنا هذا إنما وضعناه بالأصالة لبيان أهل الطريق، وأحوالهم، وأنهم كانوا على الكتاب والسنة فربما تكثر البدع من فقراء أهل هذا العصر زيادة على ما هي عليه الآن، فيعتقد العامة أن السلف الذين يزعم هؤلاء أنهم على قدمهم كانوا على هذه البدع[2]، فلذلك لم نذكر في الغالب في هذا الكتاب من المشايخ إلا من له كلام في الطريق أو أفعال تنشط المريدين، هذه طريق التأسي بالأشياخ، وأما الكرامات ونتائج الأعمال، فليست هذه الدار محلا لها إنما محلها الدار الآخرة، فلذلك لم نذكر منها إلا بقدر تسكين القلب لذلك الولي ليؤخذ كلامه بالقبول، والاعتقاد، والله حسبي ونعم الوكيل . ولنشرع في ذكر الخاتمة الموعود بذكرها في الخطبة، فنقول، وبالله التوفيق:

خاتمة في ذكر مشايخي الذين أدركتهم في القرن العاشر رضي الله تعالى عنهم

إذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق فمن مشايخي ﷺ :

سيدي محمد المغربي الشاذلي رضي الله عنه

كان رضي الله عنه من الراسخين في العلم، أخذ الطريق عن سيدي الشيخ أبي العباس السرسي تلميذ سيدي محمد الحنفي رضي الله عنه، وكان من أولاد الأتراك، وإنما اشتهر بالمغربي لكون أمه تزوجت مغربياً ، وكان الغالب عليه الاستغراق رضي الله عنه، وكان بخيلا بالكلام في الطريق عزيز النطق بما يتعلق بها وذلك من أعظم

(١) مثل كتاب السخاوى المسمى «تحفة الأحباب» ومثل كتاب ابن الزيات المسمى «الكواكب السيارة فى آداب الزيارة».

قلت: وهذه الكتب تخلو من آداب القوم وسرد كلامهم، لأنها مجرد كتب تاريخية.

(٢) قلت: وفى كلام الشعرانى حجة على أنه ليس كل من ادعى التصوف فهو صوفى، كما يحدث الآن من ادعياء التصوف فى الموالد من البدع، فيظن الظان أن هؤلاء هم الصوفية الحقيقيون، والحقيقة بخلاف ذلك، وقد صنفنا فى ذلك كتاباً اسمه «تعريف الصوفية فى كل مكان ببعض بدع المتصوفة فى هذا الزمان» وهو مطبوع.

دليل على صدقه، وعلو شأنه فإن أهل الطريق رضي الله تعالى عنهم هكذا كان شأنهم، وقد بلغني أنهم سألوه أن يصنف لهم رسالة في الطريق، فقال: أصنف الطريق لمن؟ هاتوا ليَّ راغبا صادقا إذا قلت له: اخرج عن مالك، وعيالك خرج فسكتوا، وكان رضي الله عنه يقول: الطريق كلها ترجع إلى لفظتين سكتة، ولفتة وقد وصلت. **قلت:** معناه عدم الالتفات لغير الله تعالى، والإقبال على أوامر الله، وكان إذا جاءه أحد من الفقهاء يقول: له: خذ علينا العهد، فيقول: يا أولادي روحوا واستكفوا البلاء فإن هذه طريق كلها بلاء أنتم في طريق تأكلون ما تشتهون، وتلبسون ما تشتهون والناس يخافونكم، ويطلبون منكم السكوت عنهم، وهذه طريق يقام عليكم الميزان فيها، ويطلق الناس ألسنتهم عليكم، ولا يجوز لكم فيها أن تردوا عن أنفسكم، وإن لبس أحدكم ثوبا مصقولا أو ظهرًا من محررات الخام خرج الناس عليكم وقالوا هذا ما هو لباس الفقراء، فيرجعون عن طلب أخذ العهد عليكم فيقول: أعجبني صدقكم في دعوى الكذب، ولما جاءه سيدي إبراهيم المواهبي يطلب التربية قال له: تربية بيتية والا سوقية قال يا سيدي ما معنى ذلك قال: أما التربية السوقية، فأعلمك بها كلمات هذيانات ككلام الموسطين في الفناء، والبقاء، وأحوال القوم، وآذن لك بالجلوس على سجادة وتصير تأخذ كلاماً، وتعطي كلاما وأما التربية البيتية، فتشارك جميع أهل البلاء في سائر أقطار الأرض في بلائهم، ويقال فيك ما قيل فيهم من البهتان والزور، وتصبر كما صبر من سبقك من أولى العزم من الأولياء، ولا كلام ولا سجدة، ولما أججوا النار على سيدي إبراهيم المواهبي رضي الله عنه في تقريره في قوله تعالى: " وهو معكم أينما كنتم " وعقدوا له مجلسا في الجامع الأزهر جاء سيدي محمد المغربي رضي الله عنه، وهم في أثناء الكلام فسكتوا كلهم فقال: تكلموا حتى أتكلم معكم، فلم يتجرأ أحد أن ينطق فقال الشيخ: نحن أحق بتنزيه الحق منكم أيها الفقهاء[1]، ومن طلب إيضاح ذلك فليبرز إلى أتكلم معه فسكتوا فأخذ بيد

---

(١) وذلك لكون الفقيه ينزهه سبحانه بلا ذوق ومن خلف حجاب العقل، وأما العارف فإن تنزيهه لربه عن كشف وذوق.

إبراهيم رضي الله عنه، وقام معه فلم يتبعهما أحد، وكان الذي تولى جمع الناس وشن الغارة عليه العلائي الحنفي، وقال: هذا يتكلم في الماهية وذلك لا يجوز ثم إن الفقهاء لحقوا سيدي محمدًا يترضون خاطره فقال لهم: الطريق ما هي كلام كطريقكم إنما هي طريق ذوق فمن أراد منكم الذوق فليأت أخليه[1]، وأجوعه حتى أقطع قلبه، وأرقيه حتى يذوق، وإلا فليكف عن هذه الطائفة فإن لحومهم سم قاتل .

وكان رضي الله عنه يقول: من واجب حسنات الأبرار شهود الأغيار لترتيب العبادة، والأحكام في هذه الدار، وإن كان ذلك من سيئات المقربين الذين استغرقتهم الأنوار، واستهلك عندهم السوى كما استهلك الليل في النهار، وكان يقول: اطلب طريق ساداتك، وإن قلوا، وإياك وطريق غيرهم، وإن جلوا، وكفى شرفا بعلم القوم قول موسى عليه الصلاة والسلام للخضر عليه السلام "هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدًا "قال: وهذا أعظم دليل على وجوب طلب علم الحقيقة كما يجب طلب علم الشريعة، وكان يقول: ابن الشريعة ناظر بعين الحكم الظاهر، ونسبة فعل الخلق إليهم لتوجه الخطاب، وترتب الأحكام عليهم ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٦) وابن الحقيقة ناظر بعين الحكمة الناطقة، ونسبة الفعل إلى الحق لأنه الفاعل المختار حقيقة ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (القصص: ٦٨) فإذا كان أدب الشريعة مبنيا على شهود الخلق في شهود الحق، وأدب الحقيقة مبنيا على فناء الخلق في شهود الحق وتباين الأمران تعين إظهار الأمر الظاهر، وتحتم إبطان الأمر الباطن خشية المعارضة والتعطيل هذا سبب عدم بناء الحكم في الظاهر على الحكمة الباطنة إذ لو ترتب عليها حكم لتعذر على غالب الناس الجمع بينهما وأفضى بنا الحرج والتشديد، إلى شقاق بعيد، وكان رضي الله عنه يقول في قول سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه:

---

(١) أخليه: أى أجلسه فى الخلوة حتى يفتح عليه.

وألسنة الأكوان إن كنت واعيا شهود بتوحيد بحال فصيحة

يريد بقوله: شهود بتوحيد توحيد كل العالم أي التوحيد القهري[1] الحالي المدخل للطائع والكافر والفاجر في حكم العبادة بالحال، وقوله: بحال فصيحة أخرج التوحيد بالقال فلم يتعرض له. ولا لأهله لأنه مخصوص بالمؤمنين دون الكافرين، وليس هو المقصود الأعظم في الآية المقتبس منها البيت وهي قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٤٤) فشيء نكرة، وهي في سياق النفي تعم كل شيء من موحد وجاحد، وحيوان وجماد فكأن الحق تعالى يقول: كل شيء يوحدني، ويعبدني بباطنه، وإن اختلف أمر باطنه.

وكان رضي الله عنه يقول: إنما جعل قتل الكلب المعلم للصيد ذكاة لائتماره بأمر سيده، وانتهائه بزجره، فهو كالمدية بيد مولاه ولو كان مع نفسه وهواه لحرم أكل صيده، والله أعلم هذا ما رأيته في الرسالة المنسوبة إليه بين أصحابه. وكان رضي الله عنه يقول: إذا أراد الله أن يسلب إيمان عبد عند الموت سلطه على ولي يؤذيه، وكان رضي الله عنه ينفق نفقة الملوك من كيس صغير[2] في عمامته، ويوفي منه الديون عن أصحابه عن المحتاجين، وكان رحمة بين العباد. مات رضي الله عنه سنة نيف وعشر وتسعمائة، ودفن بالقرافة رضي الله عنه.

---

(١) مقصوده بالتوحيد القهرى قوله سبحانه وتعالى الوارد فى سورة الحج: (ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب) واسمه التوحيد الباطنى وهو الذى تحدث عنه عبدالكريم الجيلى فى الإنسان الكامل. والشيخ الأكبر فى الفترحات.

وملخص مذهبهم فى هذا: أن الوجود الباطنى كله مؤمن بالله عز وجل سواء المؤمن أو الكافر، ودليلهم فى هذا أن أعضاء الكافر تشهد بعذلانه يوم القيامة.

(٢) أى كان ينفق من الغيب، وكان شيخنا محمد الحافظ التجانى ينفق من تحت سجادة له، وفى ذلك يقول سيدى مصطفى البكرى:

عبيد ولكن الملوك عبيدهم

وعبدهم أضحى له الكون خادما

ومنهم الشيخ سيدي محمد عنان رضي الله عنه

كان رضي الله عنه من الزهاد العباد وما كنت أمثله وأحواله إلا بطاووس اليماني أو سفيان الثوري، وما رأيت في عصرنا مثله، وكان مشايخ العصر إذا حضروا عنده صاروا كالأطفال في حجر مربيهم، وكان على قدم في العبادة، والصيام، وقيام الليل من حين البلوغ، وكان يضرب به المثل في قيام الليل، وفي العفة، والصيانة، ولما بلغ خبره إلى سيدي الشيخ كمال الدين إمام جامع الكاملية سافر إلى بلاد الشرقية بقصد رؤيته فقط، فلما اجتمع به أعجبه عجبا شديدًا فأخذ عليه العهد، وسافر به إلى سيدي أبي العباس الغمري بالمحلة فآخى بينه وبينه، وكان رضي الله عنه له كرامات عظيمة: منها أنه أطعم نحو خمسمائة نفس من ستة أقداح دقيق حتى شبعوا، وذلك أن فقراء بلاده اجتمعوا هذا العدد، وطلعوا بلده على غفلة، وكان قد عجن طحينه على العادة أول ما خط عارضه، فقال لوالدته خذي هذه الفوطة، وغطى هذه القصعة، وقرصي فقطعت منها الخبز حتى ملأت البيت، وحجيرة البيت، ونصف الدار فقال لها: اكشفي القصعة يكفي فكشفتها فلم تجد فيها شيئا من العجين فقال: وعزة ربي لو شئت لملأت البلد كلها خبزًا من هذا العجين بعون الله تعالى ومنها أن شخصا كان زمنا في جامع الإسكندرية، وكان كل من تشوش منه يقول: يا قمل اذهب إلى فلان فتمتلئ ثياب ذلك الشخص قملا حتى يكاد يهلك فبلغ سيدي محمدًا رضي الله عنه ذلك، وهو في زيارة كوم الأفراح فقال: اجمعوني عليه فجمعوه عليه فقال له: أنت ما عرفت من طريق الله إلا القمل ثم أخذه بيده، ورماه في الهواء فغاب عن أعين الناس من ذلك اليوم، فلم يعرف أحد أين رماه الشيخ وحكى لي الشيخ علي الأثميدي فقيه الفقراء عنده أن سيدي محمدًا رضي الله عنه أرسل النقيب من برهمتوش إلى سيدي أبا العباس الغمري في المحلة بعد العشاء، وقال: لا تخل الصبح يؤذن إلا وأنت عندي فمضى أبو شبل، ورجع فقال له الشيخ: عديت من أي المعادي فقال: يا سيدي ما درت بالي للبحر، ولا علمت به فقال الشيخ سراً لأصحابه: طوى البحر

بهمته وعزمه فلم يجده في طريقه، ومنها ما أخبرني به سيدي الشيخ العالم العامل المحدث الشيخ أمين الدين إمام الغمري قال: كنت في سفر مع سيدي أبي العباس الغمري وسيدي محمد بن عنان فاشتد الحر علينا، ونزل الشيخان، وجلسا بين حمارتين، ونشرا عليهما بردة من الحر فعطش سيدي أبو العباس الغمري رضي الله عنه فلم يجد ماء فأخذ سيدي محمد بن عنان طاسة،وغرف بها ماء من الأرض، وقدمه لسيدي أبي العباس الغمري رضي الله عنه فلم يشربه، وقال: يا شيخ محمد الظهور يقطع الظهور. فقال: وعزة ربي لولا خوفي الظهور لتركتها عينا يشرب الناس، والدواب منها إلى يوم القيامة، وكان ذلك ببلاد الشرقية بنواحي صنضبسط هذه حكاية الشيخ أمين الدين رضي الله عنه بلفظه، وكان من الصادقين.

وحكى لي الشيخ بدر الدين المشتولي رحمه الله قال: سمعت سيدي عبد القادر الدشطوطي رضي الله عنه يقول: إن الشيخ محمد بن عنان رضي الله تعالى عنه يعرف السماء طاقة طاقة[1]، وأخبرني سيدي الشيخ شمس الدين الطنيخي رحمه الله تعالى صهر سيدي محمد بن عنان أنً شخصا أكولا نزل مع الشيخ محمد رضي الله عنه وهم في مركب مسافرين نحو دمياط فأخبروا سيدي محمدًا رضي الله عنه أنه أكل تلك الليلة في المركب فرد سمك فسيخ، ونحو قفة تمر فدعاه سيدي محمد رضي الله عنه وقال له: اجلس، وقسم رغيفا نصفين، وقال كل وقل بسم الله الرحمن الرحيم فشبع من نصف الرغيف، ولم تزل تلك أكلته لم يزد على نصف الرغيف حتى مات، فجاء أهله، وقالوا للشيخ جزاك الله عنا خيرًا خففت عنا، وأخبرني سيدي الشيخ أمين الدين رحمه الله تعالى امام الغمري أيضا أن شخصا في مقبرة برهمتوش كان يصيح في القبر كل ليلة من المغرب إلى الصباح، فأخبروا سيدي محمدًا رضي الله عنه بخبره فمشى إلى المقبرة وقرأ سورة تبارك ودعا الله تعالى أن يغفر له فمن تلك الليلة ما سمع له أحد صياحا فقال الناس: شفع فيه الشيخ.

وكان رضي الله عنه وقته مضبوطا لا يتفرغ قط لكلام لغو، ولا لشيء من أخبار

---

(١) واعلم أن الأولياء هم أعلم الناس بالملأ الأعلى، وفى ذلك يقول سيدى أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه: إنى لأعلم بطرق السماء من طرق الأرض. وكان أحدهم يقول: إن الكون بين يدى كالطبق بين يدى الآكل.

الناس ويقول: كل نفس مقوم على بسنة،[1] وكان يتهيأ لتوجه الليل من العصر لا يستطيع أحد أن يخاطبه إلى أن يصلي الوتر فإذا صلى قام للتهجد لا يستطيع أحد أن يكلمه حتى يضحى النهار، وكان هذا دأبه ليلا ونهارًا شتاء وصيفاً، وكنا ونحن شباب في ليالي الشتاء نحفظ ألواحنا، ونكتب في الليل، ونقرأ ماضينا، وهو واقف يصلي على سطح جامع الغمري ثم ننام، ونقوم فنجده قائما يصلي، وهو متلفع بحرامه فنقول هذا الشيخ لا يكل ولا يتعب، هذا والناس من شدة البرد تحت اللحف لا يستطيعون خروج شيء من أعضائهم، وسمعت سيدي محمدًا السروي شيخ الشناوي يقول: ما رأت عيني أعبد من ابن عنان، وكان رضي الله عنه يحب الإقامة في الأسطحة، وكل جامع أقام فيه عمل له فوق سطوحه خصاً، وتارة خيمة، وأخبرني أنه أقام في بدء أمره ثلاث سنين في سطح جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه، وكان لا ينزل إلا وقت صلاة الجماعة أو وقت حضور درس الشيخ العارف بالله تعالى سيدي يحيى المناوي فإنه كان من أهل علمي الظاهر والباطن، وكذلك كان يحضره جماعة من الأولياء كسيدي محمد السروي رضي الله عنه، وسيدي محمد ابن أخت سيدي مدين رضي الله عنه وأضرابهم، وسمعته رضي الله عنه يقول: سخر الله تعالى لي الدنيا مدة إقامتي في جامع عمرو، فكانت تأتيني كل ليلة بإناء فيه طعام ورغيفين، وما خاطبتها قط، ولا خاطبتني، ولكن كنت أعرف أنها الدنيا، وسمعته يقول: حفظت القرآن، وأنا رجل فحفظت أولا النصف الأول على الفقيه ناصر الدين الأخطابي ثم النصف الثاني على أخي الشيخ عبد القادر .

وكان رضي الله عنه إذا نزل في مكان فكأن الشمس حلت في ذلك المكان لا أكاد أشهد غير ذلك هذا وأنا صغير لا أفصح عن مقامات الرجال، والله إنه ليقع لي

---

(١) أى أن نفسه رضي الله عنه يعدل سنة كاملة مما يرفع له من العمل اليومى. قلت: وله دليل فى القرآن وهو قوله سبحانه فى حق إبراهيم عليه السلام: «إن إبراهيم كان أمة» قال المفسرون: أى كان يرفع له من العمل كل يوم بقدر عمل أهل الأرض كلهم، واعلم أن تسبيحة النبى الواحدة تعدل تسبيحة أهل الأرض كلهم مجتمعين، وهو لسان حال الخليفة المتقطب.

في الليلة الباردة أنني أقوم، وأنا كسلان عن الوضوء الصلاة فلا أجد أحدًا في ذهني حاله ينشطني غيره، فإني أعرض هذا الحال، وأقول في نفسي لو قام الشيخ محمد رضي الله عنه في مثل هذه الليلة هل كان يرجع إلى النوم بغير وضوء وصلاة فيزول عني الكسل بمجرد ذكر حاله رضي الله عنه، ولقد سمعته رضي الله عنه يقول: من منذ وعيت على نفسي لا أقدر على جلوسي بلا طهارة قط، ولقد كانت تصيبني الجنابة في الليالي الباردة فلا أجد ماء للغسل إلا بركة كانت على باب دارنا في ليالي الشتاء، فكنت أنزل فيها، وعلى وجهها الثلج، فأفرقه يميناً وشمالا ثم أغطس، فأجد الماء من الهمة كأنه مسخن بالنار، والله لقد رأيته بعيني يستنجي في الخلاء، فيبطئ عليه الماء للوضوء فيضرب يده على الحائط ويتيمم حتى يجد الماء، ولا يجلس على غير طهارة لحظة[1]، وكان يقول: مجالسة الأكابر تحتاج إلى دوام الطهارة، وأردت ليلة من الليالي أمد رجلي للنوم، فكل ناحية أردت أن أمد رجلي فيها أجد فيها وليا من أولياء الله تعالى، فأردت أن أمدها إلى ناحية سيدي محمد رضي الله عنه بباب البحر فوجدتها تجاه قبره فنمت جالساً، فجاءني ومسك رجلي، ومدها ناحيته، وقال: مد رجلك ناحيتي البساط أحمدي فقمت، ونعومة يده في رجلي رضي الله عنه .

وكان يتكدر ممن يضع بين يديه شيئا من الدنيا ليفرقه على الفقراء، ويقول: ما وجدت أحدًا يفرق وسخك في البلد غيري، وأخبرني الشيخ عبد الدائم ولد أخيه قال: بعث مركب قلقاس من زرع عمي، وجئته من ثمنها بأربعين دينارًا، ووضعتها بين يديه بكرة النهار فصاح في وقال: الله لا يصبحك بخير تصبحنا فرفعتها من بين يديه، وأنا خجلان .وكان رضي الله عنه إذا دعاه من في طعامه شبهة يجيبه، ولكن يأخذ في كمه رغيفا يأكله على سفرة ذلك الرجل مسارقة من غير أن يلحظ أحد به هكذا رأيته وكان حاضرًا الشيخ أبو بكر الحديدي والشيخ

(١) قلت: هو من باب تعجيل أوامر الشريعة عند العارف والاستعانة بها على كمال حاله، وذلك لأن العارفين فى طهارة سرمدية فلا يصبرون على الحدث، ويطوعون أوامر الشريعة فى إتمام كمالهم، فهو إن لم يجد الماء ولو للحظات طوع الجماد فى استخدامه لأجل الفرار من الحدث.

محمد العدل رضي الله عنه ما فأرادا أن يفعلا مثل فعله فقال: كلا أنتما لا حرج عليكما، ولما طلب الغوري الشريف بركات سلطان الحجاز، ورأى منه الغدر جاء إلى سيدي محمد رضي الله عنه بعد صلاة العصر، ونحن جلوس بين يديه فقام له الشيخ واعتنقه، وقال له الشريف: أريد أهرب هذا الوقت، وخاطرك معي لا يلحق بي الغوري حتى أتخلص من هذه البلاد فإن النوق تنتظرني نواحي بركة الحاج فدخل سيدي محمد رضي الله عنه الخلوة فانتظره الشريف فلم يخرج، والوقت ضاق فقال لي وللشيخ حسن الحديدي خادمه استعجلا لي الشيخ ففتحنا باب الخلوة فلم نجد الشيخ فيها فرددنا الباب فبعد ساعة خرج، وعيناه كالدم الأحمر، فقال: اركب يا شريف لا أحد يلحقك فما شعر الغوري به إلا بعد يومين فتخلص إلى بلاد الحجاز، فأرسل في طلبه فلم يلحقوه، وسمعت سيدي عليا الخواص رضي الله عنه يقول: أنا ما عرفت الشيخ محمد بن عنان إلا من سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه كنت وأنا عنده أبيع الجميز في غيطه في بركة الحاج أسمعه يقول وعزة ربي لتتوزع حملتي بعد موتي على سبعين رجلا، ويعجزون، فقال له الشيخ يوسف الكردي رحمه الله تعالى: يا سيدي من يأخذ خدامة الحجرة النبوية بعدكم؟ فقال: شخص يقال له محمد بن عنان سيظهر في بلاد الشرقية، وكان رضي الله عنه يقول: الفقير ما رأس ماله في هذه الدار إلا قلبه، فليس له أن يدخل على قلبه من أمور الدنيا شيئا يكدره، والله لقد رأيته، وهو في جامع المقسم بباب البحر أوائل مجيئه من بلاد الريف جاءه شخص وقال له: يا سيدي إن جماعة يقولون هذه الخلاوي التي فيها الفقراء لنا، وكان ذلك يوم الوقت فخرج، وأمر بنقل دسوت الطعام إلى الساحة التي بجوار سيدي محمد الجبروني رضي الله عنه، وكمل طبخ الطعام هناك، وقال: الفقير رأس ماله قلبه، وأخبرني الشيخ شمس الدين اللقاني الملكي رحمه الله تعالى قال: دخلت على سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه يوماً، وأنا في ألم شديد من حيث الوسواس في الوضوء والصلاة فشكوت ذلك إليه فقال: عهدنا بالمالكية لا يتوسوسون في الطهارة، ولا غيرها فلم يبق عندي بمجرد قوله ذلك شيء من الوسواس ببركته[1].

(١) وهم الأولياء الذين يضيعون العلل الباطنية بالهمة أو بالنظرة.

وكان ﷺ لا يعجبه أحد يصلح للطريق في زمانه، ويقول: هؤلاء يستهزئون بطريق الله، ولم يلقن أحدًا قط الذكر غير الشيخ أحمد النجدي جاءه بالمصحف وقال: أقسمت عليك بصاحب هذا الكلام إلا ما لقنتني الذكر فغشي على الشيخ ﷺ من قسمه عليه بالله عز وجل ثم لقنه: وقال: يا ولدي الطريق ما هي بهذا إنما هي باتباع الكتاب، والسنة، وجاءه مرة شخص لابس زي الفقراء، فقال: يا سيدي كم تنقسم الخواطر فقطب الشيخ وجهه، ولم يلتفت إليه فلما قام الرجل قال الشيخ: لا إله إلا الله ما كنت أظن أني أعيش إلى زمان تصير الطريق إلى الله عز وجل فيه كلاما من غير عمل، وكان مدة إقامته في مصر لا يكاد يصلي الجمعة مرتين في مكان واحد بل تارة في جامع عمرو، وتارة في جامع محمود وتارة في جامع القراء بالقرافة، وحضرته صلاة الجمعة مرة بالقرب من الجامع الأزهر، فقال: هذا مجمع الناس، وأنا أستحي من دخولي فيه، وكان ﷺ يزور الفقراء الصادقين أحياء، وأمواتا لا يترك زيارتهم إلا من مرض، وكنت أنظره لم يزل يدير السبحة، وهو يقرأ القرآن . وكان ﷺ يكره للفقير أن يغتسل عرياناً، ولو في خلوة، ويشدد في ذلك[1]، ويقول: طريق الله ما بنيت إلا على الأدب مع الله تعالى، وكل من ترخص فيها لا يصلح لها .

قال سيدي أبو العباس الحريثي: ورآني مرة أغتسل، وفي وسطي فوطة في الليل فعاب ذلك علي، وقال: بدن "الفقير كله عورة لم لا اغتسلت في قميص[2]، وكان ﷺ إذا حضر عند مريض قد أشرف على الموت من شدة الضعف يحمل

(١) قلت: قد يكون هذا ضد نظافة الشخص، وأحوال المشايخ خاصة بهم، ومشاهدهم لا ترى على غيرهم، بل ربما تجرد من ثيابه للاغتسال من هو أعلى مقاماً منهم.

(٢) أراد هنا سيدى الحريثى ﷺ أن يستر من جسده وهو يغتسل العورة المخففة وهى التى بين الركبة والسرة، فأمره سيدى ابن عنان أن يستر جسده كاملاً كالمرأة التى تستر جسدها كاملاً أمام الناس، وعد جسده كله عورة كالمرأة، ولسان حاله يقول: ولما يكون الله أهون الناظرين إليه؟ فالمرأة تستر جسدها كله من الناس فلما لا يستحى من الله كذلك؟ هذا هو مشهده، وقد ثبت فى السنة خلافه إذا ثبت أنه ﷺ عانق أحد الصحابة وهو عارى الصدر، وليس فى ذلك حرج إذ المحرم المحرم بالحج والعمرة يعرى بعض بدنه العلوى، فعل ذلك النبى وكل مسلم أتى بعده بما فيهم صاحب المشهد المعترض.

عنه فيقوم المريض وينام الشيخ رضي الله عنه مريضا ما شاء الله، ولعلها المدة التي كانت بقيت على ذلك المريض، ووقع له ذلك مع سيدي أبي العباس الغمري رضي الله عنه، ومع سيدي علي البلبلي المغربي، وكنت أنا حاضرًا قصة سيدي علي رضي الله عنه، وقام في الحال يتمشى إلى ميضأة الجامع الأزهر فتوضأ، وجاء فرقد رضي الله عنه فتعجب الناس من ذلك، ودعي مرة إلى وليمة فجاء إلى باب الدار، فقيل له: إن سيدي عليا المرصفي رضي الله عنه هنا فرجع، ولم يدخل فقال بعض الناس: إنه يكرهه، وقال بعضهم: الفقراء لهم أحوال فبلغ ذلك سيدي محمدًا رضي الله عنه فقال: ليس بيني وبين الرجل شيء، وإنما كان بينه وبين أخي الشيخ نور الدين الحسني وقفة فحفظت حق صاحبي بعد موته لكونه متقدما في الصحبة وكان لا يركب قط إلى مكان في زيارة أو غيرها إلا ويحمل معه الخبز، والدقة، ويقول: نعم الرفيق إن الرجل إذا جاع وليس معه خبز استشرفت نفسه للطعام، فإذا وجده أكله بعد استشراف النفس، وقد نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وسمعته رضي الله عنه يقول: كل فقير نام على طراحة فلا يجيء منه شيء في الطريق لأن من ينام على الطراحة ما قصده قيام الليل الذي هو مطية المؤمنين وبراقهم ثم يقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم نام على عباءة مثنية طاقين فنام عن ورده تلك الليلة، فقال لعائشة رضي الله عنها: رديها إلى حالها الأول فإن لينها ووطأتها منعتني قيام ليلتي، وأخبرني سيدي الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري رضي الله عنه قال: كان شخص من أرباب الأحوال بناحية شان شلمون بالشرقية جالسا في البرية، وقد حلق على نفسه بزرب شوك، وعنده داخل هذه الحلقة الحيات، والثعالب، والثعابين، والقطط، والذئاب، والخرفان، والإوز، والدجاج فزاره الشيخ محمد رضي الله عنه مرة، فقال: أهلا بالجنيدي ثم زاره مرة أخرى فقال: أهلا بالجندي ثم زاره مرة أخرى فقال: مرحبا بالأمير ثم زاره مرة أخرى، فقال: أهلا بالسلطان ثم زاره مرة أخرى فقال: مرحبا براعي الصهب فكانت تلك آخر تحيته .

قلت: ومناقب الشيخ رضي الله عنه لا تحصر والله أعلم .ولما حضرته الوفاة، ومات نصفه الأسفل حضرت صلاة العصر، فأحرم جالسا خلف الإمام لا يستطيع

السجود ثم اضطجع، والسبحة في يده يحركها فكانت آخر حركة يده آخر حركة لسانه فوجدناه ميتا فجردته من ثيابه أنا والشيخ حسن الحديدي، وذلك في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة عن مائة وعشر سنين، ودفن بجامع المقسم بباب البحر، وصلى عليه الأئمة والسلطان طومان باى وصار يكشف رجل الشيخ ويمرغ خدوده عليها، وكان يوما في مصر مشهودًا رضي الله عنه .

ومنهم سيدي الشيخ أبو العباس الغمري الواسطي رضي الله عنه

كان جبلاً راسيا وكنزاً مطلسما ذا هيبة على الملوك فمن دونهم، وكان له كرامات كثيرة يحفظها جماعته منها: أنه وقع من جماعته صرة فيها فضة أيام عباب البحر، والمركب منحدرة نواحي سما نود فلم يشعروا بها إلا بعد أن انحدرت كذا كذا بلدًا فأوقف الشيخ رضي الله عنه المركب، وقال روحوا إلى المكان الفلاني، وارموا الشبكة تجدوها ففعلوا فوجدوها .ومنها ما حكاه لي ولده سيدي أبو الحسن رضي الله عنه قال: كنت مع والدي، ومعنا عمود رخام على جملين فجئنا إلى قنطرة ضيقة لا تسع سوى جمل واحد فساق الشيخ رضي الله عنه الجمل الآخر فمشى على الهواء بالعمود[1]، ومنها أنه أراد أن يعدي من ميت غمر إلى زفتى فلم يجد المعدية فركب على ظهر تمساح، وعدى عليه، ومنها ما أخبرني به الشيخ أمين الدين رضي الله عنه إمام جامعه بمصر أنهم لما أرادوا أن يقيموا عمد الجامع بيتوا على الناس يساعدونهم . فقام الشيخ وحده فأقام صفين من العمد فأصبحوا، فرأوهم واقفين، وأخبرني الشيخ حسن القرشي رحمه الله قال: نزل عندنا سيدي أبو العباس يقطع جميزة في ترعة أيام الملق، ومعه مركب فقطعوا الجميزة وحملوها في المركب فغاصت في الوحل فقالوا يا سيدي نحتاج إلى مركب أخرى نخفف الخشب فيها، وكانت المراكب امتنعت من دخول بحر المحلة من قلة مائه فمكث الشيخ رضي الله عنه إلى الفجر فبينما هو يصلي إذ دخلت لنا مركب وفيها شخص نائم فنبهه سيدي أبو العباس فقام فقال: من جاء بي إلى هنا فإني

---

(١) وقعت مثل هذه الكرامة للحلاج فى السجن وذلك أنه توضأ فمد يده إلى فوطة بعيدة. قال ابن خفيف: لا أدرى أطالت يده أم هى جاءته.

كنت في ساحل ساقية أبي شعرة في البحر الشرقي فقالوا له جاء بك هذا السبع يعنون الشيخ رضي الله عنه فحملوا الخشب في المركبين وساروا رضي الله عنهم، وكان سيدي الشيخ الصالح محمد العجمي رضي الله عنه كاتب الربعة العظيمة التي بجامعه بمصر يقول: والله لو أدرك الجنيد رضي الله عنه سيدي أبا العباس رضي الله عنه لأخذ عنه الطريق، وكان رضي الله عنه لا يمكن أحدًا صغيرًا يمزح مع كبير، ورأى مرةً صبيا يغمز رجلا كبيرًا فأخرجهما من الجامع، ورمى حوائجهما، وكان لا يمكن أمرد يؤذن في جامعه أبدًا حتى يلتحي، وعمر رضي الله عنه عدة جوامع بمصر وقراها، وكان السلطان قايتباي يتمنى لقاءه فلم يأذن له، وجاءه مرة ولده السلطان محمد الناصر على غفلة يزوره فلما ولى قال: أخذنا على غفلة وأحواله كثيرة مشهورة في بلاد الريف، وغيرها، وقد رأيته مرة واحدة حين نزل إلى بلدنا ساقية أبي شعرة في حاجة، وعمري ثمان سنين .

مات رضي الله عنه في صفر سنة خمس وتسعمائة ودفن بأخريات الجامع بمصر المحروسة رضي الله تعالى عنه .

ومنهم سيدي الشيخ نور الدين الحسني المديني رضي الله عنه

أحد أصحاب سيدي محمد ابن أخت سيدي مدين كان رضي الله عنه من العارفين بالله عز وجل، ورأيته وأنا صغير وأخذ عنه الشيخ تاج الدين الذاكر بعد أن مات سيدي محمد ابن أخت سيدي مدين، وكلاهماكان أخذ عنه، وسمع يوماً شخصا يبيع خشب الشيوخ التي تسرح بها النساء الكتان، وهو يقول: يا قفة[1] شيوخ بنصف فضة فأخذ منها معنى، وقال: قفة شيوخ بنصف فضة، وقال: قد رخصت الطريق فلم يلقن أحدًا بعدها حتى مات رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه مرصدًا لقضاء حوائج الناس عند الأمراء،والحكام، وكان بينه وبين سيدي محمد بن عنان ود عظيم، ومؤاخاة رضي الله عنه .

---

(١) القفة هى المكتل فى لهجة أهل مصر، ولاتزال تستعمل هذه اللهجة لحد الآن بينهم.

ومنهم شيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه

أحد أركان الطريقين الفقه، والتصوف، وقد خدمته عشرين سنة فما رأيته قط في غفلة ولا اشتغال بما لا يعني لا ليلا ولا نهاراً وكان رضي الله عنه مع كبر سنه يصلي سنن الفرائض قائماً، ويقول: لا أعود نفسي الكسل[1]، وكان إذا جاءه شخص، وطول في الكلام يقول: بالعجل ضيعت علينا الزمن، وكنت إذا أصلحت كلمة في الكتاب الذي أقرؤه عليه أسمعه يقول بخفض صوته: الله الله لا يفتر حتى أفرغ، وكنت أتغدى معه كل يوم، فكان لا يأكل إلا من خبز الخانقاه وقف سعيد السعداء، ويقول: واقفها كان من الملوك الصالحين، ووقف وقفها بإذن النبي ﷺ .

وصنف المصنفات الشائعة في أقطار الأرض، ولازمت الناس قراءة كتبه لحسن نيته، وإخلاصه، ولما قرأت شرحه على رسالة القشيري في علم التصوف أشار علي بحفظ الروض، وكنت حفظت المنهاج قبل ذلك فعرضته عليه، وقلت: إنه كتاب كبير فقال اشرع، وتوكل فإن لكل مجتهد نصيباً، فحفظت منه إلى باب القضاء، وحصل لي رمي الدم من الحصر في الحفظ فأشار علي بالوقوف، وقرأت شرحه على الروض إلى باب الجهاد، وقرأت عليه تفسير القرآن العظيم للبيضاوي مع حاشيته عليه، وحاشية الطيبي على الكشاف، وحاشية السيد، وحاشية الشيخ سعد الدين التفتازاني وحاشية الشيخ جلال الدين السيوطي إلى سورة الأنبياء، وقرأت عليه شرح آداب البحث له، وحاشيته على جمع الجوامع، وطالعت عليه حال تأليفه لشرح البخاري فتح الباري للحافظ ابن حجر، وشرح البخاري للكرماني، وشرحه للعيني الحنفي، وشرحه للشيخ شهاب الدين العسقلاني على قدر كتابتي له في شرحه، وخطى متميز فيه، وأظنه يقارب النصف، وكنت إذا جلست معه كأني جالست ملوك الأرض الصالحين العارفين،

---

(١) وقد كان شيخنا سيدى عبد المجيد الشريف رضي الله عنه يصلى الفرائض والسنن واقفاً وكان عمره تسعين سنة، وكان لا يكل من ذلك، وكان وهو يذكر لا يسند ظهره إلى شيء برغم كبر سنه ويظل هكذا لفترات طويلة رضي الله عنه.

وكان أكبر المفتين بمصر يصير بين يديه كالطفل وكذلك الأمراء والأكابر، وكان كثير الكشف لا يخطر عندي خاطر إلا ويقول: قل ما عندك، ويبطل التأليف حتى أفرغ، وكنت إذا حصل عندي صداع حال المطالعة له يقول: انو الشفاء بالعلم فأنويه فيذهب الصداع لوقته، وقال لي مرة: من صغري وأنا أحب طريق القوم، وكان أكثر اشتغالي بمطالعة كتبهم، والنظر في أحوالهم حتى كان الناس يقولون هذا لا يجيء منه شيء في علم الشرع، فلما ألفت كتاب شرح البهجة، وفرغت منه استبعد ذلك جماعة من الأقران، وكتبوا على نسخة منه كتاب الأعمى والبصير تنكيتا علي لكون رفيقي في الاشتغال كان ضريرًا، وكان تأليفي له إلى أن كان فروغه في يوم الاثنين، ويوم الخميس فقط فوق سطح الجامع الأزهر، وكان وقتي رائقاً، وظاهري بحمد الله تعالى محفوظاً، وكنت مجاب الدعوة لا أدعو على أحد إلا ويستجاب فيه الدعاء، فأشار على بعض الأولياء بالتستر بالفقه، وقال: استر الطريق فإن هذا ما هو زمانها فلم أكد أتظاهر بشيء من أحوال القوم إلى وقتي هذا، وحكى لي يوما أمره من حين جاء إلى مصر إلى وقت تلك الحكاية، وقال: أحكي لك أمري من ابتدائه إلى انتهائه إلى وقتنا هذا حتى تحيط به علما كأنك عاشرتني من أول عمري فقلت له: نعم قال: جئت من البلاد، وأنا شاب فلم أعكف على أحد من الخلق، ولم أعلق قلبي به وكنت أجوع في الجامع كثيرًا فأخرج بالليل إلى قشر البطيخ[1] الذي كان بجانب الميضأة وغيرها فأغسله وآكله إلى أن قيض الله ليَّ شخصا كان يشتغل في الطواحين، فصار يتفقدني، ويشتري لي ما أحتاج إليه من الكتب، والكسوة، ويقول: يا زكرياء لا تسأل أحدًا في شيء، ومهما تطلب جئتك به فلم يزل كذلك سنين عديدة فلما كان ليلة من الليالي والناس نيام جاءني، وقال لي: قم فقمت معه فوقف لي على سلم الوقاد الطويل، وقال لي: اصعد هذا فصعدت فقال لي: اصعد فصعدت إلى آخره فقال لي: تعيش حتى يموت جميع أقرانك، وترتفع على كل من في مصر من العلماء، وتصير طلبتك شيوخ الإسلام في حياتك حين يكف

(١) وقد ورد مثل هذا فى مناقب سيدى عبد القادر الجيلانى رضي الله عنه أنه كان فى بدايته يتغذى على ورق الشجر وعلى قشر البطيخ، والأولياء يتشابهون فى مشاربهم.

بصرك فقلت: لا بد لي من العمى قال: ولا بد لك ثم انقطع عني فلم أره من ذلك الوقت ثم تزايد على الحال إلى أن عزم على السلطان بالقضاء فأبيت، وقال: إن أردت نزلت ماشيا بين يديك أقود بغلتك إلى أن أوصلك إلى بيتك فتوليت، وأعانني الله على القيام به .ولكن أحسست من نفسي أني تأخرت عن مقام الرجال فشكوت إلى بعض الرجال فقال: ما ثم إلا تقديم إن شاء الله تعالى فإن العبد إذا رأى نفسه متقدما فهو متأخر، وإن رأى نفسه متأخرًا فهو متقدم فسكن روعي، وقال: رضي الله عنه ما كان أحد يحملني كما يحملني السلطان قايتباي كنت أحط عليه في الخطبة حتى أظن ما عاد قط يكلمني فأول ما أخرج من الصلاة يتلقاني، ويقبل يدي ويقول: جزاك الله خيرًا فلم تزل الحسدة بنا حتى أوقعوا بيننا الوقعة، وكان ماسكا لي الأدب ما كلمني كلمة تسوءني قط ولقد طلعت له مرة، فأغلظت عليه القول فاصفر لونه فتقدمت إليه وقلت له والله يا مولانا إنما أفعل ذلك معك شفقة عليك، وسوف تشكرني عند ربك، وإني والله لا أحب أن يكون جسمك هذا فحمة من فحم النار، فصار ينتفض كالطير وكنت أقول له أيها الملك تنبه لنفسك فقد كنت عدما فصرت وجودًا، وكنت رقيقا فصرت حرًا وكنت مأمورًا، فصرت أميرًا، وكنت أميرا فصرت ملكا فلما صرت ملكا تجبرت، ونسيت مبدأك ومنتهاك إلى آخره، وقال لي: كان أخي الشيخ علي النبتيتي يجتمع بالخضر عليه السلام، فباسطه يوما في الكلام فقال للخضر عليه السلام: ما تقول في الشيخ يحيى المناوي فقال: لا بأس به فقال: ما تقول في فلان ما تقول في فلان ما تقول في الشيخ زكريا فقال: لا بأس به إلا أن عنده نفيسة[1].

فلما أرسل لي أخي الشيخ علي الضرير بذلك ضاقت على نفسي، وما عرفت الذي أشار إليه بالنفيسة، فأرسلت إلى سيدي علي البتيتي الضرير، فقلت له: إن اجتمعت بالخضر، فاسأله من فضلك على ما أشار إليه بالنفيسة

---

(١) الأصح نفسية كما ورد في بعض المراجع من كتب التصوف مثل كتابنا «الجواهر فيمن رأى الخضر من الأكابر» فليراجع.

فلم يجتمع به مدة تسع شهور فلما اجتمع به سأله، فقال له إذا أرسل تلميذه أو قاصده إلى أحد من الأمراء يقول: له: قال الشيخ زكريا كيت وكيت فيلقب بالشيخ فلما أرسل لي الشيخ بذلك فكأنه حط عن ظهري جبلا، وصرت أقول للقاصد إذا أرسلته إلى أحد من الأمراء والوزراء قل للأمير أو الوزير يقول لك زكريا خادم الفقراء كذا وكذا، وقال لي مرة كنت متعكفا في العشر الأخير من رمضان فوق سطح الجامع الأزهر، فجاءني رجل تاجر من الشام، وقال لي: إن بصري قد كف ودلني الناس عليك تدعو الله أن يرد علي بصري، وكان لي علامة في إجابة دعائي فسألت الله أن يرد عليه بصره فأجابني لكن بعد عشرة أيام فقلت له: الحاجة قضيت، ولكن تسافر من هذا البلد فقال: ما هي أيام تقول فقلت له: إن أردت أن يرد الله عليك بصرك تسافر، وذلك خوفا أن يرد عليه بصره في مصر فيهتكني بين الناس فسافر مع جمال فرد الله عليه بصره في غزة، وأرسل لي كتابا بخطه فأرسلت أقول له متى رجعت إلى مصر كف بصرك فلم يزل بالقدس إلى أن مات بصيرًا، وقد ألبسني الخرقة، ولقنني الذكر من طريق سيدي محمد الغمري، وذكر لي أنه سافر إلى المحلة الكبرى، فأخذ عنه لبس الخرقة، وتلقين الذكر، وقرأ عليه كتابه المسمى بقواعد الصوفية كاملا قال: وكان أصحابه يفرحون بحضوري عنده لأجل سؤالي له لمعاني الكلام فإنهم كانوا لا يتهجمون عليه بالسؤال من هيبته لأنه كان جليل القدر، وكان كثير الصدقة ما أظن أحدًا كان في مصر أكثر صدقة منه كما شاهدته منه، ولكن كان يسرها بحيث لا يعلم أحدًا من الجالسين، وجاءه مرة رجل أسمر، وكان شريفا من تربة قايتباي، فقال له: يا سيدي خطفت عمامتي هذه الليلة وكان حاضرًا الشيخ جمال الدين الصاني، والشيخ أبو بكر الظاهري جابي الحرمين فأعطاه الشيخ جديدًا فرماه في وجه الشيخ وخرج غضبان منه فأعلمت الشيخ بذلك، فقال: هو أعمى القلب الذي جاء بحضرة هؤلاء الجماعة، وكنتُ يوما أطالع له في شرح البخاري فقال لي: قف اذكر لي ما رأيته في هذه الليلة، وقد كنت رأيت أنني معه في مركب قلعها حرير، وحبالها حرير، وفرشها سندس

أخضر، وفيها أرائك، ومتكآت من حرير، والإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه جالس فيها، والشيخ زكريا عن يساره فقبلت يد الإمام الشافعي رضي الله عنه .

ولم تزل تلك المركب سائرة بنا حتى أرست على جزيرة من كبد البحر الحلو، وإذا فواكهها مدلاة في البحر فطلعت من المركب فوجدت بستانا من الزعفران كل نوراة منه كالإسباطة[1] العظيمة، وفيه نساء حسان يجنين منه فلما حكيت له ذلك قال: إن صح منامك يا فلان، فأنا أدفن بالقرب من الإمام الشافعي رضي الله عنه، فلما مات أرسلوا هيؤا له قبرًا في باب النصر فصار الشيخ جمال الدين، والشيخ أبو بكر الظاهري يقولان ما صح منامك يا فلان فبينما نحن في ذلك، وإذ بقاصد الأمير خير بك نائب السلطنة بمصر يقول: إن ملك الأمراء ضعيف لا يستطيع الركوب إلى هاهنا، وأمر أن تركبوا الشيخ على تابوت، وتحملوه للأمير ليصلي عليه في سبيل المؤمنين بالرميلة، فحملوه، وصلوا عليه، فقال: ادفنوه بالقرافة فدفنوه عند الشيخ نجم الدين الخيوشاني تجاه وجه الإمام الشافعي رضي الله عنه، وذلك في شهر الحجة سنة ست وعشرين وتسعمائة.

ومنهم الشيخ علي النبتيتي الضرير رضي الله عنه

كان من أكابر العلماء العاملين، والمشايخ المتكلمين، وكانت مشكلات المسائل ومعضلاتها ترسل إليه من الشام، والحجاز، واليمن وغيرها فيحل مشكلاتها بعبارة سهلة، وكانت العلماء كلهم تذعن له، وكان مقيما ببلده نبتيت بنواحي الخانقاه السرياقوسية، والخلق تقصده من سائر الأقطار، وكان إذا جاء إلى مصر تدلق عليه الناس يتبركون به، وقد اجتمعت به مرات عند شيخنا شيخ الإسلام الشيخ زكريا في المدرسة الكاملية مرات، وحصل لي منه لحظ وجدت بركته في نفسي إلى وقتي هذا، وأسمعني حديث عائشة رضي الله عنها فيمن أرضى الله بسخط الناس إلى آخره، وقال لي: احفظ هذا الحديث فإنك سوف تبتلى بالناس وكان يجتمع[2] بالخضر عليه السلام، وذلك أدل دليل على ولايته، فإن

(١) أى مثل إسباطة الموز، والعامية هنا فى مصر يسمونها سباطة الموز.

(٢) ذكرته - أى سيدى على النبتيتى - فى كتاب الجواهر فيمن رأى الخضر من الأكابر فليراجع وهو مطبوع.

الخضر لا يجتمع إلا بمن حقت له قدم الولاية المحمدية، وسمعته يقول وهو بالمدرسة الكاملية: لا يجتمع الخضر عليه السلام بشخص إلا إن جمعت فيه ثلاث خصال فإن لم تجتمع فيه فلا يجتمع به قط، ولو كان على عبادة الملائكة: الخصلة الأولى أن يكون العبد على سننه في سائر أحواله، والثانية ألا يكون له حرص على الدنيا، والثالثة أن يكون سليم الصدر لأهل الإسلام لا غل، ولا غش ولا حسد، وحكى له عن الشيخ أبي عبد الله التستري أحد رجال رسالة القشيري أنه كان يجتمع بالخضر عليه السلام، ويقول: إن الخضر لا يجتمع بأحد إلا على وجه التعليم له فإنه غني عن علم العلماء لما معه من العلم اللدني، وقد بلغني أن الشيخ عبد الرازق الترابي أحد تلامذته جمع مناقبه نظماً ونثرًا فمن أراد الزيادة على ما ذكرناه فعليه بذلك الكتاب توفي في يوم عرفة سنة سبع عشرة وتسعمائة، ودفن ببلده، وضريحه بها ظاهر يزار، وهذا من نظمه:

ومـــالي لا أنوح على خطائي ... وقـد بارزت جبـار السمـاء
قـرأت كتـابه، وعـصيت سـرا ... لعظم بليـتي، ولشـؤم رائي
بـلائي لا يقـــاس به بـلاء ... وآفـاتي تدل على شـقـائي
فـيـا ذلي إذا مـا قـال ربي ... إلى النيـران سـوقـوا ذا المرائي
فـهـذا كـان يعـصـيني مـرارا ... ويـزعـم أنـه مـن أوليـائي
تصنع للعـبـاد، ولـم يردني ... وكـان يريد بالمعنى سـوائي

إلى أن قال في آخرها:

فـيـا ربي عـبـيـد مـستجـيـر ... يروم العـفـو من رب السـمـاء
حـقـيـر ثم مـسكين فـقـيـر ... بنبـتـيت أقـام على الرياء
علي باسـمـه في الناس يعـرف ... ومـا يدري اسـمـه حـال ابتـداء
فـآنسـه إذا أمـسى وحـيـدا ... رهين الرمس في لحـد البـلاء

ومنهم الشيخ علي بن الجمال النبتيتي رضي الله عنه

أحد أصحاب سيدي أبي العباس الغمري، وكان من الرجال المعدودة في الشدائد، وكان صاحب همة يكاد يقتل نفسه في قضاء حاجة الفقراء، وحج هو وسيدي أبو العباس الغمري، وسيدي محمد بن عنان، وسيدي محمد المنير وسيدي أبو بكر الحديدي، وسيدي محمد العدل في سنة واحدة، فجلسوا يأكلون تمرًا في الحرم النبوي فقال سيدي أبو بكر الحديدي: لا أحد يأكل أكثر من رفيقه، وكانت ليلة لا قمر فيها فلما فرغوا عدوا النوى، فلم يزد واحد على آخر تمرة واحدة، وأخبرني الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري أن الشيخ أبا العباس الغمري رضي الله عنه أودع عنده قفص دجاج، وهو في الريف ليرسله له في القاهرة فتحزم، وتشمر وشاله[1] على رأسه من نبتيت إلى القاهرة، وكان يسافر كل سنة إلى مكة بالحبوب يبيعها على المحتاجين، وكان مشهورًا في مكة بالحواف في البيع لأنه كان يخبر في الثمن بزيادة على الناس، ويقول: لا أبيع إلا بذلك الثمن بنفسه فكل من رضي بذلك الثمن يعلم أنه محتاج فيعطيه، ولا يأخذ له ثمناً، وكل من قال: هذا غال لا يبيعه ويعرف أنه غير محتاج، وكان يفرق كل سنة الثياب على أهل مكة، ويفرق عليهم السكر، وكذلك على أهل المدينة فكل من أخبر الناس بذلك يسترد منه ما أعطاه له، ويقول: يا أخي غلطت فيك هذا ما هو لك، وكان يخلط ماله على الذي يجيئه من الناس باسم الفقراء، ويفرقه ويقول: هذا من مال فلان وفلان، توفي سنة نيف وتسعمائة ودفن في نبتيت في زاويته، ولم أجتمع عليه غير مرة واحدة فدعا لي بأن الله يسترني بين يديه في القيامة، فنسأل الله أن يقبل ذلك رضي الله تعالى عنه .

ومنهم الشيخ عبد القادر بن عنان أخو الشيخ محمد رضي الله عنه

صحبته نحو سبع سنين على وجه الخدمة، وكان يتلو القرآن آناء الليل، وأطراف النهار إن كان يحصد أو يحرث أو يمشي لأن ورده كان قراءة القرآن

---

(١) أى حمله وهى لهجة مصرية قديمة لاتزال تستعمل لحد الآن.

فقط، وكان سيدي محمد بن عنان يقول: الشيخ عبد القادر عمارة الدار والبلاد، وكان رضي الله عنه يغلب عليه الصفاء، والاستغراق تكون تتحدث أنت وإياه فلا تجده معك، ووقائعه كثيرة مع الحكام، ومشايخ العرب لأنه كان كثير العطب لهم، وكان يقول: كل فقير لا يقتل من هؤلاء الظلمة عدد شعر رأسه فما هو فقير[1]. مات سنة العشرين والتسعمائة ودفن ببرهمتوش ببلاد الشرقية، وقبره بها ظاهر يزار رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ محمد العدل رضي الله عنه

صحبته نحو خمس سنين، فكان ذا سمت حسن، وقبول تام بين الخاص والعام، وكان أصله من جماعة سيدي علي الدويب، وكان أخلاه سنة كاملة لا يحضر جمعة، ولا جماعة، فأرسل له الشيخ محمد بن عنان كتابا يقول له فيه: إن لم تخرج للجمعة والجماعة، وإلا فأنت مهجور حتى تموت، فخرج من الخلوة، واجتمع بسيدي محمد بن داود، وسيدي أبي العباس الغمري، وهجر شيخه الدويب، وذلك أن شيخه كان من أرباب الأحوال الذين لا يقتدى بأحوالهم، وكان مقصداً لجماعة سيدى محمد العدل أن يكون من المقتدى بهم وأصل تسميته العدل أنً شخصا رأى رسول الله ﷺ في المنام فقال له قل لمحمد العدل الطناحي يتبع سنتي وينفع الناس فاشتهر بالعدل من ذلك اليوم، ومات ودفن بطناح، وقبره ظاهر يزار رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ محمد بن داود المنزلاوي رضي الله عنه

اجتمعت به مرات، ودعا لي بالبركة في العمر، وذلك أن سيدي خضرًا الذي كان كفلني، وأنا يتيم أخذني بيده، وجاء بي إلى سيدي محمد بن عنان، وكان عنده الشيخ محمد العدل، والشيخ محمد بن داود، والشيخ أبو بكر الحديدي، وقال كل منكم يدعو لهذا الولد دعوة فدعا كل واحد منهم لي دعوة، فوجدت

---

(١) قلت: هى وظيفة كونية خاصة بالأولياء أعطاهم لها رب العباد، وذلك لتنظيف الكون من الظلم والفساد، وهى خاصة بأهل التصريف منهم، قلت: وقد اختفت هذه الخاصية الآن فى الظاهر فى هذا العصر، وإن كانت موجودة فى الباطن.

بركة دعائهم إلى وقتي هذا، وكان سيدي محمد بن داود يضرب به المثل في اتباع الكتاب والسنة، وخدمة الفقراء، والمنقطعين وعدم تخصيص نفسه عنهم بشيء من المأكل، والمشرب، والملبس، وربما كانت زوجته تطبخ له الدجاجة فلا تظهره عليها حتى تنام الفقراء ليأكلها وحده فيأخذها، ويخرج إلى الزاوية، وينبه الفقراء ويفرقها عليهم، وأحواله مشهورة في المنزلة، وولده الشيخ شهاب الدين كان يضرب به المثل في اتباع الكتاب، والسنة، وما رأيت في عصري هذا أضبط منه للسنة، ولا من الشيخ يوسف الحريثي مات بالسمية قرية في بلاد المنزلة، ودفن بزاويته، وقبره ظاهر يزار رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ محمد السروي رضي الله عنه

المشهور بأبي الحمائل أحد الرجال المشهورة في الهمة، والعبادة، وكان يغلب عليه الحال فيتكلم بالألسن العبرانيه، والسريانية، والعجمية وتارة يزغرت في الأفراح، والأعراس كما تزغرت النساء، وكان إذا قال قولا ينفذه الله له، وشكا له أهل بلده من الفأر، وكثرته في مقشأة البطيخ فقال لصاحب المقشأة: رح، وناد في الغيط حسب ما رسم محمد أبو الحمائل إنكم ترحلون أجمعون، فنادى الرجل لهم كما قال الشيخ فلم ير بعد ذلك اليوم منهم ولا فأرًا واحدًا فسمعت البلاد بذلك، فجاءوا إليه فقال: لهم يا أولادي الأصل الإذن من الله، ولم يرد عنهم الفأر وكان مبتلى بزوجته يخاف منها أشد الخوف حتى كان يخلي الفقير في الخلوة فتخرجه من الخلوة بلا إذن من الشيخ فلا يقدر يتكلم[1]، وأخبرتني قبل موتها أنه كان كثيرًا يكون جالسا عندها فتمر عليه الفقراء في الهواء

---

(١) قلت: كان الكثيرون من أهل الله عز وجل مبتلين بأذى زوجاتهم، حتى حكى سيدى ابن عجيبة فى كتابه الفهرست أنه كان يلاقى من زوجته أذى كثيراً، حتى أنها ألقته من على درجات السلم فلم ينطق ولو بحرف، واحد، وعدد الشعرانى فى المنن الأولياء الذين كانوا يؤذون من قبل زوجاتهم، كان منهم سيدى أحمد الرفاعى رضي الله عنه، رآه أحد تلامذته فى مقعد صدق عند مليك مقتدر بسبب أذى زوجته له، وقال له الشيخ: لولا أذاها لى لما رأيتنى فى مقعد صدق، وورد فى مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً سمع زوجة عمر وهى تطيل لسانها عليه ولم يتكلم فسأله الرجل عن سبب سكوته عليها فقال له عمر: لها حقوق علىّ.

فينادونه فيجيبهم، ويطير معهم فلا تنظره إلى الصباح، وكان لا يقرب أحدًا قط إلا بعد تكرار امتحانه بما يناسبه، وجاءه الشيخ علي الحديدي يطلب منه الطريق، فرآه ملتفتا لنظافة ثيابه، فقال: إن كنت تطلب الطريق، فاجعل، ثيابك ممسحة لأيدي الفقراء فكان كل من أكل سمكا أو زفرًا يمسح في ثوبه يده مدة سنة، وسبعة شهور حتى صارت ثيابه كثياب الزياتين أو السماكين وكان فقيهاً موسوسا فلما رأى ثيابه لقنه الذكر وجاء منه في الطريق، وأخذ عنه تلامذة كثيرة، وسمعته يحكي قال: بينما أنا ذات يوم في منارة جامع، فارسكور ليلة من الليالي إذ مر علي جماعة طيارة، فدعوني إلى مكة فطرت معهم، فحصل عندي عجب بحالي فسقطت في بحر دمياط، فلولا كنتً قريبا من البر وإلا كنت غرقت، وساروا وتركوني وكان إذا اشتد عليه الحال في مجلس الذكر ينهض قائما ويأخذ الرجلين، ويضرب بها الحائط، وأخبرني الشيخ يوسف الحريثي قال: رأيت الشيخ محمد السروري وقد حصل له حال في جامع فارسكور فحمل تامور الماء، وفيه نحو الثلاثة قناطير من الماء على يد واحدة وصار يجري به في الجامع، وأخبرني الشيخ علي بن ياقوت أنه سمعه يقول: لقنت نحو ثلاثين ألف رجل ما عرفني منهم أحد غير محمد الشناوي وقد اجتمعت به مرارًا عديدة، وهو في الزاوية الحمراء خارج القاهرة، ولقنني الذكر، ولما دخل مصر سكن بنواحي جامع الغمري، فكنت أقبل يده فيدعو لي فأجد بركة دعوته في نفسي، وكان يكره للمريد قراءة حزب الشاذلية، وأحزاب غيرهم، ويقول: ما رأينا قط أحدًا وصل إلى الله بمجرد قراءة الأحزاب، والأوراد[1]، وكان يقول: نحن ما نعرف إلا لا إله إلا الله بعزم وهمة، وكان يقول: مثال أرباب الأحزاب مثال شخص من أسافل الناس اشتغل بالدعاء ليلا، ونهارًا أن الله تعالى يزوجه بنت السلطان، وكان يقول لجماعة الشيخ أبي المواهب على وجه التوبيخ بلسان حالهم: اجعل لي، واعمل لي، واصطفيني، ولا تخلي أحدًا فوقي، وأحدكم نائم بطول الليل، ومهما وجده من الحرام والشبه يلف ما هكذا درج السلف، وقال: كنت يوما

(١) قلت: هذه وجهة نظره هو، وإلا فكيف لقن رسول الله ﷺ أبا الحسن الشاذلى حزب البحر، وكم لقن النبى ﷺ أولياء أوراداً وأحزاباً ووصلوا بها إلى حضرة ربهم.

أقرأ على الشيخ يحيى المناوي في جامع عمرو بن العاص في خلوة الكتب وقت القيلولة، فدخل علينا رجل في وسطه خيشة محزم عليها بحبل، وهو أسود كبير البطن، فقال: السلام عليكم فقلنا: وعليكم السلام، فقال للشيخ: أيش تعمل بهذه الكتب كلها فقال: أكشف عن المسائل فقال: أما تحفظها فقال له الشيخ: لا فقال أنا أحفظ جميع ما فيها فقلنا له كيف فقال: كل حرف فيها يقول: لك كن رجلا جيدًا ثم خرج فلحقنا منه بهت فخرجنا خلفه فلم نجد أحدًا، وكان رضي الله عنه يغير على أصحابه أن يجتمعوا بأحد من أهل عصره، ويقول: الذي أبنيه تهدونه عند غيري [1]، ولما حج رضي الله عنه اجتمع عليه الناس في مكة من تجار، وغيرهم، وقال لخادمه: نحن جئنا نتجر والا نتجرد للعبادة في هذا البلد، ولا نشتغل بالناس، فإذا كان وقت المغرب امض إلى بيوت هؤلاء الجماعة الذين يأتون إلينا، وقل لهم الشيخ يمسي عليكم، ومحتاج إلى ألف دينار وقل لكل واحد منهم بمفرده، وكل من لقيته قل له هكذا فلم يأت أحد منهم من تلك الليلة وانقطعوا كلهم من ذلك اليوم، فقال الحمد لله رب العالمين، ووقائعه مشهورة بين أصحابه رضي الله عنه ومات رحمة الله عليه بمصر وصلى عليه بالجامع الأزهر، ودفن بزاويته بخط بين السورين في سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ علي نور الدين المرصفي رضي الله عنه

كان من الأئمة الراسخين في العلم، وله المؤلفات النافعة في الطريق، واختصر رسالة القشيري رضي الله عنه، وتكلم على مشكلاتها، وقرأتها عليه بعد قراءتها على الشيخ زكريا رحمه الله تعالى، فكنت أعرض عليه ما سمعته من شرح الشيخ لها فيقره، ويمدحه، ويقول: كان الشيخ زكريا من العارفين، ولكنه تستر بالفقه، وتلقنت عليه الذكر ثلاث مرات متفرقات أول مرة، وأنا شاب أمرد دخلت عليه بعد العصر، فقلت له: يا سيدي لقني الذكر بحال قوي فقال: بسم الله الرحمن الرحيم يا ولدي، وأطرق ساعة، وقال: لا إله إلا الله فما استتمها الشيخ

(١) يقصد بهم أصحاب البدايات، وأما الكامل فلا يخاف عليه، ولذلك يجب على المبتدئ أن يتلقى عن شيخ واحد ويلزم إماماً واحداً، ولا يخلط في الجمع بين الشيوخ، حتى لا يهدم واحد ما يبنيه الآخر.

إلا وقد غبت عن إحساسي فما استفقت إلا المغرب، فلم أجد عندي أحدًا، فمكثت خمسة عشر يوما مطرودًا لا أستطيع الاجتماع به لسوء أدبي معه في قولي لقني بحال قوي الثانية لقنني فسمعت منه لا إله إلا الله ثلاث مرات فعبت كذلك، فرأيت في تلك الليلة كأن الشيخ بيده ثلاث ميابر فغرزها في جلدي إلى آخرها، فلما أفقت ذكرت له ذلك فقال: الحمد لله الذي أظهر أثرها الثالثة لقنني حين لقن الشيخ أبا العباس الحريثي رضي الله عنه لكونه كان أصفى قلبا مني، وأكبر سنا وأعرف بمقام الرجال ثم لا زلت أتردد بصحبته مدة حياة الشيخ رضي الله عنه، وذكر لي سيدي أبو العباس رحمه الله أنه قرأ بين المغرب والعشاء خمس ختمات، فقال الشيخ: الفقير وقع له أنه قرأ في يوم وليلة ثلاثمائة وستين ألف ختمة كل درجة ألف ختمة [1]، وكان رضي الله عنه يقول: إذا وقع من المريد شيء مذموم عند شيخه، وهو محمود عند غيره، فالواجب عليه عند أهل الطريق رجوعه إلى كلام شيخه دون كلام غيره، وإن قام للمريد أن كلام شيخه معارض لكلام العلماء أو دليلهم فعليه بالرجوع إلى كلام شيخه، وأولى إذا كان من الراسخين في العلم، وكان رضي الله عنه يقول: إذا خرج المريد عن حكم شيخه، وقدح فيه فلا يجوز لأحد تصديقه لأنه في حالة تهمة لارتداده عن طريق شيخه وهذا الأمر قل أن يسلم منه مريد طرده شيخه لأنه لضعفه يخاف من تجريحه فيه، وتنقيصه عند الناس حين يرون أن شيخه طرده، وتضيق عليه الدنيا، فلا يجد منفسا إلا الحط في شيخه، والرد عن نفسه بنحو قوله لو رأينا فيه يعني الشيخ خيرًا ما فارقناه، فيزكي نفسه، ويجرح في شيخه، وبذلك يستحكم المقت فيه لا سيما إن اجتمع بعد شيخه على من ينقص شيخه، ويزدريه ويظهر فيه المعايب فإنه يهلك مع الهالكين، ولكن إذا أراد الله بمريد خيرًا جمعه عند غضب شيخه على من يحب شيخه، ويعظمه فإن المريد يندم على شيخه ضرورة، ويرجع إليه، وكان رضي الله عنه يقول: إذا خرج المريد عن حكم شيخه وانقطع عن مجلسه فإن كان سبب

(١) قلت: كان يطوى لهم اللسان الزمانى، كما يطوى التليفون المحمول الزمان المكانى فيكلم الرجل الرجل وهذا فى المشرق وهذا فى المغرب، وليس هذا ببعيد على أولياء الله عز وجل، فإنهم لهم ما يشاؤن عند ربهم وهم أفضل مما لاشك فيه من آلة حديدية كالتليفون المحمول تطوى الزمان المكانى.

ذلك الحياء من الشيخ أو من جماعته لزلة وقع فيها أو فترة حصلت منه فهو كالطلاق الرجعي، فللشيخ أن يقبله إذا رجع لأن حرمة الشيخ في نفس هذا المريد لم تزل لا سيما والمريد أحوج ما يكون إلى الشيخ حال اعوجاجه فينبغي للشيخ التلطف بهذا المريد، وعدم الغلظة عليه، والهجر له إلا أن يكون وثق به لقوة العهد الذي بينه، وبينه .

وكان رضي الله عنه يقول: ليس للمريد أن يسأل شيخه عن سبب غيظه، وهجره له بل ذلك من سوء الأدب، وكان رضي الله عنه يقول: لا يجوز للمريد عند أهل الطريق أن يجيب عن نفسه أبدًا إذا لطخه شيخه بذنب لأنه يرى ما لا يرى المريد فإنه طبيب، وكان يقول: ليس للشيخ أن يبين للمريد صورة الفتح الذي علم من طريق الكشف أنه يئول إليه أمر المريد بعد مجاهداته، وكمال سلوكه [1] لأن المريد إذا حصل معنى صورة ذلك في نفسه. وتكرر شهوده له ربما ادعى الفتح، وباطنه معرى عن ذلك إذ النفس معرضة للخيانة، وعدم الصدق، وكثرة الدعوى، وربما فارق هذا شيخه، وادعى الكمال لعمه بصورة الفتح علما لا حذقاً، ولاً ذوقا كما يظهر المنافق صورة المؤمن في العمل الظاهر، وباطنه معرى عن الموجب لذلك العمل، وكلامه رضي الله عنه غالبه سطرته في كتاب رسالة الأنوار القدسية وغيرها من مؤلفاتي . وكان رضي الله عنه في بداية أمره أمياً، واجتمع بسيدي مدين [2] رضي الله عنه وهو ابن ثمان سنين، ولم يأخذ عنه كما سمعته منه فلما كبر اجتمع بابن أخته سيدي محمد رضي الله عنه، وأخذ عنه الطريق، واجتمعت عليه الفقراء في مصر، وصار هو المشار إليه فيها لانقراض جميع أقرانه، وكان رضي الله عنه من شأنه إذا كان يتكلم في دقائق الطريق، وحضر أحد من القضاة ينقل الكلام إلى مسائل الفقه إلى أن يقوم من كان حاضره ويقول: ذكر الكلام بين غير أهله عورة، ومن وصيته لي إياك أن تسكن في جامع أو زاوية لها وقف، ومستحقون، ولا تسكن إلا في

(١) ومقصوده حتى لا يقع المريد فى الغرور ولا يفلح، ولا يجئ منه شىء فى الطريق، وذلك لأن مقصود المريد الصادق هو الله فقط لا مجرد الفتح، فإن من انشغل بالفتح لم يفتح عليه، ومن انشغل بالله فتح عليه.

(٢) وهو مدين ابن أبى مدين الغوث شيخ ابن عربى. رضى الله تعالى عنهم جميعاً.

المواضع المهجورة التي لا وقف لها لأن الفقراء لا ينبغي لهم أن يعاشروا إلا من كان من حرفتهم، وعشرة الضد تكدر نفوسهم .مات رضي الله عنه ورحمه سنة نيف وثلاثين وتسعمائة، ودفن بزاويته بقنطرة الأمير حسين بمصر، وقبره بها ظاهر يزار رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ تاج الدين الذاكر رضي الله عنه

كان رضي الله عنه وجهه يضيء من نور قلبه ذا سمت حسن، وتجمل بالأخلاق الجميلة تكاد كل شعرة منه تنطق، وتقول: هذا ولي الله، وكان رضي الله عنه يفرش زاويته باللباد الأسود لئلا يسمع وقع أقدامهم إذا مشوا، ويقول: حضرة الفقراء من حضرة الحق لا ينبغي أن يكون فيها علو صوت، ولا حس قوي، وكان أصحابه في غاية الجمال، والكمال، وكان رضي الله عنه له التلامذة الكثيرة، والاعتقاد التام في قلوب الخاص والعام، وكان رضي الله عنه كثير الشفاعات عند السلطان، والأمراء .

وكان رضي الله عنه يمكث السبعة أيام بوضوء واحد كما أخبرني بذلك خادمه الشيخ عبد الباسط الطحاوي قال: وانتهى أمره أنه كان في آخر عمره يتوضأ كل أحد عشر يوما وضوءًا واحدًا قال: وعزم عليه جماعة في جامع طولون ليمتحنوه في ذلك فدعوه إلى ناحية الجيزة في الربيع، وصاروا يعملون له الخراف، والدجاج، واللبن بالرز، وغير ذلك وهو يأكل معهم من ذلك كله ثم لا يرونه يتوضأ لا ليلا ولا نهاراً مدة تسعة أيام فقيل للشيخ في ذلك يا سيدي إنك في امتحان مع هؤلاء فتشوش منهم، وجاء إلى البحر يعدى، فعدى في مركب، والجماعة الممتحنون في مركب فغرقت بهم فأخبروا الشيخ، فقال: لله الحمد ثم تدارك ذلك، وقال: ما وقعت مني قبل ذلك قط قال الشيخ عبد الباسط خادمه رحمه الله تعالى: فمرض الشيخ بسبب هذه الكلمة نحو سبعة وأربعين يوماً، وأخبرني أخي الشيخ الصالح شمس الدين المرصفي رضي الله عنه أنه قال: لي أربعون سنة أصلي الصبح بوضوء العشاء. وقد طويت سجادتي بعدي،ومكث رضي الله عنه خمسا وعشرين سنة لم يضع جنبه على الأرض، وكان رضي الله عنه يقول: ليس القناعة أن يأكل الفقير

كل ما وجد من يسير الخبز والأدم إنما القناعة أن لا يأكل إلا بعد ثلاثة أيام [1] لقيمات يقمن صلبه، وأكثرها خمس ولما حضرته الوفاة قالوا له: يا سيدي من هو الخليفة بعدكم لنعرفه، ونلزم الأدب معه، فقال قد أذنا لفلان وفلان وعد عشرة من أصحابه أن كل من حضر منهم يفتتح الذكر بالجماعة، والطريق تعرف أهلها، ولو هربوا منها تبعتهم، وكان من العشرة سيدي شهاب الدين الوفائي، وسيدي الشيخ إبراهيم، وسيدي الشيخ عبد الباسط، وهم أجل من أخذ عنه، فنسأل الله أن يفسح في أجلهم للمسلمين، وكان رضي الله عنه يقول: لا تصح الصحبة لشخص مع شيخه إلا إن شرب من مشروبه، واتحد به اتحاد الدم في العروق مات رحمه الله تعالى سنة نيف وعشرين وتسعمائة، ودفن بزاويته بجوار حمام الدود خارج باب زويلة وكانت جنازته مشهورة رضي الله عنه آمين .

ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي أبو السعود الجارحي رضي الله عنه

هو من أجل من أخذ عن الشيخ شهاب الدين المرحومي رضي الله عنه، وكانت له في مصر الكرامات الخارقة، والتلامذة الكثيرة، والقبول التام عند الخاص والعام، والملوك، والوزراء، وكانوا يحضرون بين يديه خاضعين، وعملوا بأيديهم في عمارة زاويته في حمل الطوب، والطين، وكان كثير المجاهدات لم يبلغنا عن غيره ما بلغنا عنه في عصره من مجاهداته، وكان ينزل في سرب [2] تحت الأرض من أول ليلة من رمضان فلا يخرج إلا بعد العيد بستة أيام، وذلك بوضوء واحد من غير أكل، وأما الماء، فكان يشرب منه كل ليلة قدر أوقية، وكان رضي الله عنه يقول: إني لا أبلغ إلى الآن مقام مريد ولكن الله تعالى يستر من يشاء، وكان رضي الله عنه إذا سمع كلاما يسمعه بالسمع الباطن، وسمع قائلا يقول: يا سيدي فسدت المعاملة، ونودي على الفلوس بأنها بطالة فصاح، وسقط على وجهه، ونتف لحيته، ومكث يصيح يوما كاملا، وجاءه مريد من بلبيس يريد أن يجتمع به فلم يأذن له فقال: جئتك من مكان بعيد فقال له: تمن علي بمجيئك من موضع بعيد اذهب لا تأتني

(١) سقط فى الكلام والمفروض إضافة كلمة (سوى) فى هذا الموضع.

(٢) يقصد سرداب.

لثلاث سنين، فلم يجتمع به إلا بعد ثلاث سنين ثم قال الشيخ: كان المريد يسافر ثلاث شهور في طلب مسألة في الطريق، ويرى تلك السفرة قليلة، وكان ﷺ يعامل أصحابه بالامتحان، فلا يكاد يقرب منهم أحدًا إلا بعد امتحانه سنة كاملة، وكان يلقي حاله على الفقير فيتمزق، وأخبرني الشيخ شمس الدين الأبوصيري رضي عنه أجل أصحابه قال: لم يزل الشيخ يمتحنني إلى أن مات، وأراني ضرب المقارع على أجنابه من الدعاوي التي كان يدعيها علي عند الحكام قال: وكنت أعترف عند الحكام إيثارًا لجناب الشيخ أن يرد قوله فإذا قال: هذا زنى بجاريتي أقول نعم أو يقول: هذا أراد الليلة أن يقتلني أقول نعم أو يقول: هذا سرق مالي أقول: نعم .

وكان ﷺ يتنكر علينا أوقاتا فلا نكاد نعرفه، وهرب منا إلى مكة، ونحن في الحبس، فلم نشعر به إلى أن وصل إلى مكة، فخرجت أنا وأبو الفضل المالكي في غير أوان الحج فوصلنا مكة في خمسة عشريوماً، فلما وصلنا إلى مكة استخفى منا وأشاع أنه سافر إلى اليمن، فسافرنا إليه خمسة شهور من مكة، فخرج إلينا شخص خارج زبيد، وقال: إن شيخكم في مكة في هذا اليوم فرجعنا فلما بقي بيننا وبين مكة يوم وليلة خرج إلينا، وقال: إن شيخكم باليمن فرجعنا إليه، وقال لنا: إن الذي قال لكم: إن شيخكم بمكة شيطان، فرجعنا إلى اليمن، فخرج إلينا وقال: إن شيخكم بمكة، فلم نزل كذلك ثلاث سنين حتى ظهرلنا أنه بمكة، فأقمنا معه، فادعى علينا دعاوى، وضربونا، وحبسونا، ولم نر منه يوما واحدًا كلمة طيبة، وكان ﷺ يقول: ليس لي أصحاب. **قلت:** وقال لي يوما: من حين عملت شيخا في مصر لي سبع وثلاثون سنة ما جاء لي قط أحد يطلب الطريق إلى الله، ولا يسأل عن حسرة، ولا عن فترة، ولا عن شيء يقربه إلى الله، وإنما يقول: أستاذي ظلمني، وامرأتي تتاكدني جاريتي هربت جاري يؤذيني شريكي خانني، وكلت نفسي من ذلك، وحننت إلى الوحدة، وما كان لي خيرة إلا فيها، فيا ليتني لم أعرف أحدًا، ولم يعرفني[1] أحد . وكان ﷺ إذا غلب عليه الحال نزع

(١) قلت: وهذا يؤذى المشايخ لكونهم قابعين فى حضرة الله عز وجل، وهذا يبعدهم عن الله عز وجل، وهم لا يريدون من يصرفهم عن تلك الحضرة بالمشاغل الدنيوية.

ثيابه، وصار عريانا ليس في وسطه شيء، وجاءه مرة أمير بقفص موز ورمان فرده عليه، فقال: هذا لله تعالى فقال الشيخ: إن كان لله فأطعمه للفقراء، فأخذه الأمير، ورجع به إلى بيته، فأرسل الشيخ فقيرين بصيرًا، وضريرًا، وقال: الحقاه، وقولا له يا أمير أعطنا شيئا لله من هذا الموز، والرمان فتوجها مثل ما قال لهما الشيخ، ولحقاه وقالا له يا أمير أعطنا شيئا لله، فنهرهما، ولم يعطهما شيئا فرجعا، وأخبرا الشيخ بما وقع لهما، فأرسل له الشيخ يقول له: تقول هذا الله، وتكذب على الفقراء، وتنهر من يقول: لك: أعطنا يا أمير شيئاً، فلا عدت تأتينا بعد ذلك اليوم أبدًا، فحصل له العزل، ولحقته العاهات في بدنه. ومات على أسوأ حال، ولما حضرت الشيخ الوفاة أرسل خلف شيخ الإسلام الحنفي وجماعة وقال: أشهدكم علي بأني ما أذنت لأحد من أصحابي في السلوك فما منهم أحد شم رائحة الطريق ثم قال: اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد، وكان رضي الله عنه له شطحات عظيمة، وكان كثير العطب، فكان عطبه للناس بحمية .

مات رحمه الله سنة نيف وثلاثين وتسعمائة، ودفن بزاويته بالكوم الخارج بالقرب من جامع عمرو في السرداب الذي كان يعتكف فيه، وما رأيت أسرع كشفا منه، وحصل لي منه دعوات وجدت بركتها، وكان رضي الله عنه يقول: لا تجعل لك قط مريدًا، ولا مؤلفاً، ولا زاوية وفر من الناس فإن هذا زمان الفرار، وسمعته مرة يقول لفقيه من الجامع الأزهر: متى تصير هاء الفقيه راء، والحمد لله رب العالمين.

ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد المنير رضي الله عنه

أحد أصحاب سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه، وهو الذي أمره بحفر البئر، والسقي منها على الطريق في المحل الذي هو فيه الآن قبل عمارة البلد، فأقام مدة يسقي عليها، وبني لزوجته خصا ثم عمرت الناس حول الخص إلى أن صارت بلدًا، وكان يحج كل سنة ويقدس [1] بعد أن يصل إلى مصر ويقيم شهرًا، وأخبرني رضي الله عنه قبل موته أنه حج سبعة وستين حجة هذا لفظه لي بالجامع

(١) أى يذهب إلى بيت المقدس.

الأزهر، وهو معتكف أواخر رمضان، وكان ﷺ يكره الكلام في الطريق من غير سلوك، ولا عمل ويقول: هذا بطالة، ومكث نحو ثلاثين سنة يقرأ في الليل ختمة، وفي النهار ختمة، وكانت عمامته صوفا أبيض، وكان يلبس البشت المخطط بالأحمر، ويقول: أنا رجل أحمدي تبعا لسيدي إبراهيم المتبولي ﷺ، وترددت إليه في حياته نحو العشرين سنة، وحججت معه الحجة الأولى سنة خمس عشرة وتسعمائة، وكان ﷺ أكثر أوقاته يحج على التجريد ماشياً، وعلى كتفه ركوة يسقي الناس منها، وكان رحمه الله يطوي الأكل والشرب في الطريق، وفي مدة إقامته بمكة والمدينة خوف التغوط في تلك الأماكن، وكان عليه القبول، وكان له شعرة[1] طويلة بيضاء، وكان يحلقها في كل سنة في الحج، وكان رحمه الله يحمل لأهل مكة، والمدينة ما يحتاجون إليه من الزاد، والسكر، والصابون والخيط، والإبر، والكحل لكل واحد عنده نصيب فكانوا يخرجون يتلقونه من مرحلة، وكان سيدي محمد بن عراق ﷺ ينكر عليه، ويقول: هذه الأشياء يحملها من الأمراء وتجار مصر من الحرام والشبهات فبلغه ذلك فمضى إليه حافيا مكشوف الرأس فلما وصل إلى خلوته بالحرم النبوي قبل العتبة، ووقف خاضعاً غاضا طرفه، وقال: يا سيدي يدخل محمد المنير فلم يرد عليه سيدي محمد بن عراق شيئا فكرر عليه القول فلم يرد عليه شيئا فرجع منكسرًا، فلما حكيت هذه الحكاية لسيدي على الخواص حين قدم مع الحاج المصري قال: وعزة ربي قتله، وعزة ربي قتله، فإنه ما ذهب قط لفقير على هذه الحالة إلا وقتله فجاء الخبر بأنه مات بعد خروج الحاج من المدينة بعد عشرين يوما .

قلت: ولما بلغني أنه حضرته الوفاة أخبرت أخي العباس الحريثي، وأخي أبا العباس الغمري، فقالوا: نسافر إليه نعوده، فتوافقنا أن كل من سبق رفيقه بعد الفجر ينتظره في باب النصر، فذهبت فقال لي البواب: إن جماعة وقفوا، وانتظروا هنا ساعة ثم ساروا نحو طريق الخانكة فظننت أنه الشيخ أبو العباس الغمري فرحلت خلفه فرافقني فقير هيئة أهل اليمن وقال: أين قاصد؟ قلت:

---

(١) يعني شعر طويل أبيض.

المنير فقال: وأنا كذلك وكان تحتي حمار أعرج، وكان ذلك في أيام الشتاء، وكان أقصر الأيام فما ارتفعت الشمس إلا ونحن داخلون المنير، فدخلت فوجدت الشيخ محتضرًا له ثلاثة أيام لم ينطق فقال: من أنت؟ قلت: عبد الوهاب فقال يا أخي كلفت خاطرك من مصر فقلت ما حصل إلا الخير فدعا لي دعوات منها أسأل الله تعالى أن يستركَ بستره الجميل في الدنيا والآخرة ثم ودعته بعد الظهر، وأقمت بالخانكة إلى بعد العصر ثم دخل سيدي أبوالعباس، فاعتقد أني ما رحت إلى الشيخ إلى الآن، فقال: اركب فقلت له: إني رحت إلى الشيخ، وسلمت عليه وبالأمارة تحت رأسه مخدة حمراء مصبوغة فهذه كرامة للشيخ، فإن المدة بعيدة من مصر لا يصل المسافر في العادة إليها إلا أواخر النهار .مات رضي الله عنه سنة نيف وثلاثين وتسعمائة رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ أبو بكر الحديدي رضي الله عنه

رفيق المنير في الحج كل سنة، وكان من أكرم الناس، وكان إذا دعا شخصا إلى طعامه، ولم يرض يكشف رأسه ويصير يمشي خلفه حتى يجيبه وكان من أصحاب الشيخ أحمد بن مصلح المنزلاوي أبي الشيخ عبدالحليم، وكانت طريقته سؤال الناس للفقراء سفرًا وحضرًا في طريق الحاج وغيره، وكان رضي الله عنه يحمل لأهل مكة الدراهم، والخام، وما يحتاجون إليه، وهو الذي أشار علي بلبس الصوف الجبب الحمر، والسود من حين كنت صغيرًا بحضرة سيدي محمد بن عنان، والشيخ محمد العدل رضي الله تعالى عنه وعن الجميع، وكان رحمه الله بمرض[1] عسر البول، فكان يصيح كلما يبول، ورأى الشيخ محمدًا العدل رضي الله عنه يحسس على بطن امرأة أجنبية لمرض كان بها فصاح عليه وادياه، وامحمداه الله أكبر عليك يا عدل فقال: والله ما قصدتها بشهوة، فقال له: أنت معصوم نحن ما نعرف إلا ظاهر السنة [2] وقال لي مرة: يا عبد الوهاب قم معي، فخرجت

(١) يوجد سقط فى الكلام ولعل الناسخ أسقط كلمة «مبتلى» وبها يستقيم الكلام.

(٢) ربما كان المعترض أقل مقاماً منه، لكون الذى حسس على بطن المرأة كان ولياً ولم يفعل ذلك إلا عند أمنه وتمكنه أن تصيبه الريب والظنون، وأما الذى اعترض فلايزال فى مقام الخوف =

معه إلى سوق أمير الجيوش، فصار يأخذ من هذا نصفاً، ومن هذا عثمانياً[1]، ومن هذا درهما فما خرج من السوق إلا ومعه نحو أربعين نصفاً، فلقي شخصا معه طبق خبز، فأعطاه ثمنه وصار يفرق على الفقراء والمساكين، وهو ذاهب إلى نحو بين القصرين، وقال: نفعنا الفقراء من هؤلاء التجار على رغم أنفهم ثم صار يعطي هذا نصفاً، وهذاً درهما إلى أن فرغت، وكان معه مقص يقص كل شارب رآه، فإن لم يرض صاحبه يصيح، ويقول: واديناه، وا إسلاماه، وامحمداه إلى أن يقصه غصبا [2] وكان رضي الله عنه الغالب عليه البسط، والانشراح، وكان رضي الله عنه إذا حصل للشيخ محمد بن عنان قبض لا يستطيع أحد أن يكلمه إلا إذا حضر الشيخ أبو بكر الحديدي رضي الله عنه فبمجرد ما يراه يتبسم، ولما حج هو والشيخ أبو العباس الغمري والشيخ محمد بن عنان والشيخ محمد المنير والشيخ علي بن الجمال نزلوا بباب المعلا، فبينا هم جلوس إذ جاءتهم امرأة من البغايا، فقال لها الشيخ ما تبغين، فقالت ما يفعله الرجال بالمرأة، فقال لها اذهبي إلى هذا الرجل يعني سيدي محمد بن عنان فجاءت إليه فقال لها: ما تبغين قالت: ما يفعله الرجل بالمرأة فأخذ العكاز، وقام لها فهربت، فضحك الجماعة فقال: من أرسل لي هذه؟ فقالوا: الشيخ أبو بكر فقال ما حملك على هذا؟ قال: حتى تنظر إليها نظرة بحال تكون سببا لتوبتها عن مثل ذلك فلم تفعل فتبسم الشيخ محمد بن عنان وقال: لا آخذك الله بذلك. توفي بالمدينة النبوية سنة خمس وعشرين وتسعمائة، ودفن بالبقيع، رحمه الله تعالى، ويرحمنا إذا عدنا إليه آمين .

= من ذلك، وشتان ما بين الخائف والآمن، واعلم أن أولياء الله يستحيل فى حق أحدهم أن يحسس على بطن أجنبية بشهوة، وإلا لسقطت عنه رتبة الولاية.

(١) يقصد بها دراهم عثمانية.

(٢) ربما كان يقص شوارب المتكبرين حتى تذل نفوسهم، ويعرفهم من طريق الكشف.

ومنهم شيخي وقدوتي إلى الله تعالى العارف بالله تعالى سيدي محمد الشناوي رضي الله عنه

كان رضي الله عنه من الأولياء الراسخين في العلم أهل الإنصاف والأدب في أولاد الفقراء، وفقد ذلك كله بعد الشناوي، وكان رضي الله عنه يقول: ما دخلت على فقير إلا وأنظر لنفسي دونه، وما امتحنت قط فقيرًا، وكان رضي الله عنه يحكي عن الشيخ عبد الرحيم القناوي رضي الله عنه أنه رأى مرة في عنق كلب خرقة من صوف فقام له إجلالا للخرقة الصوف، وكان رضي الله عنه أقامه الله في قضاء حوائج الناس ليلاً ونهارًا، وربما يمكث نحو الشهر، وهو ينظر بلده، ولا يتمكن من الطلوع لها، وهو في حاجة الشخص، وكان أهل الغربية وغيرها لا أحد يزوج ولده، ولا يطاهره إلا بحصوره، وكان رضي الله عنه يلقن الرجال، والنساء، والأطفال، ويرتب لهم المجالس في البلاد، ويقول: يا فلانة اذكري بأهل حارتك، ويا فلانة اذكري بإخوانك، فجميع مجالس الذكر التي في الغربية ترتيبه، وكان رضي الله عنه يقول: أشعلنا نار التوحيد في هذه الأقطار، فلا تنطفئ إلى يوم القيامة .

ومن مناقبه رضي الله عنه أنه أبطل الشعير الذي كان في بلاد ابن يوسف لأنه كان يموت فيه خلق كثير لأن ابن يوسف كان رجلا عنيدًا ظالماً، وكانً ملتزما بتلك البلاد وكان يلتزم بعليق السلطنة وجميع العساكر من هذا الشعير، وكان لا يقدر أحد يتجاهى [1] عليه وكان يأخذ الناس غصبا من جميع البلاد حتى يموتوا من العطش، فتعرض له سيدي الشيخ محمد الشناوي شفقة على الفقراء والمساكين فكان يجمع تلامذته وأصحابه ويقعد يملخ في الشعير، ويقول: اعتق الفقراء لئلا يموتوا، فتحمل منه ابن يوسف في الباطن، وظن أنه يبطل عادته من البلاد، فأتى إليه بطعام فيه سم فقدمه للشيخ وجماعته فلما جلسوا يأكلون صار دودًا ببركة الشيخ، فتغيظ منه الشيخ وقال: لا بد أن أبطل هذا الشعير ببركة الله تعالى لئلا تهلك الخلق، فكان محبو الشيخ يتفقدونه بالماء والطعام، وهو يقطع في الشعير فكان حمادة الذي بمحلة ديبة لم يقطع الطعام عن الشيخ، وهو

(١) أى يكون له جاه عليه.

ملازم للإرسال له في كل يوم فدعا له الشيخ بالبركة في المال والولد فهو إلى الآن في بركة دعاء الشيخ هو وأولاده، وعزم الشيخ على السفر لبلد السلطان ابن عثمان بسبب ذلك، فرآه السلطان سليمان في داره ليلا وهو راكب حمارته السوداء، وقال له أبطل الشعير الذي ببلاد مصر في درك ابن يوسف، فقال للوزراء ذلك عند الصباح .

فكاتبوا نائب مصر قاسم كزك، فأرسل لهم إن الخبر صحيح والذي رآه السلطان هو الشيخ محمد الشناوي، فأرسل السلطان بإبطال الشعير، فهو إلى الآن بطال ببركة الشيخ رحمه الله، وكانت بهائمه وحبوبه على اسم المحاويج لا يختص منها بشيء، وكان لا يقبل هدايا العمال ولا المباشرين، ولا أرباب الدولة، وأهدى له نائب مصر قاسم كزك أصوافاً، وشاشات، وبعض مال فرده عليه، وقال للقاصد: الفقراء غير محتاجين إلى هذا وعزة ربي عندي جلة البهائم خير من هديتك، وقال للقاصد: لا تعد تأتينا بشيء، وكان رضي الله عنه لم يزل في مقاعده جبائر القطن ملفوفة من كثرة الركوب في حوائج الناس، وما رأيت في الفقراء أوسع خلقا منه، وكان يقول: الطريق كلها أخلاق، وكان إذا جلس إليه أبعد الناس عنه لا يقوم من مجلسه حتى يعتقد أنه أعز أصحابه أو أقاربه من حسن إقباله عليه، وطلع مرة لابنة الخليفة قصرها، فلقنها الذكر، ولقن جواريها ووقعت عصائبهن من كثرة الاضطراب في الذكر . فلما نزل قال: الحمد لله الذي ما كان هناك أحد من المنكرين على هذه الطائفة، وكان أكثر تربيته بالنظر[1] ينظر إلى قاطع الطريق، وهو مار عليه فيتبعه في الحال لا يستطيع رد نفسه عن الشيخ، ورأيت منهم جماعة صاروا من أعيان جماعته، وكان رضي الله عنه إذا افتتح المجلس بعد العشاء لا يختمه في الغالب إلا الفجر، فإذا صلى الفجر افتتح إلى ضحوة النهار، وأخبرني الشيخ محمد السنجيدي قال: كنا إذا زرنا الشيخ محمداً

---

(١) ويقول الصوفية فى ذلك: إن الدجاجة تربى أولادها بالنظر، وقد كان شيخنا عبد المجيد الشريف رضي الله عنه يربى بالنظر، وفى ذات مرة نظر إلى نظرة مهولة فحصل لى بها ما حصل.

وكان من أقطاب النظر أبو يزيد وسيدى أحمد البدوى.

في ابتداء أمره في ناحية الحصة لا نرجع إلا ضعافا من كثرة السهر لأننا كنا نمكث عنده اليومين، والثلاثة، والأربعة لا يمكننا النوم بحضرته لا ليلاً ولا نهارا فإن قراءة القرآن عنده دائماً، فإذ فرغ من القرآن افتتح الذكر فإذا فرغ من الذكر افتتح القرآن، وهذا كان دأبه إلى أن مات رحمه الله .وكان عنده جماعة سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه بمكان، وسمعته مرة يحدثه إلى القبر، وسيدي أحمد يجيبه، وهو الذي أبطل البدع التي كانت الناس تطلع بها في مولد سيدي أحمد البدوي [1] رضي الله عنه من نهب أمتعة الناس، وأكل أموالهم بغير طيبة نفس، وتعلموا أنه حرام، وكانوا قبله يرون أن جميع ما يأخذونه من بلاد الغربية حلال ويقولون هذه بلاد سيدي أحمد، ونحن من فقرائه، وكان يطلعون بالدف، والمزمار، فأبطل ذلك وجعل عوضه مجلس الذكر، فيفتح الذكر من نواحي قحافة، ويجتمع معه خلائق كثيرة يذكرون إلى أن يدخلوا مقام سيدي أحمد، ويحصل للناس بسط عظيم برؤيته، وخشوع، وبكاء ورقة، ومناقبه كثيرة مشهورة بين الناس، وأذن بتلقين الذكر لجماعة قبل وفاته رضي الله عنه، وأنشد:

أهيم بليلي ما حييت، وإن أمت أو كل بليلي من يهيم بها بعدي

فمن الجماعة الشيخ شهاب الدين السبكي رضي الله عنه. ومنهم الشيخ عبد الرحيم المناوي، ومنهم الشيخ أبو العباس الحريثي رضي الله عنه ثم الفقير رحمه الله، وقال: وقد صار معكم الإذن إذا فتح الله عليكم، وأما الآن فتلقوا كلمة لا إله إلا الله تشبها وتبركا بطريق القوم، وكان ذلك في ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة، ودفن بزاويته بمحلة روح، وقبره بها ظاهر يزار معمور بالفقراء، والمجاورين بواسطة ولده الشيخ عبد القدوس، فسح الله في مدته للمسلمين، ولما ودعته بزاوية سيدي محمد بن أبي الحمائل رضي الله عنه قال: ليس هذا آخر الاجتماع لا بد من اجتماعنا مرة أخرى، ولما حضرته الوفاة ما علمت بذلك إلا من وارد ورد علي قال: اذهب إلى محلة روح، فلم أستطع أرد نفسي عن ذلك الخاطر حتى

---

(١) هذا ليعلم أعداء الصوفية أن أقطاب التصرف هم أول من هاجم البدع التى دخلت على التصوف والصوفية وتبرأوا منها وطاردوها.

سافرت إليه تصديقا لقوله لا بد من الاجتماع مرة أخرى، فدخلت عليه فوجدته محتضرًا ففتح عينيه، وقال: أسأل الله أن لا يخليك من نظره، ولا من رعايته طرفة عين، وأن يسترك بين يديه ثم توفي تلك الليلة، ودفن في غفلة من الناس، واقتتل الناس على النعش، وذهلت عقولهم من عظم المصيبة بهم فإنه كان معدًا لتفريج كربهم ساعيا في إرشادهم لخير دنياهم، وخير أخراهم، رضي الله عنه ورحمه.

ومنهم الشيخ عبد الحليم بن مصلح المنزلاوي رضي الله عنه

كان من الأخلاق النبوية على جانب عظيم، وكان كثير التواضع، والازدراء لنفسه، وجاءه مرة شخص يطلب الطريق فقال: يا أخي النجاسة لا تطهر غيرها، وجاءه رضي الله عنه شخص مرة بجبة صوف، وقال: يا سيدي اقبل مني هذه الجبة لأني رأيت رسول الله ﷺ فيها الليلة، وقبلني على صدري، وأنا لابسها فأبى الشيخ، وقال شيء مسه النبي ﷺ لا أقدر على لبسه خوف أن يقع مني معصية، وأنا لابسها، ولكن نتبرك بها فمسح بها على وجهه وردها على صاحبها، وكان رضي الله عنه يربي من كان عنده دعوى بالمسارقة [1] فيقرأ عليه شيئا من أحوال القوم ثم يصير يورد عليه الأسئلة، ويعطف عليه بالجواب بحيث يظن أن ذلك الفقير هو الشيخ، والشيخ هو المريد، وجاءه شخص من اليمن فقال أنا مأذون لي في تربية الفقراء من شيخي، فقال الشيخ عبد الحليم: الحمد لله الناس يسافرون في طلب الشيخ ونحن الشيخ جاء عندنا فتلقن على اليماني، ولم يكن بذاك، وكان الشيخ يعلمه في صورة المتعلم إلى أن كمله وزاد حاله ثم كساه عند السفر، وزوده، وصار يقبل رجل اليماني، ويقول: صرنا محسوبين عليكم، ولقيه رجل من أرباب الأحوال، وكان مشهورًا بالكرامات، فقال: يا عبد الحليم أنت مسكين ما كنت أظن مع هذه الشهرة أنك عاجز هكذا ثم قبض هو دراهم من الهواء،

---

(١) أى كان يربى المريدين بالنظر وهو الذى يقصد به المسارقة، وقد كان شيخنا عبد المجيد الشريف رضي الله عنه يربى به، وقد ظل ١٠ سنين لا يكلمنى ولا أكلمه وأنا معه فى الزاوية ليس بيننا إلا النظر حتى بدأنى هو بالكلام، واحتج الصوفية فى ذلك بأن الدجاجة تربى أولادها بالنظر وهو أقوى أنواع التربية.

وأعطى الشيخ عبد الحليم فأثر ذلك في سيدي الشيخ عبد الحليم ثم قال له يا عبد الحليم اشتغل بالله تعالى حتى تصير الدنيا في طوعك هكذا، فانقطع الشيخ عبد الحليم في الخلوة تسعة شهور يقرأ في الليل ختماً، وفي النهار ختما ثم خرج ينفق من الغيب إلى أن مات، وأقمت عنده في زاويته نحو سبعة وخمسين يوما فما رأيت الفقراء احتاجوا إلى شيء إلا ويخرج لهم من كيس صغير كعقدة الإبهام جميع ما يطلبونه ورأيته بعيني قبض منه ثمن خشب من دمياط نحو خمسين دينارًا، وكان ﷺ لا يسأله فقير شيئا إلا أعطاه حتى يخرج بعمامته وجبته فيرجع بالفوطة في وسطه، وعمر ﷺ عدة جوامع في البحر الصغير، وله جامع بالمنزلة فيه فقراء، ومجاورون، وفيه سماط على الدوام، ومارستان للضعفاء من الفقراء، والغرباء والمستضعفين، وكراماته كثيرة مشهورة في بلاده ﷺ .مات رحمه الله سنة نيف وثلاثين وتسعمائة، وكان ﷺ لا يخصص نفسه بشيء من الهدايا الواصلة إليه بل أسوته بأسوة الفقراء في ذلك، واجتمع عنده في زاويته نحو المائة نفس، وهو يقوم بأكلهم، وكسوتهم من غير وقف إنما هم على ما يفتح الله عز وجل، ولما وقف الناس عليه الأوقاف أخبرني أن الحال ضاق على الفقراء، وقال: تعرف سببه؟ قلت: لا فقال: لركون الفقراء إلى المعلوم من طريق معينة، وكانوا قبل ذلك متوجهين بقلوبهم إلى الله تعالى، فكان يرزقهم من حيث لا يحتسبون ومن مناقبه أنه نصب عليه شخص مرة وأخذ منه أربعمائة دينار يبني بها بئر ساقية، ويجعل عليه سبيلا في طريق غزة، وقال: إن الناس محتاجون إلى ذلك فأخذ الفلوس تزوج بها وفتح له دكانا بها فلما استبطأه الشيخ أرسل خلفه جماعة فأخرج لهم إبريق ماء حلو، وقال لهم: هذا من ماء البئر والناس يدعون للشيخ كثيرًا فلما ورد على الشيخ جماعة مسافرون سألهم عن البئر فقالوا ليس هناك شيء، فأرسل يطلبه، فجاء فقال له الشيخ: ما فعلت بالفلوس، فقال للشيخ: الماء الذي أرسلته لك في الإبريق وقلت إنه من البئر فإن هذا الكلام لا حقيقة له، وإني تزوجت بالفلوس، فأراد الفقراء حبسه، فمنعهم الشيخ، وقال: الدنيا كلها لا تساوي إرعاب مسلم، وخلى سبيله،

وكان رضي عنه شديد المحبة لي حتى قال لي مرة: لا أحب أحدًا في مصر مثلك أبدًا، ﷺ وأرضاه، ورحمنا به آمين.

ومنهم الشيخ علي أبو خودة ﷺ

كان ﷺ من أرباب الأحوال، ومن الملامتية، وكان ﷺ يتعاطى أسباب الإنكار عليه قصدًا، فإذا أنكر عليه أحد عطبه، ورايته خارج باب الشعرية، وهو يقول لخادمه: أيش قلت من يخلي هذا الرجل هراره في رجليه يعني الشيخ عبد القادر الدشطوطي، فلما مر عليه كركبت [1] بطن الشيخ عبد القادر، وساح هراره [2] على المسطبة التي كان قاعدًا عليها، فقال الله يلقيك فعرف أنه أبو خودة ﷺ، وكان الشيخ عبد القادر قد كف بصره، وكانت خودة سيدي على من الحديد، وكان زنتها قنطارًا وثلثا لم يزل حاملها [3] ليلاً ونهارًا، وكان شيخا أسمر قصيرًا، وكان معه عصا لها شعبتان كل من زاحمه ضربه بها وكان ﷺ يهوى العبيد السود والحبش لم يزل عنده نحو العشر يلبسون الخود لكل واحد منهم حمار يركبه فكانوا هم جماعته كل موضع ركب يركبون معه، وما رآه أحد يصلي مع الناس إلا وحده .

وكان إذا حضر السماع يحمل المنشد، ويجري به كالحصان، وأخبرني الشيخ يوسف الحريثي ﷺ قال: كنت يوما في دمياط، فأراد السفر في مركب قد انوسقت، ولم يبق فيها مكان لأحد فقالوا للريس إن أخذت هذا غرقت المركب لأنه يفعل في العبيد الفاحشة، فأخرجه الريس من المركب فلما أخرجوه من المركب قال: يا مركب تسمري، فلم يقدر أحد يسيرها بريح، ولا بغيره، وطلع جميع من فيها، ولم تسر، وأخبرني أيضا أنه نزل معه في مركب، فمرس عليها الريح فضربها بعكازه فلم تتزحزج فنزل هو وعبيده يمشون على الماء إلى أن وصلوا إلى شربين، والناس ينظرون ذلك .

(١) هى لفظة قديمة لاتزال تستعمل إلى اليوم بمصر بين الناس، ومعناها أصاب بطنه الإسهال.

(٢) الهرار: هو البراز، ولا تزال تستعمل هذه اللفظة لحد الآن بمصر.

(٣) فى الحقيقة أن هذه الخوذة الثقيلة التى كان يحملها فوق رأسه هى أحمال الخلق التى كان يتحملها عنهم.

وكان رضي الله عنه يخرج خلفه على قرقماش أمير كبير كان أيام الغوري، فيضربه بحضرة جنده فإذا آلمه الضرب يهرب منه فيتبعه، فإذا قفل عليه الباب خلعه فلا يستطيع أحد أن يرده حتى يرجع هو بنفسه [1] واجتمعت به مرات عديدة مات سنة نيف وعشرين وتسعمائة، ودفن بزاويته بالحسينية بالقرب من جامع الأمير شرف الدين الكردي رضي الله عنه، ورحمنا به والمسلمين .

ومنهم الشيخ محمد الشربيني رضي الله عنه

شيخ طائفة الفقراء بالشرقية كان من أرباب الأحوال، والمكاشفات، وكان رضي الله عنه يتكلم على سائر أقطار الأرض كأنه تربى فيها، ورأيته مرة وهو لابس بشتا من ليف، وعمامته ليف، ولما ضعف ولده أحمد، وأشرف على الموت، وحضر عزرائيل لقبض روحه قال له الشيخ: ارجع إلى ربك فراجعه، فإن الأمر نسخ فرجع عزرائيل، وشفي أحمد من تلك الضعفة، وعاش بعدها ثلاثين عاماً ، وكراماته كثيرة، وكان رضي الله عنه يخرج من بلده شربين كل ليلة من المغرب لا يرجع إلى الفجر لا يعلمون إلى أين يذهب، وكن الأمير قرقماش وغيره من الأمراء يعتقدونه اعتقادًا زائدًا، وعمر له زاوية عظيمه، ولم تكمل، وكان من طريقته أنه يأمر مريديه بالشحاتة على الأبواب دائما في بلده، ويتعممون بشراميط [2] البرد السود والحمر والحبال وكان الشيخ محمد بن عنان وغيره ينكرون عليه لعدم صلاته مع الجماعة، ويقول: نحن ما نعرف طريقا تقرب إلى الله تعالى إلا ما درج عليه الصحابة، والتابعون، وكان يقبض من الهواء كل شيء يحتاجون إليه للبيت، وغيره ويعطيه لهم، وأخبر بدخول ابن عثمان السلطان سليم قبل دخوله بسنتين، وكان يقول: أتوكم محلقين [3] اللحاء، فكان الناس يضحكون عليه لقوة

---

(١) هذا ليعلم الناس مدى تحكم الأولياء فى تلك الفترة فى الملوك والأمراء، وخوفهم منهم أن يتصرفوا فيهم إذا عارضوهم فى أى شيء.

(٢) أى الخرق البالية ولاتزال تستعمل هذه الكلمة فى مصر بين العامة.

(٣) وهذا يدل على قوة كشف الأولياء للحوادث المستقبلية وزوال هذه السنة، وعلى استشراء حلق اللحى كما هو حادث الآن بين الناس، من نحو اختفاء سنة اللحية وتفشى حلقها، وهو يدل على =

التمكين الذي كانت الجراكسة عليه، فما كان أحد يظن انقراضهم في مدة يسيرة .مات رحمه الله تعالى قبل العشرين، والتسعمائة ودفن بزاويته بشربين، وقبره بها ظاهر يزار رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ علي الدويب رضي الله عنه

بنواحي البحر الصغير كان رضي الله عنه من الملامتية الأكابر، وأرسل لي السلام مرات، ولم أجتمع به إلا في النوم، ذلك أني سمعت قائلا يقول: لا إله إلا الله على الدويب قطب الشرقية، وما كنت سمعت اسمه فسألت جماعة الشيخ محمد بن عنان فأخبروني به، وقالوا له وجود، وهو شيخ الشيخ محمد العدل الطناحي، وكان يلبس عمامة الجمالين ونعلهم، وعمر أكثر من مائة سنة رضي الله عنه، وكان مقيما في البرية لا يدخل بلده إلا ليلا، ويخرج قبل الفجر، وكان رضي الله عنه يمشي على الماء في البحر، وما رآه أحد قط نزل في مركب، وجاء إلى مصر أقام بها عشرين سنة، وكان لم يزلْ واقفا تجاه المارستان بين القصرين من الفجر إلى صلاة العشاء، وهو متلثم وبيده عصا من شوم ثم تحول إلى الريف وظهرت له كرامات خارقة للعادة وكان رضي الله عنه يقول: فلان مات في الهند أو في الشام أو في الحجاز فبعد مدة يأتي الخبر كما قال الشيخ، ولما مات رأوا في داره نحو المائة ألف دينار، وما علموا أصل ذلك، فإنه كان متجردًا من الدنيا، فأخذها السلطان .مات رحمه الله بالقباب بالشرقية، ودفن في داره رحمه الله سنة سبع وثلاثين وتسعمائة رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ أحمد السطيحة رضي الله عنه

كان من الرجال الراسخين صحبته عشرين سنة، وأقام عندي أياماً، وليالي، وكان رضي الله عنه يقول: ما أحببت أحدًا في عمري قدرك، وكان رضي الله عنه على قدم الشيخ

= أن الأتراك كان لهم دور كبير فى انطماس سنة إعفاء اللحى بين الناس ثم قضى على تلك السنة أكثر دخول الفرنسيين إلى مصر والإنجليز واقتداء الحكام بهم فى حلق لحاهم ثم عامة الناس.

أحمد الفرغل رضي الله عنه في لبسه كل جمعة مركوبا جديدًا يقطعه مع أنه سطيحة [1] لا يتحرك، وكان رضي الله عنه يتكلم في الخواطر، ويقضي حوائج الناس عند الأمراء، وولاة الأمور، وطريقه مخلاة بلا معارض، ووقعت له كرامات كثيرة منها: أن أم زوجته تسللت عليه ليلة فرأته قد انتصب قائماً سليما من الكساح كأحسن الشباب، فلما شعر بها زجرها، فخرست وتكسحت وعميت إلى أن ماتت، وكان رضي الله عنه لم يزل في عصمته أربع نساء، وكانت كفه ألين من العجين خفي الصوت لا يتكلم إلا همسا كثير المباسطة خفيف الذات، ولما وردت عليه من بلد سيدي أحمد البدوي قال: كم نفر معك فقلت: سبعة قال: قل [2] بيت الوالي ثم ضيفنا ضيافة كثيرة تلك الليلة، وكان على زاويته الوارد كثيرًا يعشي، ويعلق [3] على البهائم، وله زرع كثير، والناس تقصده بالهدايا من سائر البلاد، وكان يحضنه خادمه على الفرس كالطفل، وله طرطور جلد طويل، وله زناق [4] من تحت ذقنه، ويلبس الجبب الحمر، وكانت آثار الولاية لائحة عليه إذا رآه الإنسان لا يكاد يفارقه، وحاكى إنسان به، وعمل له طرطورًا، وركب على فرس في حجر خادم، فانكسرت ركبته فصاح اذهبوا بي إلى الشيخ أحمد السطيحة فأتوه به فضحك الشيخ عليه، وقال: تزاحمني على الكساح تب إلى الله، ورقبتك تطيب فتاب واستغفر، فأخذ الشيخ زيتاً، وبصق فيه، وقال: ادهنوا به رقبته فدهنوها فطابت، وكانت وارمة مثل الخلاية فصارت تنقص إلى أن زال الورم، وقلع الطرطور، وصار يخدم الشيخ إلى أن مات، وكان من بلد تسمى بطا، وكان ببولاق فنزل في مركب ليسافر، وكان الريس لا يعرفه، فطلعه هو وجماعته فلما أن طلع

---

(١) هذه الكلمة لاتزال تستعملها العوام فى مصر لحد الآن ويقولون: فلان نايم سطحية أى لا حراك به مثل سطح البيت.

(٢) أى اقض القيلولة.

(٣) أى يضع لهم العليق وهو أكل البهائم، ولاتزال تستعمل العوام هذه الكلمة بمصر لحد الآن لاسيما فى الصعيد والأرياف.

(٤) الزناق هما الخيطان الخارجان منه واللدان يربطان تحت الذقن حتى لا يقع.

الشيخ انخرقت المركب، وغرقت بجانب البر، فأخذوا بخاطر الشيخ، فقال الشيخ للريس: سد خرق مركبك فإننا لم نعد ننزل معك، ومن مناقبه رضي الله عنه أن بعض الفلاحين سخر بطرطوره، وأكل شوك اللحلاح، فوقفت شوكة في حلقه فمات في الحال، وخطب مرة بنتا بكرًا فأبت، وقالت: أنا ضاقت علي الدنيا حتى أتزوج بسطيحة فلحقها الفالج فلم ينتفع بها أحد إلى أن ماتت، وطلبته بنت بنفسها فقال لها البنات: يا امرأة المكسح، وعايروها فدخل بها الشيخ، وأزال بكارتها، وساح الدم حتى ملأ ثيابها ووضعوا ثوبها بالدم على رمح في الدار لينظره الناس [1]، ومن كراماته أنه شفع عند أمير من الأمراء كان نازلا بمنف فقبل شفاعته فلما خرج من عنده رجع، وحبس الرجل ثانياً، فطلعت في رقبته غدة فخنقته فمات في يومه، ومن كراماته أن امرأة تكسحت، وعجز الأطباء عن دوائها مدة أربع سنين فدخل الشيخ لها، وبصق في شيء من الزيت، وقال: ادهنوا بدنها فدهنوها في حضرة الشيخ فبرئت وحضر مجلس سماع في ناحية دسوق فطعنه فقير عجمي تحت بزه فقال: طعنني العجمي ثم قال يا رب خذ لي حقي فأصبح العجمي مشنوقا على حائط لا يدرون من شنقه، ومن كراماته أنه وقف على باب زاويتي مرة، وهو في شفاعة عند الباشا فقال: يكون خاطركم معنا في هذه الشفاعة، فأخذتني حالة فرأيت نفسي واقفا على باب الكعبة فقال: يا هوه أبعدت عنا، وكان رضي الله عنه يعرف سريان القلوب وكان رضي الله عنه صائم الدهر، وتوفي سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة ودفن بزاويته بشبرى قبالة الغربية وقبره ظاهر يزار، وكان يدعو عليها بالخراب، وعلى أهلها الذين كانوا ينكرون عليه فوقع بينهم القتل وخربوا، وهي خراب إلى وقتنا هذا فقلت له: الفقير يعمر بلده، والا يخربها فقال: هؤلاء منافقون وفي حصادهم مصلحة للدين[2] فنسأل الله أن يحفظنا من الشيطان، والحمد الله وحده.

---

(١) قلت: هذه العادة لاتزال موجودة بمصر عند العوام لاسيما فى المناطق الشعبية وفى الفلاحين وهى عرض دم البكارة والتباهى بخروجه وإثبات عذرية البنت.

(٢) الولى هنا لا ينفذ سوى قدر الله عز وجل فى خلقه، ولا يخرج عن العلم الإلهى لمجرد هوى =

ومنهم الشيخ بهاء الدين المجذوب رضي الله عنه

المدفون بالقرب من باب الشعرية بزاويته، كان رضي الله عنه من أكابر العارفين، وكان كشفه لا يخطئ، وكان رضي الله عنه أولاً خطيبا في جامع الميدان، وكان أحد شهود القاضي، فحضر يوما عقد زواج فسمع قائلا يقول: هاتوا لنا رجال الشهود، فخرج هائما على وجهه، فمكث ثلاثة أيام في الجبل المقطم لا يأكل، ولا يشرب ثم ثقل عليه الحال فخرج بالكلية، وكان رضي الله عنه يحفظ البهجة فكان لا تزال تسمعه يقرأ فيها، وذلك أن كل حالة أخذ العبد عليها يستمر فيها، ولو خرج عنها يرجع إليها سريعا حتى إن من المجاذيب من تراه مقبوضا على الدوام لكونه جذب على حالة قبض، ومنهم من تراه مبسوطاً، وهكذا، وكان الشيخ فرج المجذوب رضي الله عنه لم يزل يقول: عندك رزقة فيها خراج ودجاج وفلاحون لكونه جذب وقت اشتغاله بذلك، وزمن المجذوب من حين يجذب إلى أن يموت زمن فرد لا يدري بمرور زمان عليه، ورأيت ابن البجائي رضي الله عنه لم يزل يقول: الفاعل مرفوع، والمخفوض مجرور، وهكذا لأنه جذب، وهو يقرأ في النحو، ورأيت القاضي ابن عبد الكافي رضي الله عنه لما جذب لم يزل يقول وهو في بيت الخلاء وغيره: ولا حق ولا استحقاق، ولا دعوى، ولا طلب[1]، ولا غير ذلك، ومن وقائعه رضي الله عنه أننا حضرنا يوما معه وليمة فنظر للفقهاء في الليل، وزعق فيهم، وقال: لهم: كفرتم بكلام الله ثم حذفهم بقلة من الماء كانت بجنبه فصعدت إلى نحو السقف ثم نزلت فقال فقيه منهم: كسر القلة فقال له: كذبت فوقعت على الأرض صحيحة كما كانت، فبعد خمس عشرة سنة رأى الفقيه فقال له: أهلا بشاهد الزور الذي يشهد أن القلة انكسرت، ومكاشفاته مشهورة بين الأكابر بمصر من المباشرين وعامة الناس .مات رحمه الله سنة نيف وعشرين وتسعمائة رضي الله عنه وأرضاه آمين .

= أو نفس وإلا سحب منه التصريف فى الكون فافهم.

(١) وراجع فى ذلك كتابنا المسمى طبقات المجاذيب تجد فيه ما يشفى غليلك وهو مطبوع.

ومنهم الشيخ عبد القادر الدشطوطي رضي الله عنه

كان من أكابر الأولياء رضي الله عنه صحبته، نحو عشرين سنة، وحصل لي منه نفحات وجدت بركتها وكان صاحياً ، وهيئته هيئة المجاذيب رضي الله تعالى عنه، وكان مكشوف الرأس حافيا ، ولما كف صار يتعمم بجبة حمراء،وعليه جبة أخرى فإذا اتسخت تعمم بالآخرى، واجتمعت به في أول يوم من رمضان سنة اثنتي عشرة وتسعمائة، وكنت دون البلوغ، فقال: اسمع من هذه الكلمات، واحفظها تجد بركتها إذا كبرت فقلت له: نعم فقال يقول الله عز وجل: يا عبدي لو سقت إليك ذخائر الكونين فملت بقلبك إليها طرفة عين فأنت مشغول عنا لابنا فحفظتها فهذه بركتها .وقال لي أمورًا أخر لم يأذن لي في إفشائها، وكان يسمى بين الأولياء صاحب[1] مصر، وقالوا: إنه ما رؤى قط في معدية إنما كانوا يرونه في مصر والجيزة، وحج رضي الله عنه ماشيا حافياً ، وأخبرني الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري رحمه الله أنه لما وصل إلى المدينة المشرفة وضع خده على عتبة باب السلام، ونام مدة الإقامة حتى رجع الحج، ولم يدخل الحرم[2]، وعمر عدة جوامع في مصر، وقراها، وكان رضي الله عنه له القبول التام عند الخاص، والعام وكان السلطان قايبتاي يمبرغ وجهه على أقدامه.

ومن مناقبه أنهم زوروا عليه برجل كان يشبهه، فأجلسوه في تربة مهجورة في القرافة ليلا، وراحوا إلى السلطان، وقالوا له: إن سيدي عبد القادر الدشطوطي يطلبك في بالقرافة ليلا فنزل إليه، وصار يقبل أقدامه فقال الرجل المزور عليه: الفقراء محتاجون لعشرة آلاف دينار فقال السلطان: بسم الله فمضى ثم أرسلها له فبلغ السلطان أنهم زوروا عليه، فأرسل خلف المزور فضربه

(١) لأنه كان قطب مصر فى ذلك الوقت.

(٢) هى إشارة إلى تعظيم رب المشاعر لا المشاعر نفسها كما قالت رابعة عن الكعبة لما رأتها: ما هذا الصنم الذى يعبد من دون الله، وكذلك اشتهر عن أبى يزيد رضي الله عنه بأنه لما ذهب إلى الحج رأى رب البيت ولم ير البيت.

أقول: وهى أحوال صادقة قاهرة تتتاب ساداتنا من العارفين فيفارون على الحق أن يشركوا به شيئاً معه.

إلى أن مات، وكان من شأنه التطور، وحلف اثنان أن الشيخ نام عند كل منهما إلى الصباح في ليلة واحدة في مكانين، فأفتى شيخ الإسلام الشيخ جلال الدين السيوطي بعدم وقوع الطلاق[1]، وأخبرني الأمير يوسف بن أبي أصبغ قال: لما أراد السلطان قايتباي أن يسافر إلى بحر الفرات استأذن الشيخ عبد القادر الدشطوطي في السفر، فأذن له قال الأمير يوسف: فكنا طول الطريق ننظره يمشي أمامنا، فإذا أراد السلطان ينزل إليه يختفي، فلما دخلنا حلب وجدنا الشيخ رضي الله عنه ضعيفا بالبطن في زاوية بحلب مدة خمس شهور، فتحيرنا في أمره رضي الله عنه، ودخلت عليه، وأنا شاب أعزب. فقال لي: تزوج، واتكل على الله خذ بنت الشيخ محمد بن عنان فإنها صبية هائلة، فقلت ما معي شيء من الدنيا فقال: بلى قل: معي (أشرفي) قل: اثنان قل: ثلاثة معي قل: أربعة قل: خمسة، وكان لي عند شخص بنواحي المنزلة ذلك القدر فحسبه الشيخ، وكنت أنا ناسيه ثم أذن الظهر فتغطى الشيخ بالملاية، وغاب ساعة ثم تحرك ثم قال: الناس معذورون يقولون عبد القادر ما يصلي والله ما أظن أني تركت الصلاة منذ جذبت، ولكن لنا أماكن نصلي فيها[2] فقلت للشيخ محمد بن عنان رضي الله عنه فقال: صدق له أماكن إنه يصلي في الجامع الأبيض برملة لد، وسمعته مرة يقول: كل من قال: السعادة بيد أحد غير الله كذب، وإني كنت جهدان في الدنيا يضرب بي المثل فحصل لي جاذب إلهي، وصرت أغيب اليومين، والثلاثة ثم أفيق أجد الناس حولي، وهم متعجبون من أمري ثم صرت أغيب العشرة أيام، والشهر لا آكل، ولا أشرب فقلت: اللهم إن كان هذا وارد منك فاقطع علائقي من الدنيا فمات الأولاد، ووالدتهم، والبهائم، ولم يبق أحد دون أهل البلد، فخرجت سائحا

---

(١) وذلك لأخذه بظاهر الشرع وإن كان الحدث صحيحاً، فإنه يجب على الفقيه الذب عن ظاهر الشرع، وقد كان العز بن السلام ينكر على الشيخ محيى الدين بن عربى رضي الله عنه أمام الناس فإذا خلا بنفسه قال: هو سلطان العارفين فسئل عن السبب فقال: أذب عن ظاهر الشرع.

(٢) اختص الحق سبحانه أحبابه من الأبدال وغيرهم بالصلاة مع بعضهم البعض بالانتقال والتجمع فى أماكن معينة كما هو مشهور عن سيدى أحمد البدوى وغيره من أهل الله، يذهبون إلى تلك الأماكن ويعودون بالخطوة.

إلى وقتي[1] هذا فهل كان ذلك في قدرة العبد، قلت له لا، وسمعته يقول للشيخ جلال الدين البكري: يا جلال الدين وقفنا هذا كله للفقراء، والمساكين، والمتكشفين الركب، وكأني بك، وقد جاءوا إليك بسياق فلان، وفلان اجعل لهذا وظيفة فتخرب المكان، وكان رضي الله عنه عالما بأحوال الزمان، وما الناس عليه، وكان رضي الله عنه أكثر ما ينام عند شخص نصراني في باب البحر فيلومه الناس، فيقول: هذا مسلم، ومن بركته أسلم النصراني على يديه، وحسن إسلامه، وسمعته يقول: وقد سأله الشيخ شمس الدين البهنسي عن جماعة في مصر من الفقراء الذين في عصره فقال: يا ولدي هؤلاء بعيدون عن الطريق والله ما يذوقون قشر الطريق فضلا عن لبها، ولما دنت وفاته أكثر من البكاء، والتضرع وكان يقول للبناء الذي يبنى في القبة: عجل في البناء، فان الوقت قد قرب فمات، وبقي منها يوم فكملت بعده، ودفن في قبره وأوصي أن لا يدفن عليه أحد، وأوصى أن يعمل فوقه وجانبه مجاديل حجر حتى لا تسع أحدًا يدفن معه مات سنة نيف وثلاثين وتسعمائة وصلى عليه ملك الأمراء خير بك، وجميع الأمراء، وأكابر مصر، وكراماته مشهورة في مصر، والبلاد التي كان يمر فيها رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي حسن العراقي رضي الله عنه

المدفون بالكوم خارج باب الشعرية رضي الله عنه بالقرب من بركة الرطلي وجامع البشيري ترددت إليه مع سيدي أبي العباس الحريثي، وقال أريد أن أحكي لك حكايتي من مبتدأ أمري إلى وقتي هذا كأنك كنت رفيقي من الصغر، فقلت له: نعم فقال كنت شابا من دمشق، وكنت صانعاً، وكنا نجتمع يوما في الجمعة على اللهو واللعب والخمر، فجاءني التنبيه من الله تعالى يوما ألهذا خلقت؟ فتركت ما هم فيه، وهربت منهم فتبعوا ورائي فلم يدركوني، فدخلت جامع بني أمية، فوجدت شخصا يتكلم على الكرسي في شأن المهدي عليه السلام، فاشتقت إلى لقائه فصرت لا أسجد سجدة إلا وسألت الله تعالى أن يجمعني عليه فبينما أنا

(١) قلت: وحاله هذا يشبه حال صاحبنا الشيخ محمد أبى بطانية رضي الله عنه بصعيد مصر فإنه هجر الأهل والولد والمال والوطن وساح فى أرض الله.

ليلة بعد صلاة المغرب أصلي صلاة السنة، وإذا بشخص جلس خلفي، وحسس على كتفي، وقال لي: قد استجاب الله تعالى دعاءك يا ولدي مالك أنا المهدي فقلت تذهب معي إلى الدار، فقال نعم، فذهب معي، فقال: أخل لي مكانا أنفرد فيه فأخليت له مكانا فأقام عندي سبعة أيام بلياليها، ولقنني الذكر، وقال أعلمك وردى تدوم عليه إن شاء الله تعالى تصوم يوماً، وتفطر يوماً، وتصلي كل ليلة خمسمائة ركعة، فقلت: نعم فكنت أصلي خلفه كل ليلة خمسمائة ركعة وكنت شابا أمرد حسن الصورة فكان يقول: لا تجلس قط إلا ورائي فكنت أفعل، وكانت عمامته كعمامة العجم، وعليه جبة من وبر الجمال فلما انقضت السبعة أيام خرج، فودعته، وقال لي: يا حسن ما وقع لي قط مع أحد ما وقع معك فدم على وردك حتى تعجز، فإنك ستعمر عمرًا طويلا انتهى كلام المهدي[1].

قال: فعمري الآن مائة وسبعة وعشرون سنة قال: فلما فارقني المهدي عليه السلام خرجت سائحا فرحت إلى أرض الهند والسند والصين، ورجعت إلى بلاد العجم، والروم، والمغرب ثم رجعت إلى مصر بعد خمسين سنة سياحة فلما أردت الدخول إلى مصر منعوني من ذلك، وكان المشار إليه فيها سيدي مدين المتولي رضي الله عنه فأرسل يقول: لي: أقم في القراغة فأقمت في قبة مهجورة عشر سنين تخدمني الدنيا في صورة عجوز تأتيني كل يوم برغيفين وإناء فيه طعام فلا كلمتها، ولا كلمتني قط ثم سألت في الدخول فأذنوا لي أن أسكن في بركة القرع فأقمت فيها سنين عديدة في حارة ثم جاء الشيخ عبد القادر الدشطوطي رضي الله عنه يريد أن يبني له جامعا هناك فصار يقاتلني، ويقول: اخرج من هذه الحارة فقلت له يوما مالك ولي أنا مالي أحد يعتقدني من الأمراء، ولا من غيرهم فما لك ولي فلم يزل بي حتى خرجت إلى هذا الكوم فسكنت فيه سبع سنين فبينما أنا ذات يوم جالس هنا إذ طلع على الدشطوطي، فقال: انزل من هذا الكوم، فقلت: لا أنزل، فخرجت النفس مني ومنه فدعا علي بالكساح، فتكسحت،

(١) وهو ظهور روحانى لكون زمانه لم يأتى بعد، ومثله ظهور الخضر عليه السلام لكثير من الأولياء والصالحين.

ودعوت عليه بالعمى فعمي فهو كالطوبة الآن هناك، وأنا رمة في هذا الموضع[1] وأنا أوصيك يا عبد الوهاب أنك لا تصادم أحدًا قط بنفس، وإن صدمك فلا تصادمه، وإن قال لك: اخرج من زاويتك أو دارك فاخرج، وأجرك على الله، وكان رضي الله عنه إذا جاءه شخص بجوخة أو ثوب صوف يأخذ السكين، ويشرحها سيورًا سيورًا ثم يخيطها بخيط دارج ومسلة[2]، ويقول: إن نفسي تميل إلى الأشياء الجديدة، فإذا قطعتها لم يبق عندها ميل .توفي رضي الله عنه سنة نيف وثلاثين وتسعمائة، ودفن في القبة التي في الكوم المتقدم ذكره رضي الله عنه .

ومنهم سيدي إبراهيم بن عصيفير رضي الله عنه

كان خطه الذي يمشي فيه من باب الشعرية إلى قنطرة الموسكي إلى جامع الغمري، وكان كثير الكشف، وله وقائع مشهورة، وكان أصله من البحر الصغير، وظهرت له الكرامات، وهو صغير منها: أنه كان ينام في الغيط، ويأتي البلد، وهو راكب الذئب أو الضبع، ومنها أنه كان يمشي على الماء لا يحتاج إلى مركب وكان بوله كاللبن الحليب أبيض، وكان يغلب عليه الحال فيخاصم ذباب وجهه وما ضبطت عليه قط كشفا أخرم فيه، وليلة أحرقت منارة المدرسة التي هي مسكننا بين السورين أخذ من إنسان نصفين وأعطاهما للسقاء، وقال: كب هذه الراوية على هذا الحريق فصبه على الأرض تجاه المدرسة، فقال الناس للسقاء: اللهم إن هذا مجذوب ما عليه حرج تصب الماء على الأرض خسارة، فطلع الوقاد تلك الليلة، فأوقد المنارة، ورشق الجنيب في حائطها، وكانت خشباً، ونزل، ونسيه فاحترقت تلك الليلة، ووقعت الثلاثة أدوار كأن إنسانا نزعها وحملها ووضعها على الأرض ممدودة في الشارع لم تصب أحدًا من الجيران، وكان رضي الله عنه يقول: جاكم ابن عثمان جاكم ابن عثمان فكان غز الغوري يسخرون به.

---

(١) قلت: وفيه دلالة على عدم اكتمال الرجلين، وذلك لأن الكامل لا يتصرف فى حق نفسه، وذلك لأن الكامل يكون بلا نفس، بل يترك الحق عز وجل يتصرف له.

(٢) يعنى إبرة كبيرة وهى كلمة لايزال يستخدمونها العوام فى مصر إلى الآن.

وكان رضي الله عنه كثير الشطح، وكان أكثر نومه في الكنيسة، ويقول: النصارى لا يسرقون النعال في الكنيسة بخلاف المسلمين، وكان رضي الله عنه يقول: أنا ما عندي من يصوم حقيقة إلا من لا يأكل اللحم الضاني أيام الصوم كالنصارى، وأما المسلمون الذين يأكلون اللحم الضاني والدجاج أيام الصوم فصومهم عندي باطل[1]، وكان رضي الله عنه يقول لخادمه: أوصيك أن لا تفعل الخير في هذا الزمان فينقلب عليك بالشر، وجرب أنت نفسك، ولما سافر لأمير جانم إلى الروم شاوره، فقال: تروح وتجيء سالما ففارقه، وراح للشيخ محيمن فقال له: إن رحت شنقوك، وإن قعدت قطعوا رقبتك فرجع إلى الشيخ ابن عصيفير فقال: تروح وتجيء سالماً، وكان الأمر كذلك فراح تلك السفرة وجاء سالما ثم ضرب عنقه بعد ذلك، فصدق الشيخان، ولما سافر ابن موسى المحتسب بلاد العصاة أرسل إلى عياله بقمقم ماء ورد، وقال: صبوه على كفنه، وهو على المغتسل فجاء الخبر بأنهم قتلوه، وأتوا به في سحلية فصبوه عليه كما قال الشيخ، وكان شخص يؤذيه في الحارة فدعا عليه ببلاء لا يخرج من بدنه إلى أن يموت فتورمت رجلاه، وانتفخا وخرج منهما الصديد، وترك الصلاة حتى الجمعة، والجماعة وصار لا يستنجي قط، فإذا غسلوا ثوبه يجدوا فيه العذرة كثوب الأطفال وقال له شخص مرة: ادع لي يا سيدي فقال: الله يبليك بالعمى في حارة اليهود فعمي كما قال في حارتهم، وقال له شخص ومعه بنية حاملها: ادع لبنيتي هذه فقال: الله يعدمك حسها فماتت بعد يومين، وكان يفرش تحته في مخزنه التبن ليلا ونهارًا، وقبل ذلك كان يفرش زبل الخيل، وكان إذا مرت عليه جنازة، وأهلها يبكون يمشي أمامها معهم، ويقول: زلابية هريسة زلابية هريسة، وأحواله غريبة، وكان يحبني وكنت في بركته، وتحت نظره إلى أن مات سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة ودفن بزاويته بخط بين السورين تجاه زاوية الشيخ أبي الحمائل رضي الله عنه .

---

(١) قلت: هذه رؤية خاصة به وحده، وإلا فأين قوله ﷺ: «سيد الطعام اللحم»، وأكل ﷺ لحم الإبل والضأن فى الصيام وفى غير الصيام، وهذا لا ينقص من درجة العارف وغير العارف عند ربه فافهم.

ومنهم سيدي الشيخ شهاب الدين الطويل النشيلي رضي الله عنه

كان من أولاد سيدي خليل النشيلي أحد أصحاب سيدي أبي العباس المرسي رضي الله عنه، ورأيته وهو في أوائل الجذب، والحروز معلقة على رأسه، وكان أهله يعتقدون أنه من الجان، ولم أزل أوده، ويودني إلى أن مات، وأول ما لقيته وأنا شاب أمرد وقال لي: أهلا يا ابن الشوني أيش حال أبوك، وكنت لا أعرف قط الشوني فبعد عشر سنين حصل لي الاجتماع بالشوني فأخبرته بقول الشيخ شهاب الدين فقال: صدق أنت ولدي، وإن شاء الله تعالى يحصل لك على يدينا خير، وكان رضي الله عنه يأتيني، وأنا في مدرسة أم خوند ساكن فيقول: اقل لي بيضا قريصات، فأفعل له ذلك، فيأكل البيض أولا ثم الخبز ثانيا وحده، وكان رضي الله عنه إذا راق يتكلم بكلام حلو محشو أدباً، ومكث مولى من أصحاب النوبة بمصر سبع سنين ثم عزل، وكان يحب دخول الحمام لم يزل يدخلها حتى مات فيها، وكان ينادي خادمه، وهو في الصلاة فإن لم يجئه مشى إليه، وصكه ومشى به، وقال: كم أقول لك لا تعد تصلي هذه الصلاة المشؤمة[1]، فلا يستطيع أحد أن يخلصه منه، وكان يضرب الإنسان على وجهه، ولقيه مرة إنسان طالع من جامع الغمري، وهو جنب فلطمه على وجهه، وقال: ارجع اغتسل، وجاءه شخص فعل فاحشة في عبده يطلب منه الدعاء، فأخذ خشبة وضربه بها نحو مائة ضربة، وقال: يا كلب تفعل في العبد الفاحشة فانفضح ذلك الشخص .مات رضي الله عنه، ودفن بزاويته بمصر العتيقة سنة نيف وأربعين وتسعمائة رضي الله عنه .

ومنهم سيدي عبد الرحمن المجذوب رضي الله عنه

كان رضي الله عنه من الأولياء الأكابر، وكان سيدي على الخواص رضي الله عنه يقول: ما رأيت قط أحدًا من أرباب الأحوال دخل مصر إلا ونقص حاله إلا الشيخ عبد الرحمن المجذوب، وكان مقطوع الذكر قطعة بنفسه أوائل جذبه، وكان جالسا

(١) قلت: وهو لايجوز شرعاً أن يخرج إنسان إنساناً من صلاته، وأما أرباب الأحوال فلهم أحوال نقرهم بها لأخذهم الإذن من ربهم بإزالة الفساد الكونى، وهو فعل ذلك لأنه كان يرى أن صلاته مجرد حركات بلا خشوع، وبالتالى فهى صلاة مشؤمة، لأنه كما ورد فى الخبر أن الصلاة التى لا تقبل تكون كالخرقة السوداء تلف ويضرب بها وجه صاحبها.

على الرمل صيفاً وشتاء، وإذا جاع أو عطش يقول: أطعموه اسقوه، وكان ثلاثة أشهر يتكلم وثلاثة أشهر يسكت، وكان يتكلم بالسرياني، وأخبرني سيدي على الخواص رضي الله عنه قال: ما مثلت نفسي إذا دخلت عند الشيخ عبد الرحمن رضي الله عنه إلا كالقط تجاه السبع، وكان يرسل لي السلام، ويخبر خادمه بوقائعي بالليل واحدة واحدة، فيخبرني بها فأتعجب من قوة اطلاعه، وحصل لي مرة وارد طغت على فيه نار فنزعت ثيابي، ومررت عليه في زقاق سويقة اللبن قبيل العشاء فصار يقول لخادمه: اذهب بهذه البردة والحق بها عبد الوهاب غطه بها فما أخبرني الخادم إلا بعد أيام، وقال: قال لنا في الوقت الفلاني: كذا وكذا فقلت: هذا مجذوب، واستبعدنا كونك تتعري رضي الله عنه، وكان مقعداً نحو نيف وعشرين سنة أقعده الفقراء[1]، وكان يخبر عن سائر أقطار الأرض، وعن أقواتهم وأحوالهم رضي الله عنهم. مات رضي الله عنه سنة أربع وأربعين وتسعمائة، ودفن بالقرب من جامع الملك الظاهر بالحسينية، وقبره ظاهر بالحسينية يزار في زاويته رضي الله عنه.

ومنهم سيدي محمد الرويجل العريان رضي الله عنه

كان رضي الله تعالى عنه من أرباب الكشف التام رأيته مرة من بعيد نحو مائة قصبة فقال لي رفيقي هل يحس بأحد إذا ضربه فلما وصلنا إليه قال لرفيقي: تضربني على أيش، وكان يدخل ينام في كانون[2] الطباخ، وأخبرني سيدي الشيخ شهاب الدين الرملي الشافعي رضي الله عنه قال: أصل ما حصل لي من العلم والفتوى ببركة دعاء الشيخ محمد الرويجل مات رضي الله عنه سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة مقتولا قتله عسكر ابن عثمان حين دخل مصر، وأخبرني عن قطع رقبته يوم موته وصار يقول: أيش عمل الرويجل يقطعون رقبته ووقف على شباك سيدي محمد بن عنان، وصار يقول: يا سيدي أيش عمل الرويجل يقطعون رقبته رضي الله عنه .

ومنهم سيدي حبيب المجذوب رضي الله عنه

كان سيدي على الخواص رضي الله عنه يقول: حبيب حية رقطاء خلقه الله تعالى

(١) أى أقعده أهل الديوان وكسحوه، وهو من باب إلقاء الأحمال والأثقال عليه.

(٢) الكانون بناء من الطين يستعمل للطبخ وغيره ولايزال يستعمل بمصر لحد الآن بالأرياف والقرى.

أذى صرفاً، وكان إذا رآه يقول: اللهم اكفنا السوء وكان مبتلى بالإنكار عليه يمزح معه الصغار وغيرهم ويعطيهم، وليس له كرامة إلا في أذى[1] الناس فلا نحكي عنه شيئاً، وكان كلما نظر إلي إذا مررت عليه يحصل عندي قبض عظيم، ولم أزل ذلك النهار جميعه في تكدير فلما مات قال سيدي على الخواص رضي الله عنه: الحمد لله على ذلك، ودفن رحمه الله تعالى بالكوم بالقرب من بركة القرع خارج باب الشعرية رضي الله عنه.

ومنهم سيدي فرج المجذوب رضي الله عنه

كان له الكرامات الظاهرة، ووقع لي معه كرامات، وكان يطلب الفلوس من الناس، فإذا اجتمعت أعطاها للمحاويج والأرامل، وكثيرًا ما يدفنها في جوار حائط، ويذهب ويخليها فيأخذها الناس، وأخبرني سيدي جمال الدين ابن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رضي الله عنه قال: خرجت إلى الحمام فرآني الشيخ فرج رضي الله عنه فقال: هات نصفا فأعطيته فقال: هات آخر فأعطيته، فلم يزل كذلك إلى تسعة وثلاثين نصفا فقال: هات آخر فقلت له: بقي نصف للحمام فقال: كتبت لك وصولا على شموال اليهودي، وفارقته فلما رجعت من الحمام جاءني يهودي بتسعة وثلاثين دينارًا فقال: إن والدك أقرضني أربعين دينارًا، وما بيني وبينه إلا الله ولكن ما قدرت إلا على تسعة وثلاثين فاقبضها إلي، ووقائعه كثيرة، وانقطع آخر عمره في المارستان حتى مات، ودفن عند الشيخ شهاب الدين المجذوب بباب الشعرية رضي الله عنه.

ومنهم سيدي إبراهيم المجذوب رضي الله عنه

كان رضي الله عنه كل فلوس حصلها يعطيها للمطبلين، ويقول: طبلوا لي زمروا لي، ولم يزل يقول: يا إبراهيم روح للنوبة قال سيدي على الخواص رضي الله عنه: إنه كان من أصحاب النوبة، وكان سيدي على الخواص رضي الله عنه إذا حصل له ضرورة يرسل يعلمه بها فتقضى، وكان كل قميص لبسه يخيطه، ويحزقه على رقبته، فإن

(١) وذلك لشدة تجلى آثار الأسماء القهرية والجلالية عليه، وليس للولى دخل فى ذلك، بل هو بحسب ما فطره الله تعالى عليه، ولن يحيد ولى عما أراده الله منه.

ضيقه جدًا حتى ينخنق حصل للناس شدة عظيمة، وإن وسعه حصل للناس الفرج[1]، صحبته نحو سبع سنين وكان كلما رآني تبسم، وكان شهرته الشيخ إبراهيم النوبة رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ أحمد المجذوب المشهور بحب رمانتي رضي الله عنه

كان رضي الله عنه لا يلبس إلا الحرير على بدنه وكان قمعة طول ذراع ونصف، وكان رضي الله عنه يقف على الدكان ويصيح يا مالي، ومال السلطان عند صاحب هذا الدكان فلا يزال كذلك إلى أن يأخذ ما يطلبه منه ثم يدفنه تحت جدار ويذهب، وكانت له كرامات كثيرة مات رضي الله عنه سنة نيف وعشرين وتسعمائة، ودفن بباب اللوق رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ إبراهيم العريان رضي الله عنه

كان رضي الله عنه إذا دخل بلدًا سلم على أهلها كبارًا وصغارًا بأسمائهم حتى كأنه تربى بينهم، وكان رضي الله عنه إذا صحا يتكلم بكلام حلو حتى يكاد الإنسان لا يفارقه، طلع لنا مرارًا عديدة في الزاوية وسلم علي باسمي واسم أبي وأمي ثم قال للذي بجنبه أيش اسم هذا مات رضي الله عنه سنة نيف وثلاثين وتسعمائة رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ محيسن البرلسي رضي الله عنه

كان رضي الله عنه من أصحاب الكشف التام، وكان يربط عنده عنزاً وديكا بحبل، والنار موقدة عنده في أغلب أوقاته صيفاً وشتاء، وكان سيدي على الخواص رضي الله عنه إذا شك في نزول بلاء على أهل مصر يقول: اذهبوا للشيخ محيسن فانظروا النار التي عنده هل هي موقودة أو مطفية فإن كانت مطفية حصل في مصر رخاء ونعمة وكان الناس في غاية الراحة فأوقد الشيخ محيسن رضي الله عنه النار فقال الشيخ: الله لا يبشره بخير فأصبح الناس في شدة عظيمة في مسكهم

(١) اعلم أنه لما كان أولياء الله عز وجل خير من يتخلقوا بالأسماء الإلهية، فإن تجليات الأسماء سواء الجلالية أو الجمالية أول ما تظهر فى مرآة العارف قبل بدوها فى الخلق، فتنعكس فى مرآته سواء إذا كانت قبضية أو بسيطة، فتظهر أحوال الناس المكتوبة فى مرآه ذلك العارف، فيعكسها هو فى أفعاله بالتضييق على نفسه أو بالتوسيع.

لبلاد الهند، وحصل لهم غاية الضيق، وكنت عنده مرة فجاء إنسان ومزح معه، وكان في رجله أكلة من أصحاب[1] النوبة لم تزل تدود إلى أن مات فقال له ذلك الإنسان: الذي جعل في هذه الرجل الأكلة قادر أن يجعلها في الأخرى فقال: ما يستحق ذلك إلا الذي زنى بامرأة جاره فخجل ذلك الإنسان، فقلت له: مالك؟ فقال: هذا وقع لي، وأنا شاب في نواحي دمياط من منذ خمسين سنة فقلت: الذي يطلع على هذا تمزح معه؟ فقال: والله ما علم بهذه الواقعة أحد إلا الله عز وجل، وكان ﷺ يحبني ويرسل يخبرني بالوقائع التي تحصل لي في البيت واحدة واحدة، وكان ﷺ إذا رأى صغيرًا من الريف في بولاق يريد أبوه أن يعلمه القرآن يقول: له: اذهب إلى زاوية عبد الوهاب، فأرسل لي كذا وكذا ولدًا وحصل لهم الخير، ووقع مني مرة سوء أدب فأرسل أعلمني به، وهو في الرميلة، وذلك أن الأمير جانم كان مطلوبا إلى استنبول فكتبت له كتابا إلى أصحاب النوبة بنواحي العجم والروم بالوصية به، وطواه ووضعه في رأسه، وخرج، فأرسل لي في الحال يقول: الناس في عينيك كالقش ما بقي أحد في البلد له شوارب إلا أنت تكاتب أصحاب النوبة بغير إذن من أصحاب[2] البلد، فاستغفرت في نفسي فأرسل يقول: لي: إذا سألك أحد في شيء يتعلق بالولاة بمصر شاور بقلبك أصحاب النوبة بها إعطاء لحقهم من الأدب معهم ثم افعل بعد ذلك ما تريد لا حرج لأنهم لا يحبون من يقل أدبه معهم .مات ﷺ، ودفن بالقرب من الإمام الشافعي ﷺ في تربة البارزي في سنة نيف وأربعين وتسعمائة ﷺ .

ومنهم الشيخ أبو الخير الكليباتي ﷺ

كان ﷺ من الأولياء المعتقدين، وله المكاشفات العظيمة مع أهل مصر، وأهل عصره، وكانت الكلاب التي تسير معه من الجن، وكانوا يقضون حوائج الناس، ويأمر صاحب الحاجة أن يشتري للكلب منهم إذا ذهب معه لقضاء

---

(١) أى أن هذه الأكلة بلاء فرضه أهل النوبة عليه.

(٢) قلت: ربما كان قطب مصر فى ذلك الوقت، والكلام يؤيد هذا.

حاجته رطل لحم، ويدخل الجامع بالكلاب[1]، فأنكر عليه بعض القضاة، فقال: هؤلاء لا يحكمون باطلا، ولا يشهدون روراً فرمى القاضي بالزور، وجرسوه على ثور بكرش على رأسه، ولم يزل ممقوتا إلى أن مات، وكان رجلا قصيراً في يده عصا فيها حلق، وشخاشيخ، وكان يعرج، دعا لي مرة بأن الله يصبرني على البلوى، وحصل لي ببركته بعض ذلك .مات رضي الله عنه سنة عشر وتسعمائة، ودفن بالقرب من جامع الحاكم في المكان الذي كان يجلس فيه أوقاتا رضي الله عنه .

ومنهم سيدي عمر البجائي المغربي رضي الله عنه

دخل مصر في أيام السلطان الغوري، وكان له القبول التام عند الأكابر وغيرهم، وكان رضي الله عنه يخبر بالوقائع الآتية في مستقبل الزمان للولاة فيقع كما أخبر لا يخطئ، وسكن في جامع آل ملك بالحسينية ثم انتقل إلى جامع محمود فنازعه أهل القرافة، فرجع إلى قبة المارستان بخط بين القصرين، فلم يزل بها إلى أن مات، وكان وجهه كأنه قنديل ينور، وهو رجل طويل ليس على رأسه عمامة إنما يتطرح بملاية على عرقية، وكان الشيخ محمد بن عنان رضي الله عنه يحبه محبة شديدة رضي الله عنه مات رضي الله عنه في سنة عشرين وتسعمائة ودفن بالقرافة في حوش عبد الله بن وهب بالقرب من القاضي بكار وصلى عليه الملأ من الناس، وحصل لي منه دعوات مباركات وجدت أثرها رضي الله عنه .

ومنهم سيدي سعود المجذوب رضي الله عنه

بسويقة العزى بالقرب من مدرسة السلطان حسن، كان رضي الله عنه من أهل الكشف التام، وكان له كلب[2] قدر الحمار لم يزل واضعا بوزه على كتفه، وكان يرسل لي السلام مرات، وترددت إليه كثيرًا، فكنت كلما أزور القرافة أطلع له، وله وقائع مشهورة في أهل حارته .مات رضي الله عنه سنة إحدى، وأربعين وتسعمائة، ودفن بزاويته، وله قبة خضراء بناها له الباشا سليمان رحمه الله.

(١) قلت: فى الحقيقة أنهم ليسوا كلاباً وإنما هم طائفة من الجن المؤمن، وهم على طهارة تامة، ولو كانوا كلاباً حقيقيين لما جاز لهذا الولى أن يدخلهم المسجد لنجاستهم ونجاسة سؤر الكلب.

(٢) هو من الجن الصالح فلا يضره سؤر فمه بنجاسة أو خلاف ذلك:

ومنهم سيدي سويدان المدفون بالخانكة رضي الله عنه

أقام في مدرسة ابن الزين في رصيف بولاق سنين عديدة فلازمناه ملازمة طويلة، وكان مكشوف الرأس له شعر طويل ملبد، وكان له كل سنة جوخة حمراء بندقي على خوند امرأة[1] السلطان يلبسونها له، ويأخذ النقباء العتيقة ووقع له وقائع وكرامات، وكان فمه لم يزل فيه نحو الخمسين حبة من الحمص ليلا ونهارًا يقال إنها حملات الناس، وكان لا يفهم عنه إلا الفقراء الصادقون فإن كلامه كله إشارات .مات رضي الله عنه سنة تسع عشرة وتسعمائة رضي الله عنه .

ومنهم سيدي بركات الخياط رضي الله عنه

كان رضي الله عنه من الملامتية، وهو شيخ أخي أفضل الدين، وشيخ الشيخ رمضان الصائغ الذي بنى له الزاوية، وكان رضي الله عنه يلبس الشاش المخطط كعمامة النصارى، فيقول: له الناس: حشاك يا نصراني، وكان يخيط المضربات المثمنة، وكان رضي الله عنه يقول لمن يخيط له: هات معك فوطة، والا يتسخ قماشك من ثيابي، وكان سيدي الشيخ نور الدين المرصفي رضي الله عنه وغيره يرسلون له الحملات فيضعون له الحجر على حانوته فيعلم بالحاجة فيقضيها، ويقول: الاسم لطوبى، والفعايل لأمشير نحن نتعب وهؤلاء يأخذون الهدايا منهم، وأخبرني الشيخ عبد الواحد رضي الله عنه أحد جماعة سيدي أبي السعود الجارحي رضي الله عنه قال: مدحته للشيخ جمال الدين الصائغ مفتي الجامع الأزهر، وجماعة فقالوا امضوا بنا نزوره، وكان يوم جمعة فسلم المؤذن على المنارة فقالوا له: نصلي الجمعة فقال: مالي عادة بذلك فأنكروا عليه فقال: نصلي اليوم لأجلكم، فخرج إلى جامع المارداني فوجد في الطريق مسقاة الكلاب فتطهر منها ثم وقع في مشخة حمير ففارقوه، وصاروا يوبخون الشيخ عبد الواحد الذي جاء بهم إلى هذا الرجل، وصار الشيخ بركات يوبخ عبد الواحد، ويقول: أيش هؤلاء الحجارة الذين أتيت بهم لا يعود لك بالعادة أبدًا والله يا ولدي مسقاة الكلاب إنما هي مثال مطعمهم، ومشربهم، وكذلك مشخة

---

(١) قلت: هذا يدل على مدى اهتمام الملوك والسلاطين ونسائهم بالأولياء والمجاذيب فى ذلك الزمان.

الحمير إنما هي صورة اعتقادهم النجس[1]، وأخبرني سيدي أفضل الدين رحمه الله تعالى قال: فبينما نحن يوما خارج باب زويلة بالقرب من بيت الوالي، وإذا هو بشخص تاجر مغربي راكب بغلة فمسكه الشيخ رضي الله عنه، وقال: هذا سرق بيتي فدخلوا به بيت الوالي فقال للوالي: يا سيدي اضربه مقارع وكسارات، وإن مات أنا أزن ديته فلما فرغ الوالي من عقابه نظر إلى وجه التاجر، وقال للوالي: أنا غلطت هذا ما هو الذي أخذ حوائجي، فضرب الوالي الشيخ بعصاه فخرج ورقد على بابه، وقال: والله يا زربون ما أفارق هذه العتبة حتى أعزلك، فقام فجاء القاصد بعزله من السلطان في الحال، وكان رضي الله عنه إذا قدموا له لحم الضاني، واشتهى لحم حمام ينقلب في الحال حماما وله وقائع مشهورة . مات رضي الله عنه سنة دخول ابن عثمان مصر سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة، ودفن بالقرب من حوض الصارم بالحسينية، رضي الله عنه .

ومنهم سيدي علي الشونوزي رضي الله عنه

أجل أصحاب الشيخ شعبان البلقمطري بدمنهور البحيرة، كان رضي الله عنه ظريفاً نظيفا لطيفاً، والغالب عليه الاستغراق، وكان أكثر أوقاته ماشيا في مصر، وبولاق، والقرافة، وغيرها، وعليه ثياب حسنة كلبس القاضي، وكانت له الموشحات النفيسة في التوحيد صحبته نحو عشر سنين، وقال لي: أنا كيلاني[2] زماني، وكان يرى ذلك من باب التحدث بالنعم .مات رضي الله عنه، ودفن بالقرافة عند الشيخ محمد الغربي الشاذلي رضي الله عنه سنة نيف وثلاثين وتسعمائة رضي الله عنه وأخبرتني زوجته قالت بينما نحن يوما في جوف الليل وإذا بشخص نازل من الهواء فأشار إليه الشيخ رضي الله عنه بيده فلصق بالدور قاعة فقال فتوة ارجع، وتعال من الباب فقال باسم الله ثم قال هذا الدشطوطي[3] رضي الله عنه.

---

(١) هى صورة تنفيرية فعلها الشيخ ليكشف أحوالهم الباطنية، إذ أن العارف كالمرآة تتكشف فيها كل صورة، فربما يفتضح بها قوم وربما تظهر فيها محاسن قوم.

(٢) ربما يتحدث بلسان القطبانية.

(٣) كان سيدى الدشطوطى يسمى بصاحب مصر، وربما تصرف الشونوزى فيه يدل على تفوقه =

ومنهم سيدي أحمد الدرديري أخو الشونوزي في الطريق رضي الله عنه

كان رضي الله عنه على قدم عظيمة وكان يرد في اليوم والليلة عشرين ألف تسبيحة وأربعين ألف صلاة على النبي ﷺ، ولما سافر الفوزي لقتال ابن عثمان حاكم القاهرة، وقال: جئت لأرد ابن عثمان عن دخول مصر فعارضه[1] الأولياء فلحقته البطن فأشرف على الموت فحملوه إلى بلده فمات في الطريق، وكانت له كرامات في الطريق اجتمعت به مرات عديدة، ودعا لي بدعوات، وأرشدني إلى ورد الصلاة على النبي ﷺ .مات رضي الله عنه سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة رضي الله عنه .

ومنهم سيدي أحمد البهلول رضي الله عنه

ثالث من قبله في الطريق على الشيخ شعبان، وكان سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه كلما مر عليه يقف يقرأ الفاتحة، وكان يعظمه كثيرًا، وهو الذي أشار علي بالزواج في أول أمري فقال: زوجتك زينب بنت الشيخ خليل القصبي وأقبضت عنك المهر ثلاثين دينارًا، وأعطيتك البيت، وأخدمتك إخوتها الثلاثة، ففارقته فجاءني والد الصبية، وخطبني بنفسه، ووجدت اسمها زينب، ولها ثلاثة أخوة، ووجدت البيت مقفلا على اسمها كما قال رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه يقول لا تدفنوني إلا خارج باب القرافة في الشارع ولا تجعلوا لقبري شاهدًا ودعوا البهائم، والبغال تمشي[2] علي . واحذروا أن تجعلوا على قبري تابوتا أو سترًا يبقي كل من مر على يدق تابوتي يمنعني أن أستريح في القبر فقالوا له قد عملنا لك قبرًا في جامع بطيخة فقال إن قدرتم أن تحماوني ففعلوا فعجزوا أن يحركوا النعش إلى

= عليه فى المقام، وقد رد شيخنا سيدى أحمد التجانى رضي الله عنه سيدى علياً التماسينى لما جاءه يزوره بالخطوة وزجره وقال له: إن كان ولابد فاسير ماشياً وتحمل مشقة الطريق كما يتحملها غيرك.

(١) عارضه الأولياء لأنه أراد مقاومة القدر الإلهى فى دخول العثمانيين إلى مصر، وإجماع الأولياء من أهل النوبة خير من رأيه هو منفرداً، لأنه أراد أن يفعل هذا من باب العاطفة والخوف على الناس من الحرب والقتل.

(٢) ربما كوشف هذا الولى بما سيؤول إليه حال الزمان من جعل قبره فى وسط الشارع منسياً ثم يمشى الناس عليه والمارة والسيارات، ولا يعلمون أن تحت أقدامهم أحد أولياء الله الصالحين.

ناحية جامع بطيخة فلما حملوه لناحية القرافة خف عليهم رضي الله عنه مات رضي الله عنه سنة ثمان وعشرين وتسعمائة رضي الله عنه .

ومنهم سيدي الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري رضي الله عنه

كان رضي الله عنه من الراسخين في العلم، وانتهت إليه الرئاسة في علو السند بالكتب الستة وغيرها، وكان يقرأ السبع وله صوت بالمحراب لم يسمع السامعون في عصره مثله، ولما دخل السلطان ابن عثمان فريد أيام الغوري مصر طلبوا له إماما يخطب به فأجمع رأي أهل مصر كاملا على الشيخ أمين الدين رضي الله عنه فصار يؤد به إلى أن سافر إلى الروم .

وكان رضي الله عنه ينزل من بيته يتوضأ، ويصلي ما شاء الله تعالى أن يصلي ثم يصعد الكرسي فيقرأ في المصحف قبل الفجر نحو سبعة عشر حزبا سرًا فإذا أذن للصبح قرأ جهرًا قراءة تكاد تأخذ القلوب من أماكنها فمر نصراني من مباشري الديوان يوما في السحر فرق قلبه فطلع وأسلم على يد الشيخ رضي الله عنه، وهو يقرأ على الكرسي، وصار يبكي، وحسن إسلامه، ورأيته يصلي خلفه إلى أن مات، كان الناس يأتون إلى الصلاة خلفه من بولاق، ومن نواحي الجامع الأزهر في صلاة الصبح لحسن صوته، وخشوعه، وكثرة بكائه حتى يبكي غالب الناس خلفه، وكان سيدي أبو العباس الغمري رضي الله عنه يقول: الجامع جثة، والشيخ أمين الدين رضي الله عنه روحها، ومصداق ذلك أن الناس كانوا يخرجون من الجامع في مثل خروج الحج فلم يبق في الجامع إلا هو فكأن الجامع لم يخرج منه أحد، وكان رضي الله عنه إذا سافر صار الجامع كأنه ما فيه أحد. ومما وقع لي معه أنني كنت أقابل معه في شرح البخاري في جزاء الصيد فذكر جزاء التيتل فقلت ما هو التيتل فقال هذا الوقت تنظره فخرج التيتل من المحراب فوقف على كتفي فرأيته دون الحمار، وفوق تيس المعز، وله لحية صغيرة فقال ها هو ثم دخل الحائط فقبلت رجله فقال اكتم حتى أموت، ورأيته بعد موته بسنتين فروى لي حديثا سنده

بالسرياني[1]، ومنته بالعربي أن رسول الله ﷺ قال "من أدمن النوم بعد صلاة الصبح ابتلاه الله تعالى بوجع الجنب "وفي رواية "ابتلاه الله في جنبه بالبعج "، ومكث رضي الله عنه سبعا وخمسين سنة إماما لم يدخل وقت واحد عليه، وهو على غير وضوء، وليلة مات كان مريضا فزحف إلى ميضأة الجامع فوقع بثيابه فيها فطلع، والناس يحاذونه فصلى بالناس المغرب وثيابه تخر ماء وبقي معه العزم إلى أن مات، وكان يلبس الثياب الزرق، والجبب السود، ويتعمم بالقطن غير المقصور، وكان رضي الله عنه يتفقد الأرامل، والمساكين، والعميان، ويتعب لهم في حوائجهم، ويجمع لهم الزكوات، ويفرقها عليهم، ولا يأخذ لنفسه شيئا، وكان يعطي ذلك سرًا، وما علم الناس بذلك إلا بعد موته .مات رضي الله عنه في سنة تسع وعشرين وتسعمائة، ودفن بتربته خارج باب النصر بالقرب من سيدي إبراهيم الجعبري رضي الله عنه.

ومنهم سيدي أبو الحسن الغمري رحمه الله تعالى

ابن سيدي أبي العباس الغمري رضي الله عنهما كان رضي الله عنه من الصفاء، والصلاح على جانب عظيم، وكان سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه يقول: فرعان فاقا أصلهما في الكرم والحياء أبو الحسن، وعبد الحليم بن مصلح، وكان من أخلاقه رضي الله عنه أنه يخدم في البيت مع الخادم ويغسل الأواني، ويوقد تحت الدست، ويقرص العجين، ويكنس البيت، وكان رضي الله عنه لا يجالس أحدًا إلا وقت الصلاة أو الذكر أو تلاوة القرآن أو لمالا بد منه من المصالح، وكان يستحي أن يركب في مصر حمارًا أو غيره، وكان إذا ركب إلى بولاق أو مصر يركب في الفلس، ويقصد المواضع الخالية ذهابا وإيابا، ويقول: لا أستطيع أن أركب فوق رءوس الناس أبدًا، وكان رضي الله عنه إذا دعي إلى وليمة، وحضر يصير يعرق ويمسح العرق حياء من الناس، وكنا إذا سافرنا معه إلى ميت غمر أو إلى المحلة لا يأكل في المركب ولا يشرب حياء من الناس، ويقول: لا يخرج لي بول، وأحد ينظر إلي، ولو على بعد، وكان لا ينام مع أحد في فراش، ولا بحضرة أحد لا في ليل ولا في نهار ويقول: أخاف

(١)قلت: لعل رجاله من الجن، لأن الجن معظم أسمائهم بالسريانية، مثل شمهورش وهو قاضي الجن، وقد روى عنه الكثيرون من الأولياء الحديث.

أن يخرج مني ريح، وأنا نائم، صحبته نحو ثلاثين سنة إلى أن مات ما رأيته تغير علي يوما واحد فلما انتقلت من جامعه صار يتردد إلي فأكاد أن أذوب من الخجل من مشيه إلي، ويقول: أنا أشتاق إليك ، مات رضي الله عنه سنة تسع وثلاثين وتسعمائة، ودفن عند والده بالجامع بمصر المحروسة رضي الله عنهما.

ومنهم سيدي الشيخ عبيد البلقيني رضي الله عنه

صحبته نحو عشر سنين، وكان رضي الله عنه من أرباب الأحوال، والكشف إذا أخبر عن شيء يأتي كفلق الصبح، وكان السلطان قايتباي ينزل لزيارته في بلقين فلما انتقل إلى القاهرة كان يتردد إليه، وكذلك السلطان قانصوه الغوري، وكان رضي الله عنه إذا سمع كلام سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه أو غيره يقوم كالجمل الهائج لا يستطيع أحد أن يقعده حتى يقعد بنفسه، وكان جمالي[1] المقام يلبس النفيس، ويأكل اللذيذ، وليس للدنيا عنده قدر فكان يخلع الجوخة، والصوف النفيس يعطيه للسائل، وحصل له جذب في أول عمره فمكث نحو الخمس عشرة سنة بلباس جلده مكشوف الرأس والبدن لا يلتفت لتدبير بدنه حتى صار الدود يتساقط من تحت قلنسوته من محل الزيق[2]، ولم يزل أثره ظاهرًا في ناحية قفاه رضي الله تعالى عنه وعمر زمانا ومات سنة نيف وثلاثين وتسعمائة، ودفن بزاويته التي أنشأها بالقرب من الجامع الأزهر المشهورة بالحلاوية رضي الله عنه .

ومنهم سيدي الشيخ يوسف الحريثي

كان رضي الله عنه على قدم عظيم في اتباع السنة، وقيام الليل، وتلاوة القرآن، وكان يميل إلى إخفاء العبادات جهده، وأخبرني رضي الله عنه قال: لما تزوجت أم أبي العباس مكثت أقرأ في حضنها كل ليلة ختما مدة عشر سنين ما أظن أنها شعرت بي ليلة واحدة وأخبرني رضي الله عنه ليلة توفي فقال قد خرجت من الدنيا، وما عرفت أن أتوضأ فقلت كيف قال سألت عدة من العلماء والحفاظ عن كيفية تخليل اللحية

(١) جمالى المقام أى بسطه أكثر من قبضه.

(٢) الزيق: هو الرباط الذى يمسك القلنسوة والطرطور، ويوضع أسفل الذقن والحنك.

في الوضوء فما منهم أحد عرف كيف كان ﷺ يخلل لحيته، وكان رضي الله عنه يقول: أنا أحب في مصر ثلاثة عبد الرحمن الأجهوري المالكي، ويوسف البشلاوي وعبد الوهاب، وكان رضي الله عنه يكره لولده أبي العباس رضي الله عنه تلقينه للناس الذكر ويقول: يا ولدي أيش بلانا بهذه الطريق، وكان على هضم النفس دائما مات رضي الله عنه سنة أربع وعشرين وتسعمائة ودفن بجامع البشيرى رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ عبد الرزاق الترابي رضي الله عنه

أحد أصحاب سيدي علي النبتيتي الضرير رضي الله عنه كان رضي الله عنه على قدم عظيم من العبادة، والتقشف، واعتقده الناس بعد موت سيدي علي رضي الله عنه ثم انتقل إلى ناحية الجيزة، وأقبل الناس عليه، وصنف رسائل في الطريق، وكان له النظم الرائق في أحوال القوم، وطلع رضي الله عنه لنائب مصر في شفاعة فأغلظ عليه فأقسم[1] إنه لا ينزل من جامع القلعة إلا إن مات خير بك فطلعت فيه جمرة فمات في اليوم الثالث فنزل الشيخ مات رضي الله عنه سنة نيف وثلاثين وتسعمائة، ودفن بساقية مكة [2] بالجيزة، وقبره بها ظاهر يزار رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ مخلص رضي الله عنه

أحد أصحاب سيدي الشيخ أبي الخير بن نصر ببلاد الغربية، كان رحمه الله تعالى من الفقراء الصادقين، وكان سيدي الشيخ محمد الشناوي رضي الله عنه يعظمه، ويوقره اجتمعت به مرات عديدة، وحصل لي منه نفحات، وجدت بركتها، وكان على هدى الفقراء الأول من كثرة الصوم، وتلاوة القرآن، والإعراض عن الدنيا، وأهلها مات رضي الله عنه سنة أربعين وتسعمائة، ودفن بأبشيه الملق، وقبره بها ظاهر يزار رضي الله عنه آمين.

---

(١) هو من باب دلال الأولياء على الحق عز وجل، وهو من باب: «لهم ما يشاؤون عند ربهم» وقد استنجد الصحابة بالبراء بن عازب فى موقعة اليمامة وقالوا له: يا براء أنت ممن قال فيك رسول الله ﷺ: «رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره» فقال: أقسمت عليك يا رب إلا ما نصرتنا والحقتنى بنبيك شهيداً فانتصر المسلمون ومات شهيداً.

(٢) يقصد ساقية مكى كما تعرف بها الآن بين العامة بمصر.

ومنهم الشيخ صدر الدين البكري رضي الله عنه

أحد أصحاب سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه والشيخ أبي العباس الغمري رضي الله عنه، كان رضي الله عنه ذا سمت حسن قليل الكلام لا يكاد ينطق بكلمة إلا بعد تثبت، صحبته نحو عشر سنين، وحصل لي منه نفحة، وجدت بركتها، ولما حج رضي الله عنه، وزار النبي ﷺ سمع رد[1] السلام من رسول الله ﷺ. مات رضي الله عنه سنة ثمان عشرة وتسعمائة رضي الله عنه .

ومنهم سيدي الشيخ دمرداش المحمدي رضي الله عنه

أحد جماعة سيدي عمر رويشين بمدينة توريز[2] العجم رضي الله عنه، كان رحمه الله على قدم السلف الصالح من الأكل من عمل يده والتصدق بما فضل، وعمل الغيط المجاور لزاويته خارج مصر والحسينية فأقام هو وزوجته في خص يغرسون فيه خمس سنين، وقال لي: ما أكلت منه، ولا واحدة لأنني زرعته على اسم الفقراء، والمساكين وابن السبيل، والسائلين، ونمت عنده ليالي فكنت لا أراه ينام من الليل إلا يسيرًا ثم يقوم يتوضأ ويصلي ثم يتلو القرآن فربما يقرأ الختم كاملا قبل الفجر، وليس في مصر ثمرة أحلى من ثمرة غيطه وقسم وقفه ثلاثة أثلاث ثلث يرد على مصالح الغيط، وثلث للذرية، وثلث للفقراء القاطنين بزاويته ورتب عليهم كل يوم ختما يتناوبونه، ويهدون ذلك في صحائف سيدي الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه، وكان أمره كله جدًا .مات رضي الله عنه سنة نيف وثلاثين وتسعمائة، ودفن بزاويته رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ إبراهيم أخوه في الطريق رضي الله عنه

كانت له مجاهدات فوق الحد اجتمعت به أنا وسيدي أبو العباس الحريثي رضي الله عنه مرارًا كثيرة، ورأيناه على قدم عظيم إلا أنه أمي أغلف اللسان يكاد يفصح

---

(١) رد السلام من القبر الشريف كرامة متواترة حدثت للكثيرين من الأولياء، وأشهر كرامة هى التى حدثت لسيدى أحمد الرفاعى رضي الله عنه.

(٢) ربما قصد تبريز.

عن المقصود، وأعطى القبول التام في دولة ابن عثمان، وأقبل عليه العسكر إقبالا زائدًا، وأرادوا نفيه لذلك فجمع نفسه، وعمر له قبة وزاوية خارج باب زويلة، ودفن فيها وجعل في الخلاوي المحيطة بقبته قبورًا بعدد أصحابها على طريقة مشايخ العجم، وكان يقبل علي إقبالا زائدًا لكن يقول: أنتم مشايخ الخير فكان لا يعجبه إلا المجاهدات من غير تخلل راحة .مات رحمه الله سنة أربعين، وتسعمائة رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ مرشد رضي الله عنه

كان رضي الله عنه قادري الخرقة، وكان يطوي الأيام والليالي، وأخبرني أنه مكث نحو أربعين سنة يأكل كل يوم زبيبة واحدة حتى لصق بطنه على ظهره رضي الله عنه، وكان يحبك الشدود وغيرها، ويتقوت بذلك اجتمعت به كثيرًا، وأخبرني بأمره من مبدئه إلى ذلك الوقت، ونبهني على أمور في الباطن كنت مخلابها[1]، وحصل لي منه مدد واجتمع عليه آخر عمره طائفة السودان من الفقراء، واعتقدوه اعتقادًا زائدًا مات رضي الله عنه سنة نيف وأربعين وتسعمائة، ودفن بباب الوزير بالقرب من قلعة الجبل، وله من العمر نحو المائة رحمه الله تعالى.

ومنهم الشيخ ناصر الدين أبو العمائم الزفتاوي رضي الله عنه

أقام بالنحارية وبنى بها زاوية، وبستانا ومات بها. وكان عبدًا صالحا أحمدي الخرقة، وكان بينه وبين سيدي الشيخ نور الدين الشوني رضي الله عنه ود وإخاء، وكان رضي الله عنه يتعمم بنحو ثلاث برد صوف، وأكثر، وكان لسانه لهجا بذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن صحبته نحو خمس سنين، وحصل لي منه نفحات، ودعا لي بدعوات منها قوله اللهم اجعل أخي هذا من الذين لا يرضون بسواك .مات رحمه الله تعالى بالنحارية سنة تسع عشرة وتسعمائة رضي الله عنه.

---

(١) قلت: وذلك لأنه ربما يوجد ولى لا يؤبه له وهو قطب فى أمراض الباطن، ومعرفة علل النفس وكيفية مداواتها فرضى الله تعالى عن ساداتنا من الصوفية.

ومنهم الشيخ شرف الدين الصعيدي رضي الله عنه

كان رضي الله عنه صاحب كشف واجتهاد، وقيام، وصيام، وطي، وكان يطوي الأربعين يوماً، وأكثر، وامتحنه السلطان الغوري، وحبسه في بيت أربعين يوما مقفلا عليه الباب ثم فتحه فوجده قائما يصلي.

صحبته نحو ثلاث سنين آخر عمره ثم مات، ودفن بالقرب من الإمام الشافعي رضي الله عنه في تربة شرف الدين الصغير رضي الله عنه.

ومنهم سيدي الشيخ أبو القاسم المغربي الفاسي القصري رضي الله عنه

قدم مصر سنة سبع عشرة، وتسعمائة حاجا فصحبته إلى أن سافر ثم رجع من الحج فصحبته إلى أن سافر إلى المغرب فلما وصل إلى فاس أرسل لي كذا وكذا كتابا مشتملا على آداب، وإرشادات، وكان رضي الله عنه ذا خلق حسن، وكرم، وحلم لم يزل متبسما منشرحا، وجاء مصر في نحو خمسمائة مريد حج بهم. وكان دأبه الجهاد طول عمره إلى أن مات رحمه الله تعالى.

ومنهم سيدي علي البلبلي رضي الله عنه

وبلبل قبيلة من عرب المغرب كان رضي الله عنه ذا سمت حسن وخلق حسن لم يزل يسافر الحجاز، والقدس، واليمن إلى أن مات في الحجاز وكان يقيم إذا جاء مصر في الجامع الأزهر، وهو الذي قال لي جميع ما يقدم إليك من المأكل مائدة الله تعالى فكل منها بالتعظيم لمن قدمها، وميزان الشريعة بيدك من حيث الورع، ولا تتركها تهلك وكان سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه يحبه حبا شديدًا، وكذلك الشيخ نور الدين الشوني رضي الله عنه، وغيرهما، وكان رحمه الله على قدم من الزهد، والورع، ودخل عليه مرة الشيخ محمد بن عنان رضي الله عنه فرآه مريضا قد أشرف على التلف فرقد الشيخ محمد مكانه فقام سيدي علي نشطا في الحال كأن لم يكن به مرض، ومكث سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه مريضا نحو أربعين يوما رحمه الله تعالى.

ومنهم الشيخ إبراهيم أبو لحاف[1] المجذوب رضي الله عنه

كان رضي الله عنه من أوسع الناس خلقا لا يكاد أحد قط يغضبه، ولو فعل معه ما فعل، وكان أولا مقيما في برج من أبراج قلعة الجبل نحو عشرين سنة فلما قرب زوال دولة الجراكسة أرسل يقول: للغوري تحول، وأعط مفاتيح القلعة لأصحابها فلم يلق إليه بالاً، وقال هذا مجذوب فنزل إلى مصر، وزالت دولة الجراكسة ولم يزل في مصر إلى أن مات، ودفن في قنطرة السد بالقرب من مصر العتيق في الحوش الذي هناك، وكان يقيم عندي الشهر، وأكثر فكنت أراه لا ينام شيئا من الليل إلا قبيل الفجر، وكان رضي الله عنه يقول طول ليله: الله الله لله لا يفتر، وكان حافيا مكشوف الرأس ملتحفا بملاءة حمراء، وبيده عصا غليظة لم تزل في حضنه، ويقول: احتاج الزمان إلى هذا، ولما مددت للتسويط في أيام السلطان أحمد بسبب شخص من أكابر الدولة قيل إنه مخبأ عندي، وقف عند رأسي، وقال: لا تخف ما عليك باس غداً تقضي الحاجة أذان الظهر فلما كان الغد خرج السلطان أحمد هاربا من القتل أذان الظهر كما قال، وكنت لم أزل أسمعه يقول: هذه الكلمات سبحان من خلق الخلق احتياط علم خبر فقط رحمة الله تعالى عليه.

ومنهم الشيخ محمد بن زرعة رضي الله عنه

كان رضي الله عنه مقيما بمصر بقنطرة قديدار، وكان رضي الله عنه يتكلم ثلاثة أيام، ويسكت ثلاثة أيام زرته مرات، ودعا لي بدعوات منها الله يجعلك من رءوس حزب محمد ﷺ، قال بعضهم: وكان سيدي عبد القادر الدشطوطي رضي الله تعالى عنه من سعاة محمد بن زرعة إذا جالت روحه في الأرض مات رحمه الله سنة أربع عشرة وتسعمائة، ودفن بالشباك الذي كان يقعد فيه في بيته رضي الله عنه.

ومنهم سيدي علي وحيش من مجاذيب النحارية رضي الله عنه

كان رضي الله عنه من أعيان المجاذيب أرباب الأحوال، وكان يأتي مصر، والمحلة، وغيرهما من البلاد، وله كرامات، وخوارق، واجتمعت به يوماً، في خط بين

(١) اسمه هذا شبيه باسم صاحبنا الشيخ محمد أبى بطانيه الصعيدى، وقد ترجمناه فى كتابنا طبقات الخلوتية.

القصرين فقال لي: وديني[1] للزلباني فوديته له فسقاني وقال له يصبرك على ما بين يديك من البلوى، وأخبرني الشيخ محمد الطنبي رحمه الله تعالى قال: كان الشيخ وحيش رضي الله عنه يقيم عندنا في المحلة في خان بنات الخطا وكان كل من خرج يقول له قف حتى أشفع فيك عند الله قبل أن تخرج فيشفع فيه، وكان يحبس بعضهم اليوم، واليومين، ولا يمكنه أن يخرج حتى يجاب في شفاعته[2]، وقال يوما لبنات الخطا اخرجوا فإن الخان رائح يطبق عليكم فما سمع منهن إلا واحدة فخرجت ووقع على الباقي فمتن كلهن، مات رحمه الله تعالى بالنحارية سنة سبع عشرة وتسعمائة رضي الله عنه.

ومنهم سيدي الشريف المجذوب رضي الله عنه

كان رضي الله عنه ساكنا تجاه المجانين بالمارستان المنصوري، وكان له كشف، ومثاقلات للناس الذين ينكرون عليه، وكان رضي الله عنه يأكل في نهار[3] رمضان، ويقول: أنا معتوق أعتقني ربي، وكان كل من أنكر عليه يعطبه في الحال، وأرسل لي مرة رغيفا مع إنسان، وقال قل له يأكل هذا الرغيف، وطوى فيه مرض سبعة وخمسين يوما فلم آكله فأكله القاصد فمرض سبعة وخمسين يوما فقال للقاصد لا تخف إن شاء الله تعالى أصطاده في مرة أخرى فلم يقدر له ذلك، وكان رضي الله عنه يتظاهر ببلع الحشيش[4] فوجدوها يوما حلاوة، وكان قد أعطاه الله تعالى

(١) لفظة عامية لاتزال تستعمل لحد الآن فى مصر بين الناس.

(٢) أقام الحق عز وجل هذا الولى ـ لما كانت له شفاعة فى أهل عصره عند الله ـ لأجل الشفاعة فى النساء الداعرات الزانيات وكذلك فى الرجال الزناة، وهى وظيفة من جملة وظائف الأولياء، وهى وظيفة تنظيف الكون من الفساد.

(٣) هو حال خاص به لكونه من المجاذيب، ومعلوم أن المجذوب غير كامل، وعليه فلا يقتدى به فى حاله، وإلا فأين هو من حال رسول الله ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكان يصوم ولا يفطر، وربما كان يأكل فى الظاهر وفى الحقيقة هو صائم وهو من باب اختيارات أولياء الله تعالى لمن حولهم.

(٤) هو نوع من أنواع الحجب التى يحجب بها الولى نفسه عن الناس، وربما تظاهر بذلك لأجل اختبارهم، فيتبين المعتقد من المنكر، وهكذا أقامت القدرة الإلهية الأولياء عيناً من عيون الاختبار كى يميز الله الخبيث من الطيب.

التمييز بين الأشقياء والسعداء في هذه الدار، وكان أصله جمالا عند بعض الأمراء ثم حصل له الجذب، وكان سيدي على الخواص رضي الله عنه يرسل له الحملات الثقال فيقوم بها، ولما طعن أصحاب النوبة سيدي عليا الخواص رضي الله عنه جاءه الشريف ورد عنه الطعنة، وقال لم يجئني أحد في مصر غير الشريف فكان لا ينساها له ثم إنهم طعنوه مرة أخرى فأصابته، وذلك أن الشفاعات كثرت على سيدي علي الخواص رضي الله عنه أيام السلطان ابن عثمان وكان أصحاب النوبة بمصر عجما فكانوا لم يزالوا يعارضونه، ويعارضهم فطعنوه بخنجر في مشعره ولم يزل به إلى أن مات بعد ثلاثين يوما رضي الله عنه[1].

ومنهم سيدي علي الدميري المجذوب رضي الله عنه

كان رضي الله عنه جالسا ليلا ونهارًا، على دكان بياع الرقاق تجاه حمام المارستان، وكان رضي الله عنه لا يتكلم إلا نادرًا، وكان مكشوف الرأس ملفوفا في بردة كلما تتقطع يبدلونها له بأخرى أقام على هذه الحالة نحو عشرين سنة وكان كلما رآني تبسم مات رضي الله عنه سنة خمس وعشرين وتسعمائة، ودفن بالمسجد الذي بقرب باب النصر اليشبكي، وقبره ظاهر يزار رضي الله عنه.

ومنهم شيخي، وأستاذي سيدي علي الخواص البرلسي رضي الله عنه

كان رضي الله عنه أميا[2] لا يكتب، ولا يقرأ، وكان رضي الله عنه يتكلم على معاني القرآن العظيم، والسنة المشرفة كلاماً نفيسا تحير فيه العلماء، وكان محل كشفه اللوح المحفوظ عن المحو والإثبات فكان إذا قال قولا لا بد أن يقع على الصفة التي

---

(١) الحرب الباطنية بين الأولياء موجودة، كما كانت موجودة فى الظاهر بين الصحابة نحو حرب على وطلحة والزبير.

(٢) معنى الأمية عند الأنبياء والأولياء، انحجاب ظاهر التعليم عن النبى أو الولى، ولا يدل ذلك على جهله، وكذلك لا تمنع أميته تمكنه فى علوم الشريعة والحقيقية، فقد كان نبينا ﷺ أمياً ووضع قواعد الشريعة لنا، وكان سيدى محمد وفا أمياً، وكان برغم ذلك له لسان عال فى علوم الحقائق بحيث لا يفهمه غيره، وكانت لسيدى على الخواص برغم أميته فتاوى عجيبة تدل على كمال علمه فى الشريعة والحقيقة جمعها تلميذه الشعرانى وهى مطبوعة.

قال، وكنت أرسل له الناس يشاورونه عن احوالهم فما كان قط يحوجهم إلى كلام بل كان يخبر الشخص بواقعته التي أتى لأجلها قبل أن يتكلم فيقول: طلق مثلا أو شارك أو فارق أو اصبر أو سافر أو لا تسافر فيتحير الشخص، ويقول: من أعلم هذا بأمري، وكان له طب غريب يداوي به أهل الاستسقاء، والجذام، والفالج، والأمراض المزمنة فكل شيء أشار باستعماله يكون الشفاء فيه .وسمعت سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه يقول: الشيخ علي البرلسي أعطي التصريف في ثلاثة أرباع مصر، وقراها وسمعته يقول مرة أخرى: لا يقدر أحد من أرباب الأحوال أن يدخل مصر إلا بإذن الشيخ علي الخواص رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه يعرف أصحاب النوبة في سائر أقطار الأرض، ويعرف من تولى منهم ساعة ولايته ومن عزل ساعة عزله ولم أر هذا القدم لأحد غيره من مشايخ مصر إلى وقتي هذا، وكان له اطلاع عظيم على قلوب الفقراء فكان يقول: فلان اليوم زاد فتوحه كذا كذا دقيقة، وفلان نقص اليوم كذا كذا، وفلان فتح عليه بفتوح يدوم إلى آخر عمره، وفلان يدوم فتحه سنة أو شهرًا أو جمعة فيكون الأمر كما قال ومر عليه فقير فتح عليه بفتوح عظيم فنظر إليه، وقال هذا فتوحه يزول عن قريب فمر على ذلك الفقير شخص من أرباب الأحوال فازدراه، ونقصه بكلمات فراح ذلك الشخص إلى ذلك الفقير، ودار له نعله فسلبه ذلك الفتوح فقال له الشيخ: يا ولدي قلة الأدب لا يمكث معها فتوح، ولم يزل مسلوبا إلى أن مات، وكان رضي الله عنه يعظم أرباب الحرف النافعة في الدنيا كالسقاء، والزيال، والطباخ، والفيخراني ومقدم الوالي، ومقدم أمير الحاج، والمعداوي، والطوافين على رءوسهم بالبضائع، ويدعو لهم، ويكرمهم، وكان رضي الله عنه يعظم العلماء، وأركان الدولة، ويقوم لهم، ويقبل أيديهم، ويقول: هذا أدبنا معهم في هذه الدار، وسيعلمنا الله تعالى الأدب معهم إذا وصلنا إلى دار الآخرة، وكان إذا علم من أحد من أرباب الدولة أو غيرهم أنه قاصد السلام عليه يذهب إليه قبل أن يأتي، ويقول: كل خطوة يمشيها الناس إلى الفقير تنقصه من مقامه درجة فقيل له فكيف تذهب أنت إليهم فقال: أنا أذهب وأسأل الله تعالى لهم أن لا ينقص درجتهم فإن أجري على الله تعالى لا

عليهم، وكان ﷺ أولاً طوافا يبيع الصابون، والجميز، والعجوة، وكل ما وجد ثم فتح دكان زياتة سنين عديدة ثم صار يضفر الخوص إلى أن مات، وكان لا يأكل شيئا من طعام الظلمة، وأعوانهم، ولا يتصرف في شيء من دراهمهم في مصالح نفسه أو عياله إنما يضعه عنده للنساء الأرامل، والشيوخ، والعميان، والعاجزين عن الكسب، ومن ارتكبتهم الديون فيعطيهم من ذلك ما قسم، وورمت عيناه مرة ورما شديدًا، وهو يضفر الخوص فأتاه شخص من أصحابنا بدراهم، وقال يا سيدي أنفقها، واسترح حتى تطيب عيناك فردها، وقال: والله أنا في هذا الحال، ولا تطيب نفسي بكسب نفسي فكيف بكسب غيري . وكان ﷺ يعامل الخلق على حسب ما في قلوبهم لا على حسب ما في وجوههم . ومر عليه مرة شخص من الفقراء، والنور يخفق من وجهه فنظر إليه الشيخ فقال: اللهم اكفنا السوء إن الله إذا أراد بعبد خيرًاجعل نوره في قلبه وظاهر جسده كآحاد الناس، وإذا أراد به سوءًا أظهر ما في قلبه على وجهه وجعل قلبه مظلماً ، وكان ﷺ يكنس المساجد، وينظف بيوت الأخلية، ويحمل الكناسة تارة، ويخرجها إلى الكوم احتسابا لوجه الله تعالى كل يوم جمعة، وكان يكنس المقياس في كل سنة ثاني يوم نزول النقطة، وينفق على أصحابه ذلك اليوم نفقة عظيمة يقبض من عبه الدراهم، ويعطيها كل من رآه من المستحقين، ويزن عنهم كراء[1] المعدية، وهم نحو مائة نفس ثم يفرق السكر، والخشكنان على أهل المقياس، وجيرانه ثم ينزل فيكشف رأسه، ويتوضأ من المقياس، ويصير يبكي ويتضرع ويرتعد كالقصبة في الريح ثم يطلع يصلي ركعتين، ويأمر كل واحد من أصحابه أن ينزل ثم يكنس السلم بمشط من حديد، ويخرج الطين الذي فيه بنفسه لا يمكن أحدًا يساعده فيه .وكان يقال إن خدمة النيل كانت عليه، وأمر طلوع النيل، ونزوله وري البلاد، وختام الزرع كل ذلك كان بتوجهه فيه إلى الله تعالى، وكان أولياء عصره تقر له بذلك، ولما دخل ابن عثمان مصر أرسل له فقيرًا ينظركم معه من أصحاب النوبة فذهب، ورجع فقال معه سبعة فقال والله مغفر يرجع إلى بلاده[2] سالماً ، وكان

---

(١) أى أجرة المعدية.

(٢) وإنما رجع سالماً بسبب من معه من أهل النوبة، فقد كانوا كالحفظة له الذين يحمونه من أهل النوبة =

سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه إذا جاءه أهل الحوائج الشديدة كشخص رسم السلطان بشنقه أو مسكه الوالي بزغل أو حرام أو نحو ذلك يرسل صاحب الحاجة للشيخ علي رضي الله عنه، ويقول: نحن ما معنا تصريف في هذا البلد فتقضى الحاجة، وجاءته امرأة مرة، وأنا قاعد فقالت يا سيدي نزلوا بولدي يشنقونه على قنطرة الحاجب فقال اذهبوا بسرعة للشيخ علي البرلسي رضي الله عنه فذهبت إليه أمه فقال: روحي معه، وإن شاء الله تعالى يلحقه القاصد من السلطان قبل الشنق فهو طالع قنطرة الحاجب للشنق، وإذا بالشفاعة جاءت فأطلق، ورأى الشيخ محمد بن عنان رضي الله عنه ليلة بلاء عظيما نازلا على مصر فأرسل للشيخ علي فقال الله لا يبشره بخير، ولكن توافى البركة فجاء جان بلاط المؤتمر محتسب مصر فأخذ الشيخ عليا من الدكان، وضربه مقارع، وخزمه في كتفه وأنفه، ودار به مصر وبولاق فلما صلى الشيخ محمد رضي الله عنه الظهر، ورأى البلاء ارتفع قال روحوا انظروا أيش جرى للشيخ علي فراحوا فوجدوه على تلك الحال فردوا على الشيخ محمد رضي الله عنه الخبر فقال الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من يتحمل عنها البلايا والمحن ثم خر ساجدًا لله عز وجل، وكان إذا وقع نوء أيام زهر الفواكه لا ينام تلك الليلة، وهو يتضرع ويبكي، ويسأل الله تعالى في رفعه، وكان رضي الله عنه يملأ أوعية الكلاب دائما في حارته وغيرها، وكان لا يراه أحد قط يصلي الظهر في جماعة، ولا غيرها بل كان يرد باب حانوته، وقت الأذان فيغيب ساعة ثم يخرج فصادفوه في الجامع الأبيض برملة لد في صلاة الظهر، وأخبر الخادم أنه دائما يصلي الظهر عندهم، وكانت مدة صحبتي له عشر سنين فكأنها كانت ساعة، وله كلام نفيس رقمنا غالبه في كتابنا المسمى بالجواهر والدرر كل جواب منه يعجز عنه فحول العلماء حتى تعجب من كتب عليه من العلماء كسيدي الشيخ شهاب الدين الفتوحي الحنبلي رضي الله عنه، وسيدي الشيخ شهاب الدين بن الشلبي الحنفي رضي الله عنه، وسيدي الشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي رضي الله عنه، والشيخ شهاب الدين الرملي الشافعي رضي الله عنه وغيرهم، وقال الشيخ شهاب الدين الفتوحي

= الذين بمصر ومن بغيرها من البلاد الأخرى.

رضي الله عنه لي سبعون سنة أخدم العلم فما أظن قط أنه خطر على بالي لا السؤال ولا الجواب من هذا الكتاب يعني الجواهر والدرر، وكان له جبة واحدة، وشاش صغير على زنط يغسل العمامة والجبة في السنة مرة واحدة بالملح، ويقول: نوفر الصابون لغيرنا من الفقراء، وكان إذا اشتهت نفسه الدسم أخذ عظم الأذناب من قاعة العظام، وصلقها ثم قطف الدهن وكب ماءها ثم طبخ به القمح والرز هذا كان لحمه، ويقول: الأذناب لا تصيبها العيون، ولا أحد ينظر إليها، وكان رضي الله عنه يقول: لا يسمى عالما عندنا إلا من كان علمه غير مستفاد من نقل أو صدر بأن يكون خضري المقام، وأما غير هذا فإنما هو حاك لعلم غيره فقط فله أجر من حمل العلم حتى أداه لا أجر العالم، والله لا يضيع أجر المحسنين ثم قال من أراد أن يعرف مرتبته في العلم يقينا لا شك فيه فليرد كل قول حفظه إلى قائله، وينظر بعد ذلك إلى علمه فما وجده معه فهو علمه، وأظن أن لا يبقى معه إلا شيء يسير لا يسمى به عالماً، وكان يقول: لا يصير الرجل عندنا معدودًا من أهل الطريق إلا إن كان عالما بالشريعة المطهرة مجملها ومبينها ناسخها ومنسوخها خاصها وعامها، ومن جهل حكما واحدًا منها سقط عن درجة الرجال فقلت له إن غالب مسلكي هذا الزمان على هذا ساقطون عن درجة الرجال فقال نعم إن هؤلاء يرشدون الناس إلى بعض أمور دينهم، وأما المسلك فهو من لو انفرد في جميع الوجود لكفى الناس كلهم من العلم في سائر ما يطلبونه، وكان رضي الله عنه يقول: في معنى قول الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه حين رأى رب العزة جل جلاله في منامه فقال: يا رب بم يتقرب إليك المتقربون؟ قال يا أحمد بتلاوة كلامي قال يا رب بفهم أم بغير فهم؟ قال يا أحمد بفهم وبغير فهم المراد بفهم ما يتعلق بعلماء الشريعة، وبغير فهم ما يتعلق بعلماء الحقيقة فإن العلماء ما لهم آلة لفهم كلام الله تعالى إلا بالفكر والنظر وأما العارفون فطريقهم إلى فهمه الكشف، والتعريف الإلهي وذلك لا يحتاج إلى تفهم فقيل له فما تقول: فيمن يقرؤه من العوام من غير فهم فقال: قد صح أن له بكل حرف عشر حسنات والله أعلم، وكان رضي الله عنه يقول: إذا حفت العناية الإلهية عبدًا صار كل ذرة من

عمره تقاوم ألف سنة من عمر غيره، وإذا تخلفت العناية عن عبد صار كل ألف ذرة من عمره لا تساوي ذرة من عمر غيره، وكان يقول: ونحن في سنة إحدى وأربعين وتسعمائة جميع أبواب الأولياء قد تزحزحت للغلق، وما بقي الآن مفتوحا إلا باب رسول الله ﷺ فأنزلوا كل ضرورة حصلت لكم به ﷺ، وكان يقول: لا يكمل الفقير في باب الاتباع لرسول الله ﷺ حتى يصير مشهودًا له في كل عمل مشروع ويستأذنه في جميع أموره من أكل، ولبس، وجماع، ودخول، وخروج فمن فعل ذلك فقد شارك الصحابة في معنى الصحبة، وكان رضي الله عنه يقول: لو شهد المعتزل عن الناس أن الناس خير منه ما اعتزل عنهم بل كان يطلب الخلطة بهم. ويتعلم من أخلاقهم، وكان يقول في قولهم بئس الفقير بباب الأمير هذا في حق من يأتي الأمير يسأله الدنيا فإن كان لشفاعة ونحوها فنعم الفقير بباب الأمير وكان يقول: من أدب الزائر أن لا يشغل المزور عن الله تعالى بدخوله عليه إما لقوة حال المزور، وإما أن يكون وقت فراغ .

قلت: ويقاس على ذلك تعطيله عن الحرفة التي تكفه عن سؤال الناس، وكان رضي الله عنه يقول أيضا: من أدب الزائر أن لا يزور أحدًا إلا إن كان يعرف من نفسه القدرة على كتمان ما يرى في المزور من العيوب، وإلا فترك الزيارة أولى، وكان رضي الله عنه يقول: سمعت سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه يقول: زيادة العلم في الرجل السوء كزيادة الماء في أصول شجرة الحنظل فكلما ازداد ريا ازداد مرارة، وكان رضي الله عنه يقول في معنى حديث "إن الله يكره الحبر السمين: "أي لأن المراد بالحبر العالم، وسمنه يدل على قلة ورعه، وعمله بعلمه فلو تورع لم يجد شيئا في عصره يسمن[1] به، وكان رضي الله عنه يقول: الراسخ في العلم واقف، ولو لم يرسخ لدام ترقيه ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ٢٦٩) وسئل رضي الله عنه عن المراد بالسر الذي وقر في صدر أبي بكر رضي الله عنه فقال: هو عدم وقوفه مع الوسائط فكان مع الله عز وجل، وكان يرى محمدًا ﷺ طريقا يجري له الخير منها كحكم المريد مع شيخه

(١) ليس كل من كان سميناً دل ذلك على قلة دينه فقد كان الشبلي رحمه الله سميناً، وكان الإمام علي رضي الله عنه عظيم البطن، فهل دل ذلك على قلة دينهما.

إذا كمل المريد، وقد ظهر ذلك السر يوم موته ﷺ فإنه ثبت، وخطب الناس وحضهم، ولم يظهر عليه تأثير كما وقع لعمر رضي الله عنه، ولغيره من الصحابة، وكان رضي الله عنه يقول: ليس لفقير أن يدخر قوت العام إلا إن كان على بصيرة بأن ذلك قوته وحده، وليس لأحد فيه نصيب فإن لم يكن على بصيرة فليس له أن يدخر لأن سبب ذلك إنما هو شح في الطبيعة فإن أطلعه الله تعالى على أن هذا المدخر رزق قوم آخرين لا يصل إليهم إلا على يديه فله الادخار لهذا الكشف، فإن علم أنه رزق قوم، ولكن لم يطلعه الله على أن ذلك يكون على يديه فلا ينبغي له إمساكه فإن أطلعه الله تعالى على أن ذلك لا يصل إليهم إلا على يديه لكن في زمان معين فهو بالخيار إن شاء أمسكه إلى ذلك الوقت، وإن شاء أخرجه عن يده فإنه ما هو حارس، ولا أمره الحق بإمساكه، وإذا وصل إلى ذلك الوقت المعين فإن الحق تعالى يرده إلى يده حتى يوصله إلى صاحبه. **قلت**: وهذا أولى لأنه بين الزمانين يكون غير موصوف بالادخار لأنه خزانة الحق ما هو خازن الحق وكان رضي الله عنه يقول: لا تبدءوا أحدًا بهدية إلا إن كان فقيراً محتاجا أو لا يتكلف للمكافأة فإن من بدأ من يكافئه أساء في حقه لأنه عرضه لكلفة المكافآة، وكان يقول: لا تقوموا لأحد من الإخوان وغيرهم إلا إذا علمتم منهم عدم الميل إلى القيام فإن من قام لمن يحب القيام كبر نفسه بغير حق، وأساء في حقه من حيث لا يشعر، وكان رضي الله عنه يقول: يكفي الفقير في هذه الأيام حجة الإسلام، ولا ينبغي له الزيادة على ذلك إلا إن كان خاليا من منة الناس عليه لا يطرق عليه قلبه تكدير من التجار الذين لم يحسنوا إليه إذا جاع أو عجز عن المشي، ونحو ذلك لأن الله تعالى شرط الاستطاعة في الحج نفله، وفرضه، وكان رضي الله عنه يقول في قوله ﷺ: " إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر "يدخل فيه العالم أو المسلك إذا لم يعمل بعلمه في نفسه ولكن أفتى ودل الناس على طريق الله عز وجل، وكذلك يدخل فيه العالم والعابد إذا زهدا في الدنيا طول عمرهما فلما قربت وفاتهما مالا إلى الدنيا وأحباها وجمعا المال من غير حله فيموتان على ذلك فيحشران مع الفجار الخارجين عن هدى العلماء العاملين.

وكان رضي الله عنه يقول: إنما كان مشايخ القوم يجيبون تلامذتهم من قبورهم دون مشايخ الفقهاء في الفقه لصدق الفقراء في اعتقادهم في أشياخهم[1] دون الفقهاء فلو صدق الفقيه لأجابه الإمام الشافعي رضي الله عنه، وخاطبه مشافهة وكان رضي الله عنه يقول: جميع المنافع التي أوجدها الله تعالى في هذه الدار إنما أوجدها بالأصالة لتسبح بحمده، وأما انتفاع عباده بها فإنما هو بحكم التبعية، ومن قال بعكس ذلك فهو مكر، واستدراج وكان يقول: منع قوم التفكر للمبتدئ، وهو كلام من لا تحقيق عنده، والحق أنه ينفع المبتدئ لأن القلب أو النفس أو الروح أو السر أو غيرها من المعاني الباطنة يألفون صفاتهم الباطنة فإذا ألفوا التفكر ولد وهماً، والوهم ولد خيالا، والخيال يولد علماً، والعلم يولد يقينا . فلا يزال العبْد المتفكر يترقى بهمته وفكره حتى يبلغ درجات الكمال فإذا كمل أخذ ما كان يدركه بالفكر من طريق كشفه وتعريفه ولا يحتاج بعد ذلك إلى تفكر، ولو أنه أراد التفكر لم يجد ما يتفكر فيه مع أنه في حال كماله يدرك في الزمن الفرد من العلوم والمعارف ما لا يعلم، ولا يوصف، وكان يقول: ليس لفقير الدخول بنفسه في مواطن التهم بل من شأن الفقير أن يخاف على نفسه من مواطن التهم أكثر مما يخاف من وجود الألم لأن مواطن التهم توجب السقم على القلب .كما توجب الأغذية الفاسدة السقم على البدن لا سيما وأطباء القلوب قليل، ومواطن التهم كثيرة، وإن كنت بريا فإنها تحكم عليك كما تحكم الشمس بضيائها وحرها على الأمكنة، وهي برية من النور، والحر، وكان يقول: إنما أخبر الحق تعالى بأنه أقرب جار لنا بشارة بإفاضة فضله، ورحمته علينا قبل كل أحد من الخلق فنحن أقرب إلى عفوه، ومغفرته، وفضله ومسامحته لأنه أولى من وفى بحق الجوار، وإن كنا نحن لم نوف به، وكان رضي الله عنه يقول: عداوتنا لأفعال من أمر الحق بعداوته عداوة شرعية، وعداوتنا لذاته عداوة طبيعية، والسعادة في الشرعية لا في الطبيعية، وكان رضي الله عنه يقول: كما لم يجب الحق تعالى عبده في

(١) وقد أجاب سيدى أحمد البدوى العديد من تلاميذه ومحبيه من قبره، وقد أجاب رسول الله ﷺ سيدى أحمد الرفاعى من قبره وأخرج له يده فقبلها، وقال سيدى الفرغل قبل موته: من كان له حاجة فليأت قبرى ويسأل فإننى من المتصرفين فى قبورهم.

كل مسألة كذلك العبد لم يطعه في كل ما أمره جزاء وفاقاً، وكان رضي الله عنه يقول: يجب على الفقير أن يذكر لشيخه أمراضه الباطنة وإن كانت قبيحة ليدله على طريق شفائه منها، وإن لم يفعل وترك ذلك حياء طبع فربما مات بدائه لأن حياء الطبع مذموم لكون الإفصاح عن المرض فيه زوال رياستها وذمها ووقع للشيخ زونبهار المدفون بالقرافة بالقرب من سيدي يوسف العجمي رضي الله عنه أنه كان يصعق في حب الله تعالى فتضع الحوامل ما في بطنها من صعقته فحول الله تعالى ذلك إلى حب امرأة من البغايا فجاء إلى الصوفية ورمى لهم الخرقة، وقال لا أحب أن كذب في الطريق إن واردى تحول إلى حب فلانة ثم صار يحمل لها العود، ويركبها، ويمشي في خدمتها إلى أن تحول الوارد إلى محبة الحق بعد عشر شهور فجاء إلى الصوفية فقال ألبسوني الخرقة فإن واردى رجع عن محبة فلانة فبلغها ذلك فتابت، ولزمت خدمته إلى أن ماتت[1]، وكان رضي الله عنه يقول: كل ما جاءك من الحق تعالى من أمور الدنيا والآخرة من غير سؤال أو بسؤال عن إذن إلهي فهو منة من الله تعالى عليك، ولا حساب عليك بسببه إن شاء الله تعالى بخلاف ما جاء من غير هذين الطريقين، وكان يقول: ليس ما يصيب الأطفال، والبهائم من الأمراض كفارة لها لعدم معصيتها، وإنما هو في البهائم لكونها تطعم، وتسقى في غير وقته أو غير ما تشتهي أو لا تقتصر في الأكل على الحاجة بل تزيد ثم تستخدم مع ذلك فتتعب أبدانها لا سيما في شدة الحر، والبرد وأما في الأطفال فلأن الحوامل من النساء، والمرضعات يأكلن، ويشربن بشره وحرص أكثر ما ينبغي من ألوان الطعام، والشراب فيتولد في أبدانها أخلاط غليظة مضادة للطباع فيؤثر ذلك في أبدان الأجنة التي في بطونهن، وفي أبدان أطفالهن من اللبن الذي هو فاسد، ويكون ذلك سببا للأمراض، والأعلال، والأوجاع من الفالج، والزمانات، واضطراب البنية، وتشويه الخلقة، وسماجة الصورة ثم قال: ومن أراد السلامة من ذلك فلا يأكل، ولا يشرب إلا في وقت الحاجة بقدر ما ينبغي من لون واحد بقدر ما يسكن ألم الجوع ثم يستريح

(١) حكى فريد الدين العطار فى كتابه منطق الطير حكاية شبيهة بهذه الحكاية عن شيخ يدعى عبد الرزاق.

وينام ويمتنع من الإفراط في الحركة، والسكون، وكان ﷺ يقول في حديث "إذا سجد ابن آدم اعتزل الشيطان يبكي": إنما لم ينفعه بكاؤه، ولا توبته لأنه لا يمكنه أن يبكي إلا بوجه واحد، وذلك أن له وجهين، وجه يمد به العصاة فلا يمكنه التوبة من هذا الوجه طرفة عين لأن الوجود لا يخلو عن عاص في كل لمحة ووجه يؤدي منه عبوديته لله عز وجل إذ هو متصرف بمشيئة الله عز وجل في أصحاب قبضة الشقاء، وكان ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠)، مقاولة الحق تعالى لعباده تختلف باختلاف العوالم التي يقع بها التقاول فإن كان واقعا في العالم المثالي فهو شبيه بالمكالمة الجسمية، وذلك بأن يتجلى لهم الحق تعالى تجليا مثاليا كتجليه في الآخرة بالصور المختلفة كما نطق به حديث التحول، وإن كان التقاول واقعا في عالم الأرواح من حيث تجردها فهو كالكلام النفسي فيكون قول الله للملائكة على هذا إلقاء في قلوبهم للمعنى المراد، وهو جعل آدم خليفة في الأرض دونهم، ويكون قولهم هو عدم رضاهم وإنكارهم الناشئين من احتجاجهم برؤية نفوسهم، وتسبيحهم عن مرتبة من هو أكمل منهم باطلاعهم على نقائصه دون كماله.

ثم قال ومن أمعن النظر فيما ذكر تفطن لفهم كلام الله تعالى، وعلم مراتبه وأنه تعالى عين المتكلم في مرتبته، ومعنى قائم به في أخرى كالكلام النفسي فإنه يركب من الحروف ومعبر عنه بها في عالمي المثال والحس .

وكان ﷺ يقول: الممنوع من رؤية الجان إنما هو في صورتهم التي خلقهم الله تعالى عليها[1]، وإذا أراد الحق تعالى أن يطلع أحدًا من عبيده على رؤيتهم من غير إرادة منهم رفع سبحانه وتعالى الحجاب عن عين الرائي فيراهم، وقد يأمر الله تعالى الجن بالظهور لنا فيتجسدون لنا فنراهم رأى العين ثم إذا

(١) ووقد ذكر أحد العارفين أن الحق عز وجل منع الجن من الظهور بصورهم الأصلية، لبشاعة صورهم ولعدم تحمل البشر لرؤية صورهم، وفى كتاب التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات أن أحد الأولياء رأى أحد الجن فى صورته الأصلية فهالته صورته وتعب من تلك الرؤية لمدة طويلة.

رأيناهم فتارة يكونون على صورهم في أنفسهم وتارة يكونون على صورة البشر أو غيرها فإن لهم التشكل في أي صورة شاءوا كالملائكة وقد أخذ الله تعالى بأبصارنا عنهم فلا نراهم إلا إذا كشف الحجاب لنا مع حضورهم في مجالسنا، وحيث كنا، قال: وأصواتهم لا تشبه أصواتنا من كل وجه بل هي مختلفة، وذلك لأن أجسامهم لطيفة فلا يقدرون على مخارج الحروف الكثيفة لأنها تطلب انطباقاً وصلابة، وحصول العلم لنا من كلامهم إنما هو لنطقهم بمثال حروفنا لا بحقيقتها هذا حكم كلامهم ما داموا في صورهم الأصلية، وأما إذا دخلوا في غير صورهم فالحكم للآلة التي دخلوها من إنسان أو بهيمة أو غير ذلك.

وكان رضي الله عنه يقول: المجاذيب والأطفال في الحالة سواء إلا أن الأطفال يتميزون عن المجاذيب بسريانهم في الجنة كما ورد أنهم دعاميص الجنة أي غواصون فيها .

وكان رضي الله عنه يقول: نشأة أهل الجنة مخالفة لنشأة الدنيا التي نحن عليها الآن[1] صورة، ومعنى، كما أشار إليه حديث "إن في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر "وإيضاح ذلك أن حجاب البشرية ما دام موجوداً في الشخص فلا يعلم أحوال الجنة لأن الجنة نشأة شهود وإطلاق لا حجاب وتقييد، ولذلك كان علم أحوال الجنة خاصا بالعارفين ثم قال رضي الله عنه، واعلم يا أخي أن الحق تعالى جعل لنا السمع والبصر، والشم، والذوق، واللمس واللذة في النكاح، والإدراك حقائق متغايرة حكماً ومحلا مع اتحادها في الباطن لأن الإدراك ليس إلا للنفس، وهي حقيقة واحدة بمنافذ مخصوصة، وإنما تنوعت الآثار في هذه الحقائق بتنوع محالها فإذا علمت ذلك فاعلم أن هذه الصفات المتغايرة هنا حكماً ومحلا، يقع الاتحاد بينها في الآخرة حكماً ومحلا، فيسمع بما به يبصر بما به يتكلم بما به يذوق بما به يشم وكذلك الحكم في الضد من غير تضاد فيبصر بسائر جسده، ويسمع كذلك، ويأكل كذلك، وينكح كذلك، ويشم كذلك، وينطق كذلك، ويحرك كذلك، ثم قال رضي الله عنه وهذا القدر النزر

(١) وكان سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه يقول: ليس فى الجنة من الدنيا سوى الأسماء.

من أحوال أهل الجنة لا يصح وجوده في العقل لأنه محال في عقل من يسمع ذلك فكيف بغير النزر مما هو أعظم من ذلك قال: ولم أر أحدًا تكلم على ما ذكرته غير سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه في تائيته فراجعها .

وكان رضي الله عنه يقول في معنى حديث "إن الجنة تشتاق إلى أربع عمار، وعلي، وسلمان، وبلال: "إنما خص رسول الله ﷺ هؤلاء الأربع لأنهم أرواح الجنان، وأسماؤهم أشد مناسبة للجنة لأن عمارًا رضي الله عنه من العمارة، وعليا رضي الله عنه من العلو، وسلمان من السلامة، وبلالا من البلل الذي هو الرحمة قال: وهؤلاء الأربعة هم الموكلون بالأنهار الأربعة المذكورة في القرآن فيغرفون منها بحسب حصة كل أحد، ومشربه من التوحيد، واستعداده .

وكان رضي الله عنه يقول: كان الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام علة مظهر الأفعال المقابلة لما عليه كمل الأنبياء الذين هم فوقه في الدرجة، وسئل رضي الله عنه عن طائفة المسلكين كسيدي أحمد الزاهد، وسيدي مدين وأضرابهم رضي الله تعالى عنهم هل كانوا أقطابا فقال رضي الله عنه: لا، وإنما هم كالحجاب على الملك فلا يدخل عليه أحد من الناس إلا بإذنهم وعلمهم، فهم يعلمون الناس الآداب الشرعية، والحقيقية، وما يظهر عليهم من الكرامات والأحوال إنما هو لصفاء نفوسهم، وإخلاصهم، وكثرة مراقبتهم ومجاهداتهم، وأما القطابة[1] فجل أن يلج مقامها الأحوط غير من اتصف بها قال: وقد بينها الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه، وقال إن لها ستة عشر عالما الدنيا والآخرة عالم واحد من هذه العوالم فقيل له فالتصريف الذي يظهر على أيدي هؤلاء المسلكين هل هو لهم أصالة كالقطب أم لا فقال: رضي الله عنه ليس هو لهم أصالة، وإنما هو بحكم الإفاضة عليهم من الدوائر التي هي فوقهم إلى القطب، وإيضاح ذلك أن الله تعالى إذا أراد إنزال بلاء شديد مثلا فأول ما يتلقى ذلك القطب فيتلقاه بالقبول والخوف ثم ينتظر ما يظهره الله تعالى في لوح المحو والإثبات الخصيصين بالإطلاق والسراح فإن ظهر له المحو، والتبديل نفذه، وأمضاه في العالم بواسطة أهل التسليك الذين هم

(١) ويقصد بها القطبانية.

ـ دنة ذلك فينفذون ذلك، وهم لا يعلمون أن الأمر مفاض عليهم، وإن ظهر له الثبوت دفعه إلى أقرب عدد ونسبة منه، وهما الإمامان فيتحملان به ثم يدفعانه إن لم يرتفع إلى أقرب نسبة منهما كذلك حتى يتنازل إلى أصحاب دائرته جميعا فإن لم يرتفع تفرقته الأفراد وغيرهم من العارفين إلى عموم المؤمنين حتى يرفعه الله عز وجل بتحملهم . ولو لم يحمل هؤلاء ذلك من العالم لتلاشي في طرفة عين قال تعالى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ (البقرة: ٢٥١) وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ (الرعد: ٢) إشارة إلى القطب الذي هو العمد المعنوي الممسك للسموات ففيه إشارة إلى خفائه في العالم، وسئل رضي الله عنه عن كلام بعض العارفين[1]، وهو أنه ذكر في كتاب له أنه شهد جميع النبيين والمرسلين مجتمعين في محل واحد، وأنه لم يكلمه منهم إلا هود عليه السلام فإنه رحب به، وفرح به ما الحكمة في خصوصية كلام هود له دون غيره، وفرحه بهذا العارف، فقال رضي الله عنه: أما خصوصية الكلام فلا يمكنني ذكرها، وأما فرحه فلأن البرزخ قيد للأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالنسبة إلى إطلاق الآخرة وما فيها من النعيم فهم وإن شهدوا ذلك في البرزخ لا يشهدونه إلا من خلف حجاب بغير واسطة جسمهم فإن أجسامهم مقيمة تحت الأرض، وكمال النعيم إنما هو بواسطة اجتماع الجسم، والروح معا فكان فرحه عليه السلام بهذا العارف الذي هو من هذه الأمة المحمدية لاستبشاره بانقضاء مدة البرزخ لأن هذه الأمة آخر من يدخل البرزخ من الأمم، وقد أخبر هذا العارف عن نفسه بأنه أحد الختمين اللذين يختم الله تعالى بأحدهما ولاية الخصوص، وبالآخر ولاية العموم، وفرح هود عليه السلام بهذا العارف مما يؤيد ختميته فإنه لما رأى أحد الختمين علم قرب انشقاق الفجر الآخروي وخلاصه من قيد البرزخ إلى إطلاق الآخرة. **قلت:** وهذا الذي أشار إليه السائل ببعض العارفين هو سيدي محيي الدين بن العربي رضي الله عنه .

وسئل عن الأحدية، وسرياتها مع شدة ظهورها فقال: ألهاكم التكاثر فافهم،

---

(١) هذا العارف هو سيدى محيى الدين بن عربى رضي الله عنه، فيما أعتقد ذكره فى الفصوص.

وسأله أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى فقال: هل أكتب ما أجد في نفسي من العلوم فقال: إن صحبك ذلك عند انفصام تنزله فاكتب، وإن عجزت عن التعبير عنه فلا تتكلف له عبارة، وكان رضي الله عنه يقول: لا يحتاج السالك إلى الواسطة إلا وهو في الترقي فإذا وصل إلى معرفة الله عز وجل فلا يحتاج إلى واسطة، ثم قال رضي الله عنه: وإيضاح ذلك أن الداعي إلى الله عز وجل من نبي أو ولي واسطة بين العبد، وبين الله تعالى في الدعوى إلى الله تعالى لا إلى نفسه فإذا وقع الإيمان الذي هو مراد الله تعالى من عباده ارتفعت واسطة الرسول والولي عن القلب حينئذ، وصار الحق حينئذ أقرب إلى المدعو من نفسه، ومن رسوله، وما بقي للرسول إلا حكم الإفاضة على العبد من جانب التشريع، والاتباع، ثم قال وانظر إلى غيرة الحق تعالى على عباده بقوله لسيدنا محمد ﷺ، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فأضاف عباده إليه، وأخبر أنه أقرب إلينا من أنفسنا، ومن رسولنا الذي جعله واسطة بيننا وبينه مع أنه مدحه حتى كاد أن يلحقه به لما هو عليه من الكمالات ثم إنه تعالى قال له "ليس لك من الأمر شيء "فأخرجه من الخلق، ونفاه منهم، وأثبته معهم فافهم وسئل رضي الله عنه هل يصح تعلق الذات بصفاتها فقال: لا فإن الصفات معدومة الظهور عندها لعدم من يتعلق بها من الخلق "كان الله ولا شيء معه "فما ظهرت الصفات إلا بوجود الخلق فقيل له فهل يصح تعلق الذات بالعلم فقال رضي الله عنه: العلم من لازمها، وهو لا يحيط إلا بالصفات إذ هو من جملتها .

وكان رضي الله عنه يقول: إذا بلغ العارف مقام الكمال فليس له الاستناد لغير ما يظهره الله فيه من العلوم فإن روحك أقرب إليك ممن تنقل عنه، وهذا أمر لا يعرف إلا بالذوق، وكان رضي الله عنه يقول: من علامة المتسلق[1] على مقام العارفين أن يحصل له الخشوع والشهود في حال ذكره ثم إذا فرغ يذهب ذلك مع الذكر. وحكم ذلك كالرطب المعمول يتغير بسرعة ، وسأله سيدي أفضل الدين رحمه الله تعالى عن القساوة التي يجدها في قلبه فقال رضي الله عنه اشكر الله تعالى حيث

(١) المتسلق هو المتسلل الذى قال عنه سيدى أحمد الرفاعى رضي الله عنه: متسلل لا يصل.

ستر عنك حالك لتكون عبدًا له صرفا لا عبد خشوعك وحضورك، فقال: وأنا إن شاء الله تعالى عبد له صرفا مع ذلك ومع غيره فقال صحيح لكن الامتحان آفاته كثيرة، والمحبوب عند الله من ادخر له ما وعده به على أعماله إلى الدار الآخرة، وخرج من الدنيا برأس ماله كاملا من غير خسارة، ثم قال ﷺ إياك وكل شيء ألفته نفسك فإن السم فيه، ولا بد لنفوذ السم من معين، ولا معين له إلا النفس .

وانظر إلى قوله تعالى لآدم، وحواء: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ (البقرة: ٣٥) مع علمه بها حال علمه بالأسماء فلما أراد الله تعالى نفوذ قدرته ألف بينه وبين من كان سببا في أكله، وليست إلا نفسه التي حواء مظهرها فما نزل به البلاء إلا منه وبه، وكان ﷺ يقول: إذا نظرت الوجود فرد شيء فلا تعبر عن شيء لأن التعبير يفصل وشكا إليه أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى مرة ما يقع له من كثرة النوم فقال ﷺ لا تلتفت إلى شيء دون الله تعالى فإن من وقف مع الأسباب أشرك مع الحق وفي لمحة تقع الصلحة فقال له أيضا: يقع لي كثيرة السهر والقلق في بعض الأوقات فقال له: إن كان في فكر في المصالح فمدد، وخير كبير، وإن كان السهر مع الغفلة فبلاء نزل يوزعه الله على المؤمنين حتى يرتفع.

وكان ﷺ يقول: القمر آية شهود لدلالته على ظهور الأحدية، وسريانها، والشمس آية علم لدلالتها على ظهور الوحدانية، وإحاطتها بتكثرها، وكان ﷺ يقول: إياكم، والطواف بالليل فقال أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى: إن كثيرًا من الناس يطوفون ليلا فقال هم معذورون ولكن ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩) فقال: لا، وكان ﷺ يقول: إذا كنت مؤمنا وسمعت أنه تعالى يمدح المؤمنين فلا تبادر إلى كونك مؤمناً، وتأمل قبل ذلك هل أنت على ما وصف الله به المؤمنين من الصفات التي مدحهم عليها أم لا ثم إن كنت على ما وصف فهل تموت على ذلك أم لا فإن علمت أنك تموت على ذلك فقد أمنت مكر الله ﴿فَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الأعراف:

٩٩) وإن علمت أنك تموت على غير ذلك فقد أيست من رحمة الله ﴿لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧) فكن بين الخوف والرجاء فإنه الصراط المستقيم، وسمعته مرة يقول: كل وصف ونعت محمود فباطنه ذم وتخويف، وكل وصف ونعت مذموم فباطنه مدح ورجاء لمن استبصر هكذا حكمة الله في كلامه فافهم، وكان رضي الله عنه يقول في قوله ﷺ: " يحشر المرء على دين خليله " النفس[1] أقرب خليل إليك فانظر كيف تكون فإن من هنا جاء البلاء والخوف فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وكان رضي الله عنه يقول: لا تأكل قط طعام أحد إلا إن كنت وليه في التربية أو من أهل آية ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً﴾ فإن كل لقمة نزلت في جوفك نقصت من عبوديتك بقدرها واسترقتك لصحب تلك اللقمة، وكان رضي الله عنه يقول: الأفعال لمحمودة إذا رجع نفعها إلى صاحبها فاض منه على الكون لكن أكثر النفع نفع للعامل والأفعال المذمومة إذ وقعت رجع جزاؤها عاما، ولو أنه رجع خاصا لأهلك العاصي لوقته وساعته، فلذلك وزعه الله تعالى على المؤمنين، وفتح للعاصي باب التوبة ببقاء روحه، ثم قال: وقد يثقل الله تعالى البلاء على العاصي حتى يرجع عما هو عليه أو لتذهب به يد الشقاء حيث أراد الله عز وجل وسأله أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى عن نور البرزخ لم كان كثيفا ,ولم يكن شفافا كهذه الأنوار فقال: إنما كان كثيفا لأنه نور أعمال الجوارح في الدنيا، والجوارح والدنيا كثيفان، وأيضا فإن الأنوار تصير في محل الظلمة كثيفة لأن البرزخ واحد بسيط، وليس فيه كثرة مباينة ليتميز بالنور الشفاف وكان رضي الله عنه يقول: من قرب من أخلاق رسوله كان له الإطلاق والسراح في البرزخ تبعا لرسوله ﷺ، فيجتمع كلما شاء بمن شاء من أصدقائه وغيرهم، وأما من بعد من أخلاق رسوله ﷺ بالأفعال الرديئة فإن شاء الله تعالى أطلقه، وإن شاء قيده فلا يصح له الاجتماع بمن يريد، وكان رضي الله عنه يقول: الأفعال والأحوال المحمودة هي المدبرة للفلك ثم إن الأمداد تنزل على الخلق بحسب

(١) وذلك لأن النفس هى أقرب الأشياء إلى صاحبها، وهو تشبيه حقيقى جميل، فإن النفس قد صبغها خالقها بحقيقة معينة وصبها فى قالب مخصوص لا تحيد عنه، والكلام هنا فيه مطالبة بتقويم المريد لنفسه وتهذيبها.

رتبتهم، وكثرة نصحهم فمن كانت أعماله متقنة كاملة كان دوران الفلك في حقه أسرع ثم تضاعف له الحسنات بحسب كثرة النفع، ومن كان تاركا للأسباب دار الفلك بنصيب غيره ولم يحصل له شيء من الأمداد لأنه لم يعمل، ومن لا عمل له لا أجرة له ثم قال ﷺ لكن لا يخفى أن الحق تعالى لا نسبة بيننا وبينه في العطاء عنده لبراءته عن أن ينفصل عنه شيء لنا أو يتصل به شيء منا، وإنما الأمر راجع منا لنا بحسب أعمالنا، وهو الغني الحميد، ومن هنا كان عتب الخضر على موسى حين أقام الجدار من غير أجر لعلمه بهذا الأمر فأراد الخضر عليه السلام أن يفتح لموسى باب الاكتساب ليجمع له بين مرتبتي الكسب والوهب فلهذا قال تعالى: " بلى عبدنا خضر أعلم منك "وسمعته ﷺ يقول: الفائدة في مصاحبة الكمل مجهولة[1] لأن رتبة الكامل التي أقامه الحق فيها هي للحق لا للعبد، والعبد لا تعرض عنده على سيده في شيء فهو لا يشفع، ولا يدفع، ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع إلا بإذن من الله تعالى مخصوص، وأنى له بذلك، والرسالة قد انقطعت فإن أمر الكامل بالتنزل للتلامذة نفع وشفع، وأعطى ومنع، وإلا فهو مع الله تعالى دائما على قدم الخوف لنظره إلى عالمي المحو والإثبات، وخاتمة العبد المدعو مجهولة على العارف . وإيضاح ما ذكرناه أن المصاحبة تقتضي الميل إلى الصاحب، والميل إما لإثبات أو نفي، وكلاهما ممتنع في حق العارف الكامل، وكان ﷺ يقول: لا يلزم من تربية العارف لتلميذه أن يرثه ذلك التلميذ لأن التربية حقيقة لله يورثها من يشاء من عباده، وكان يقول: الألوهية مطلقة قابلة للجمع بين الضدين من غير ضد فإنها قبلت التسمى بالرحمن كما قبلت التسمى بالمنتقم وليست الألوهية أولى باسم المنتقم مثلا من غيره كما أن أمره تعالى ليس أولى من نهيه في النفوذ "إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول: له كن فيكون ".

وكذلك حكم العكس فهو يقول: يا عبدي افعل فإنك عبد مأمور مأجور،

(١) أى أن الكامل عبد الحضرة لا عبد المقامات والمنازلات، فإن الكامل ما أوجده الحق عز وجل إلا له هو بلا كيف، فلا اطلاع لذلك الكامل على شيء دون مولاه، فهو لا يدفع ولا يشفع ولا يرد كيداً بل خاضع لأنوار الذات الصرف يتقلب فيها غير منشغل عن مولاه بشيء فهو الحائر العاجز.

ولا تشهد الفعل لك فإن الفعل لي، وأنت محدث متردد بين العدم والوجود، وأنا الفعال لما أريد بفعلك لي وفعلك لك لأني غني عنك،وعن فعلى فيك ولك وبك فإن شهدت الفعل لك فأنت مشرك، وإن تفعل فأنت كافر فاحذرني، وافعل كل ما أمرتك به ولا تنسب لنفسك قولا ولا فعلا، وأنا الخلاق العليم، وسئل ﷺ عن الصلاة على النبي ﷺ، بالألفاظ المطلقة، والألفاظ المقيدة أيهما أولى في حقه ﷺ، وهل الإطلاق الذي يعتمده المصلي في صلاته على النبي ﷺ، مطلق عند الله أم لا، وهل التقييد الذي يتبرأ منه المصلي هو مقيد عند الله أم مطلق فقال ﷺ للسائل: لا تستعمل نفسك في شيء من حيث نظرك في إطلاقه أو تقييده فإن الإطلاق غايته التقييد كما أن التقييد غايته الإطلاق مع علمنا بأن الأحوال الموصوفة بالإطلاق أو التقييد غير مفتقرة إلى وصفنا لها مطلقا لاستغنائها بصفاتها الذاتية التي جعلها الحق حدًا لها تتميز به عن غيرها، ونحن لا اطلاع لنا على حقائق الذوات لنعرف ما تستحقه من الصفات المقتضية لذلك أو لغيره، وكيف يمكن لأحد إيجاد العدم، وقيامه بالوجود، وذلك خصيص بالجناب الإلهي أم كيف يحكم على الصفات التي هي أعراض ببقائها زمانين في عرض آخر فكيف بقيامها في جوهر واحد فإذا قال المصلي على النبي ﷺ: اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما كان، وعدد ما يكون، وعدد ما هو كائن في علم الله فقد استغرق هذا اللفظ العدد والمعدود حسا ومعنى، واستغرق أيضا الزمن المطلق بأقسامه، واستغرق جميع المتخيلات المضافات إلى القدرة والعلم وإذا كان المصلي لا يساوي رتبة هذا العموم والشمول لضيقه وحصره وتقييده فكيف يظهر عنه إطلاق والأعمال كلها لا تكون إلا على صورة عاملها .

كما أشار إليه حديث "الولد سر أبيه "فمن علم ما ذكرناه وتحققه علم أنه لا يظهر له عمل، ولا صدقة، ولا صلاة، ولا قراءة، ولا وصف من الأوصاف إلا بحسب استعداده في ذلك الوقت، وبحسب رتبته في التوحيد إطلاقاً وتقييداً سواء كان ذلك اللفظ مطلقا أو مقيداً فلا تتعب نفسك يا أخي في شيء وصل عليه كما أمرك الله تعالى أن تصلي عليه لتكون عبداً محضا أمرك ربك بشيء

امتثلت أمره، وليكن هذا شأنك في جميع عبادتك البدنية، والقلبية، وكان ﷺ يقول: التفكر، والتدبر من صفات العقل الذي جعله الله تعالى آلة يقطع الإنسان بحدها كل شيء والقلب وعاء الكل، وإصلاح الأطعمة أصل ذلك وغيره فإن الإناء إذا كان شفافا كزجاج وبلور وياقوت ظهر ما فيه على صورة الإناء ولونه من استدارة وتربيع وغير ذلك، وإذا كان الإناء غير شفاف كالخشب، والحديد، والفخار، وغيرها لم يظهر لما فيه صورة، ولا لون، ولا يعرف له حقيقة ثم إن هذه الآلة إذا طبع فيها الخير أو الشر مكث ودام ما لم تتغير النشأة من أصلها وطبعها وهذا غير ممكن لأن الحقائق لا تبدل، ولأن القدرة إنما تتعلق بتغير الصور قبل كمال تكوينها قال وهذا سر من لم يشهده لم يعرفه فعلم أن القلب إذا كان متحققا بصفة ما فما فيه كذلك لأن القلب دائما له الحكم على الجسد والروح، وصفاتهما كما أنه كذلك محكوم عليه بإصلاح الأطعمة.

ومن هنا قال ﷺ: " إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب "فتأمل كيف أتي بلفظ كل التي تقتضي العموم والشمول تعرف ما ذكرناه، ومن كلام سيدي أحمد بن الرفاعي ﷺ إذا صلح القلب كان بيت الله، ومهبط الوحي والأنوار، وإذا فسد كان بيت الشيطان والهوى والظلمة انتهى فالبيت لا يقبل إلا مشاكله فافهم، وكما أن الأحرف وعاء للمعاني فكذلك القلب وعاء للحق والشرع والنور، كما أن الحرف إذا تغير بعض صورته أو نقطه فسد المعنى كذلك القلب إذا تغير بعض صورته أو صفته فسد ما فيه، وسأله أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى، وأنا حاضر عن لذة العلوم عند إيجادها في القلب قبل أن توجد في النفس هل هي مغيبة للإنسان عن حسه كما هو الأمر في النفس فقال ﷺ إذا كان القلب يسع علم الحق كما ورد فكيف لا يسع علم غيره فقال له أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى عالم الغيب أوسع من عالم الشهادة فقال هو أوسع عينا وأما الشهادة فهي أوسع حكما، والحكم لا يفترق عن العين كما لا يفترق لا إله إلا الله من محمد رسول الله ﷺ فقال له أخي المذكور: فما الحكم في الإفاضة على النفس قال

الشيخ رضي الله عنه هو بحكم استعدادها وبعدها من عالمها الأول أو بحكم تقييدها، وعدم استعدادها، وبعدها عن عالمها فقال له أخي المذكور لا بد من الفرق قال الشيخ رضي الله عنه فرق بلا فرق كخطاب قلبك لنفسك، وأنت أنت، وهما عين أينيتك فافهم، وسئل رضي الله عنه عن العلوم المتولدة عن الفكر[1] هل هي مستقيمة في نفسها أم لا؟ فقال رضي الله عنه الحكم في ذلك للوقت فهو علم الوقت يذهب بذهابه، والذهاب عدم، والعدم لا حكم له، ولا عليه فقل له أخي أفضل الدين رضي الله عنه، وكان حاضرًا هذا إذا كان الفكر بتفكره هو أما إذا كان الفكر عن وقع القلب في الوقت فذلك إلهام فعال بشرطه انتهى، ومعنى قوله بشرطه أن يخرج صاحب الإلهام عن مواطن التلبيس، والله أعلم، وسئل رضي الله عنه عن بقاء العلوم في لوح النفس، وعن إدراكها مع كثرة واردات العلوم الفياضة على القلب فقال رضي الله عنه بقاء العلوم محفوظ في الصورة التي ظهرت عنها أعمالا كانت أو أقوالا أو أنفاساً، والإدراك لها يكون بالصفاء الذي هو نور القلب المطلق، وسأله أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى وأنا حاضر عن قولهم العلم قد يكون حجاباً، والجهل قد يكون علما فقال رضي الله عنه أما كون العلم حجابا فلأن العلم صفة، وركونك إليه صفة والصفة مع أختها لا توجب نتيجة كحكم الأنثى إذا اجتمعت مع الأنثى، وأما كون الجهل علما فهو كونك جاهلا بحقيقة نفسك متحيرًا في حقيقتها فسمى جهلك بذلك علماً، ومن هنا قال الأشياخ سبحان من جعل عين المعرفة به عين الجهل به، وذلك لعدم الإحاطة، ولا يخرج لعبد عن الجهل بالله إلا إن أحاط به .وسئل وأنا حاضر عن التفكر في القرآن هل هو كالتفكر في غيره فقال رضي الله عنه الأمر راجع إلى قوة الآلة في القطع، وصلابة المقطوع، ولينه.

وسئل رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ (القصص: ٥٧) هل هذا الرزق لكل من دخل مكة أو هو خاص

---

(١) اعلم أن العلوم التى ينتجها الفكر وتتولد عنه هى علوم خرجت عن تولد العقل، وأما الأولياء فلا يعرفون فى علومهم سوى حدثنى قلبى عن ربى، وفى ذلك يقول سيدى أبو يزيد البسطامى لعلماء الرسوم: أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ونحن أخذنا علمنا عن الحيي الذى لا يموت.

بقوم دون آخرين فقال ﷺ الرزق عام لكل من دخل مكة من المسلمين بحسب استعداده لكن لا يصح تنزل هذا الإمداد على قلب إلا بعد تجرده عن حسناته، وسيئاته .كما أشار إليه خبر "من حج، ولم يرفث، ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه "فيولد الداخل هناك، ولادة ثانية، ومن تأمل بعين البصيرة هناك وجد حسناته ذنوبا بالنسبة لذلك المحل الأكمل فقال له أخي أفضل الدين ﷺ وكان حاضرًا التجرد عن السيئات قد عرفنا أن محله جبل عرفة فأين يكون التجرد عن الحسنات فقال ﷺ هو بحسب المراتب، ولا أظنه إلا في باب المعلاة فقال له أخي أفضل الدين المذكور رحمه الله: إن غالب الحجاج لا يتجردون مما ذكر فقال ﷺ يتجردون، ولكن لا يشعرون كما يشعر به العارفون فقال له أخي المذكور فمتى يكون اللباس فقال ﷺ: عند زيارة قبره ﷺ، وذلك ليظهر الحق تعالى كرمه، وآثار نعمته على أمته بحضرته حتى تقر بذلك عينه ﷺ، فقال له أخي المذكور كثيرًا ما يرجع بعض الحجاج عريانا بلا كسوة فقال ﷺ هذا لا يقع إلا لأصحاب الدعاوى الذين يظنون بأنفسهم الكمال، وأنهم أتوا بالمناسك على وجه الكمال دون غيرهم فنسأل الله العافية، ومثل هذا هو المراد بقولهم إذا حج جارك حول باب دارك للمقت الذي حصل له هناك ثم قد يتفضل الحق تعالى عليه، ويرسل له الخلعة إلى بلاده بواسطة انكسار قلبه أو بواسطة دعاء والديه وإخوانه ونحو ذلك .وسئل ﷺ عن قطب الغوث هل له فعل خرق العوائد من طي الأرض[1] ونحوها فقال ﷺ قد تحكم عليه المرتبة بفعل ذلك وإذا حكمت المرتبة على كامل بشيء فلا تؤثر في كماله ﷺ سواء كان قطبا أو غيره، وكان ﷺ يقول: المراقبة الصحيحة لله تعالى تنشأ من إصلاح الجسد بواسطة القلب، وإصلاح القلب يكون بإصلاح الطعمة وإصلاح الطعمة يكون بالكسب في الكون مع التوكل على الله عز وجل، والتوكل حقيقة هو المراقبة، وذلك يكون من الله تعالى ابتداء، ومن العبد في النهاية اكتسابا فلذلك قال ﷺ:

(١) قلت: قد يتصرف القطب فى الكون بحكم النيابة والخلافة عن الحق عز وجل وعن رسوله ﷺ، وذلك لكون خلافته لا تتم إلا بتصرفه فى التكاليف الكونية وتنفيذ أوامر الحق فى الخلق، وما يريده العلم الإلهى منهم، وما سطره اللوح فى حقهم، فيرفع أقواماً ويخفض آخرين.

[illegible] بكون شكه [illegible] رؤية الأسباب حاصل بعدم انكشاف، [illegible] خاصا بعالم الشهادة لأنه أعاد العمل، وحقيقة الجمل ظهور صورة العلم لا غيره فقال له أخي أفضل الدين ﷺ فإذا كان الأمر كذلك فما الفرق بينهما قال تعلمه كما علمت بالله كل شيء، وأنت غير محتاجين إلى البيان، والقلوب لا تمسك مثل ذلك لأنه غير مألوف وفي الحديث "إن من البيان لسحرًا" والله يحب من عباده الستيرين فاحتفظ يحفظك الله وسمعته مرة يقول: كما حكمت الذات على نفسها بالوجود المطلق فيجب على غيرها أن يحكم على نفسه بالعدم المطلق قال ومن هنا تعلم الفرق بين الألوهية والربوبية وبين العبد، وعجزه، وبين الرب وقدرته، وتعلم أيضا الفرق بين الروح والجسد، والفرق بين توحيد الأكابر من الرجال وتوحيد غيرهم، وهو من أوضح الفروق وأجلاها .وسأله أخي أفضل الدين رحمه الله، وأنا حاضر فقال رأيت كأني ميت، وأنا أغسل جسدي حتى فرغت ثم حملت نصفي الأسفل، وأنت يا سيدي حملت نصفي الأعلى ثم سألت نفسي عوضا عن الملكين فقال الشيخ ﷺ أنت مقصر لم لا تحمل نفسك كلها فتكون كاملا تقاتل عن نفسك بالمدافعة، وشيخك يساعدك إن شاء الله تعالى، وتأمل في حديث "أعني على نفسك بكثرة السجود ".

وأما سؤالك نفسك عوضا عن الملكين فهو صحيح فإن السؤال حقيقة إنما ثمرته وفائدته للملكين لا لك لأنك لم تزدد بسؤالهما علما عما كنت عليه، وكان ﷺ يقول: لا يخرج أحد من الدنيا حتى يكشف له عن حقيقة ما هو عليه، ويتساوى مع أهل الكشف إنما هو تقديم وتأخير ثم قال ﷺ وأما نحن فلا كشف لنا محسوس، ولا حس معقول، ولا عقل، ولا نقل، ولا وصف إلا العقل الملازم لنا في رتبة الإيمان العاري عن الدليل بالمدلول .وسأله أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى، وأنا حاضر فقال له: إذا كان العبد على يقين من الأمان من سوء الخاتمة هل عليه ضرر فقال ﷺ الخوف من لازم كل مقرب لأن غاية

يقينه لا يتعدى نفسه، ولا يمكنه العلم بتعيين الحق تعالى فيما يحكم فيه فإذا ما علم إلا حال نفسه في ذلك الوقت فقط دون ما قبله، وما بعده وعلم الوقت ضرورة يذهب بذهابه، ولا تقييد على الحق تعالى فيما يفعل بل ولو كلمك تعالى، وأقسم بنفسه على ذاته أنك سعيد فلا تأمنه فإنه واسع عليم ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن: ٢٩) ولولا الأدب لقلنا كل نفس له شئون إن كنت قلته فقد علمته وهو على كل شيء رقيب، وسأله أخي أفضل الدين رحمه الله مرة عن التوحيد فقال الشيخ رضي الله عنه: هو عدم فقال له أخي المذكور بل هو وجود فقال وجود فقال له فإذا العدم وجود، والوجود عدم فقال رضي الله عنه نعم فقال له أخي المذكور فانعدم العدم لأنه عدم، والعدم لا كلام فيه، ولم يبق إلا الوجود كما كان، وهو الآن على ما عليه كان فقال رضي الله عنه: نعم ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦) فهو تعالى الموحد نفسه بنفسه لنفسه حقيقة، والخلق لهم الإيمان، والتصديق لا غير.

ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي علي البحيري رضي الله عنه

أحد الأولياء المكملين، كان رضي الله عنه على قدم السلف الصالح من الخوف، والورع، والتقوى، ورثاثة الثياب، وكان أحد من جمع بين الشريعة والحقيقة في عصره، وكنت إذا رأيته تذكرت بأحواله أحوال سيدي الشيخ العارف بالله تعالى سيدي عبد العزيز الدريني رضي الله عنه المنقولة عنه، وكان رضي الله عنه مقيما في قرى الريف يدرس للناس العلم، ويفتيهم، ويعلمهم الآداب والأخلاق، وكنت إذا رأيته لا يهون عليك مفارقته، ولو طال الزمان لما هو عليه من حسن الأخلاق، وهضم النفس، وتذكر أحوال الآخرة حتى كأنها رأى عين وأخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي شهاب الدين بن الإقطيع البرلسي رضي الله عنه ثم بعده عن سيدي الشيخ العارف بالله تعالى سيدي على النبتيتي الضرير، وهو أكبر مشايخه تخلقاً وتحققاً، ولم يفارق شيخه إلى أن مات، وأخبرني بعض الفقراء الصادقين أنه سمع بعض الناس يقول: إن سيدي عليا البحيري رضي الله عنه أحد الأربعين فأنكر ذلك فنام تحت دكة المؤذنين بالجامع الأزهر فرأى في منامه

جماعة بعد جماعة يقولون بل هو إمام[1] الأربعين وكان رضي الله عنه كثير البكاء فإذا عتبوه في ذلك يقول: وهل النار إلا لمثلي، وكانت فتاواه تأتي إلى مصر فيتعجب العلماء من حلاوة لفظها، وكثرة ما فيها من التخويف للخصم حتى يرجع إلى الحق وكان رضي الله عنه يقول: قد عشنا إلى زمان صار الخلق فيه في غمرة، ونسوا يوما تشيب فيه الأطفال، وتسير فيه الجبال، وكان رضي الله عنه إذا مر على الأطفال يسلم عليهم، ويسألهم الدعاء، وكان رضي الله عنه يقول: أدركنا جماعة يبكون طول ليلهم، ويتضرعون في حق هذه الخليقة، ويقولون كل شيء نزل بهذه البلاد التي حولنا فهو بسوء أفعالنا، ولو خرجنا لخف عنهم البلاء رضي الله عنه مات رضي الله عنه في شوال سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، ودفن بنواحي سيدي محمد المنير رضي الله تعالى عنهما.

ومنهم أخي العارف بالله تعالى
سيدي الشيخ أبو العباس الحريثي رضي الله عنه

صحبته نحو ثلاثين سنة فما رأيته قط انتصر لنفسه ساعة، ونشأ رحمه الله تعالى على العبادة، والاشتغال بالعلم، وقراءة القرآن بالسبع ثم خدم الشيخ محمد بن عنان رضي الله عنه، وزوجة[2] ابنته وقربه أشد من جميع أصحابه ثم أخذ بعض الطريق عن سيدي الشيخ علي المرصفي رضي الله عنه وأذن له أن يتصدر بعده لطريق الله تعالى، وأن يلقن كلمة التوحيد قالوا ولم يقع من الشيخ رضي الله عنه الإذن لغيره رضي الله عنه لعزة مقامه، ومعرفته بشروط أهل الطريق، وبرع رضي الله عنه في الطريق، وانتفع الناس على يديه في طريق الله تعالى، ووقع له كرامات كثيرة لا تحصى بحضرتي فمنها ما أعلم أنه كان يحب كتمانه فكتمته، ومنها ما سكت عنه فذكرته. وقد طلع لي مرة بواسير حتى حصل لي منها ضرر شديد فشكوت ذلك له فقال غدا تزول إن شاء الله تعالى في صلاة العصر فصليت العصر ونظرت

---

(١) يعنى القطب.

(٢) كان المشايخ أحياناً يزوجون تلامذتهم الذين سوف يخلفونهم ببناتهم وقد زوج أبو على الدقاق القشيرى بابنته فاطمة.

فلم أجد لها أثرًا ﷺ، وأعطى ﷺ القبول التام عند الخاص والعام حتى أن بعضهم شرب ماء غسالة يديه من زفر السمك، وعمر عدة مساجد في دمياط والمحلة وغيرهما، وكان ﷺ كريم النفس ظريفا حسن المعاشرة بطيء الغيظ كثير التبسم زاهدًا في الدنيا كثير الوحدة في الليل وطوى الأربعين يوما وكان حلو المنطق لا تكاد تسمع منه إلا ما تحب، وربما جلست معه بعد صلاة العشاء فيطلع الفجر، ونحن في مجلس واحد، وكنت أقدر الليلة بنحو سبع درج، وكان ﷺ كثير التحمل لهموم الخلق حتى صار كأنه شن بال جلد على عظم، وما سمعته قط يعد نفسه من أهل الطريق، وكثيرًا ما كان يقول: إذا سمع شيئا من كلام أهل الطريق استراحت العرايا من شراء الصابون، وكان فتحه[1] الكبير بعد وفاة شيخه ﷺ فدخل الخلوة مرارًا، وما خرج حتى سمع الهواتف تأمره بذلك فخرج ودعا الناس إلى طريق الله تعالى، ولقن ﷺ نحو العشرة آلاف مريد، ولم يزل على طريقته الحسني لم يتغير حتى مات .وكان ﷺ يحط كثيرًا على فقراء المطاوعة ويقول: إنهم قطاع الطريق على فقراء الأرياف، وليس في طريقهم ترق لعدم الشيخ الذي يبين لهم الأخلاق .ولم يكن حطه عليهم نقصا فيهم إنما هو لمصلحة المريدين الذين أخذوا عنه الطريق، ولم تعلق فيهم صنارة، وذلك لأن غضب الكامل على الإنسان إنما هو لمصلحة ذلك الإنسان لا حظا للنفس فافهم وسبق سيدي أبا العباس إلى ما ذكرناه سيدي محمد الغمري، وسيدي مدين، وغيرهما فكانوا كلهم ينهون جماعتهم عن الاجتماع بالمطاوعة لهذه العلة التي تقدمت، والله أعلم، ولما حضرته الوفاة قال لسيدي أحمد بن محيي الدين العمري وللحاضرين خرجنا من الدنيا ولم يصح معنا صاحب في الطريق. **قلت:** وكذلك وقع لسيدي إبراهيم المتبولي[2] ﷺ، فقيل له إن من أصحابك فلاناً وفلانا فقال ﷺ هؤلاء من معارفنا إنما صاحبك من شرب من بحرك. توفي ﷺ بثغر دمياط في سنة خمس وأربعين وتسعمائة، وقبره بها ظاهر يزار ﷺ،

(١) اعلم أن الأولياء تقع لهم عدة فتوحات أثناء سلوكهم، وأعظم فتوحاتهم هو الفتح الأكبر، ومشارهم به رؤية الكون من العرش إلى الفرش.

(٢) هذا برغم أن سيدى علياً الخواص من تلاميذ سيدى إبراهيم المتبولى وكلاهما كانا قطبين.

ولقد قصدته في حاجة، وأنا فوق سطوح مدرسة أم خوند بمصر فرأيته خرج من قبره يمشي من دمياط، وأنا أنظره إلى أن صار بيني وبينه نحو خمسة أذرع فقال عليك بالصبر، ثم اختفى رضي الله عنه .

ومنهم شيخي ووالدي وقدوتي الشيخ نور الدين الشوني رضي الله عنه

وهو أطول أشياخي خدمة خدمته خمسا وثلاثين سنة لم يتغير علي يوما واحدًا، وشوني اسم بلدة بنواحي طندتا بلد سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه ربي بها صغيرًا ثم انتقل إلى مقام سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه، وأنشأ فيه مجلس الصلاة على رسول الله ﷺ، وهو شاب أمرد فاجتمع في ذلك المجلس خلق كثير، وكانوا يجلسون فيه من بعد صلاة المغرب ليلة الجمعة إلى أن يسلم على المنارة لصلاة الجمعة ثم إنه خرج يشيع جماعة مسافرين إلى مصر في بحر الفيض فخرجت المركب به من غير قصد منه فلم يقدر أحد على رجوعها إلى البر فقال توكلنا على الله فجاء إلى مصر فأقام بها أولا في تربة السلطان برقوق بالصحراء، وأنشأ في الجامع الأزهر مجلس الصلاة على رسول الله ﷺ في عام سبع وتسعين وثمانمائة، وكان رضي الله عنه يقوم من التربة كل ليلة جمعة إلى الأزهر ويرجع، فلما عمر السلطان طومان باي العدل تربته نقله إليها، وأعطاه وظيفة المزملاتية بها فكان يسقي الناس طول النهار فأقام بها سنين عديدة ثم دخل إلى مصر، وتزوج بها وله من العمر تسعون سنة وكان لم يتزوج قط ثم انتقل إلى مدرسة السيوفية التي وقع لسيدي عمر بن الفارض مع شيخه البقال فيها ما وقع فأقام بها إلى أن مات في سنة أربع وأربعين وتسعمائة، ودفن عندنا بالقبة المجاورة لباب المدرسة القادرية بخط بين السورين، وقبره بها ظاهر يزار .وأخبرني رضي الله عنه قال من حين كنت صغيرًا أرعى البهائم في شوني وأنا احب الصلاة على رسول الله ﷺ، وكنت أدفع غذائي إلى الصغار، وأقول لهم كلوه، وصلوا أنا وإياكم على رسول الله ﷺ فكنا نقطع غالب النهار في الصلاة على رسول الله ﷺ. **قلت:** ولما دخلت مصر في سنة إحدى عشرة وتسعمائة لقيني الشيخ شهاب الدين الطويل المجذوب رضي الله عنه فقال لي أنت ابن الشوني أيش حال أبوك، وكنت لا أعرف

قط من هو الشوني فما كان إلا نحو سنتين فأخبرني شخص أن رجلا يسمى الشيخ نور الدين الشوني من الصالحين في تربة العادلية امض بنا نزوره فلما دخلنا عليه رحب بي أكثر من أصحابي وقال لي أيش قال لك الشيخ شهاب الدين فأخبرته، فقال هو صاحب اطلاع، وإن شاء الله تعالى يحصل لك من جهاتنا نصيب من الخير فكنت أحضر معه المجلس نحو سبع سنين فلما كانت سنة تسع عشرة قال لي مقصودي تجمع لك جماعة في الجامع الذي أنت فيه مقيم، وتحيي بهم ليلة الجمعة بالصلاة على رسول الله ﷺ، على ترتيب هذا المجلس فشرعت فيه في السنة المذكورة فلم ينقطع ببركته ليلة واحدة إلى وقتنا هذا ثم إنه خطر لي ليلة من الليالي أن أقرأ بالجماعة "إنا أعطيناك الكوثر "نحو ألف مرة فقرأناها فرأى جماعة بكثرة تلك الليلة سيدنا رسول الله ﷺ، فأخبرت الشيخ بذلك ففعلها بمجلسه بالجامع الأزهر ثم إني كررت ليلة قوله تعالى: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ (البقرة: ٢٨٦) نحو خمسين درجة فحصل للجماعة بسط عظيم فأخبرته بذلك فصار يفعلها بمجلسه، وتوارثها عنه جماعته ورأيت مرة في واقعة أنني أمشي خلفه في أرض بلور أبيض، وعليها سور شاهق يقرب من السماء، وحصل لي أنس عظيم في تلك الأرض كدت أن أسكر منه فبينما نحن نمشي إذ نزل من السماء سلسلة فضة بيضاء، وفيها قربة فيها ماء أبيض من اللبن، وأحلى من العسل فنزلت إلى أن صار الإنسان يصل إليها بفمه فشرب الشيخ رضي الله عنه منها، وأعطاني الفضلة فشربتها ثم تخلف الشيخ، ومشيت حتى غبت عن الشيخ فنزلت لي سلسلة ذهب، وفيها شيء مربع نحو الشبر في شبر، وفيها ثلاث عيون مكتوب على العليا منها مستمد هذه العين من الله، وعلى الوسطى مستمد هذه العين من العرش، وعلى السفلى مستمد هذه العين من الكرسي فألهمني الله تعالى فشربت من الوسطى ثم رجعت إلى الشيخ رضي الله عنه فأخبرته بما شربته، وبأنه من العين التي تستمد من العرش فقال يا فلان تتخلق إن شاء الله تعالى بالرحمة على جميع العالم وسر بذلك سروراً عظيما رضي الله عنه. ثم قال لي صدق كلام الشيخ شهاب الدين المتقدم، وكان رضي الله عنه حسن

العشرة جميل الخلق كريم النفس حسن السمت كثير التبسم صافي القلب ممسوحا كباطن الطفل[1] سواء، وهذه الصفة من صفات الخلة، وكان إذا نزل بالمسلمين هم أو غم لا يقر له قرار حتى يرتفع، وكان لا يتفوه قط برؤية رسول الله ﷺ، وإنما كان يقول: رأى بعض الفقراء رسول الله ﷺ، وقال له كذا وكذا مع أن مرتبته كانت تقتضي كثرة الرؤية له ﷺ .

ورأيته عن يسار النبي ﷺ، في وقائع لا أحصيها فكنت أذكر له ذلك فيقول: اشتبهت بي، ولا يعترف بذلك .

ورأيت مرةً قائلا يقول: في شوارع مصر إن رسول الله ﷺ، عند الشيخ نور الدين الشوني رضي الله عنه فمن أراد الاجتماع به فليذهب إلى مدرسة السيوفية فمضيت إليها فوجدت السيد أبا هريرة رضي الله عنه على بابها الأول فسلمت عليه، ثم وجدت المقداد بن الأسود على بابها الثاني فسلمت عليه ثم وجدت شخصا لا أعرفه على بابها الثالث فلما وقفت على باب خلوة الشيخ وجدت الشيخ، ولم أجد رسول الله ﷺ عنده، فبهت في وجه الشيخ فأمعنت النظر فرأيت رسول الله ﷺ ماء أبيض شفافا يجري من جبهته إلى أقدامه فغاب جسم الشيخ، وظهر جسم النبي ﷺ فسلمت عليه ورحب بي وأوصاني بأمور وردت في سنته فأكد على ما فيها ثم استيقظت فلما أخبرت الشيخ رضي الله عنه بذلك قال والله ما سررت في عمري كله كسروري بها وصار يبكي حتى بل لحيته رضي الله عنه ورؤى في عرفات في الموقف مرارًا لا تحصى حتى حلف شخص من أصحابه بالطلاق انه رآه وسلم عليه فيه، وهو لم يعترف، ويقول: أنا ما برحت من مصر موضعا[2]، وتفرعت عنه سائر مجالس الصلاة على النبي ﷺ التي على وجه الأرض الآن في الحجاز، والشام، ومصر، والصعيد، والمحلة الكبرى، وإسكندرية، وبلاد

(١) وذلك لأن أولياء الله رضوان الله عليهم "فئدتهم كأفئدة الطير، لا تعرف العلل والأمراض الباطنية.

(٢) قلت: هذه صفات الأبدال، فإنهم كانو يروا فى مكانين فى وقت واحد، وقد صنفنا فى حقهم كتابنا المسمى «طبقات الأبدال» وهو مطبوع، وقد كان من الأبدال قضيب البان الموصلى وكان كثير التطور، وقد أنكر عليه شخص وكن قضيب البان فى بيت له أربعون طاقة، فاخرج رأسه له من الأربعين طاقة.

الغرب، وبلاد التكرور .وذلك لم يعهد بأحد قبله إنما كان الناس لهم أوراد في الصلاة على رسول الله ﷺ فرادى في أنفسهم، وأما اجتماع الناس على هذه الهيئة فلم يبلغنا وقوعه من أحد من عهد رسول الله ﷺ إلى عصره رضي الله عنه، ولما توفي رضي الله عنه رأيته في قبره، وقد اتسع مد البصر، وهو مغطى بلحاف حرير أخضر مساحته قدر فدان ثم إني رأيته بعد سنتين ونصف، وهو يقول: لي غطني بالملاية فإني عريان فلم أعرف ما المراد بذلك فمات ولدي محمد تلك الليلة فنزلنا به ندفنه بجانبه في الفسقية فرأيته ً عريانا على الرمل لم يبق من كفنه ولا خيط واحد ووجدته طريا يخر ظهره دما مثل ما دفناه سواء لم يتغير من جسده شيء فغطيته بالملاية، وقلت له: إذا قمت وكسوك أرسل لي ملايتي وهذا من أدل دليل على أنه من شهداء المحبة فإن الأرض لم تأكل من جسده شيئا بعد سنتين ونصف، ولا انتفخ، ولا نتن له لحم، وإنما وجدنا الدم يخر من ظهره طريا لأنه لما مرض لم يستطع أحد أن يقلبه مدة سبع وخمسين يوما فذاب لحم ظهره فضممناه بالقطن وورق الموز، ولم يتأوه قط، ولم يئن في ذلك المرض، ورأيته مرة أخرى فقلت يا سيدي أيش حالكم فقال جعلوني بواب[1] البرزخ فلا يدخل البرزخ عمل حتى يعرض علي، وما رأيت أضوأ ولا أنور من عمل أصحابنا يعني من قراءة "قل هو الله أحد "والصلاة على رسول الله ﷺ ولا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ .ورأيت مرة الإمام الشافعي رضي الله عنه، وقال لي: أنا عاتب عليك وعلى نور الدين الطرابلسي ونور الدين الشوني، وكنت تلك الليلة ً نائما في الروضة عند بني الوفاء فقلت للإمام نزوركم بكرة إن شاء الله فقال لا هذا الوقت فأخذ بيدي، ومشى من الروضة حتى طلع بي فوق قبته، وفرش لي حصيرًا بقرب الهلال بحيث أني صرت أمسك المركب النحاس بيدي ومضى فأتى ببطيخ وجبن طري وخبز لين، وقال: كل فقد ماتت ملوك الدنيا بحسرة الأكل في هذا الموضع فرجعت، وقصصت المنام على الشيخ نور الدين الطرابلسي فركب في الحال للزيارة دخلت للشيخ نور الدين الشوني فقلت له وكان عنده

---

(١) وقد كان زين العابدين المناوى له نفس هذه الوظيفة، فإنه كان القائم والموكل بالبرزخ.

عـرعـر صـاحب الشـريف بركـات سلطان مكة فـقـال هذه أباطيل مثل الإمـام الشافعي رضي الله عنه يعتب علي مثلكم في الزيارة فنام الشريف عرعر تلك الليلة فرأى الإمام الشافعي رضي الله عنه، وقال له قول عبد الوهاب صحيح، وأنا عاتب على الثلاث فجاء الشيخ نور الدين وأخبره الخبر ثم قال: وقال لي لولا الشوني في مصر لهوى بأهلها ما هوى ومناقبه رضي الله كثيرة، وإن شاء الله تعالى نفردها بالتأليف إن كان في الأجل فسحة، والله أعلم.

ومنهم أخي وصاحبي سيدي الشيخ أبو الفضل الأحمدي رضي الله عنه

صاحب الكشوفات الربانية، والاتفاقات السماوية، والمواهب اللدنية سمعت الهواتف تقول في الأسحار ما صحبت مثل الشيخ أبي الفضل، ولا تصحب مثله، كان رحمه الله تعالى من أكابر أولياء الله، وما رأيت أعرف منه بطريق الله عز وجل، ولا بأحوال الدنيا والآخرة له نفوذ البصر في كل شيء لو أخذ يتكلم في أفراد الوجود لضاقت الدفاتر .صحبته رضي الله عنه نحو خمس عشرة سنة، ووقع بيني وبينه اتحاد لم يقع لي قط مع غيره، وهو أنه كان يرد على الكلام من الحكمة في الليل فأكتبه فإذا جاء عرضته عليه فيخرج لي ورقة من عمامته، ويقول: وأنا الآخر وقع لي ذلك فنقابل الكلام على الآخر فلا يزيد أحدهما على الآخر حرفا ، وربما يقول: بعض الناس إن أحدنا كتب ذلك من الآخر، وكان رضي الله يدرك تطور الأعمال الليلية، والنهارية[1]، ويرى معارجها، وهذا أمر ما رأيته لأحد قط من الأشياخ الذين كتبت مناقبهم في هذه الطبقات، وقد سألني مرة الأمير محيي الدين بن أصبغ أسبغ الله عليه نعم الدارين أن أدعو له بالخلاص من سجن السلطان فسألت الله تعالى في الأسحار فجاءني سيدي الشيخ أبو الفضل، وقال لي ضحكت الليلة عليك في دعائك لابن أبي أصبغ بالخلاص من السجن، وقد بقي له من المدة خمسة شهور، وسبعة أيام فلو كنت شاطر مصر لم

---

(١) أى له اطلاع على أعمال الخلق التى ترفع وتصعد إلى السماء سواء فى النهار أو الليل، ويرى عروجها إلى الملأ الأعلى، وقد يكون بالاستغفار لهم، قلت: وهذه إراثة منه ﷺ فإنه كما ورد فى الحديث يطلع على أعمال أمته فيحمد الله على الحسن منها ويستغفر لأصحاب التقصير.

تقدر على إخراجه حتى تنقضي هذه المدة .قال ورأيت دعاءك، وهو يصعد إلى السماء نحو قامة، ويرجع إليك وربما كان يأتيني فيخبرني بجميع ما وقع لي في الليل، وكان من شأنه تحمل هموم الناس حتى صار ليس عليه أوقية لحم، وكان ﷺ يقول: لي منذ سنين، وأنا أحس بلحمي كأنه في صحن نحاس على النار يطشطش[1]، وكان من شأنه التقشف في المأكل والملبس، وخدمته جميع إخوانه، وكنا إذا خرجنا لمثل أهرام الجيزة أو غيرها من التنزهات يحمل نعال الجماعة كلهم في خرج على عنقه، ومن أبى أقسم عليه بالله تعالى حتى يمكنه من حمل نعله، وشكوت له مرةً مرضا نزل بي فقال: والله العظيم لي منذ عشر سنين، وأنا أحس أنني في صحن نحاس على النار من غير ماء يطشطش فيه فحط مرضك بجنب هذا تجده ولاش .

وكان ﷺ لا ينام من الليل إلا نحو عشر درج صيفاً وشتاء، وكان ﷺ من أعظم الناس تعظيما للمساجد لم يتجرأ قط أن يدخل مسجدًا إلا تبعا لغيره فكان يمكث واقفا على باب المسجد حتى إذا دخل أحد دخل في دراه، ويقول: مثلنا لا ينبغي له أن يدخل المساجد إلاً تبعا لعامة المسلمين لعجزنا عن القيام بآدابها، ورأيت مرة في ثوبه أثرًا فقلت له دعني أغسله لك فقال: أنت ما تعرف حالي، والله إني لأستحي من لبس الثوب النظيف على ذاتي هذه القذرة، وكان ﷺ يقول: أعطاني الله تعالى أن لا أنظر قط إلى شيء من الحبوب نظرة واحدة[2] ويسوس أو يتلف أبدًا، وجربنا ذلك في مخزن القمح الذي كان يسوس عندنا.

(١) قلت: هذه صفة أصحاب النوبة المتحملين لأثقال الخلق وابتلاءات الناس وهمومهم، وقد كان منهم سيدى أحمد الرفاعى كان يتحمل آلام الناس حتى لم يبق من لحمه على جسمه أوقية، وكان شيخنا محمد زكى إبراهيم من كثرة تحمله لهموم الناس به أكثر من سبعة أمراض مع أن عمره كان قد تجاوز التسعين عاماً، وكان يعيش بهذه الأمراض فى هذا السن بالقدرة الإلهية، وكان الشيخ أحمد رضوان القنائى الأقصرى قد ذاب لحمه وانبرى عظمه من كثرة تحمله لابتلاءات الخلق.

(٢) قلت: وهم أولياء النظرة الذين ينظرون بالسر الإلهى فإنهم ما نظروا إلى شيء إلا وأحيوه قال الحلاج ما نظرت إلى شيء إلا ورأيت الله فيه.

وكان ﷺ يعرف أصحاب النوبة في سائر أقطار الأرض، ويعرف من تولى ذلك اليوم منهم، ومن عزل، وكان لونه أصفر نحيفا لا تكاد تجد عليه أوقية لحم وحج ﷺ مرات على التجريد فلما كان آخر حجة كان ضعيفا فقلت له في هذه الحالة تسافر فقال لترابي فإن نطفتي مرغوها في تربة الشهداء ببدر فكان كما قال فمرض مرضا شديدًا قبل بدر بيومين ثم توفي، ودفن ببدر كما قال، وذلك في سنة اثنتين و أربعين وتسعمائة فلما حججت سنة سبع وأربعين مضيت إلى قبره فقلت له أقسم عليك بالله إلا ما نطقت لي من القبر، وعرفتني بقبرك فناداني تعال فإني ها هنا فعرفت قبره بتعريفه لي ﷺ، ومدحت له مرة بعض الفقراء فقال اجمعني عليه فدخلنا فوجدناه في الخلوة فقال له سيدي أفضل الدين رحمه الله تعالى يا هو بهمة فتخبط ذلك الفقير من صياحه عليه حتى كاد يذهل فقال سيدي أفضل الدين ﷺ وعزة ربي لولا الشفقة عليه لشققت قلبه بالصوت ثم قال لي هذا يأكل مهما وجد لا يتورع فهذا الذي تركه يتخبط كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (البقرة: ٢٧٥)، فذاكره مذاكرة في حقائق اليقين ودقق عليه الكلام حتى قال له ذلك الفقير تنزل لنا في العبارة والمقام ثم رأى عنده رجلاً مختليا وصوته ضعيف في الذكر فقال له أخرج هذا الفقير وأطعمه وإلا مات، ودخل النار فقال الفقير هذا من شرط الخلوة فقال له سيدي أفضل الدين ﷺ: وماذا يطلب بالخلوة هذه فإن العبد إذا كان وليا لله فلا يحتاج إلى هذا العلاج وإن كان غير ولي لله فلا يصير وليا بالعلاج وشجرة السنط لا تكون تفاحا بالعلاج[1] فأخذ سيدي أبو الفضل رغيفا وقال اسمع مني واخرج، وما وعدك الله به يحصل إن شاء الله تعالى فلم يخرج فقال الله يبتليك بالموت فمات بعد يوم وليلة، وكان ﷺ يقول: بواطن هذه الخلائق كالبلور الصافي أرى ما في بواطنهم كما أرى ما ظواهرهم، وكان إذا انحرف من إنسان يذوب ذلك الإنسان، ولا يفلح في شيء من أمر الدنيا ولا من أمر الآخرة، وكان ﷺ يعرف من أنف

(١) أى أن الولى تصنعه القدرة، وما كتب على الشخص لن يعدوه.

الإنسان جميع ما يفعله في داره ويقول: هذا ما هو باختياري، وسألت الله تعالى الحجاب فلم يحجبني[1] ولله تعالى في ذلك حكم وأسرار، وكان له كلام عال في الطريق، والمقامات، وأحوال الكمل، وكان يقول: أنا من وارثي إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام .ومن كلامه رضي الله عنه: اعلم يا أخي أن المراد من الإيجاد الإلهي الإنساني، والتكوين الطبيعي الناري ليس إلا معرفه الربوبية وأوصافها، والعبودية وأخلاقها فأما أوصاف الربوبية فيكيفك يا أخي منها ما وصل إليك علمه إلهاماً وتقليداً بواسطة رسول الله ﷺ في غير تشبيه، ولا تعطيل، وأما أخلاق العبودية فهي مقابلة الأوصاف الربوبية على السواء فكل صفة استحقتها الألوهية طلبت العبودية حقها من مقابلة ذلك الوصف، ومن هذا المقام كان استغفاره ﷺ فكل عن مقامه يتكلم، وعما وصف به يترجم، وسمعته رضي الله عنه يقول: من نظر إلى ثواب في أعماله عاجلا أو آجلا فقد خرج عن أوصاف العبودية التي لا ثواب لها إلا وجه الله تعالى .

وكان يقول: عليك بحسن الظن في شأن ولاة أمور المسلمين وإن جاروا فإن الله لا يسأل أحدًا قط في الآخرة لم حسنت ظنك بالعباد، وكان يقول: لا تسب أحدًا من خلق تعالى على التعيين بسبب معصية، وإن عظمت فإنك لا تدري بم يختم لك وله ولا تسب من أحد إذا سبيت إلا فعله لا عينه فإن عينك وعينه واحد فلا تسب إلا الفعل الرديء المذموم لقوله ﷺ في الثوم "إنها شجرة أكره ريحها " فلم يقل أكرهها وإنما أكره ريحها الذي هو بعض صفاتها، وكان رضي الله عنه يقول: لا يخلو المنقص لأعراض الناس عن ثلاثة أحوال إما أن يرى نفسه أفضل منهم فهو حينئذ أسوأ حالا منهم كما وقع لإبليس مع آدم عليه السلام، وإما أن يرى نفسه مثلهم فما أنكر إلا على حال نفسه حقيقة، وإما أن يرى نفسه دونهم فلا يليق به تنقيص من هو خير منه سمعته مرة يقول: هؤلاء المنقصون لأعراضنا فلاحون لنا يزنون لنا الخراج فقلت له كيف؟ فقال لأنهم ينقلون في صحائفنا جميع أعمالهم الصالحة الخالصة، وثم ذنوب لا يكفرها إلا كلام الناس

(١) فإنه ربما يستجاب للولى فيحجب وربما لا يستجاب له فيظل مكاشفاً، ولله فى خلقه شؤون.

في عرض الإنسان، وكان ﷺ يقول: عليكم بحسن الاعتقاد فإنه ربط القلب مع الله تعالى بواسطة المعتقد فيه، ولو كان غير أهل لذلك فإنكم لم تربطوا قلبكم إلا مع الله تعالى لا مع الواسطة، والله يستحي من طلب عبده له أن يفقده عندما طلبه.

ومنهم الشيخ ناصر الدين النحاس رضي الله تعالى عنه و رحمه

صحبته نحو خمس عشرة سنة، كان من رجال الله المستورين، وكان على قدم التعب لا يذيق نفسه راحة، ولا شهوة، وكان يذهب كل يوم إلى المذبح يأتي بكروش البهائم، وطحالاتها، وشغتها في قفة عظيمة على رأسه يطعمها للكلاب العاجزين، والقطط، والحدادي، والغربان[1]، وكانت داره مأواهم في غالب الأوقات، ورأيت حداة عجوزًا مقيمة في داره يوم موته فلما غسلناه، وحملناه خرجت معه طائرة على نعشه حتى دفناه في زاوية الشيخ على الخواص ﷺ خارج باب الفتوح بمصر المحروسة، وسافر على التجريد من مصر ماشيا من غير زاد، ولا راحلة، ولا قبول شيء من أحد إلى مكة، وأخبرني بموت أخي أفضل الدين رحمه الله يوم مات، وقال مات أخونا أفضل الدين هذا اليوم، وغدا يدفن ببدر فلما جاء الحجاج أخبرونا أنه مات قبل دخول بدر بمرحلة، وحمل إلى بدر، ودفن بها ﷺ بجوار قبورالشهداء، وكراماته كثيرة، ولكنا تركنا ذكرها لكونه كان يحب الخمول، وعدم الشهرة .مات سنة خمس، وأربعين وتسعمائة ﷺ.

ومنهم الشيخ الكامل العارف بالله تعالى سيدي علي الكازروني رحمه الله

أحد أصحاب سيدي علي بن ميمون شيخ سيدي محمد بن عراق ﷺ، كان ﷺ كثير المجاهدة، والرياضة أخبرني ﷺ أنه ربما يمكث الخمسة الشهور أو أكثر لا يضع جنبه بالأرض لا ليلا ولا نهاراً، صحبته مدة إقامة الحج بمكة

(١) ربما كانوا من الجن، أو ربما كان بعضهم منهم، وقد رأى سيدى أحمد الرفاعى رحمه الله كلباً أجرب فأخذه وعالجه وضمد جراحه وصار يقدم له الأدوية حتى شفى.

المشرفة نحو عشرين يوما سنة سبع وأربعين وتسعمائة وكذلك في حجتي سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة مدة الموسم، وانتفعت بكلامه، وإشاراته، ومواعظه، ودقائقه في علم التوحيد، وله رسائل نافعة في الطريق أطلعني على بعضها، وكان ذا تمكين، ومحبة لستر مقامه بين الناس حتى إن أهل مكة غالبهم ينكر عليه، ويقول: هذا رجل محب للدنيا، وسبب ذلك ما أسره إلي، وقال لي هذه بلد الله، وحضرته الخاصة، وكل من تظاهر فيها بصلاح أقبل عليه الناس، وشغلوه عن ربه عز وجل فلما دخلت مكة على حالتي التي كنت عليها في الشام اعتقدوني، وأقبلوا علي فتظاهرت بحب الدنيا[1]، وسؤالي لهم من الصدقات فنفروا عني فاسترحت رضي الله عنه .ومن كلامه رضي الله عنه الإرشاد على ثلاثة أقسام: إرشاد العوام إلى معرفة ما يجب على المكلف معرفته من الحدود والأحكام من فروض العين والكفاية وإرشاد الخواص إلى معرفة النفس، وهو معرفة الداء والدواء فيما يرد على النفس وعلى الضمائر من الخواطر .وإرشاد خواص الخواص، وهو معرفة ما يجب لله وما يجوز وما يستحيل، وتنزيه صفاته، وأسمائه، وذاته، وأفعاله .وقال رضي الله عنه الطريق إلى الله كمال الشهود ولزوم الحدود، وقال من ثبت له الاستقامة فقد أذن له في الكلام، وقال الوقوف مع المظاهر حجاب ظاهر، والترقي عن المظاهر كشف ظاهر، وقال من صدق ما يقال فيه من المذموم فقد سلك، ومن صدق ما يقال فيه من المحمود فقد هلك، وقال من كان مجاهداً فحقيق أن يكون مشاهداً، وقال من صدق في طلب الله لم يبال بترك ما سواه، ومن بالغ في مدح نفسه فقد بالغ في ذم غيره، ومن بالغ في ذم غيره فقد بالغ في مدح نفسه.

ومنهم الشيخ الإمام الكامل الراسخ

الأمين على الأسرار العارف بالله تعالى، والداعي إليه الوارث الرباني النوراني الفرقاني العياني ذو المؤلفات الجليلة، والصفات الحميدة، والألفاظ الرشيقة، والمعاني الدقيقة، من شاع علمه في أقاليم مصر وذاع، ومن كراماته

(١) هو نوع من المكر يبديه الأولياء لستر مقاماتهم وأحوالهم.

وصفاته قد شرفت البقاع، ومن يكل لسان واصفه في بيان أوصافه الزكية، وشيمه المرضية

الشيخ محمد الجاولي رضي الله عنه

صحبته رضي الله عنه مدة فما رأيت عليه شيئا يشينه في دينه بل تربي في حجر الأولياء على وجه اللطف والدلال كما قال الأستاذ سيدي علي بن وفا رضي الله عنه:

فما عرفنا، ولا ألفنا سوى الموافاة، والوصال

مات بمكة سنة نيف وثلاثين وتسعمائة رضي الله عنه آمين .

ومنهم شيخنا، وقدوتنا إلى الله تعالى الإمام الصالح الورع الزاهد شمس الدين الديروطي ثم الدمياطي الواعظ

كان في الجامع الأزهر أيام السلطان قانصوه الغوري كان رضي الله عنه مهابا عند الملوك، والأمراء، ومن دونهم زاهدًا، وزعا مجاهدًا صائما قائما آمرًا بالمعروف ناهيا عن المنكر، وقد حضرت مجلس وعظه في الجامع الأزهر مرات فرأيته مجلسا تفيض فيه العيون، وكان إذا تكلم أنصتوا بأجمعهم، وكان يحضرها أكابر الدولة، وأمراء الألوف فكان كل واحد يقوم من مجلسه متخشعا صغيرًا ذليلا رضي الله عنه، وكان إذا مر في شوارع مصر يتزاحم الناس على رؤيته، وكان من لم يحصل ثوبه رمي بردائه من بعيد على ثيابه ثم يأخذ رداءه فيمسح به على وجهه رضي الله عنه[1]، وكان رضي الله عنه يختفي إذا شاء في بيته أو غيره، وذكرت والدته أنها كانت تضع ما يأكل، وما يشرب فيأكل وهي لا تراه إنما تسمع كلامه فقط، وكان شجاعا مقداما في كل أمر مهم، وخرج عليه مرة قطاع الطريق وهو في بحر دمياط فخاف أهل المركب فقال لهم الشيخ لا تخافوا ثم أشار إليها فتسمرت في الماء فلم يقدروا أن يحركوها فاستغفروا وتابوا، وقالوا للريس من معك فقال الشيخ شمس الدين الدمياطي فقالوا أخبروه أنا تبنا إلى الله تعالى فقال ميلوا إلى جانب البر، وأنتم تخلصون فمالوا فخلصوا رضي الله عنه .وحط مرة على السلطان

(١) انظر إلى مدى تأثر المجتمع والناس في ذلك العصر بالأولياء، ومدى تفاعلهم على التبرك بهم.

الغوري في ترك الجهاد فأرسل السلطان خلفه فلما وصل إلى مجلسه قال للسلطان السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فلم يرد عليه فقال إن لم ترد السلام فسقت وعزلت فقال وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ثم قال علام تحط علينا بين الناس في ترك الجهاد، وليس لنا مراكب نجاهد فيها فقال عندك المال الذي تعمر به فطال بينهما الكلام فقال الشيخ للسلطان: قد نسيت نعم الله عليك، وقابلتها بالعصيان أما تذكر حين كنت نصرانيا ثم أسروك، وباعوك من يد إلى يد ثم من الله عليك بالحرية والإسلام، ورقاك إلى أن صرت سلطانا على الخلق، وعن قريب يأتيك المرض الذي لا ينجح فيه طب ثم تموت، وتكفن ويحفرون لك قبرًا مظلما ثم يدس أنفك هذا في التراب ثم تبعث عرياناً عطشانا جيعاناً ثم توقف بين يدي الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة ثم ينادي المنادي من كان له حق أو مظلمة على الغوري فليحضر فيحضر خلائق لا يعلم عدتها إلا الله تعالى فتغير وجه السلطان من كلامه فقال كاتب السر وجماعة السلطان الفاتحة يا سيدي الشيخ خوفا على السلطان أن يختل عقله فلما ولي الشيخ، وأفاق السلطان قال ائتوني بالشيخ فعرض عليه عشرة آلاف دينار يستعين بها على بناء البرج الذي في دمياط فردها عليه، وقال أنا رجل ذو مال لا أحتاج إلى مساعدة أحد، ولكن إن كنت أنت محتاجا أقرضتك وصبرت عليك فما رؤى أعز من الشيخ في ذلك المجلس، ولا أذل من السلطان فيه هكذا كان العلماء العاملون، وقد صرف على عمارة البرج بدمياط نحو أربعين ألف دينار، ولم يساعده فيها أحد إنما كان يعقد الأشربة، ويتاجر في الخيار شنبر، ونحوه رَوَّحَ اللَّهُ رُوحَهُ، ولم يأخذ قط معلوم وظيفة من وظائف الفقهاء، وكان ينفر طلبته من أكل أوقاف الناس، وقبول صدقاتهم، ويخبرهم أنها تسود وجه قلوبهم رَوَّحَ اللَّهُ رُوحَهُ .وله من المصنفات شرح منهاج النووي في الفقه، وشرح الستين مسألة، وكتاب القاموس في الفقه، وشرح قطعة من الإرشاد لابن المقري رَوَّحَ اللَّهُ رُوحَهُ، وكان متواضعا مع من قرأ عليهم القرآن، وهو صغير ولم يصده ما وصل إليه من العلوم، والمعارف، والشهرة عن ذلك، ولقد رأيته مرةً راكبا فنزل، وقبل يد أعمى تقوده ابنته فقلت له من هذا؟ فقال

هذا اقراني، وانا صغير حزبين من القرآن رضي الله عنه فما أقدر قط أن أمر عليه، وأنا راكب وأخبر زوجته أن ولدها حمزة يقتل شهيداً، وانه يأتيه مدفع فيطير رأسه معه فكان كما قال، وأخبر أن ولده سريا يعيش صالحاً، ويموت على ذلك، ولما حضرته الوفاة أخبر والدته أنه يموت في تلك الرقدة فقالت له من أين لك علم هذا؟ فقال أخبرني بذلك الخضر عليه السلام فكان كما قال فكانت والدته تخبر أنها لما حملت به رأت النبي ﷺ، وأعطاها كتابا فكان الكتاب هو الشيخ. وأخبرني ولده سيدي سري فسح الله في أجله أن والدته رأت الشيخ بعد مماته فقالت له ما وقع لك مع منكر ونكير فقال كلمونا بكلام مليح، وأجبناهم بجواب فصيح[1]. توفي رضي الله عنه في ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وتسعمائة وله من العمر نيف وخمسون سنة رضي الله عنه، ودفن بزاويته بدمياط، ودفن عنده الأخ العزيز العارف بالله تعالى سيدي أبو العباس الحريثي رضي الله عنه.

ومنهم الأخ الصالح
الشيخ محمد السندفاوي المحلي رحمه الله تعالى

كان شاباً صواماً قواما قليل الكلام حسن السمت كريم النفس يحب الوحدة لا يمل منها، أحب إليه ما يجلس في المساجد المهجورة، والخرائب .اجتمع رحمه الله تعالى بالشيخ العارف بالله تعالى سيدي علي الدويب بالبحر الصغير بنواحي دمياط، وحصل له منه نفحات، وكساه جبته، وقال يا محمد ما فرح مني بذلك قط أحد غيرك وكانت له والدة يبرها، ولا يكاد يرفع صوته عليها، وكان يقول: لها هبيني لله عز وجل، وأليعاد بيننا في الآخرة ليقطع طمعها منه، ومكث رضي الله عنه سنين عديدة يحج على التجريد ماشيا حافيا لا يسأل أحدًا شيئاً، ولا يقبله منه،

(١) قلت: ومن الأولياء من يستحى أن يسأله منكر ونكير فى قبره، وذلك لأن العارفين معروفون فى الملأ الأعلى أبان حياتهم، فكيف يسألون فى قبورهم بعد مماتهم، وانظر بربك قول الحية الموجودة عند جبل قاف كيف قالت لابن عربى عندما سألها عن شيخه أبى مدين الغوث: وهل على الأرض دابة تجهل أبى مدين.

وحكى بعض أصحابنا أن أحد إخواننا من التجانية مات فرآه فى النوم فسأله عن سؤال الملكين فقال جاء أحدهما لكى يسألنى فقال له الآخر دعه فإنه من أصحاب صلاة الفاتح.

وكان الغالب عليه السذاجة في أمور الدنيا، والحذق في أمور الآخرة، وكان كثير التوجه إلى الله تعالى قليل الكلام حسن المعاشرة لين الجانب لعامة المسلمين واسع الأخلاق لا يكاد أحد يغضبه، ولو فعل معه ما فعل، أخذ عنه جماعة من أهل الطريق، وانتفعت بمواعظه، وآدابه رضي الله عنه، وصحبته نحو خمس عشر سنة ما رأيت عليه شيئا يشينه في دينه رضي الله عنه . مات سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة، ودفن بسندفا بالمحلة الكبرى رحمه الله تعالى .

ومنهم الشيخ الكامل المحقق سيدي أحمد الرومي رضي الله عنه

المقيم بمصر العتيق[1] تجاه مقياس نيل مصر المحروسة .صحبته رضي الله عنه نحو عشرين سنة، وكان كثيرالمجاهدات والرياضات أخبرني أن له سبع عشرة سنة لم يقرب من عياله اشتغالا بالله تعالى، وكان يقول: قد فعلنا السنة، وولدنا أولادًا كثيرة، وحصل المقصود[2]، وكان رضي الله عنه حسن السمت على الهمة كثير العزلة يحب الخمول، ويأخذ في أسباب الخفاء، ويقول: ما بقي للظهور الآن فائدة فإن الفقير لا ينبغي له الظهور إلا لمصلحة الناس من أخذهم الطريق عنه، وقبول شفاعاته فيهم عند الملوك والأمراء، وما بقي عند الأمراء اعتقاد في أحد، ولا عند أحد من الفقراء همة يطلب بها السلوك في طريق الله عز وجل، وكان له كل يوم من الجوالي وغيرها نحو كذا كذا دينارًا فينفقها كل يوم، ويتظاهر بجمع الدنيا ويقول: نظهر الشمم على أركان الدولة صيانة للخرقة عن الانتهاك جهدنا رضي الله عنه، وكان محققا في علوم النظر غواصا في بحار التوحيد هيناً ليناً بشوشا غالب أيامه صائماً، وربما طوى لأربعين يوما لا يأكل كل يوم غير تمرة أو زبيبة رضي الله عنه . مات سنة نيف وتسعين رضي الله عنه .

---

(١) المفروض العتيقة.

(٢) قلت: لعله لم يحصل المقصود فاين إعفاف الأهل وسد شهوتهم الجنسية، وقد كان ﷺ يطوف كل يوم على نسائه بغسل واحد.

ومنهم الشيخ الصالح العابد شاهين المحمدي رضي الله عنه

أحد أصحاب سيدي الشيخ العارف بالله تعالى سيدي عمر روشني بناحية توريز العجم رضي الله عنه، كان من جند السلطان الأعظم قايتباي رحمه الله، وكان مقربا عنده فسأله أن يتركه، ويخليه لعبادة ربه ففعل، وأعتقه فساح إلى بلاد العجم، وأخذ عن شيخه المذكور ثم رجع إلى مصر فسكن الجبل المقطم، وبنى له فيه معبدًا، وحفر له فيه قبرًا، ولم يزل مقيما فيه لا ينزل إلى مصر نحو ثلاثين سنة، وكان له الشهرة العظيمة بالصلاح في دولة السلطان ابن عثمان، وتردد الأمراء، والوزراء إلى زيارته، ولم يكن ذلك في مصر لأحد في زمنه وكان كثير المكاشفة قليل الكلام جدًا تجلس عنده اليوم كاملا لا تكاد تسمع منه كلمة، وكان كثير السهر متقشفا في اللبس معتزلا عن الناس إلى أن توفاه الله تعالى سنة نيف وتسعمائة رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ الصالح عبد القادر السبكي رحمه الله تعالى

أحد رجال الله تعالى كان من أصحاب التصريف بقرى مصر رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه كثير التلاوة للقرآن كثير الشطح لا يصبر على معاشرته إلا أكابر الفقراء . وكان كثير التشعيث لمن عرف منه أنه يعتقده، وكان كثير الكشف لا يحجبه الجدران، والمسافات البعيدة من اطلاعه على ما يفعله الإنسان في قعر بيته وكان ليله كله تارة يقرأ، وتارة يضحك، وتارة يكلم نفسه إلى الصباح، وكان إذا ذهب إلى السوق يسخره أهل الحارة في قضاء حوائجهم فيقضيها لهم على أتم الوجوه، وكان له في خرجه[1] وعاء واحد يشتري فيه جميع ما يطلبه الناس من المائعات فكان يضع فيه الشيرج، والعسل، والزيت الحار، وغير ذلك ثم يرجع فيعصر من الإناء لكل أحد حاجته من غير اختلاط، وكان له حمارة يجعل لها ولأولادها براقع على وجوهها، ويقول: إنما أفعل ذلك خوفا من العين، وكان إذا لم يجد مركبا يعدي فيه يركبها ويسوقها على وجه الماء إلى ذلك البر.

(١) الخرج بضم الخاء لغة لاتزال تستعمل بين عوام أهل مصر، وهو كيس من القماش يستعمل لتخزين الأشياء فى السفر والتجارة، وقد يحمل على ظهر الدابة أو على ظهر الإنسان.

وكان له بنت يحملها على ظهره أي موضع ذهب حتى كبرت، وهو يحملها على كتفه، وهو يقول: خوفا من أولاد الزنا، وكان ربما ذهب ليغسل لها ثوبها في البركة فيحفر لها في الأرض، ويردم التراب عليها حتى ينشف ثوبها، وركب آخر عمره الخيول المسومة، ولبس لباس الأمراء، ووضع الريش في عمامته كالجاويش فكان كل من رآه يعتقد أنه جاويش، وكان الباشا داود لا يرد له كلمة، وكذلك الدفتردار وابن بغداد، وغيرهم من قضاة الشرع، وربما ادعى على بعض المنكرين عليه دعاوى باطلة في ظاهر الشرع، وحكم له القضاة بها لا يستطيعون مخالفته قهرا عليهم، وأخرب دورًا كثيرة من المنكرين عليه رضي الله عنه لكونه كان كثير العطب. مات سنة نيف وتسعمائة .

ومنهم الشيخ الصالح العابد أحمد الكعكي رضي الله عنه

كان عابدًا زاهدًا كثير الغوص في علم التوحيد لكن لسانه مغلق[1] لا يكاد يفهم عنه، وكان أول ما يبلي من ثوبه موضع ركبتيه من كثرة السجود والجلوس، وكان ورده في اليوم، والليلة نحو أربعين ألف صلاة على النبي ﷺ واثني عشر ألف تسبيحة، وأحزاباً، وأسماء، وربما دخل في ورده من اصفرار الشمس فما يقوم منه إلى ضحوة النهار، وكان كثير الشطحً تبعا لشيخه سيدي الشيخ محمد الكعكي المدفون بالقلعة بزاويته بالقرب من سيدي سارية صاحب رسول الله ﷺ كان لا يقدر على صحبته كل أحد، وكان الغالب عليه محبة الخمول، وعدم الشهرة، وكان لا يسكن إلا في الربوع بين السوقة والمحترفين وينهي عن سكني الزوايا، والربط، ويقول: ما بقي أهل القرن العاشر يقدرون على القيام بحق الظهور[2]. صحبته رضي الله عنه أكثر من عشرين سنة، وكان يخبرني بما يقع في بيتي وبما يخطر لي، وكان غالب الناس لا يعتقده لكثرة تشعيثه قولا لا فعلا تسترًا

---

(١) أى أن لغته الباطنية لا يفهمها أحد سواه من أهل المعرفة، وكان من أهل الإغلاق النفرى وسيدى محمد وفا رضى الله تعالى عنهم.

(٢) قلت: والذى حدث الآن أكثر من عدم إعطاء الحضرة الإلهية صوفية العصر الحق فى الظهور، فكيف لو رآنا أهل القرن العاشر؟

لحاله رضي الله عنه .مات رضي الله عنه خامس عشر رجب سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة، ودفن ببولاق في مقام العارف بالله تعالى سيدي حسين أبي علي رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ الكامل سيدي علي الهندي[1] رضي الله عنه

نزيل مكة اجتمعت به فيها سنة سبع وأربعين وتسعمائة، وترددت إليه، وتردد إلي، وكان عالما ورعاً وزاهداً، نحيف البدن لا تكاد تجد عليه أوقية لحم من كثرة الجوع، وكان كثير الصمت كثير العزلة لا يخرج من بيته إلا لصلاة الجمعة في الحرم فيصلي في أطراف الصفوف ثم يرجع بسرعة، وأدخلني داره فرأيت عنده جماعة من الفقراء الصادقين في جوانب حوش داره كل فقير له خص يتوجه فيه إلى الله تعالى منهم التالي، ومنهم الذاكر، ومنهم المراقب، ومنهم المطالع في العلم ما أعجبني في مكة مثله، وله عدة مؤلفات منها ترتيب الجامع الصغير للحافظ السيوطي، ومنها مختصر النهاية في اللغة، وأطلعني على مصحف بخطه كل سطر ربع حزب في ورقة واحدة، وأعطاني نصفي فضة، وقال لك المعذرة في هذا البلد فوسع الله علي لحج ببركته حتى أنفقت مالاً عظيما من حيث لا أحتسب، رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ شعبان المجذوب رضي الله عنه

كان من أهل التصريف بمصر المحروسة وأقعد آخر عمره في زاويته بسويقة اللبن إلى أن مات، وكان يخبر بوقائع الزمان المستقبل، وأخبرني سيدي على الخواص رضي الله عنه أن الله تعالى يطلع الشيخ شعبان على ما يقع في كل سنة من رؤية هلالها فكان إذا رأى الهلال عرف جميع ما فيه مكتوبا على العباد[2]، وكان

---

(١) هو المتقى الهندى صاحب كنز العمال المتوفى عام ٩٧٥ بمكة، وكان غوث عصره، وقد ذكرته فى كتابى معجم من رأى رسول الله ﷺ فى النوم واليقظة. وكان شاذلى الخرقة، ورأى النبى ﷺ فى النوم فسأله عن أفضل أهل زمانه فقال له: أنت.

(٢) قلت له شاهد فى السنة، وهو ما روى عنه ﷺ من أنه كان إذا رأى الهلال قال: «اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ربى وربك الله» فكأنه كان ﷺ يرى ما كان مكتوباً من الوقائع على أمته فى رؤية الهلال فيطلب لأمته اليمن والسلامة والمعافاة من البلاء.

إذا اطلع على موت البهائم يلبس صبيحة تلك الليلة جلد البهائم البقر أو الغنم أو تسخير الجمال لجهة السلطنة يلبس الشليف الليف فيقع الأمر كما نوه به وكان سيدي على الخواص إذا أشكل عليه أمر يبعث يسأله عنه، وكان رضي الله عنه يرسل يخبرني مع النقيب عن أحوالي الواقعة في الليل وجاءتني مرة امرأة من الريف تريد أن تفسخ نكاح ابنتها لكون زوجها غاب عنها مدة طويلة فباتت عندي من غير علمي فأرسل نقيبه لي من الفجر يقول: لي يقول: لك الشيخ لا تفرق بين رأسين في الحلال فعلمت أن زوجها سيرجع فأخبرت المرأة فرجعت عن ذلك، وجاء الأمر كما قال، هذا والمرأة لم تخاطبني بكلام، وإنما كانت مضمرة في نفسها أنها تحبرني بذلك بكرة النهار فعلم الشيخ بخاطرها رضي الله عنه .

وكان رضي الله عنه عريانا لا يلبس إلا قطعة جلد أو بساط أو حصير أو لباد يغطي قبله ودبره فقط، وكان يرى حلال زينة الدنيا كالحرام في الاجتناب[1]، وكانت الخلائق تعتقده اعتقادًا زائدًا لم أسمع قط أحدًا ينكر عليه شيئا من حاله بل يعدون رؤيته عيدًا عندهم تحنينا عليه من الله تعالى رضي الله عنه، مات رضي الله عنه سنة نيف وتسعمائة .

ومنهم الشيخ الصالح المعتزل عن الناس بجامع آل ملك إبراهيم

كان رضي الله عنه مقيما بالجامع المذكور نحو أربعين سنة صابرًا على الوحدة حين خربت حارة الجامع ليلا ونهارًا شتاء وصيفا ، وكانت الأكابر تتردد إليه تتبرك به، وكان يلبس العمامة أو الثوب لا يخلعها حتى تذوب عليه، صحبته نحو ثلاثين سنة مات رضي الله عنه سنة نيف وتسعمائة .

ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى محمد الصوفي رحمه الله تعالى

نزيل مدينة الفيوم كان رضي الله عنه من أكابر العارفين يأكل من عمل يده بالحياكة وغيرها، ولا يقبل من أحد شيئا ، وكان يحل مشكلات الشيخ محيي الدين بن

(١) وقد كان هكذا سيدى على النخيلى المجذوب وكان يسكن المقابر ببعض نواحى أسيوط، كان لا يمس الفلوس ويقول: هى نار، ويقول لمن أراد أن يعطيه الفلوس: افعل بها كذا وكذا.

العربي بأفصح عبارة، ومن كلامه رضي الله عنه: اعلم أن السير في الطريق سيران: سير إلى الله، وسير في الله فما دام السالك في المسالك الفانية التي هي طريق العدم فهو في السير إلى الله فإذا قطع كرة الوجود صار إلى المعبود، ولم تكن هذه الرتبة إلا من طريق الأسماء كما أشار إلى ذلك سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه بقوله:

على سمة الأسماء تجري أمورهم وإن لم تكن أفعالهم بالسديدة

ففي البداية أنت أنت، والاسم الاسم، وفي وسط الطريق تارة أنت، وتارة الاسم وفي النهاية أنت ولا اسم فإن التخلق به يظهر فعله على ناسوتك لقوته فلا يرى منك إلا فعل الاسم فالمرئي أنت لا الاسم لقصور نظر الرائين، وأما النافذ البصر فهو يعرف قوة الإكسير يرجع صاحب هذا المقام به من غير مفارقة، ولا بعد مسافة، ولا قربها قال وثم مقام يدخل به العبد إلى حضرة الرب من غير واسطة أسماء، وأطال في ذلك بكلام يدق على العقول رضي الله عنه، وكان يقول: طي المعاني مجال أهل العلم الأكبر، وطي المحسوسات مجال أهل العلم الأصغر، وكان يقول: الصفات وإن كانت راجعة لعين واحدة فبعضها متوقف على بعض توقف ظهور لا توقف إيجاد لأنها زمام الباطن من حيث الظاهر والباطن زمام لها من حيث ان الفيض لها لا تكون إلا منه، وانظر كم شخص يقول لا إله إلا الله فلا يحصل له فتوح أهلها،وكان يخبر أنه يجتمع بالنبي ﷺ يقظة أي وقت أراد، وهو صادق لأنه ﷺ سائر في كل مكان وجدت فيه شريعته وما منع الناس من رؤيته إلا غلظ حجابهم، صحبته نحو خمس وثلاثين سنة، وانتفعت بكلامه، وإشارته، رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ عبد العال المجذوب رضي الله عنه

كان رضي الله عنه لا يلبس قميصا إنما كان يلبس إزارًا صيفاً وشتاء، وكان مكشوف الرأس لم يزل محافظا على الطهارة، وكانت صلاته تامة بطمأنينة وذبول كأنه جذع نخلة، وكان يمدح النبي ﷺ فيحصل للناس من إنشاده عبرة، ويبكون، وكان

يطوف البلاد والقرى ثم يرجع إلى مصر، وكان سواكه مربوطا[1] في إزاره، وكفنه لم يزل مربوطا على بطنه إلى أن توفي، وكان يحمل إبريقاً عظيما فيه ماء ويمر على الناس في شوارع مصر يسقيهم[2]. ولما دنت وفاته دخل لنا الزاوية، وقال الفقراء يدفنون في أي بلد فقلت الله أعلم فقال في قليوب فكان الأمر كما قال بعد ثلاثة أيام، ودفن قريبا من القنطرة التي في وسط قليوب وبنوا عليه في سنة ثلاثين وتسعمائة، رضي الله عنه.

ومنهم الشيخ خليل المجذوب رضي الله عنه

أصله من قرية يقال لها المنيتين قريب من مليج وشيبين[3]، وكان عرياناً، ولم يزل بالمنيتين إلى سنة أربعين وتسعمائة فانتقل إلى شيبين فلما سافرنا إليها لعمارة الجامع بها وجدناه مقيما بالبقعة التي عملنا فيها الجامع، وأخبرنا أهل شيبين أن له مدة سنة وهو يحفر حفرًا في تلك البقعة، ويقول: الجامع الجامع فكان الناس لا يعرفون معنى كلامه حتى عمرنا الجامع في ذلك الموضع، ولما وصلنا في المركب إلى ساحل البحر خرج من شيبين وتلقانا، وهو يضحك، وأظهر السرور، ولم يزل حولنا حتى عمرنا الجامع، وظهرت له كرامات خارقة، وكشوفات صادقة رضي الله عنه، وكان له طونس ساقية لم يزل خارقه في عنقه ليلا ونهارًا نحو قنطار، وكان يطوف حول بلده طول النهار، ويزغرت، وتارة يصيح، وتارة يصمت، ورأيته مرة من بعيد، وهو صاعد كوم بلده فقلت في سري يا ترى هل هو أحمدي أم برهامي فصاح يا دائم يا دائم يشير إلى أنه برهامي رضي الله عنه مات رضي الله عنه سنة نيف وتسعمائة، ودفن ببلده بشيبين رضي الله عنه .

---

(١) وهو من باب محافظة بعض المجاذيب على التمسك بظاهر السنة.

(٢) ربما طوى فى هذا الماء بعض الشفاء من بعض الأمراض القلبية والنفسية، وهو من قبيل إفادة الأولياء الكونية لأهل عصرهم، وأن الحق سبحانه قد أقامهم رحمة للخلق، لأنهم من مظاهر الأسماء الرحمانية، وهو يحدث توازناً فى الكون.

(٣) تنطق الآن بالتخفيف فيقال لها شبين بحذف الياء الأولى.

ومنهم الشيخ عامر المجذوب رضي الله تعالى عنه

أصله من قرية يقال لها البيجور ثم انتقل إلى ناحية سرس، ومنوف، وكان شأنه الصمت ليلا ونهارًا، وكان عامة نهاره وليله واقفا على كوم عال ومعه طوق حجر طاحون يحركه بين رجليه، وهما مفرقتان، وكانت له عمامة نحو قنطار لا يستطيع أحد أن يضعها على رأسه من ثقلها يجمعها من شراميط الكيمان، وقد أخبرني الشيخ الصالح أحمد السطيحة أنه لما سافر إلى صعيد مصر عارضه فقراء الصعيد من أهل الباطن،وأنه 'ستجد بسائر الأولياء فما أجابه وخلصه سوى الشيخ عامر هذا رضي الله عنه، وكان لا يأكل إلا إذا وضعوا له الأكل، وإن لم يطعمه أحد يصبر، ولو شهرًا .مات رضي الله عنه في سنة نيف وتسعمائة .

ومنهم الشيخ عمر المجذوب رضي الله عنه

كان رضي الله عنه مقيما بسوق أمير الجيوش بمصر المحروسة، وكان كثير المكاشفات، ومن جملة ما وقع لي معه أنني لما سافر السلطان قانصوه الغوري إلى مرج دابق سنة قتل في معركة ابن عثمان قلت له يا شيخ عمر هل يدخل السلطان ابن عثمان مصر قال نعم، ويمر من هذا المكان، وهنا موضع حافر فرسه فحفظنا عليه ذلك القول حتى دخل السلطان سليم مصر، ووقع حافر فرسه في ذلك الموضع الذي عينه رضي الله عنه، وكان يخبر بالأمور المستقبلة، ومن يتولى من الولاة أو يعزل أو يموت، وكان إذا نام لا يضع رأسه عن الأرض إلى الصباح، وكان ليله كله سهران، كان إذا لبس القميص لا ينزعه حتى يذوب، وكان على رأسه عرقية بيضاء فقط من غير قلنسوة، ولا عمامة، صحبته نحو ثلاثين سنة مات رضي الله عنه سنة نيف وتسعمائة .

ومنهم الأخ الصالح الورع الزاهد الشيخ سلمان الحانوتي رضي الله عنه

مكث نحوًا من سبعة وثلاثين سنة لا يضع جنبه الأرض كما أخبر بذلك على سبيل التحدث بالنعم[1]، كان أكثر إقامته في المساجد المهجورة والبساتين

(١) فإن الأولياء والعلماء العاملين قد يصرح لهم من قبل حضرة ربهم أن يصرحوا =

الخراب ليلا ونهارًا، وكانت ثيابه تارة رثة، وتارة كثياب القضاة التجار، ولونه تارة تجده أحمر كالقرمزي، وتارة أصفر متحولا، تارة تجده أسمن ما يكون، وتارة اهزل ما يكون، وكان يخبرني بوقائعي في الليل واحدة واحدة واحدة كأنه جالس معي فيها، وكان يحب الخمول وعدم الشهرة فكل مكان عرف فيه انتقل منه وكان تارة تجده في بركة الحبش وتارة في الريدانية وتارة، في الجزيرة الوسطانية، وكان لا يدخل مصر أبدًا إنما هو حواليها ينتقل من ناحية إلى ناحية وبنى خصه بالطوب من غير طين فكان كل ساعة ينهدم، ويبنيه ثانياً وثالثاً وهكذا، ولا يمكن أحدًا يبنيه بالطين. مات رضي الله عنه سنة نيف وتسعمائة .

ومنهم الشيخ

الصالح السني المحمدي شهاب الدين بن داود المنزلاوي رضي الله عنه

كان رضي الله عنه ملازما للعمل بالكتاب والسنة، ما رأت عيني بعد الشيخ محمد بن عنان أضبط للسنة منه، وكان يقول: من أراد حفظ السنة فليعمل بها فإنها تتقيد عنده، ولا ينساها، وكان يدرس العلم، ويقرأ كتب التصوف في زاويته على بحيرة دمياط، وكان موردًا للضيوف الواردين من دمياط والصادرين، وكان ربما لم يجد شيئا للضيف غير الأرز فيعلق الدست، ويضع الماء يغليه، ويطعمه للضيف فيقول: له ما أطيب لبن هذا الرز فيقول: الشيخ سبحان الستار، صحبته رضي الله تعالى عنه نحوًا من أربعين سنة ما رأيته قط زاغ عن السنة في شيء من أحواله .مات سنة إحدى وخمسين وتسعمائة عن نيف وثمانين سنة رضي الله تعالى عنه .

= بالنعم الروحية وبعض ما أكرمهم به ربهم، كما فعل ذلك السيوطى وتحدث عن نفسه أنه المبعوث على رأس قرنه وكما تحدث بذلك الشعرانى فى المنن، قلت: وهذا له سند فى السنة وهو ما روى عنه ﷺ أنه قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»، وكما تحدث بذلك سيدى عبد القادر فقال: قدمى هذه على رقبة كل ولى، وكما تحدث بذلك سيدى محيى الدين بن عربى عن نفسه فى كتاب عنقاء مغرب وكما تحدث بذلك شيخنا سيدى أحمد التجانى رضي الله عنه وصرح بأنه خاتم الأولياء المحمدين:

ومنهم الشيخ الصالح العابد الزاهد الشيخ علي العياشي رضي الله عنه

كان من أجل أصحاب سيدي أبي العباس الغمري رضي الله عنه، ومكث رضي الله عنه نحو نيف وسبعين سنة لا يضع جنبه الأرض إلا من مرض شديد، وكان اشتغاله ائما ليلا ونهارًا من قراءة إلى ذكر إلى صلاة، وكان ينظر إبليس، ويضربه بالعصا فقال يوما إني لا أخاف من العصا، وإنما أخاف من نور القلب، وجلس معنا ليلة في مجلس الصلاة على النبي ﷺ ليلة الجمعة فأخذ عصاه، وضرب بها إنسانا في المجلس فقال: لم ضربتني فقال له إنما ضربت الشيطان الذي رأيته راكبا على عنقك، ورجلاه مدلاتان على صدرك، وكانت الأولياء الأموات يزورونه كثيرًا لا سيما الإمام الشافعي رضي الله عنه فكان يخبر كل قليل أنه كان عنده يقظة لا نوماً، وكان من لا يعرف حاله يقول: هذا خراف[1]، ورأيته مرة افتتح القرآن من صلاة العشاء إلى طلوع الفجر فقرأ خمسة أحزاب فقط بترتيل وتكرار وكنا ونحن شباب نقوم من الليل فنجده قائما يصلي هكذا على الدوام، وما رأيت له قط فروة يجلس عليها، ولا مخدة، ولم يزل على ذلك إلى أن كف بصره أواخر عمره فلم ينقص من أوراده شيئاً، وكان إذا لم يجد من يوضئه تأتيه الأولياء فيوضئونه فيقول: وضأني الإمام الشافعي رضي الله عنه هذا الوقت وضأني فلان وضأني فلان ويصلي بذلك الوضوء، وكان بعض الناس ينكر ذلك حيث لم ير من يوضئه، ويقول: هذا خف عقله رضي الله عنه، مات رضي الله عنه سنة نيف وتسعمائة .

وليكن ذلك آخر الطبقات، وقد أحببت أن ألحقها بذكر نبذة صالحة من أحوال العلماء العاملين

من أهل مذهبنا فقط تبركاً بذكرهم، ونشرًا لعبير مسكهم رضي الله عنهم فأقول وبالله التوفيق: كان أبو بكر بن إسحاق الضبعي لا يترك قط قيام الليل في سفر، ولا حضر، ولا صيف، ولا شتاء، وكان إماما في جميع العلوم، وكان ابن الصباغ رضي الله عنه حافظاً للمذهب صائم الدهر، وكان القمولي رضي الله عنه لا يفتر قط عن قول لا

---

(١) أى مخرف.

إله إلا الله .وكان أبو العباس الدبيلي رضي الله عنه يصوم دائماً، ويدرس القرآن دائماً، ويخيط بالنهار فإذا أمسى صلى المغرب واشتغل بالفقه رضي الله عنه .

وكان أبو زيد المروزي رضي الله عنه متقشفا زاهداً، وكان أصحابه رضي الله عنهم يقولون خالطناه إلى أن مات فما نظن أن الملائكة كتبت عليه خطيئة رضي الله عنه .وكان الإمام ابن الحداد يختم كل يوم وليلة ختمة، ويصوم يوماً، ويفطر يوماً، ويختم كل جمعة ختمة أخرى في ركعتين في الجامع قبل الصلاة سوى التي يختمها كل يوم رضي الله عنه .وكان الإمام أبو جعفر الترمذي رضي الله عنه نفقته أربعة دراهم في كل شهر، وكان لا يسأل أحداً قط رضي الله عنه وربما كان رضي الله عنه يتقوت بحبة زبيب كل يوم، وكان مع ذلك شجاعا رضي الله عنه، وكان الإمام ابن خزيمة رضي الله عنه يضرب به المثل في الأدب لا سيما مع شيخه البوشنجي حتى أنه سئل عن مسألة وهو في جنازة فقال لا أفتي حتى أواري أستاذي التراب رضي الله عنه . وكان الشيخ أبو العباس النيسابوري رضي الله عنه يقول: ختمت عن رسول الله ﷺ اثنتي عشرة ألف ختمة وضحيت عنه اثنتي[1] عشرة ألف أضحية رضي الله تعالى عنه، وكان الإمام محمد بن بردزبه البخاري رضي الله تعالى عنه يختم القرآن كل يوم، ويقرأ في الليل عند السحر ثلثا من القرآن فمجموع ذلك ختمة، وثلث، وكان يقول: أرجو أن ألقى الله تعالى، ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً رضي الله تعالى عنه ، وكان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد رضي الله تعالى عنه يقول: ما تكلمت قط كلمة، ولا فعلت فعلا منذ وعيت على نفسي حتى أعددت لذلك جوابا بين يدي الله عز وجل .وكان الإمام محمد النيسابوري يصلي طول نهاره ويصوم الدهر فإن أتاه مستفت أفتاه، وإلا فهو في صلاة رضي الله عنه ، وكان الإمام محمد المعروف بفقيه الحرم أحد تلامذة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي يقرأ كل يوم ستة آلاف مرة "قل هو الله أحد "من جملة أوراده رضي الله تعالى عنه، وكان الإمام الحسن الأصبهاني رضي الله تعالى عنه ينفرد عن تلامذته كل أسبوع، ويبكي حتى ذهبت عيناه، ويقول: قد بكى من كان قبلي الدم، وما قاموا بواجب حق الله عز وجل رضي الله تعالى عنه، وكان الشيخ زين

(١) لا يقل ثمنها اليوم عن ١٢ مليون جنيه مصرى.

الأمناء الدمشقي رضي الله تعالى عنه قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للتلاوة والتسبيح، وثلثا للنوم، وثلث للعبادة والتهجد، وكان يطول السجود، وكان يقال له السجاد، وكان نهاره كذلك رحمه الله، وكان الإمام الحسن بن سمعون رحمه الله إماما زاهداً ورعا كثير التهجد قلما يخرج من بيته إلا في أيام الجمع لأجل الصلاة وطول نهاره في قعر بيته رحمه الله .وكان الشيخ أبو علي بن حيران رحمه الله إماما زاهدًا صامتا فأكرهه السلطان على أن يوليه القضاء فأبى فوكل على بابه حراساً، وختم على باب داره بضعة عشر يوما ثم أعفاه، وقال لبعض تلامذته انظر يا بني حتى تحدث إن عشت بعدي أن إنسانا فعل به مثل هذا ليلي القضاء فامتنع، وكان يعيب على ابن سريج في ولايته القضاء، ويقول: هذا الأمر لم يكن في أصحابنا، وإنما كان في أصحاب أبي حنيفة رحمه الله ، وكان أبو عبد الله الحاكم يقول: تبعت الشيخ حسينا النيسابوري حضرًا وسفرًا نحو ثلاثين سنة فما رأيته قط يترك قيام الليل يقرأ في كل ركعة سبعا رحمه الله ، وكان الإمام البغوي رحمه الله زاهداً ورعا حتى كان يأكل الخبز وحده فعذلوه في ذلك فصار يأكله بالزيت إلى أن مات رحمه الله .وكان القفال المروزي يغلب عليه البكاء في الدرس حتى يغمى عليه ثم يفيق، ويقول: ما أغفلنا عما يراد بنا رضي الله تعالى عنه .وكان أبو بكر النيسابوري رحمه الله يقوم الليل دائما حتى مكث أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء رضي الله تعالى عنه .

وكان الشيخ عبد الله الأصبهاني المعروف بابن اللبان رحمه الله يصلي بالناس التراويح، ويصرفهم ثم ينتصب للصلاة حتى يطلع الفجر فإذا صلى جلس يدرس أصحابه، وكان لا يضع جنبه للنوم في رمضان ليلا ولا نهارا وكان ابن أبي حاتم رحمه الله زاهدًا ورعاً خاشعا لا يكاد يرفع طرفه إلى السماء، وجاءه رجل وهو في الدرس فقال إن سور طرسوس قد انهدم منه جانب، واحتيج في عمارته إلى ألف دينار فقال الشيخ للحاضرين من يعمره، وأنا أضمن له على الله قصرًا في الجنة فقام رجل أعجمي، وجاء بألف دينار، وقال اكتب لي ورقة بهذه الضمانة فكتب له الشيخ ثم إن العجمي مات، ودفنت معه الورقة فحملها الريح حتى ألقاها في

حجر الشيخ رضي الله عنه فإذا مكتوب في ظهرها قد وفينا ما ضمنته ولا تعد رضي الله تعالى عنه. وكان الشيخ عبد الرحمن الأنباري النحوي رضي الله عنه لا يوقد قط في بيته سراجا لعدم صفاء ثمن ما يشتري به الزيت، وكان تحته حصير قصب وعليه ثوب خلق، وعمامته من غليظ القطن فيصلي فيها الجمعة ما يفرق الناس بينه وبين الشحاتين في رثاثة الهيئة، وكان لا يخرج من بيته إلا لصلاة الجمعة[1] رضي الله عنه. وكان الشيخ عبد الرحمن الداودي البوشنجي رضي الله عنه عالماً ورعا زاهدًا لم يأكل اللحم منذ أربعين سنة من حين نهبت التركمان البهائم، وكان يأكل السمك فحكى له شخص أن بعض الجند أكل على شاطئ النهر الذي يصاد له منه، ونفض سفرته في النهر فأكله السمك فلم يأكل بعد ذلك منه سمكاً، وكان له أرض ورثها من آبائه يزرع فيها ما يقوته، وله فيها بقرة وبئر ماء فمطرت يوما فأطلقت البقرة إلى أرض جاره ثم رجعت وفي حافرها وحل فاختلط في أرضه فترك الأرض للناس، وخرج منها، ولم يزرع بعد ذلك فيها شيئا إلى أن مات، وكان له فرن يخبز فيه في داره فجاء فقراء يزورنه، وكان غائبا فوجدوا باب فرنه قد انهدم منه جانب فعجنوا طيناً، وأصلحوه فامتنع من الخبز فيه، وبنى له خلافه لكون من ليس على قدمه في الورع بناه رضي الله تعالى عنه. وكان الشيخ عبد الله الرازي رضي الله عنه أحد طلبة أبي إسحاق الشيرازي مجاب الدعوة، وحج مرة فعطش الحجاج فقالوا له: يا فقيه استسق بنا فتقدم، وقال: اللهم إنك تعلم أن هذا بدن لم يعصك قط في لذة ثم استسقى فنزل المطر كأفواه القرب رضي الله تعالى عنه. وكان الشيخ أبو الحسن المقري رضي الله عنه من العلماء العاملين طول ليله في صلاة، ونهاره في صيام وكان عارفا زاهدًا حتى إنه كان بينه وبين أخيه عمامة وقميص فكان إذا خرج أحدهما لبسهما، وجلس الآخر في البيت، ودخل عليه زائر يوما فوجده عريانا فقال: نحن إذا غسلنا ثيابنا نكون كما قال القاضي أبو الطيب الطبري رضي الله تعالى عنه:

(١) هو حال يراه العارفون والعلماء العاملون أنه أصلح لشأنهم من خلطة الناس، وقد فعل ذلك الإمام أحمد فى أواخر حياته فاعتزل الناس ولم يكن يخرج من بيته إلا لصلاة الجمعة، واعتزل الإمام مالك رحمه الله الناس فى بيته ولم يكن يصلى معهم ويشهد الجماعة ولا الجمعة خمساً وعشرين سنة فسئل عن ذلك فقال: مخافة أن أرى منكراً أحتاج أن أغيره.

قـوم إذا غـسلوا جمـال ثيـابهم لبسوا البيوت إلى فـراغ الغاسل

أو كما قال غيره:

قـوم إذا غـسلوا الثيـاب رأيتـهم لبـسـوا البيـوت وزرروا الأبوابا

وكان الشيخ أبو الحسن الاسترابادي مجتهدًا في العبادة عمره، وكان يكتب عامة النهار، وهو يقرأ القرآن ظاهرًا لا يمنعه أحد الأمرين عن الآخر[1] رضي الله عنه، وكان إذا دخل عليه أحد، وأكثر اللغو يقول: له اخرج، ولو كان من أعز الناس، وكان له الدرس، والفتوى، ومجلس النظر، والتوسط، ومع ذلك كان يختم كل يوم ختمة رضي الله عنه .وكان الشيخ أبو علي المرزباني رضي الله عنه إماماً ورعا زاهدًا، وكان يقول: ما أعلم لأحد قط على مظلمة في مـل أو عرض، ومثله لا يخفى عليه تحريم الغيبة، وسوء الظن بالمسلمين رضي الله عنه ، وكان أبو الحسن الأشعري إماما زاهدًا ورعاً عالماً مواظبا على السنة مقدما على أقرانه من المتكلمين رضي الله عنه، ومكث عشرين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء، وكانت نفقته في كل سنة سبعة عشر درهما رضي الله عنه ، وكان الحافظ ابن عساكر رضي الله عنه إماما زاهدًا ورعا مواظبا على صلاة الجماعة في المسجد كثير التلاوة للقرآن كثير النوافل، والأذكار آناء الليل وأطراف النهار، وكان يختم القرآن كل أسبوع في التهجد رضي الله عنه .

وكان الشيخ أبو الحسن القزويني رضي الله عنه يكاشف ويتكلم على الخواطر، وكان ملازما للصمت لا يخرج من بيته رضي الله عنه فكل هؤلاء كانوا علماء عاملين غير مشهورين بالعبادة والزهد والورع رضي الله تعالى عنهم فذكرناهم لننبه على فضلهم رجاء الخير، والترحم عليهم رحمهم الله تعالى والاقتداء بهم .وأما من اشتهر بالعبادة والزهد، والورع كالشيخ أبي إسحاق الشيرازي، والإمام الغزالي، والإمام الرافعي، والإمام النووي رضي الله تعالى عنهم، ورحمهم ورحمنا بهم فاكتفينا بشهرتهم، رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

---

(١) قلت: من جملة كرامات الصوفية الإتيان بمعلين متضادين فى وقت واحد، وهو ما لا يستطيع العقل العادى فعله أبداً.

قال المؤلف الشيخ الإمام العالم العامل الكامل الراسخ المحقق المدقق أحد ملوك العارفين بالله تعالى سيدي عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراوي الأنصاري رضي الله تعالى عنه: كان الفراغ من كتابتها وتأليفها خامس عشر رجب سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة بمصر المحروسة، والحمد لله رب العالمين.

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس المحتويات

ومنهم الشيخ عبد الله المنوفي المالكي رضي الله عنه 3

ومنهم الشيخ حسين الجاكي رضي الله عنه 3

ومنهم الشيخ خضر الكردي رضي الله عنه 3

ومنهم الشيخ شرف الدين الكردي رضي الله عنه 4

ومنهم الشيخ محمد بن هارون رضي الله عنه 4

ومنهم الشيخ يحيى الصنافيري رضي الله عنه 5

ومنهم الشيخ أبو العباس البصير رضي الله عنه 6

ومنهم الشيخ حسن شيخ المسلمية رضي الله عنه 7

ومنهم الشيخ علي السدار رضي الله عنه 7

ومنهم الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه 7

ومنهم الشيخ سيدي الإمام أحمد أبو العباس المرسي رضي الله عنه 24

ومنهم سيدي ياقوت العرشي رضي الله تعالى عنه 38

ومنهم الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه 39

ومنهم الشيخ موسى المكنى بأبي عمران رضي الله عنه 39

obeikandl.com

ومنهم العارف بالله سيدي محمد وفا رضي الله عنه 40
ومنهم الأستاذ سيدي علي ولده رضي الله عنه، و رحمه 42
ومنهم سيدي يوسف العجمي الكوراني رضي الله عنه 83
ومنهم الشيخ حسن التستري رضي الله عنه 85
ومنهم سيدي الشيخ محمد أبو المواهب الشاذلي رضي الله عنه 87
ومنهم الشيخ حسين الآدمي رضي الله عنه 105
ومنهم الشيخ أحمد بن سليمان الزاهد رضي الله عنه 106
ومنهم سيدي عمر الكردي رضي الله عنه 110
ومنهم سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه 110
ومنهم الشيخ حسين أبو علي رضي الله عنه 117
ومنهم سيدي الشيخ محمد الغمري رضي الله عنه 118
ومنهم سيدنا، ومولانا شمس الدين الحنفي رضي الله عنه 120
ومنهم الشيخ مدين بن أحمد الأشموني رضي الله عنه 142
ومن أصحابه سيدي محمد الشويمي المدفون قبالة قبره رضي الله عنه 147
وسيدي أحمد الحلفاوي رضي الله عنه المدفون في صحن الزاوية 147
وأما الحلفاوي رضي الله عنه 148
ومنهم سيدي الشيخ محمد بن أحمد الفرغل رضي الله عنه 148
ومنهم سيدي الشيخ أبو بكر الدقدوسي رضي الله عنه 151

obeikandl.com

ومنهم سيدي عثمان الحطاب رضي الله تعالى عنه 151
ومنهم الشيخ محمد الحضري رضي الله تعالى عنه 153
ومنهم سيدي عيسى بن نجم خفير البرلس رضي الله تعالى عنه 154
ومنهم الشيخ شهاب الدين المرحومي رضي الله تعالى عنه 154
ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد ابن أخت سيدي مدين رضي الله تعالى عنه 155
ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي علي المحلي رضي الله تعالى عنه 157
ومنهم الشيخ الإمام العارف بالله تعالى سيدي علي بن شهاب جدي الأدنى رضي الله تعالى عنه 157
خاتمة في ذكر مشايخي الذين أدركتهم في القرن العاشر رضي الله تعالى عنهم 167
سيدي محمد المغربي الشاذلي رضي الله تعالى عنه 167
ومنهم الشيخ سيدي محمد عنان رضي الله تعالى عنه 171
ومنهم سيدي الشيخ أبو العباس الغمري الواسطي رضي الله تعالى عنه 178
ومنهم سيدي الشيخ نور الدين الحسني المديني رضي الله تعالى عنه 179
ومنهم شيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصاري الخزرجي رضي الله تعالى عنه 180
ومنهم الشيخ علي النبتيتي الضرير رضي الله تعالى عنه 184
ومنهم الشيخ علي بن الجمال النبتيتي رضي الله تعالى عنه 186
ومنهم الشيخ عبد القادر بن عنان أخو الشيخ محمد رضي الله تعالى عنه 186
ومنهم الشيخ محمد العدل رضي الله تعالى عنه 187
ومنهم الشيخ محمد بن داود المنزلاوي رضي الله تعالى عنه 187

obeikandl.com

ومنهم الشيخ محمد السروي رضي الله عنه 188
ومنهم الشيخ علي نور الدين المرصفي رضي الله عنه 190
ومنهم الشيخ تاج الدين الذاكر رضي الله عنه 193
ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي أبو السعود الجارحي رضي الله عنه 194
ومنهم الشيخ عبد الحليم بن مصلح المنزلاوي رضي الله عنه 194
ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد المنير رضي الله عنه 196
ومنهم الشيخ أبو بكر الحديدي رضي الله عنه 198
ومنهم شيخي وقدوتي إلى الله تعالى العارف بالله تعالى سيدي محمد الشناوي رضي الله عنه 200
ومنهم الشيخ عبد الحليم بن مصلح المنزلاوي رضي الله عنه 203
ومنهم الشيخ علي أبو خودة رضي الله عنه 205
ومنهم الشيخ محمد الشربيني رضي الله عنه 206
ومنهم الشيخ علي الدويب رضي الله عنه 207
ومنهم الشيخ أحمد السطيحة رضي الله عنه 207
ومنهم الشيخ بهاء الدين المجذوب رضي الله عنه 210
ومنهم الشيخ عبد القادر الدشطوطي رضي الله عنه 211
ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي حسن العراقي رضي الله عنه 213
ومنهم سيدي إبراهيم بن عصيفير رضي الله عنه 215
ومنهم سيدي الشيخ شهاب الدين الطويل النشيلي رضي الله عنه 217

obeikandl.com

ومنهم سيدي عبد الرحمن المجذوب رضي الله عنه 217
ومنهم سيدي محمد الرويجل العريان رضي الله عنه 218
ومنهم سيدي حبيب المجذوب رضي الله عنه 218
ومنهم سيدي فرج المجذوب رضي الله عنه 219
ومنهم سيدي إبراهيم المجذوب رضي الله عنه 219
ومنهم الشيخ أحمد المجذوب المشهور بحب رمانتي رضي الله عنه 220
ومنهم الشيخ إبراهيم العريان رضي الله عنه 220
ومنهم الشيخ محيسن البرلسي رضي الله عنه 220
ومنهم الشيخ أبو الخير الكليباتي رضي الله عنه 221
ومنهم سيدي عمر البجائي المغربي رضي الله عنه 222
ومنهم سيدي سعود المجذوب رضي الله عنه 222
ومنهم سيدي سويدان المدفون بالخانكة رضي الله عنه 223
ومنهم سيدي بركات الخياط رضي الله عنه 223
ومنهم سيدي علي الشونوزي رضي الله عنه 224
ومنهم سيدي أحمد الزواوي أخو الشونوزي في الطريق رضي الله عنه 225
ومنهم سيدي أحمد البهلول رضي الله عنه 225
ومنهم سيدي الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري رضي الله عنه 226
ومنهم سيدي أبو الحسن الغمري رحمه الله تعالى 227

obeikandl.com

ومنهم سيدي الشيخ عبيد البلقيني رضي الله عنه 228
ومنهم سيدي الشيخ يوسف الحريثي 228
ومنهم الشيخ عبد الرزاق الترابي رضي الله عنه 229
ومنهم الشيخ مخلص رضي الله عنه 229
ومنهم الشيخ صدر الدين البكري رضي الله عنه 230
ومنهم سيدي الشيخ دمرداش المحمدي رضي الله عنه 230
ومنهم الشيخ مرشد رضي الله عنه 231
ومنهم الشيخ ناصر الدين أبو العمائم الزفتاوي رضي الله عنه 231
ومنهم الشيخ شرف الدين الصعيدي رضي الله عنه 232
ومنهم سيدي الشيخ أبو القاسم المغربي الفاسي القصري رضي الله عنه 232
ومنهم سيدي علي البلبلي رضي الله عنه 232
ومنهم الشيخ إبراهيم أبو لحاف المجذوب رضي الله عنه 233
ومنهم الشيخ محمد بن زرعة رضي الله عنه 233
ومنهم سيدي علي وحيش من مجاذيب التحارية رضي الله عنه 233
ومنهم سيدي الشريف المجذوب رضي الله عنه 234
ومنهم سيدي علي الدميري المجذوب رضي الله عنه 235
ومنهم شيخي، وأستاذي سيدي علي الخواص البرلسي رضي الله عنه 235
ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي علي البحيري رضي الله عنه 257

obeikandl.com

ومنهم أخي العارف بالله تعالى سيدي الشيخ أبو العباس الحريثي رضي الله عنه 258
ومنهم شيخي ووالدي وقدوتي الشيخ نور الدين الشوني رضي الله عنه 260
ومنهم أخي وصاحبي سيدي الشيخ أبو الفضل الأحمدي رضي الله عنه 264
ومنهم الشيخ ناصر الدين النحاس رضي الله تعالى عنه و رحمه 268
ومنهم الشيخ الكامل العارف بالله تعالى سيدي علي الكازروني رحمه الله 268
ومنهم الشيخ الإمام الكامل الراسخ الشيخ محمد الجاولي رضي الله عنه 269
ومنهم شيخنا شمس الدين الديروطي ثم الدمياطي الواعظ رضي الله عنه 279
ومنهم الأخ الصالح الشيخ محمد السندفاوي المحلي رحمه الله تعالى 272
ومنهم الشيخ الكامل المحقق سيدي أحمد الرومي رضي الله عنه 273
ومنهم الشيخ الصالح العابد شاهين المحمدي رضي الله عنه 275
ومنهم الشيخ الصالح عبد القادر السبكي رحمه الله تعالى 275
ومنهم الشيخ الصالح العابد أحمد الكمكي رضي الله عنه 275
ومنهم الشيخ الكامل سيدي علي الهندي رضي الله عنه 276
ومنهم الشيخ شعبان المجذوب رضي الله عنه 276
ومنهم الشيخ الصالح المعتزل عن الناس بجامع آل ملك إبراهيم 277
ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى محمد الصوفي رحمه الله تعالى 277
ومنهم الشيخ عبد العال المجذوب رضي الله عنه 278
ومنهم الشيخ خليل المجذوب رضي الله عنه 279

obeikandl.com

ومنهم الشيخ عامر المجذوب رضي الله تعالى عنه 280
ومنهم الشيخ عمر المجذوب رضي الله عنه 280
ومنهم الأخ الصالح الورع الزاهد الشيخ سلمان الحانوتي رضي الله عنه 280
ومنهم الشيخ الصالح السني المحمدي شهاب الدين بن داود المنزلاوي رضي الله عنه 281
ومنهم الشيخ الصالح العابد الزاهد الشيخ علي العياشي رضي الله عنه 282
نبذة صالحة من أحوال العلماء العاملين 282

دار الطباعة المحمدية
٣ شقاقه أبي الظاهر سرب الأترك بالأزبكية
فوراتش للكمبيوتر ٠١٠/٦٦٧٤٣٣٥

obeikandl.com